شاكر مصطفى

التاريخ العربي والمؤرخون

دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام

الجزء الثاني



دار العلم للملايين

التاريخ العربي والمؤرخون

دراسة في تطور علم التاريخ
ومعرفة رجاله في الإسلام

شاكر مصطفى

التاريخ العربي والمؤرخون

دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام

٥

الجزء الثاني

دار العلم للملايين
ص.ب ١٠٨٥ - بيروت
تلفون: ٢٢٤٥٠٢-٢٧-٢٩١٠

دار العلم للملايين

مؤسسة ثقافية للتأليف والترجمة والنشر

شارع مار الياس - خلف ثكنة الحلو

ص.ب ١٠٨٥ - تلفون : ٣٠٤٤٤٥ - ٨١٦٦٣٩

برقياً : ملايين - تلكس ٢٣١٦٦ ملايين

بيروت - لبنان

الطبعة الاولى ١٩٧٩

الطبعة الثالثة

آزار (مارس) ١٩٨٧

القسم الثالث

المدارس التاريخية في المشرق

(ما بين أوائل القرن الرابع وأواسط السابع الهجري)

الفصل الثاني عشر

المدرسة العباسية - الأم - ١

المؤرخون البلدانيون

لا بد لنا عند دراسة التاريخ المشرقي ، في الفترة العباسية الفاطمية ما بين القرن الرابع وأواسط السابع ،من أن نتبعه في تبلوره الاقليمي ومظاهره القومية والمذهبية.ولعلنا نستطيع الاحاطة بتطوراته ان نحن قسمناه إلى ستة تيارات أو مدارس تقوم إلى حد كبير على الأساس الجغرافي .

أ - المدرسة - الأم التي جمعت مؤرخي المنطقة العباسية ما بين ايران إلى العراق . أما سُرتها فبغداد .

ب - مدرسة الشام و كانت ملحقة بالمدرسة السابقة لحد كبير ولها مركزان في دمشق وحلب .

جـ - مدرسة اليمن و كانت أول الأمر عباسية حتى العهد الفاطمي .

د - مدرسة مصر الفاطمية التي برزت بصورة خاصة عقب انفصال هذا الاقليم وتحوله إلى مركز خلافة منافسة للعباسيين هي الخلافة الفاطمية .

ومركزها القاهرة وقد لحقتها اليمن بشكل واضح بسبب التبعية السياسية ثم المذهبية. وبقيت مدرسة الشام رغم روابطها السياسية مع الفاطميين في اطار المدرسة العباسية إلى آخر الفترة .

هـ ــ مدرسة ايران الفارسية .

و ــ المدرسة المسيحية .

وقد يكون من باب التجوز أن ندعو تلك النشاطات التاريخية التي ظهرت في العراق وايران أو في الشام أو مصر أو اليمن أو كتبها الايرانيون بلغتهم في ايران أو المسيحيون في أجوائهم الخاصة ، باسم « مدارس » فانها لم تكن في الواقع سوى جزء من النشاط التاريخي الاسلامي الأوسع في المشرق . وإذا كنا سندرسها في أقسام ستة نعطيها اسم مدارس ، فان هذا التوزيع انما اقتضته ضرورات البحث والتبسيط ويجب الا يحجب عنا على أي حال الحقائق الأساسية التالية :

الأولى : أن المدرسة الأولى العباسية التي سميناها بالمدرسة ــ الأم كانت لحد كبير هي النموذج والمثال للمدارس الاقليمية الأخرى . وغالبا ما كانت أولية بغداد بين العواصم الإسلامية واجتذابها العلماء اليها وتلمذة علماء الأمصار عليها من أهم الدوافع لتوحيد الفكر الإسلامي عامة ، ومن جملة ذلك توحيد الفكر التاريخي الإسلامي في مناهجه وأساليبه ومعارفه ومصادره ، وهذا ما يبرر إعطاء المدرسة العباسية لقب الأم . علما بأن مؤرخي الأقاليم الأخرى ساهموا بدورهم في تكوينها كما أنهم بدورهم لم يقصروا في تلوين مدارسهم الاقليمية بألوان خاصة ولا في التأثير على المدرسة الأم بتلك الألوان .

الثانية ــ أن هذه المدارس رغم محليتها أو اختصاصها لم تكن ذات فكر تاريخي مستقل ولكنها كانت تكوّن جزءاً أساسياً من الفكر التاريخي

العباسي الأوسع وجانباً متمماً من جوانبه ، كما أنها كانت مؤثرة فيه – متأثرة به دون انقطاع . وإذا كانت رحلة العلماء مثلاً قد انقطعت ما بين مصر والمشرق العباسي منذ ظهور الفاطميين في مصر (٣٥٨ – ٩٦٩) أو كانت اليمن « بعيدة » عن الاتصال الديناميكي المستمر مع تيارات الفكر الإسلامي في العراق وايران والشام بسبب عزلتها الجغرافية الجانبية أو كان المؤرخون المسيحيون أكثر اهتماماً بطوائفهم وتواريخ الروم والرومان في ما قبل الإسلام ... اذا كان كل ذلك صحيحاً وكان صحيحاً معه أن مؤرخي هذه الأقاليم (مصر ، الشام ، اليمن وايران) قد أقاموا للتاريخ صروحه الخاصة في أقاليمهم فان ذلك لا يعني أكثر من « محلية » المواضيع التاريخية المطروقة ومن « خصوصيتها » واتصالها بجماعة محدودة من المسلمين أو غيرهم،وأما فيما عدا ذلك فان «التأريخ هو التاريخ » . ومن الصعب جداً أن نكشف في المناهج أو الأهداف والأساليب ما يمكن أن يبرر تميز هذه المدرسة عن تلك أو مؤرخي مصر عن مؤرخي ايران .

الثالثة : أن ما سبق أن ذكرناه من ميزات علم التاريخ في المشرق العباسي حتى أواسط القرن السابع ومن ملامحه الرئيسية سواء فيما يتعلق بالمؤرخين وكثرتهم وتنوع طبقاتهم وأعمالهم أو فيما يتعلق بتضخيم المادة والمؤلفات وتنوع المواضيع وتناول المواضيع الحضارية والسياسية ، أو فيما يتعلق بمناهج التنظيم وأساليبه وتأثره بالعلوم وصبغته المدنية ... الخ هذه الميزات جميعاً نجدها هي نفسها في هذه المدارس الاقليمية . ولولا ضخامة المادة وغزارتها لزدنا في الأمثلة والنماذج التي سلفت في الفصل السابق أشياء كثيرة مما كتب في مصر والشام خاصة واليمن . ولهذا السبب فسوف نكتفي فيما بعد بالاشارات

العابرة إلى هذه النواحي بالقدر الذي يربط هذه المدارس بعضها ببعض .

الرابعة ـ أن مدارس مصر والشام كانت ضمن تيارات الفكر الإسلامي على الدوام فلم تنفصل إلا في اهتمامها المحلي ، وهكذا فقد أضافتا إلى المدرسة العباسية ـ الأم ّ غنى وافراً ومادة جديدة وأسماء لامعة لا تقل في القيمة والأثر عن انتاج وأسماء تلك المدرسة .

ولا تفترق المدرسة اليمنية عنها في شيء من ذلك لولا قلة الانتاج وعدم انتشاره مما جعل مجال الكتابة التاريخية التي نعرفها في اليمن محدوداً قليلاً ومن الصعب أن يقارن على أي حال بانتاج مصر الواسع في التاريخ وبانتاج الشام،ونتيجة لهذا وذلك لم يكن للمدرسة اليمنية أثرها الواضح .

أما المدرستان الأخريان فبالرغم من أن أولاهما قد بدأت محلية كما بدأت مدارس الشام ومصر الا انها وجدت في منطقتها الجغرافية لغة قومية فكتبت بها وسرعان ما احتجبت ، عن طريق هذه اللغة ، عن التيار العام وان ظلت تتبع في المضمون والطرق أساليب التاريخ الإسلامي نفسها وتسير على التقاليد التي أخذتها عن الفكر الإسلامي لا سيما وأن هذا الفكر لم يكن غريباً عنها فقد أسهم الايرانيون أنفسهم في اقامة الكثير من أسسه وفي إغنائه .

وبعكس ذلك كانت المدرسة النصرانية ، فقد قامت في الأصل غريبة في الدين والمجتمع واللغة.ومع أنها ظلت تكتب باللغة السريانية أحياناً الا أنها استعربت باللغة فكتبت بها عدداً من المؤلفات وظلت مع ذلك تشعر بغربتها وتقصر اهتمامها أحياناً على الشئون الطائفية فان امتدت إلى ما وراء ذلك من التاريخ العام حاولت اقامة التوازن ما بين التاريخ الإسلامي الذي تضخم لدى المسلمين وبين تواريخ الأمم الأخرى ، مما أعطاها ميزة « الغربة » دون أن يلونها باللون الإسلامي العام أو يدخل عليها ـ بسبب قلة انتاجها على أي

حال – ذلك التنوع الذي عرفته المؤلفات التاريخية الإسلامية في تلك العصور بل انها كانت أكثر تأثراً بالتأليف الرومي – السرياني التقليدي منها بالتأليف الإسلامي .

ومن هذه الزاوية فقط يمكن للمدرسة النصرانية هذه أن تحمل إلى حد ما اسم : مدرسة .

الخامسة – أنه بينما كانت المدرسة الايرانية الفارسية تنفصل أكثر فأكثر عن الفكر التاريخي الإسلامي وراء حجاب اللغة الفارسية كانت المدرسة النصرانية تدخل بدلاً منها وعن طريق اللغة العربية في اطار ذلك الفكر إلى أن جاءت التحولات السياسية في القرن السابع لتعطي هذا التطور أبعاده الكاملة والنهائية .

فقد انهارت المدرسة العباسية – الأم بعد انهيار بغداد أيام المغول (٦٥٦) وخفتت آخر أصواتها مع أمثال الكازروني وابن الفوطي لتعطي مكانها ودورها للمدرسة المغولية الفارسية التي حلت محلها في ايران والعراق بينما كانت مدرستا الشام ومصر بالمقابل تتوحدان ، في ظل المماليك وتحملان الفكر التاريخي الإسلامي ويصبح محور دمشق – القاهرة هو المركز بدل بغداد . واذا استمرت مدرسة اليمن على عزلتها المحلية فان المدرسة النصرانية استمرت على الخفوت دون أن تنطفىء .

على ضوء هذه الملاحظات ندرس تلك المدارس الاقليمية مدرسة مدرسة . ونبدؤها بالمدرسة العباسية الأم ثم بالمدارس الاقليمية والمدارس الأخرى . وسوف نقسم بحث المدرسة الأم بين فصول ثلاثة نتكلم في أولها هنا عن المؤرخين البلدانيين ثم نأتي في الفصل الثاني على مؤرخي القرن الرابع ثم في الثالث على مؤرخي العراق وايران بين القرنين الخامس والسابع .

فأما المدرسة التاريخية الأم فهي التي حملت عمود التاريخ الأساسي في هذه

الفترة وهي تمتد جغرافياً ضمن حدود الاطار السياسي ـ الديني لما كان يسمى بالخلافة العباسية أي ايران والعراق خاصة.واذا كانت تمتد في النفوذ الفكري على الشام وقد نجد ملامحها في اليمن فقد كان لكل من هذين الاقليمين مؤرخوه الاقليميون .

وقد كانت ثمة عوامل عدة تربط بين أطراف هذه المناطق وتسبغ عليها نوعاً من وحدة المصير والتاريخ والفكر .

أولها : الارتباط بالخلافة العباسية السنية وهو ارتباط سياسي ـ ديني انعكس بوضوح في التدوين التاريخي وكان يتمثل سياسيا في الخطبة لخليفة بغداد والتماس شرعية الحكم عنده .

الثاني : المذهب السني الذي كان ينتسب إليه الناس عامة وكان بالتالي مذهب معظم المؤرخين باستثناء بعضهم كابن أبي طي مثلا ، أو بعض المؤلفين في علم الرجال كالكاشي والطوسي شيخ الطائفة .

الثالث : بغداد العاصمة فقد كانت تطبع بطابعها العلمي مختلف العلماء الذين يؤمونها طائعين ، فتوحد مواردهم وطرقهم واهتماماتهم ومنازعهم العلمية . وقد كان تاريخ بغداد مثلا النموذج الذي نسج على منواله عشرات التواريخ الأخرى كما كانت تواريخ الطبري ومسكويه ثم الصابىء والروذراوري بدورها النماذج التي تابعها علماء الأطراف . وتاريخ دمشق لابن القلانسي انما هو ذيل على تاريخ هلال الصابىء البغدادي ، وتاريخ دمشق لابن عساكر ، وبغية الطلب لابن العديم انما هما تقليد لتاريخ بغداد....

الرابع : أن نسبة كبيرة جدا من العلماء كانوا لا يستقرون في مواطنهم الأولى ولكنهم يرتادون بلاداً متعددة للدراسة أو التدريس ضمن اطار الخلافة العباسية في الغالب . وكثيراً ما كان بعضهم يختار أحد هذه

البلاد موطناً نهائياً له . وكانوا في أثناء ذلك ينقلون معهم فكرهم العلمي وتقاليدهم وسجل اجازاتهم وسماعاتهم فتصبح تراثاً مشتركاً لجميع العلماء في اطار تلك الخلافة كما كانت تجتذب اليها العلماء من الجماعات الاسلامية الأخرى ، سواء من كان منهم تحت ظل الفاطميين أو في المغرب والأندلس . وهذا ما جعل تاريخ هذه المناطق مرتبطاً بعضه ببعض ومشتركاً في الوقت ذاته بينها .

وهذه المدرسة من بعد ، هي امتداد واستمرار لمدرسة العراق التي بلغت أوجها في الطبري . فالسلسلة التالية من بعده تتمة له ورجالها من الكثرة والانتاج بحيث يصعب الاحاطة احاطة كاملة أو شبه كاملة بهم . على أننا اذا انتقلنا في القمم فقط وجدنا ما يزيد على السبعين منهم ، فاذا أوغلنا قليلا زادوا على المئتين فان توسعنا زادوا على الألف (1). على أن هذه الأعداد الكبيرة من المؤرخين ان استوعبت في القرن الرابع كل نبضات الحضارة العربية الإسلامية وعبرت عنها : عن عالميتها ولهوها وفكرها وافتراق الفرق فيها وعن رجالها وجواريها وحربها وسياسة القصور والدواوين فإنها عادت فانغلقت بعد ذلك القرن في حدود المدن المتفرقة ، فان أرادت التوسع لم تجاوز حدود بعض الأقاليم . مؤرخو العراق وايران كافة ما بين مطالع القرن الخامس وأوائل السابع كانوا مؤرخين بلدانيين وكتاب تراجم (بيوغرافيا) . وبعد تلك التواريخ العامة التي تمثلت في الطبري والمسعودي والمقدسي ومسكويه ، نجوم القرن الرابع ،لا نكاد نعثر رغم سمعة بغداد العالمية على تاريخ عالمي لمؤرخي هذه المدرسة سوى ثلاثة :

— تاريخ الدول للمجاشعي ، ونحن نجهل عنه كل شيء سوى الاسم .

---

(1) ربما أفردنا في نهاية الكتاب فصلا مطولا لاستعراض المؤرخين المختلفين والبارزين منهم خاصة من مختلف المناطق والمدارس لئلا تزحم أخبارهم دراسة تطور علم التاريخ نفسه .

– وتاريخ المنتظم لابن الجوزي ، ويجب ألا تخدعنا صفته العالمية عن واقعه فهو وان كان على دعوى التاريخ العام الا انه ، في الواقع ،ولا سيما في نصفه الثاني المطبوع تاريخ بغداد فقط لا يجاوز حدودها الا نادراً ...

– الكامل لابن الأثير . وقد ظهر في الموصل وتحت تأثير عوامل لا علاقة لها كثيراً بالخلافة العباسية .

انه دليل آخر على تحول المدرسة العباسية – الأم بعد القرن الرابع إلى التاريخية المحلية ... ولهذا فانا سوف نقدم ذكر ذلك الجانب « البلداني » من انتاج هذه المدرسة باعتباره التعبير عن الطابع الخاص بها وعن اهتماماتها. ثم نتبع ذلك باستعراض المؤرخين الذين كانوا قوام تلك المدرسة ورجالها على العصور .

التواريخ البلدانيـــة

١ – تواريخ العـــراق :

لم يكن غريباً أن تبتلع بغداد ، سُرّة الدنيا الإسلامية في تلك الفترة ، واريخ العراق كله . وبالرغم من ذلك فقد كان لكل بلد فيه تواريخه .

تاريخ بغداد : فمنذ أن اعترفت هذه المدينة بتراجعها السياسي واكتفت بأن تكون المركز الحضاري والفكري الأول للعالم الإسلامي ترك الناس متابعة التدوين لتاريخها السياسي (بعد أن عمل عليه ثابت بن سنان والصابــيء والروذراوري) واهتموا بذلك التاريخ الذي كتبه الخطيب البغدادي (المتوفى سنة ٤٦٣) باسم تاريخ بغداد في ١٥ مجلداً ، وجمع فيه خلاصة تراجم العلماء الاسلاميين الذين عرفتهم بغداد حتى أواسط القرن الخامس . وقد اتسع الاهتمام بهذا التاريخ بسرعة لدرجة أنه صدر له مختصر في حياة مؤلفه (مختصر أبو

اليمن البخاري المتوفى سنة ٤٦١) وصدر له مختصر آخر بعد ذلك بثلاثين سنة (مختصر ابن جزلة الطبيب المتوفى سنة ٤٩٣ ـ وهو مخطوط الآن) ثم صدرت عليه ذيول في عشرات المجلدات كتبها عدد من كبار المؤرخين :

- السمعاني عبد الكريم بن محمد (المتوفى سنة ٥٦٢) في ١٥ مجلدة أخرى أو عشرين بعضها مخطوط .
- ابن الدبيثي جمال الدين محمد بن سعيد (المتوفى سنة ٦٣٩) في عدة مجلدات وقد طبع بعضه .
- ابن القطيعي ابو الحسن محمد بن أحمد الازجي (المتوفى سنة ٦٣٤) وقد أكمل ذيل ابن الدبيثي بكتابة درة الاكليل في تتمة التذييل .
- ابن النجار محب الدين محمد بن محمود (المتوفى سنة ٦٤٣) وسماه التاريخ المجدد لمدينة السلام في ٣٠ مجلدة (وجدها السخاوي ١٧ فقط) .
- ابن الساعي علي بن أنجب (المتوفى سنة ٦٧٣) وذيل عليه بنحو ٣٠ مجلدة . وقد تلاه ابن الفوطي (المتوفى سنة ٧٢٣) فجعل ذيله على تاريخ بغداد في ٥٥ مجلدة وابن رافع (المتوفى سنة ٧٧٤) بذيل أخير في ثلاث مجلدات .

وبجانب هذه السلسلة فقد ألفت في تاريخ بغداد عدة مؤلفات كتبها :

- أبو بكر محمد بن عمر بن سلم ابن الجعابي الحافظ المتوفى سنة ٣٥٥ وله كتاب في محدثي بغداد [1] .
- أبو سهل يزدجرد بن مهبندار الكسروي (من القرن الرابع) كتب كتاباً في وصف بغداد من أهم كتب الخطط ذكر عدد سككها وحماماتها وما يحتاج إليه في كل يوم من الأقوات والأموال .
- أبو القاسم عمر بن محمد بن أحمد بن الثلاج (كان حياً ومرّ بسمرقند

---

(١) انظر الخطيب البغدادي – تاريخ بغداد ج ١ ص ٩٠ .

سنة ٩٨٦/٣٧٦) وكان كتابه عن تاريخ بغداد أحد مصادر الخطيب البغدادي .

- أحمد بن محمد بن خالد الرقي الكاتب (من القرن الرابع) وقد ألف كتاب التبيان في أخبار بغداد .

- ابن المارستانية أبو بكر عبيد الله بن أبي الفتح (المتوفى ٥٩٩) فكتب ديوان الإسلام الأعظم في تاريخ مدينة السلام في مائة مجلد ولعله لم يتمه .

- ظهير الدين علي بن محمد الكازروني (المتوفى سنة ٦٩٨) فكتب روضة الأريب في تاريخ بغداد في سبعة وعشرين سفراً ...

ويلحق بهذه المؤلفات اثنان آخران ذكرهما الصفدي وذكر أنهما لتاريخ العراق ويظهر أنهما في تاريخ بغداد أيضاً والمؤلفان هما :

- ابن القاطولي ، في تاريخ العراق ثم ابن اسفنديار الواعظالذي يشير السخاوي إلى أنه ألف في تاريخ بغداد [1] .

وإذا حظيت بغداد بهذا الاهتمام الواسع فلأنها كانت أمّ الدنيا العباسية ، وخلاصة تاريخ البلاد الإسلامية ومجمع رجالها العلميين . ومع ذلك فانها لم تمنع من ظهور عدد من التواريخ البلدانية للمدن الأخرى في العراق . غير أن أقل هذه المدن حظاً من المؤلفات انما كانت البصرة التي كان انشغالها بالتجارة والعمل الاقتصادي يبعدها عن النشاط العلمي منذ القرن الثالث خاصة ولهذا قلّ علماؤها وقلت التآليف في تاريخها بالنسبة لغيرها وبعد أن جاء :

- عمر بن شبة (المتوفى سنة ٨٧٦/٢٦٣) بتاريخه عن البصرة ، لم يأت من بعده سوى :

- أبي يحيى زكريا بن يحيى بن عبد الرحمن الساجي البصري (٢٢٠ - ٣٠٧/

(١) انظر الصفدي - الوافي بالوفيات ج ١ ص ١٧ والسخاوي - الاعلان (روزنتال) ص ٦٢٢ .

٨٣٥ - ٩٢٠) وله تاريخ البصرة الذي استخدمه ياقوت وقد ذكره ابن حزم [١] . وذكر معه كتابين لرجلين من أهلها أحدهما يدعى عبد القاهر كريزي النسب وقد وصفا البصرة وذكرا أسواقها ومحالها وشوارعها ثم انقضى قرنان على الأقل حتى جاء :

- أبو حفص عز الدين عمر بن علي بن دهجان المتوفى بعد سنة ١٢٦٢/٦٦٠ ليكتب تاريخ البصرة الأخير . وكتب تاريخ واسط :
- أبو الحسن أسلم بن سهل الواسطي المعروف باسم بحشل (المتوفى سنة ٨٠١/٢٨٨ أو سنة ٢٩٢) ومنه مخطوط في القاهرة (تيمورية رقم ١٤٨٣ تاريخ) . ثم انقضت ثلاثة قرون حتى جاء :
- أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن الطيب الجلابي (المتوفى سنة ٥٣٤/ ١١٣٩) فوضع ذيلا لتاريخ بحشل .
- وألف أبو العباس أحمد بن بختيار بن علي بن محمد الواسطي (المتوفى سنة ١١٥٧/٥٥٢) تاريخاً أوسع رقعة سماه تاريخ البطائح .
- ثم كتب ابن الدبيثي أبو عبد الله محمد بن سعيد بن يحيى الحافظ (المتوفى سنة ١٢٣٩/٦٣٧) تاريخا آخر . وأما الكوفة فكتب تاريخها :
- علي بن الحسن بن علي بن فضال التميمي الكوفي (من أواسط القرن الثالث) وسمى كتابه فضائل الكوفة (ويذكره ابن النديم باسم أبي الحسن محمد بن علي بن الفضل بن الدهقان) [٢] .
- ابن مجالد وقد كتب تاريخ الكوفة فيما يروي الصفدي [٣] .

---

(١) رسالة ابن حزم التي رواها لسان الدين بن الخطيب في نفح الطيب ج ٢ ص ١١٣ . (ط . دوزى - ليدن ١٨٥٥ - ٦١) . ج ٤ ص ١٥١ فما بعد (ط . م . محي الدين عبد الحميد) .

(٢) اثبتنا الاسم حسب وروده لدى الطوسي - الفهرس ص ١١٨ وأما ابن النديم فيذكره على شكل آخر (الفهرست ص ١١٠) .

(٣) الصفدي - الوافي ج ١ ص ٤٧ .

- ابن النجار أبو الحسن محمد بن جعفر بن محمد بن هارون بن فروة التميمي (المتوفى سنة ٤٠٢/١٠١١) النحوي ، وقد كتب (تاريخ الكوفة) الذي اقتبس منه ياقوت [١] واقتبس الصلاح الصفدي [٢] .

- أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن الكوفي العلوي الحسيني المتوفى سنة ٤٤٥/١٠٥٣ وله كتاب فضل الكوفة وهو مخطوط بالظاهرية في دمشق (مجموعة ٩٣) .

وانقطع التأليف للكوفة فترة حتى كتب :

- ابن النجار محب الدين محمد بن محمود بن محاسن البغدادي الحافظ (المتوفى سنة ٦٤٣/١٢٤٥) بين مؤلفاته الضخمة الكثيرة : تاريخ الكوفة .

وقد ظهر مؤرخون آخرون للمدن الأخرى وخاصة في القرن السادس ومنهم :

- ابن الأنباري : كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن محمد (المتوفى سنة ٥٧٧/١١٨٠) الذي كتب تاريخ الأنبار .

- وابن أبي البركات صاحب تاريخ سامراء [٣] .

- وابن المستوفي أبو البركات المبارك بن أحمد اللخمي المتوفى سنة ٦٣٧/ ١٢٣٩ الذي ألف : تاريخ اربيل في خمس مجلدات وسماه : نباهة البلد الخامل بمن ورده من الأماثل وقد نقل عنه الكثير من المؤرخين ومنهم ابن العديم [٤] وذكر فيه تواريخ الأدباء والملوك مع العلماء .

---

(١) ياقوت - البلدان ٤/٦٣٣ .
(٢) الصفدي - الوافي ج ٦ ص ٣٠٩ .
(٣) ذكره الصفدي - الوافي ج ١ ص ٤٨ وقد يكون هو نفسه صاحب تاريخ سامراء .
(٤) انظر البغدادي - تاريخ بغداد ج ٥ ص ٤١٧ و ج ٦ ص ١٣٢ ، السمعاني - الانساب ورقة ٤٠٥ ظهر و ٤٠٦ وجه وابن العديم - بغية الطلب (مخطوط أحمد الثالث) ج ٤ الورقة ١٥٦ ظهر ١٥٧ وجه .

– وابن سويد أبو محمد عبد الله بن علي التكريتي (المتوفى سنة ١١٨٨/٥٨٤) وله تاريخ تكريت .

– وقد أعقبه أبو زكريا يحيى بن القاسم بن المفرج التغلبي التكريتي (المتوفى سنة ١٢١٩/٦١٦) القاضي المدرّس بالنظامية ببغداد فكتب أيضاً تاريخ تكريت باسم : الاختصاص في التاريخ الخاص . وربما كان لظهور صلاح الدين في هذه الفترة أثره في التحريض على كتابة هذين التاريخين لتكريت وقد نقل ابن الفوطي عن تاريخه وابن الدبيثي وغيرهما [١] .

وأما الموصل فقد كان مركزها الهام : جغرافياً واقتصادياً وسياسياً وثقافياً يدفع إلى الاهتمام بتاريخها لا سيما منذ برز الحمدانيون في المنطقة وهكذا كتب :

– أبو زكريا يزيد بن محمد بن اياس الأزدي (المتوفى سنة ٩٤٥/٣٣٤) كتاب (تاريخ الموصل) الذي نقل عنه البغدادي والسمعاني وغيرهما (وهو مطبوع حديثاً) [٢] ولعله كتب أيضاً : طبقات العلماء من أهل الموصل .

– وكتب الخالديان أبو بكر سعيد وأبو عثمان محمد أبناء هشام (توفي الأول سنة ٣٥٠ أو سنة ٣٧٠ والثاني سنة ٣٧٠ أو سنة ٩٩٩/٣٩٠) وبين تراثهما المشترك نجد كتاب : أخبار الموصل الذي اجتمعا على تأليفه وقد نقل عنهما ابن العديم عددا من الأخبار [٣] ونقل عنهما ياقوت .

---

(١) انظر ابن الفوطي – معجم الألقاب ج ٤ قسم ٤ ص ٢٦٥ وابن الدبيثي ج ٢ ص ١٥ وص ٣٢٤.

(٢) انظر مثلا ابن العديم – بغية الطلب (مخطوط فيض الله) ورقة ١٩٩ وجه و (مخطوط أحمد الثالث) ج ٤ ورقات ٣١٤ ظهر ١٥٦ ظهر ٢٦٥ وجه .

(٣) انظر ابن العديم – بغية الطلب (مخطوط أحمد الثالث) ج ٤ ورقة ٢٧٩ وجه و (مخطوط أيا صوفيا) ورقة ٦٩ وجه وانظر ياقوت – البلدان ج ٣ ص ٣٦٣ .

وظاهرة التأليف المشترك هذه ظاهرة فريدة في التأليف نكاد لا نجد مثلا لها في التاريخ

– ابن الجعابي أبو بكر محمد بن عمر بن سلم (المتوفى سنة ٣٥٥) وله كتاب في تاريخ الموصل [١] بجانب كتابه في محدثي بغداد . وقد ذكره ابن حجز .

– الشمشاطي (ويقال أيضاً السميساطي والشميشاطي) وقد حمل هذه النسبة نفسها ، ما بين القرنين الرابع والخامس ، ثلاثة نفر . أقدمهم :

• أبو الحسن علي بن محمد العدوي السميساطي (نسبة إلى سميساط ، من ثغور أرمينية) (المتوفى سنة ٣٨٠) وهو معلم أبي تغلب بن ناصر الدولة ، وأخيه . شاعر ، مصنف ، كثير الرواية وقد عرفه ابن النديم وذكره في الفهرس وله : تذييل : تاريخ الموصل من سنة ٣٢٢ حتى زمانه وهو تتميم تاريخ الموصل لأبي زكريا الأزدي. وبين مؤلفاته عدا ذلك كتاب الديارات كما أن له مختصر تاريخ الطبري [٢] . وقد ذكر تاريخ الموصل للشمشاطي ابن الأزرق الفارقي ونقل عنه في كتابه تاريخ ميافارقين [٣] .

= الإسلامي كله . سوى مثال آخر قام به عبد الله بن الحسين القطربلي ومحمد بن ابي الأزهر (من القرن الرابع أيضاً) فاجتمعا على تأليف تاريخ واحد نقل عنه ابن الندم . على أن بعض المؤلفين كانوا قد يستعينون أحياناً ببعض المطلعين لكتابة فصل خاص في كتبهم (كما فعل القاضي ابن الزبير حين استكتب اسامة بن منقذ فصلا عن شعراء الشام ضمه إلى كتابه جنان الجنان في أواسط القرن السادس) . انظر نقول ابن العديم عن القطربلي وابن الأزهر في بغية الطلب (مخطوط أحمد الثالث) ج ٢ ورقة ٢٩٠ وجه ، ٢٣٥ ظهر و ج ٦ ورقة ١١ وجه ... الخ .

(١) انظر ابن حجر – تهذيب التهذيب ج ٩ ص ١٥٤ .

(٢) انظر ابن النديم – الفهرس ص ١٥٤ وص ١٦٠ وص ٢٣٤ – ٢٣٥ وانظر رجال النجاشي كذلك .

(٣) انظر الفارقي – تاريخ ميافارقين (مخطوط المتحف البريطاني) ورقة ٣٥ وجه .

• محمد بن يحيى السلمي السميساطي (المتوفي بدمشق سنة ٤٠٢) وكان من العلماء الموسرين .

• وابنه أبو القاسم علي بن محمد بن يحيى (المتوفي بدمشق سنة ١٠٦٠/٤٥٣) وهو صاحب الخانقاه السميساطية اللصيقة بالجامع الأموي بدمشق والتي لا تزال تحمل هذا الاسم إلى اليوم . وهو مؤرخ كتب كتاب أخبار الشام ونقل عنه جملة من أخباره ابن أيبك الدواداري ولم يذكره غيره[1] .

– ثم كتب أبو إسحق إبراهيم بن محمد بن يزيد الموصلي (المتوفى سنة ١١٨١/٥٧٧) تاريخ الموصل .

– ولحقه ابن الأثير (المتوفى سنة ٦٣٠) فكتب الباهر في تاريخ الاتابكة في الموصل .

– ثم كتب ابن باطيش أبو المجد اسماعيل بن هبة الله بن سعيد الموصلي (المتوفى سنة ١٢٥٧/٦٥٥) تاريخ الموصل . واستمرت السلسلة قروناً بعد ذلك ...

– ولم تفتقر مدن الجزيرة إلى المؤرخين لها وهكذا ظهر فيها :

– أبو عروبة الحسين بن محمد بن أبي معشر مودود الحراني الحافظ (المتوفى سنة ٣١٨) والذي كتب : تاريخ الجزريين وحران (الذي يسمى أحياناً تاريخ أبي عروبة) كما كتب تاريخ الرقة . وقد نقل السمعاني في الأنساب عن تاريخ الجزيرة كما نقل ياقوت[2] .

---

(١) انظر ابن ايبك الدواداري – كنز الدرر (الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية) ج ٦ ص ٢٧٢ .

(٢) انظر السمعاني – الأنساب ورقة ١٦١ وجه ، ٣٠٦ وجه وانظر ياقوت – معجم البلدان – المادة .

- أبو عمرو السلمي (من القرن الرابع) له تاريخ أهل حران حسب ما ذكر السمعاني [1] .

- أبو الحسن علي بن الحسن بن علان الحراني الحافظ (المتوفى سنة ٣٥٥ محدث خراسان) ذكر له السمعاني كتاب : تاريخ الجزريين ونقل عنه [2] ويسمى أحياناً تاريخ الجزيرة .

- ثم كتب أبو الثناء حماد بن هبة الله بن حماد الحراني (المتوفى سنة ١٢٠٢/٥٩٨ أو سنة ٥٩٠) تاريخ حران .

- وذيل عليه في الوقت نفسه أبو المحاسن بن سلامة بن خليفة الحراني (المتوفى في مطالع القرن السادس) ونقل ابن العديم عن هذين الكتابين بعض المقتبسات [3] .

- وكتب ابن الأزرق الفارقي أحمد بن يوسف بن علي (المتوفى بعد سنة ٥٧٧) تاريخ ميافارقين وهو مخطوط موجود (المتحف البريطاني رقم OR ٥٨٠٣) وهو الآن قيد الطبع بدمشق .

- وكتب أبو علي الحسن بن علي بن الفضل الداري (من رجال النصف الأول من القرن السابع) تاريخ ماردين الذي نقل عنه ابن العديم [4] .

- وألف شرف بن أبي المطهر الانصاري تاريخ خلاط [5] وهي على بحيرة وان في أقصى شمال الجزيرة وكان الكتاب أحد مصادر أبي الفداء في تاريخه : المختصر في أخبار البشر .

---

(١) المصدر السابق - ورقة ١٣٤ ظهر .
(٢) المصدر نفسه ورقة ٤٤٢ وجه وانظر هدية العارفين ج ٢ ص ٦٨١ .
(٣) انظر مثلا ابن العديم بغية الطلب (مخطوط أحمد الثالث) ج ٦ ورقة ٢١٢ ظهر ٢١٠ وجه .
(٤) ابن العديم - بغية الطلب (مخطوط أحمد الثالث) ج ٥ ورقة ٣١ وجه و ج ٦ ورقة ٩٤ وجه وظهر .
(٥) انظر حاجي خليفة - كشف الظنون ٢٩٣/١ وتاريخ أبي الفداء - المختصر في تاريخ البشر ج ١ ص ٣ .

– وكتب أبو حفص عمر بن الخضر بن الخضر بن محمد ايللمش الدنيسري (المتوفى بعد سنة ٦١٥) كتاب : حلية السريين في خواص الدنيسريين ، وقد نقل عنه القفطي في أخبار الحكماء [١] .

– وكتب ابن أبي الهيجاء الروادي (ولعله من أواسط القرن الرابع) تاريخ أذربيجان [٢] ثم جاء أبو الفضل اسماعيل بن المثنى السمناني التبريزي الواعظ (المتوفى حوالى سنة ٥٨٠/١١٨٤) فكتب أيضاً تاريخ أذربيجان[٣] .

– والبردعي (المجهول) له تاريخ أران في أرمينة [٤] ولعله أبو بكر أحمد بن هارون البرديجي البردعي المتوفى سنة ٣٠١ صاحب كتاب الطبقات في الأسماء المفردة من أسماء العلماء وأصحاب الحديث .

– ومموس (أو ممسوس) الدربندي كتب تاريخ باب الأبواب على العدوة عبر جبال القفقاس إلى روسية [٥] .

٣ – وأما مدن ايران فلا تكاد مدينة هامة تفتقر إلى تاريخ هناك ، وهكذا جاء :

في تاريخ همـــذان :

– أبو الفضل صالح بن أحمد بن محمد بن أحمد التميمي الهمذاني الحافظ (٣٠٣ / ٣٨٤ أو ٩١٥/٣٧٤ – ٩٩٤) وقد كتب طبقات الهمذانيين (أو تاريخ همذان) الذي أفاد منه الخطيب البغدادي والسمعاني وابن

---

(١) القفطي – أخبار الحكماء ص ٢٩٠ .
(٢) انظر السخاوي ص ٦١٤ وكشف الظنون ج ١ ص ٢٨١ والصفدي – الوافي ج ١ ص ٤٨ .
(٣) انظر ابن الفوطي – معجم الألقاب الجزء الرابع القسم ٣ ص ١١٧ .
(٤) السخاوي – الاعلان ص ٦١٤ .
(٥) انظر السخاوي – الاعلان (ط. روزنتال) ص ٦٢٠ .

حجر في لسان الميزان [1] .

- عمران بن محمد بن عمران الهمذاني (من القرن الخامس) وله طبقات أهل همذان [2] .

- وأبو شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه بن فناخسرو الهمذاني (المتوفى ٥٠٩/١١١٥) وله تاريخ همدان (على الطبقات) وقد اقتبس القفطي منه بعض النقول في انباه النحاة .

- وجاء ابنه أبو منصور شهردار بن شيرويه (المتوفى سنة ٥٥٨/١٢٦٢) فكتب أيضاً في تاريخ همذان وفي تاريخ شيراز وفارس وقم وأصفهان (الجنوب الغربي من ايران) .

- أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز بن أحمد بن عبد الرحمن القصار الشيرازي (المتوفى بين أواخر القرن الخامس وأوائل السادس) وقد كتب طبقات أهل شيراز (ويسمى أحياناً تاريخ شيراز أو تاريخ فارس) وقد نقل عنه السمعاني وابن الفوطي وذكره الصفدي والسخاوي [3] .

- أبو القاسم هبة الله بن عبد الوارث الشيرازي (المتوفى سنة ٤٨٥) وله تاريخ شيراز وفارس ، وقد ذكره الصفدي [4] .

- حسن بن محمد بن الحسن القمي (المتوفى في مطالع القرن الخامس) كتب

(١) انظر البغدادي – تاريخ بغداد ج ٩ ص ٢٣١ والسمعاني – الأنساب ورقة ٥٩٢ وجه وابن حجر– لسان الميزان ج ١ ص ٢١٧ و ج ٣ ص ٢٥٤ وقد ذكره الصفدي في الوافي ١ / ٤٨ والذهبي في الحفاظ .

(٢) أنظر السخاوي – الاعلان ص ٦٥٤ .

(٣) أنظر السمعاني – الانساب ورقة ٢٨ ظهر ، ١٤١ ظهر ١٩٣ ظهر و ٤٢٨ ظهر ، وابن الفوطي – معجم الألقاب ٤ القسم ٣ ص ٥٥٥ ، وانظر الصفدي – الوافي ج١ ص ٤٨ والسخاوي – الاعلان ص ٦٣٤ .

(٤) الصفدي – الوافي ج ١ ص ٤٨ .

للصاحب بن عباد (المتوفي سنة ٤٠٦) تاريخ قم . وقد ضاع الأصل العربي وبقيت نسخة مخطوطة من الترجمة الفارسية التي نقلها حسن بن علي بن حسن القمي (المتوفى سنة ١٤٠٢/٨٠٥) فنشرها جلال الدين طهراني (طهران ١٩٣٤) .

وقد حظيت إصفهان بسبب مكانتها الجغرافية والاقتصادية والثقافية بعدد من التواريخ المتوالية ألفها :

- أبو عبد الله حمزة بن الحسين الاصفهاني المؤدب (من القرن الرابع توفي قبل سنة ٣٦٠) وله كتاب تاريخ أصفهان [1] وقد اقتبس منه المافروخي والرافعي في تاريخ قزوين كما ذكره هو نفسه في كتابه الآخر تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء (ص ١٤٧) .
- أبو الشيخ الأنصاري المتوفى سنة ٣٦٩ وله (كتاب طبقات المحدثين بإصبهان والواردين عليها) وهو مخطوط موجود في الظاهرية بدمشق [2]
- ابن مردويه أبو بكر أحمد بن موسى (٣٢٣ - ٩٣٥/٤١٠ - ١٠١٩) وقد استعمل السمعاني كثيراً تاريخه عن أصبهان [3] .
- أحمد بن حيان بن عبدالله الاصفهاني أبونعيم الحافظ (المتوفى سنة ١٠٣٨/٤٣٠) وهو أجمع تواريخ أصفهان كتبه على الحروف في مجلدين كبيرين (طبع في ليدن بعناية ديدرنغ سنة ١٩٣١ - ١٩٣٤ . ولهذا المؤرخ كتاب حلية الأولياء في أربع مجلدات وأخبار الأخبار وأخبار النساء وكل منهما في مجلد .

---

(١) انظر السمعاني ج ١ ص ٢٨٤ والسخاوي - الاعلان ص ٦١٦ .

(٢) مخطوط دار الكتب الظاهرية رقم ٦٥ تاريخ .

(٣) السمعاني - الأنساب، الأوراق ٣٨ وجه ١٢٦ وجه ١٣٢ ظهر ٢٧٩ وجه ٣٠٧ ظهر ٣١٥ وجه ٣٢٤ ظهر .

– أبو زكريا يحيى بن عبد الوهاب بن منده الاصفهاني المتوفى سنة ٤١٢ وقد كتب أيضاً تاريخ أصفهان .

– أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن اسحق بن منده الأصفهاني المتوفى سنة ٤٧٠ وله أيضاً وأيضاً تاريخ إصبهان [١] .

وهنالك كذلك تواريخ :

– المفضل بن سعد المافروخي – كتاب محاسن أصفهان (طبع في طهران ١٩٣٣) .

– علي بن حمزة الاصفهاني – قلائد الشرف في مفاخر اصبهان وتاريخها .

– أبو بكر محمد بن أبي علي أحمد بن عبد الرحمن المعدل – تاريخ أصبهان . وهي التواريخ التي ذكرها ياقوت والصفدي والسخاوي [٢] .

٤ – وأما التواريخ البلدانية لشمالي ايران فمن مؤلفيها :

– أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني الحافظ (المتوفى سنة ٢٧٣) الذي كتب تاريخ قزوين [٣] .

– أبو يعلى خليل بن عبد الله الخليلي القزويني الحافظ (المتوفى سنة ٤٤٦) الذي ألف (الارشاد في أخبار قزوين) وله الارشاد إلى علماء البلاد ذكر فيه المحدثين وغيرهم من علماء البلاد على ترتيب البلاد إلى زمانه وترجم كل بلد أو ناحية ، فكان مصدراً من مصادر الخطيب البغدادي وابن ماكولا في الاكمال وشيرويه في تاريخ همذان ومصدراً للرافعي بعد ذلك ، وقد رتبه على الحروف الشيخ زين الدين قاسم بن قطلوبغا الحنفي

---

(١) الكتاني : الرسالة المستطرفة ص ١٣١ .
(٢) انظر ياقوت – أدباء ج ١٢ ص ٢٠٤ ، الصفدي ج ١ ص ٤٨ ، السخاوي ص ٦١٧ .
(٣) الكتاني – الرسالة المستطرفة ص ١٣٢ .

المتوفى سنة ٨٧٩ . وكان اختصره قبل ذلك الحافظ السلفي (سنة ٥٧٦) ومن المختصر نسخة مخطوطة في مكتبة الكتاني بالرباط (رقم ٥٢٨) بعنوان : المنتخب من الارشاد .

- الرافعي أبو القاسم عبد الكريم بن محمد الحافظ (المتوفى سنة ١٢٢٥/٦٢٢) وقد كتب التدوين في أخبار قزوين[١] وهو مخطوط موجود. وأما في تاريخ منطقة طبرستان فهناك :

- اليزدادي : وقد كتب في وقت مبكر ، في ظل ملك طبرستان قابوس ابن وشمكير (الذي حكم ما بين سنتي ٣٦٦ - ٩٧٦/٤٠٣ - ١٠١٢) كتاب تاريخ طبرستان الذي وجده من بعد ذلك المؤرخ ابن اسفنديار في مكتبة الملك رستم بن شهريار سنة ١٢٠٩/٦٠٦ وبنى عليه تاريخه الخاص عن طبرستان معتمداً على كثير من المعلومات والأخبار والأشعار المحلية التي رواها اليزدادي .

- وكتب ابن اسفنديار البوشنجي محمد بن الموفق حسن بن أبي علي البغدادي الواعظ الشيعي (المتوفى سنة ١٢٢٨/٦٢٥) تاريخ طبرستان (وهو مطبوع) .

- وكتب أبو منصور الآبي (من القرن الخامس) تاريخ الري [٢] .

- وكتب أبو يعلى محمد بن الحسين كتاباً ضائعاً عن التناء (أي الملاكين للأرض والاقطاعيين) في جرجان كان أحد مصادر المؤرخ السهمي فيما بعد [٣] .

- وكتب الادريسي أبو سعد عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن عبد الله الاستراباذي نزيل سمرقند (المتوفى سنة ١٠١٥/٤٠٥ تاريخ استراباذ

---

(١) حاجي خليفة - كشف الظنون ج ١ ص ٧٠ ، ص ٣٠٠ ، ص ٢٨٢ - ٢٨٣ .
(٢) الصفدي - الوافي ج ١ ص ٤٨ .
(٣) انظر السمعاني - الأنساب ، الأوراق مثلا : ٣٠ وجه و ٤٩٨ وجه وغيرها .

الذي نقل عنه السمعاني الكثير [1] .

- وأكمل كتاب الادريسي من بعده الحافظ أبو القاسم حمزه بن يوسف ابن إبراهيم السهمي (المتوفى سنة ٤٢٧/١٠٣٥) ، كما أن له كتاب تاريخ جرجان ، وقد طبع هذا الكتاب في حيدر آباد سنة ١٩٥٠ .
- ويذكر بروكلمان اسم أبي حمزة بن يونس بن إبراهيم بن موسى القرشي (المتوفى سنة ٤٢٧) كمؤلف لتاريخ جرجان وتاريخ استراباذ [2] .
- وألف علي بن محمد الجرجاني (المتوفى سنة ٤٦٨) تاريخ جرجان [3] .
- وهناك فخر الدين أبو الفضل إسماعيل بن المثنى التبريزي (المتوفى في حدود سنة ٥٨٠) وهو من الوعاظ المعروفين وقد كتب تاريخ اذربيجان : ذكره ابن الفوطي [4] .

٥ - وأما خراسان في الشمال الشرقي من ايران فكثيرة التواريخ جملة ومدناً ومن المؤلفين فيها :

- أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود الكعبي البلخي المعتزلي المعروف (المتوفى سنة ٩٣١/٣١٩) وقد كتب مفاخر خراسان الذي أخذ عنه السمعاني والبيهقي وذكره الصفدي [5] .
- السلامي أبو الحسين علي بن أحمد (أو أبو علي الحسين بن أحمد) المتوفى

---

(١) ذكر هذا الكتاب السهمي - تاريخ جرجان (ط . حيدر آباد ١٩٥٠) ص ٤١١ فما بعد. وذكره الصفدي في الوافي (ج ٥ ص ٢٠١) ونقل عنه ترجمة أبي بكر البردعي .

(٢) بروكلمان ج ١ ص ٤٠٧ - ٤٠٨ .

(٣) كشف الظنون ج ١ ص ٢٩٠ .

(٤) ابن الفوطي - معجم الألقاب ج ٤ القسم ٣ ص ١١٧ .

(٥) انظر السمعاني - الانساب الورقة ٢١٢ وجه، ٢٤٥، ظهر ، البيهقي - تاريخ بيهق ص١٣٨ ، ص ١٥٤ ، ص ٢٥٥ . والصفدي - الوافي (مخطوط البودليان رقم ٢٤ Sheld Arch A ورقة ١٩ ظهر) وقد خطأ ياقوت والسخاوي بنسبة الكتاب إلى أبي زيد البلخي .

حوالى سنة ٣٥٠ وله أخبار ولاة خراسان الذي لخصه الحافظ اليغموري (المتوفى سنة ١٢٧٤/٦٧٣) بخطه وذكره السخاوي ونقل عن مقدمته قطعة [١] ومن المحتمل أن يكون أحد مصادر ابن الأثير .

- الحاكم النيسابوري أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدون ابن البيع الحافظ (٣٢١ - ٤٠٥) الذي كتب بين ما كتب : تاريخ خراسان [٢] واسمه في الأصل تاريخ نيسابور وستكلم عنه .

- وكتب في الفترة نفسها أبو الحسن محمد بن سليمان بن محمد الخراساني كتاب : فريد التاريخ في أخبار خراسان الذي اقتبس عنه ياقوت بعض المعلومات [٣] .

- وكتب في القرن الخامس كتاب أبي نصر المروزي : أخبار علماء خراسان .

- كما كتب أبو المظفر محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد الابيوردي (المتوفى سنة ١١١٣/٥٠٧) كتاب تاريخ أبيورد ونساوكوفن وغازيان وغيرها ، وقد سماه نزهة الحفاظ أو بهجة الحفاظ وسمته بعض المصادر تاريخ خراسان [٤] ولكنه تاريخ صغير .

ثم كتب المأموني أبو محمد هارون بن العباس بن العباس بن محمد البغدادي (المتوفى سنة ٥٧٣) تاريخ خراسان كتبه لخوارزمشاه تكش . وكان من مصادر ابن خلكان [٥] ، غير أن هذه الكتب الشاملة لم تمنع تواريخ المدن

(١) انظر السخاوي - الاعلان ص ٤٤٢ - ٣ وياقوت - ارشاد ج ٣ ص ١٦ .
(٢) كشف الظنون ج ١ ص ٢٩٢ .
(٣) ياقوت - ارشاد ج ٤ ص ١٩٢ ، ج ٢ ص ٦٠ .
(٤) السخاوي - الاعلان ص ٦١٤ وياقوت - أدباء ج ١٧ ص ٢٥٣ .
(٥) ابن خلكان - وفيات ج ٢ ص ٢٦٥ و ج ٣ ص ٣٩٩ . و ج ٥ ص ٦٩ ، ٢٦٨ ، و ج ٧ ص ٦٠ (ط . عباس) .

المفردة في خراسان ، وقد كتبها كثيرون منهم اثنان ذكرهما الصفدي[1].

- ابن أبي مسلم (من القرن الخامس) صاحب تاريخ مازندران .

- ابن المثنى الذي كتب تاريخ مراغة .

- وهناك كذلك أسد بن حمدويه الورتيني (المتوفى سنة ٩٢٢/٣١٠) الذي كتب كتاب المنافرة بين كش ونسف وقد نقل عنه السمعاني [2] .

- وأبو العباس جعفر بن محمد بن المعتز المستغفري الحافظ المتوفى سنة ١٠٤٠/٤٣٢ الذي كتب تاريخ نسف . ونقل عنه السمعاني الكثير من المقتبسات [3] .

أما البلاد التي حظيت بأكثر الاهتمام والتأليف فهي : نيسابور ومرو وبلخ وهراة وبيهق . كتب تاريخ نيسابور :

- أبو القاسم محمد بن علي الكعبي [4] (ولعله من رجال القرن الرابع ولقد يكون هو نفسه عبد الله بن أحمد المعتزلي) .

- عبد الله بن علي بن الجارود النيسابوري (المتوفي سنة ٣٢٠) وله تاريخ نيسابور [5] .

- أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري . وهو تاريخ كبير قال السبكي عنه : « لم تر عيني تاريخاً أجلّ منه وهو عندي سيد الكتب

(١) الصفدي – الوافي ج ١ ص ٤٨ .
(٢) السمعاني – الأنساب الورقة ٥٨٠ ظهر .
(٣) المصدر نفسه مثلا الأوراق ١٩ ظهر ٢١ ظهر ٢٩ ظهر ٣٠ ظهر ١٦٢ ظهر ٣٠٥ وجه ٣٢٢ وجه ٣٢٨ ظهر ٣٣٩ وجه ٣٤٠ ظهر .
(٤) كشف الظنون ج ١ ص ٣٠٨ .
(٥) الكتاني – الرسالة المستطرفة ص ١٣٠ .

الموضوعة للبلاد ... » ذكر فيه من ورد خراسان من الصحابة والتابعين ومن استوطنها واستقصى ذكر نسبهم وأخبارهم ثم أتباع التابعين ومن بعدهم حتى عهده على ست طبقات وجعل كل طبقة على الحروف » . وتوسع الحاكم النيسابوري،في ذلك،التوسع الذي جعل كتابه يقع في ١٢ مجلداً كما يذكر المؤرخون ...

ولم يصلنا الكتاب ولكن وصلنا مختصره الذي صنعه أحمد بن محمد بن الحسن المعروف بالخليفة النيسابوري الذي بالغ - على ما يبدو - في تجريد الكتاب وحوّله إلى هيكل عظمي فألغى التراجم الواسعة التي كانت فيه والتي امتدحها السبكي [1] بعد أن قارن بينها وبين تراجم الخطيب البغدادي . على أن المختصر وإن حرمنا من تقييم مادة هذا التاريخ إلا إنه أبقى على الإطار التنظيمي له على الوصف الذي لخصناه.وقد اقتبس السمعاني كثيراً عن هذا التاريخ في الأنساب كما أفاد منه الصفدي في الوافي ومؤلفون آخرون كثيرون . وقد ذيل عليه أبو الحسن عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي (المتوفى سنة ١١٣٤/٥٢٩) بكتاب : السياق في تاريخ نيسابور .

وأما مرو فكانت أوفر المدن الايرانية حظاً لمكانها من السياسة والثقافة والاقتصاد : فقد كتب تاريخها على التوالي :

- أبو الحسن أحمد بن سيار بن أيوب المروزي (١٩٨ - ٨١٤/٢٦٨ - ٨٨١) الذي نجد من أخبار مرو أو تاريخ مرو الذي ألفه مقتبسات لدى ياقوت [2] .

- أبو الرجاء محمد بن حمدويه السنجي الهورقاني (المتوفى سنة ٩١٨/٣٠٦)

---

(١) السبكي - طبقات الشافعية ١٧٣/١ .

(٢) ياقوت - البلدان ج ١ ص ٦٩٥ . وانظر كذلك الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد ج ١٨٨/٤ والذهبي - تذكرة الحفاظ ص ٥٦٠ والسبكي - طبقات الشافعية (ط. الطناحي) ج ٢ ص ١٨٣ .

ونجد من تاريخه لمرو المسمى تاريخ المراوزة مقتبسات لدى السمعاني ولدى ابن حجر [1] .

- ابن معدان أبو العباس أحمد بن سعيد بن أحمد (٢٩١ ـ ٣٧٥ / ٩٠٤ ـ ٩٨٦) وله تاريخ المراوزة أو تاريخ مرو الذي أفاد منه ابن ماكولا في الاكمال وذكره السمعاني [2] ونقل عنه وكان منظماً على حروف المعجم .

- أبو صالح أحمد بن عبد الملك المؤذن (المتوفى سنة ١٠٧٧/٤٧٠) وكان السمعاني يحتفظ بمسودة تاريخه عن مرو [3] .

- الثابتي الخرقي أبو محمد عبد الجبار بن عبد الجبار بن محمد الشافعي (المتوفى سنة ١١٥٨/٥٥٣) . وقد كتب (تاريخ مرو) أيضاً .

- ثم جاء السمعاني عبد الكريم بن محمد المؤرخ الكبير (المتوفى سنة ٥٦٢/ ١١٦٦) فأوفى على الجميع بكتاب تاريخ مرو الذي زاد على عشرين مجلداً ... ولم يجده السبكي في الشام ومصر وكان يظن أن صاحبه لم يكمله وثمة بعض الأجزاء المخطوطة منه في استامبول .

وتوقفت سلسلة تاريخ مرو فترة بعد هذا العمل الضخم ليتابعه بعد قرنين بدر الدين بن فرجون المتوفى سنة ٧٦٩ .

وأما تاريخ بلخ فقد وازى تاريخ مرو . لقد كتبه أولا : أبو علي عبد الله [4] بن محمد بن علي البلخي المتوفى سنة ٢٩٤ في كتاب يعرف

---

(١) انظر السمعاني ـ الأنساب ورقة ٥٣٦ ظهر وابن حجر ـ الاصابة ج ١ ص ٩٧ ، ١٢٢ ١٢٥ ، ١٥٤ ، ١٦٧ وقد ذكره البغدادي ج ٥ ص ٤٦٠ وص ٦٣ .

(٢) انظر ابن ماكولا ـ الاكمال ج ٣ ص ٥١ ، ص ١٣١، والسمعاني ـ الانساب ورقة ٥٣٦ وجه ، وورقة ٤١٧ ظهر ، ٤٩٨ وجه . وانظر كذلك البيهقي ـ تاريخ بيهق ص ٢١.

(٣) ياقوت ـ أدباء ج ٣ ص ٢٢٤ وانظر الذهبي ـ تذكرة الحفاظ ١١٦٢ .

(٤) الذهبي ـ تذكرة الحفاظ ص ٦٩٠ .

بتاريخ بلخ ثم كتبه في الفترة نفسها أوائل القرن الرابع أبو عبد الله محمد ابن جعفر الجوبياري الوراق الذي عاش حوالى سنة ٣٠٠ واسم كتابه طبقات أهل بلخ . وقد رتبه على الأمصار لا على الحروف وأخذ عنه المؤرخون بعده كالمديني كما نقل عنه ابن النجار في ذيل تاريخ بغداد وياقوت [1] .

- محمد بن عقيل من الأزهر البلخي الحافظ المتوفى سنة ٣١٦ وقد ذكره البيهقي في تاريخ بيهق [2] .

- علي بن الفضل بن طاهر البلخي (المتوفى سنة ٩٣٤/٣٢٣) وكتابه : ذكر علماء (أوطبقات علماء) بلخ مرتب على الطبقات [3] .

- أبو زيد البلخي (من رجال القرن الرابع) من المؤلفين المذكورين لدى ابن النديم ومن مؤلفاته : محاسن أهل بلخ أو فضائل بلخ [4] .

- أبو اسحق إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم المستملي (المتوفى سنة ٩٨٧/٣٧٦) وله كتاب طبقات علماء بلخ مرتب على الحروف وقد روى فيه – على رأي السخاوي – بعض ما لا ينبغي . وأخذ عنه ابن النجار وياقوت [5] .

- ناصر الدين أبو القاسم محمد بن يوسف المديني الحنفي السمرقندي (المتوفى سنة ٥٥٠ أو ١١٥٥/٥٥٦) وكان يعرف بأبي القطن وقد وضع تاريخ بلخ في مجلد ورتبه – على ما ذكر السخاوي – على الحروف . بدأ بالمحمدين ثم بالأحمدين ثم بابراهيم وذكر الكنى مع الأسماء وأخذ فيه

---

(١) انظر ابن النجار – ذيل تاريخ بغداد (مخطوط باريس AR ٢١٣١) ورقة ١٤٣ ظهر وياقوت بلدان ٦٥٩/٤ والسخاوي – الاعلان ص ٦٢٣ والسمعاني – الأنساب ج ٥ ص ٢٧١ .

(٢) البيهقي – تاريخ بيهق ص ٢١ والذهبي – تذكرة الحفاظ ص ٧٩١ .

(٣) السخاوي – الاعلان ص ٦٢٤ .

(٤) السخاوي – الاعلان ص ٦٢٩ وياقوت – أدباء ج ٣ ص ٦٨ وقد يكون الكتاب لأبي القاسم وليس لأبي زيد .

(٥) انظر ابن النجار المصدر السابق ورقة ١٤٣ وجه . وهدية العارفين ج ١ /٧ .

عن الجوبياري الوراق . وأفرد لشعراء بلخ مؤلفاً [١] .

وكان نصيب تاريخ هراة على المستوى نفسه من الاهتمام فقد كتبه :

- أبو عبد الرحمن محمد بن المنذر بن سعيد بن عثمان السلمي الهروي المعروف بشكّر (بتشديد الكاف) وله كتاب التاريخ لهراة [٢] وقد توفي سنة ٣٠٣ .

- أبو اسحق أحمد بن محمد بن ياسين الهروي الحداد (المتوفى سنة ٣٣٤/ ٩٤٦) وصنفه على حروف المعجم ونجد قطعاً منه لدى ابن حجر [٣] .

- أبو اسحق أحمد بن محمد بن يونس البزاز (المتوفى في أواسط القرن الرابع على الأرجح) [٤] .

- أبو عبد الله الحسن بن محمد الكتبي وله - حسب ظن السخاوي - تاريخ لهراة .

- وكتب مؤلف مجهول في أواخر القرن الخامس كتاب تاريخ سجستان (بالفارسية) وهو مطبوع في طهران .

- وهناك الباشاني أحمد بن محمد بن محمد بن أبي عبيد المؤدب الهروي (المتوفى سنة ٥٠١/١١٠٧) وقد كتب تاريخ ولاة هراة [٥] وقد ذكره

---

(١) السخاوي - الاعلان ص ٦٢٣ .
(٢) الصفدي - الوافي ج ٥ ص ٦٧ .
(٣) اقتبس منه ابن حجر في كتابيه لسان الميزان ج ٦ ص ٣١٦ والاصابة ج ٣ ص ٤١٤ وص ٥٣٣ ، ص ٧٨٢ وانظر البيهقي - تاريخ بيهق ص ٢١ والسبكي - طبقات الشافعية (ط. الطناحي) ج ٢ ص ٢٩٥ .
(٤) تشابه الاسمين التاليين جعل السخاوي ينسب إلى الأول منهما تصنيفين في تاريخ هراة أحدهما على حروف المعجم (الاعلان ص ٦٥٣) وقد أوضح تباين الشخصين البيهقي في تاريخ بيهق ص ٢١ . وذكر الخطيب البغدادي ثانيهما (اي البزاز) ج ٥ ص ١٢٦ ، كما ذكره الصفدي في الوافي ج ١ ص ٤٨ .
(٥) انظر ياقوت - أدباء ج ٤ ص ٢٦٠ .

الصفدي في الوافي بنسبة الفاشاني بالفاء وجعل وفاته سنة ٤٠١ ولعله الأصح [١] .

- وشيرويه أبو شجاع بن شهردار الهمذاني (المتوفى سنة ٥٠٩) وله بين كتبه العديدة كتاب تاريخ هراة (بجانب تاريخ همذان وتاريخ الخلفاء وغيرهما ...) .

- أبو الروح الهروي عيسى بن عبد الله المتوفى سنة ١١٤٩/٥٤٤ وقد ذكر السبكي في طبقات الشافعية الصغرى تاريخه لهراة [٢] .

- الفامي أبو نصر عبد الرحمن بن عبد الجبار بن عثمان الحافظ المتوفى سنة ١١٥٠/٥٤٦ وله تاريخ هراة .

وأما تاريخ بيهق فلدينا على الأقل ثلاثة مؤرخين كتبوا فيه :

- مؤرخ مجهول لعله من مطامع القرن الرابع كتب تاريخ بيهق على التراجم وكان كتابه أحد مصادر المؤرخ ابن فندق فيما بعد .

- أبو الفضل البيهقي (المتوفى سنة ٤٧٠) الذي كتب تاريخ بيهق في فترة محددة لا تزيد على نصف قرن أي فيما بين سنتي ٤٠٩ — ٤٦٠ تقريباً ولكنه كتبه على الحوادث لا على التراجم وكتبه بإسهاب شديد حتى بلغ به ثلاثين مجلداً ... كما كتبه بالفارسية . ولم يبق من تلك المجلدات الثلاثين سوى خمسة طبعت أكثر من مرة في ايران . كما طبع هذا التاريخ بالعربية (طبع القاهرة ١٩٥٦) بترجمة الخشاب ونشأت .

- ابن فندق ظهير الدين أبو الحسن علي بن زيد بن أميرك ؟ المتوفى سنة ١١٧٠/٥٦٥) وله بين مؤلفاته التي كتبها في أواخر حياته كتاب تاريخ

---

(١) الصفدي — الوافي ج ٨ ص ١١٤ .

(٢) انظر السبكي — طبقات الشافعية الصغرى (مخطوط البودليان Or. Marsh. ٤٢٨) ورقة ٧١ .

بيهق أراد به إتمام تاريخ أبي الفضل وتلافي نقصه فجعله على التراجم واعتمد فيه على تاريخ ذلك المؤلف المجهول القديم وعلى تاريخ نيسابور للحاكم النيسابوري وغيرهما . وتاريخ بيهق هذا مطبوع (في طهران – طبعة بهمانيار سنة ١٩٣٨) . وفي هذه الطبعة مقدمة هامة بقلم محمد قزويني .

٦ – وننتقل إلى ما وراء النهر فنجد أعداداً من المؤلفين لتواريخ المدن هناك والمناطق منهم :

لتاريخ خوارزم :

– أبو أحمد محمد بن سعيد بن القاضي (المتوفى سنة ٣٤٦) وقد كتب : الكافي في تاريخ خوارزم [١] . وذكر الصفدي في الوافي [٢] : محمد بن سعيد بن سمّقة (بالتشديد أو التخفيف) الخوارزمي من علماء خوارزم وفضلائها وذكر أنه «صاحب (أخبار خوارزم) الذي يدل على كمال فضله . وقد حدث فيه عن جماعة من العلماء» وأضاف أنه توفي سنة ٣٦٩ .

– الحسن بن المظفر النيسابوري (المتوفى سنة ١٠٥٠/٤٤٢) وله زيادات أخبار خوارزم [٣] .

– أبو الريحان البيروني (المتوفى سنة ٤٤٠) ألف قصصاً عن خوارزم فيمايرى

---

(١) كشف الظنون ج ١ ص ٢٩٢ .

(٢) الصفدي – الوافي ج ٣ ص ١٠٥ ويبدو أن هذا المؤلف هو المؤلف السابق نفسه الذي ذكره صاحب كشف الظنون بل يبدو أن صاحب الكشف قد نقل بعض الخبر عن السخاوي (انظر الاعلان ص ٦٣٠) فسمى الكتاب بالكافي وإنما كان السخاوي يتحدث عن كتاب الكافي في الفقه .

(٣) ذكره ياقوت وأخذ عنه – أدباء ج ٣ ص ٢١٣ (ج ٢١٣/٩) .

ياقوت وقد ذكر ذلك في معجم الأدباء [1] غير أن البيهقي ذكره في تاريخ بيهق باسم «المسامرة» في أخبار خوارزم [2] . وأخذ عنه ثم يأتي بعض المؤلفين المغمورين ومنهم :

- مظهر الدين الكاساني (والصفدي يذكر اسمه مطهر الدين الكاشي) له تاريخ خوارزم [3] .
- مؤلفان آخران ذكرهما البيهقي [4] من هذا العصر نفسه .
- ومؤرخ ذكره محمد عوفي باسم : صدر الأجلاء النيسابوري كتب : التاريخ الخوارزمي في النصف الثاني من القرن السادس [5] .
- حتى جاء الحافظ أبو محمد محمود بن محمد بن عباس بن أرسلان الخوارزمي (المتوفى سنة ٥٦٨/١١٧٢) فكتب : أخبار خوارزم في ثمانين جزءاً (٨ مجلدات) وبسط الكلام في وصف خوارزم وأهلها . وقد نقل عنه ياقوت كما اختصره الذهبي [6] .

وكتب في تاريخ بخارى :

- النرشخي أبو بكر محمد بن جعفر النرشخي الذي أتم سنة ٩٤٣/٣٣٢ تأليف كتاب تاريخ بخارى أو أخبار بخارى للأمير أبي محمد نوح بن نصر الساماني وضاع الكتاب ولكن ترجمته الفارسية التي قام بها أبو نصر أحمد القباوي سنة ٥٢٢/١١٢٨ بقيت ... ثم ترجم الكتاب مؤخراً إلى

---

(١) انظر ياقوت – البلدان ج ٢ ص ٤٨٣ والأدباء ج ٦ ص ٢١١ (١٧ ص ١٨٥) .
(٢) البيهقي – تاريخ بيهق ص ٧٣٤ .
(٣) السخاوي – الاعلان ص ٦٣٠ ، الصفدي – الوافي ج ١ ص ٤٨ .
(٤) البيهقي – تاريخ بيهق ص ٢١ (نقلا عن روزنتال ص ٦٣٠ حاشية ٢) .
(٥) انظر : Awfi, Lubab al Albab, (ed. Browne) II, 142-3 (His. M.E. p. 70 note 55)
(٦) انظر ياقوت – البلدان ج ٣ ص ٢٤٣ والأدباء ج ٣ ص ٢١٣ (١١ ص ١٩١) وكشف الظنون ج ١ ص ٢٩٣ .

العربية وطبع (القاهرة ١٩٦٥) .

وتبعه في التأليف بتاريخ بخارى :

- أبو نصر أحمد بن محمد بن نصر القبادي الجيهاني وزير نصر بن محمد الساماني ، والذي بقي في الوزارة حتّى عصر نوح بن منصور الساماني ثم صرف عنها سنة ٣٣٦ . وقد ألف تاريخ بخارى [1] .

- وجاء بعد ذلك محمد بن أحمد البخاري الحافظ المعروف بغنجار (المتوفى سنة ٤١٠ أو سنة ١٠١٩/٤٢٢) فكتب (تاريخ بخارى) الذي اقتبس منه البغدادي والسمعاني والذهبي وابن حجر [2] .

- وقد ذيل على غنجار : أحمد بن محمد الحافظ الماجاني (المتوفى سنة ١٠٤٥/٤٣٥) وذلك حسب رواية السمعاني وياقوت [3] . ويذكر الصفدي أنه أحمد بن محمد بن أحيد بن ماما ويكنيه بأبي حامد الأصبهاني المامای [4] .

- وكتب سعد بن جناح (من القرن الخامس غالباً) : تاريخ بخارى وسمرقند [5] .

- وتمم مؤلف آخر اسمه محمد بن زفر بن عمر سنة ٥٧٤ على ترجمة تاريخ

---

(١) ذكره ابن النديم (ص ١٣٨) بنسبة الجيهاني وفي الوزراء للجهشياري أنه ابن العجمي وانظر آغا بزرك - الذريعة إلى تصانيف الشيعة ج ٤ ص ٨٦ - ٨٧ .

(٢) انظر البغدادي - تاريخ بغداد ج ١٠ ص ٢٩ والسمعاني - الأنساب ، أوراق ١٨ وجه ١٠٠ وجه ٢٢٧ ظهر ٤٤٣ ظهر ٥٠٨ وجه ٥٥٥ ظهر وابن حجر لسان الميزان ج ١ ص ٣٥٥ .

(٣) انظر السمعاني - الانساب أوراق ٤٨٧ وجه ، ٥٠٤ وجه وياقوت - الأدباء ج ١٠/١٠ ٢١٣ .

(٤) انظر الصفدي - الوافي ج ٧ ص ٣٦١ ويذكره كذلك ابن الحنبلي - شذرات ج ٣ ص ٢٥٩ .

(٥) البيهقي - تاريخ بيهق ص ٢١ .

النرشخي بذيل وصل به التاريخ .

– ثم زاد مؤلف مجهول على الكتاب أخبار بخارى حتى فتح المغول لها وخرابها سنة ١٢١٩/٦١٦.

وكتب في تاريخ سمرقند في أواخر القرن الرابع اثنان متعاصران :

– أبو العباس جعفر بن محمد المستغفري (المتوفى سنة ١٠١١/٤٠٢) .

– وأبو سعد عبد الرحمن بن محمد الادريسي (المتوفى سنة ١٠١٥/٤٠٥) وقد أفاد ابن حجر من تاريخه .

– ثم جاء أبو حفص عمر بن محمد بن إسماعيل النسفي (المتوفى سنة ٥٢٧) فذيل على كتاب المستغفري بكتاب هام سماه : القند في ذكر علماء سمرقند . وقد جاء بعده من اختصر هذا التاريخ كالضياء المقدسي (المتوفى سنة ١٢٤٥/٦٤٣) أو من انتخب منه كمحمد بن عبد الجليل السمرقندي . كما كان الكتاب نفسه مصدراً للسمعاني والبنداري وابن حجر [١] .

وأخيرا فقد عرفت البلدان القصية أيضاً مؤرخيها وقد كتب :

– الاخسيكثي ذو الفضائل أبو رشاد أحمد بن محمد (المتوفى سنة ٥٢٦) تاريخ فرغانة [٢] .

– وعبد الغفار بن الحسين الألمعي الذي كتب تاريخ كشغر [٣] .

---

(١) السخاوي ص ٦٣٣ ، وكشف الظنون ٢٩٦/١ وانظر السمعاني – الانساب ورقة ١٩٤ ظهر وورقة ٥٣٨ ظهر وانظر ابن حجر – لسان الميزان ج ٢ ص ٤٩ و ٦٥ .

(٢) يلقب بالاخسيكثي اثنان أخوان هما أبو الوفاء محمد المتوفى سنة ٥٢٠ وأبو رشاد أحمد المذكور وكلاهما مؤرخ .

(٣) ذكره بارتولد في تاريخ تركستان (بالانكليزية) ص ١٨ وأشار اليه روزنثال (تعليق ٤٥ ص ٦٣٩ من الاعلان) .

وقد كان بالامكان أن نضيف إلى هذه المجموعة الواسعة من التواريخ البلدانية في بلاد فارس مؤلفات أخرى كتبت بالفارسية تروي تواريخ مدن أخرى منها ششتر ، ويزد ، وقُم بالإضافة إلى سجستان وإلى مجموعة كتبت في تاريخ طبرستان . وقد نشر المستشرق دورن Dorn الانكليزي طائفة منها ولكن أغلبها تواريخ ما تزال مخطوطة وإن نشر بعضها في ايران منذ زمن طويل على مطابع الحجر. غير أن أمر هذه التواريخ يتعلق بهذه الملاحظة التي نضعها في النهاية وهي أنه بالرغم من هذا الفيض في الانتاج التاريخي ومن المؤرخين ومن أن هذه المدرسة العراقية الايرانية كانت المدرسة الأم في التاريخ الا انها في الواقع كانت ومنذ القرن الرابع تنهار من الداخل بالانفصال اللغوي الذي ظهر اذ ذاك في ايران وأحيا اللغة الفارسية من جديد وأعادها إلى عالم التأليف نوجعل الاقلام التاريخية تنصبّ فيها ... وإذا كان سقوط بغداد على يد المغول سنة ١٢٥٨/٦٥٦ قد وضع نقطة الختام الرسمية لهذه المدرسة (سوى بعض الأنوار اللاحقة) فانها في الواقع كانت قد حكم عليها بالانتهاء من قبل . ومنذ ظفر السلاجقة بايران وبغداد قبل قرنين وأقروا اللغة الفارسية لغة رسمية للدولة ، كان ذلك ايذانا بانحسار اللغة العربية التدريجي عن المنطقة ومعها التاريخ المكتوب بالعربية . وقصة ذلك هي موضوع فترة أخرى قادمة من بعد سوف روي ملامح منها بعنوان المدرسة الفارسية .

الفصل الثالث عشر

المدرسة العباسية الأم - ٢

مؤرخو القرن الرابع

ليست الصفحات والتراجم التالية بالاحصاء الشامل لكافة من عرفت تلك المدرسة من المؤرخين منذ القرن الرابع ، وان كانت تأخذ طابع شيء من ذلك ولكنها محاولة لوضع الخطوط الأولى في هذا الاتجاه . وهي محاولة قد لا تكون مأمونة الجانب لما قد يعتريها من النقص والخطأ . ولكنها على أي حال ضرورية لاختتام هذا الفصل وللتعرف المباشر على ذلك الرعيل الواسع الذي حمل — مع غيره — علم التاريخ الإسلامي على كاهله وأعطاه أبعاده وملامحه وسجل من خلال أقلامه ونور عينيه أحداثه ورجاله .

والأسماء التي سوف نذكرها سواء في هذه المدرسة أو في غيرها تعد بالمئات العديدة لو شئنا الاستقصاء كما أن عناوين المؤلفات التي قدمتها تعدّ بالألوف . وإذا كان مجال الدراسة يمكن أن يقف عند كل اسم وعنوان فينشيء من حول هذا أو من حول ذلك مجلداً أو مجلدات فلسنا نقصد في الواقع

إلى دراسة كل مؤرخ ولكن إلى تقديم نوع من المسرد السريع يمكن أن يصبح دليلاً أولياً بين يدي الباحثين ، واذا مزجنا فيه ما بين الترجمة الجافة وما بين بعض الملاحظات النقدية وأهملنا الاشارة إلى مصادر ترجمة كل مؤرخ فانما أردنا إلى الابتعاد بهذا المسرد عن طابع المعاجم والقوائم الجامدة وإلى ربطه الربط الحي بالدراسة التي سلفت .

ولما كان الاستقصاء صعباً ومرهقاً لمادة الكتاب فلسوف نكتفي من رجال هذه المدرسة وغيرها بالأسماء الكبيرة والقمم البارزة ولئلا يتبادر إلى الذهن أنها هي الأسماء الوحيدة ولكي لا نغمط الأسماء الصغرى حقها ولأن نسيج الفكر التاريخي الإسلامي انما كان من صنع هؤلاء وهؤلاء على السواء فلسوف نعطف مرة بعد أخرى على نجوم التاريخ الصغيرة فنذكر بعضها ... للتذكير بها واقامة التوازن مع المؤرخين الكبار دون الاستقصاء الدائم .

ونكتفي في هذا الفصل أولاً بذكر مؤرخي القرن الرابع (العاشر الميلادي)

١ ـ المؤرخون البارزون

بين المؤرخين البارزين في العراق وايران :

ـ **محمد بن علي اعثم الكوفي** (وقيل أبو محمد علي أو أحمد) المتوفى حوالى سنة ٣١٤/٩٢٦ ، ونجهل الكثير عن حياته وان كنا نعرف له بين أيدينا كتاب الفتوح . وهو تاريخ أشبه بالقصص يحكي أخبار الفتوحات منذ الخلفاء الأوائل حتى عهد المعتصم . ومخطوطه الموجود في مكتبة أحمد الثالث في استامبول (رقم ٢٩٥٦) مؤلف من جزءين :

الأول (٢٧٠ صفحة) منذ خلافة عثمان سنة ٢٣ حتى مطلع ثورة المختار الثقفي سنة ٦٦/٦٨٥ .

والثاني (٢٧٨صفحة) من ثورة المختار إلى ثورة بابك في عهد المعتصم. وثمة مخطوطات أخرى من هذا الكتاب في غوطا رقم ١٥٩٢ والامبروزيانا وغيرهما .

وفي الكتاب معلومات هامة عن استقرار العرب في خراسان وفتحهم لأرمينية وتاريخ هذه المنطقة تحت الحكم الإسلامي وحتى أيام المعتصم واستقرار القبائل فيها وصدام المسلمين مع الخزر على حدودها الشمالية مما لا نجده لدى غير ابن اعثم . وتغلب على المؤلف مسحة الرواية والقصة كما تظهر لديه وجهة النظر الشيعية .

وقد ترجم كتاب الفتوح إلى الفارسية منذ سنة ١١٩٩/٥٩٦ من قبل أحمد بن محمد المستوفي الهروي كما ترجمت بعض أقسامه إلى الألمانية من قبل المستشرق وياكنس . وثمة من يعمل حالياً على تحقيقه ونشره .

– **الجهشياري** : أبو عبد الله محمد بن عبدوس الكوفي (توفي سنة ٣٣١/ ٩٤٣) نشأ وتعلم في الكوفة ثم كان كما كان أبوه قبله من حجاب بعض الوزراء في بغداد في مطالع القرن الرابع كعلي بن عيسى ابن الجراح وابن مقلة الخطاط المشهور . وقد ناله من عواقب هذه الوظيفة الرسمية ما كان ينال هؤلاء الوزراء وحاشيتهم في ذلك العهد القلق من تضييق واعتقال ومصادرة . ويظهر أنه كان من أرباب السيف والقلم معاً ، فانا نجده في بعض الأخبار أميراً للحج سنة ٣١٧ – على ما يذكر ابن الأثير – وهي مهمة كانت لرجال الحرب يومذاك لأن القرامطة كانوا يهددون الطريق وينتهبونها . وقد ذهب الجهشياري صاحب السيف وبقي منه صاحب القلم الذي كتب في التاريخ مجموعة من أهم الكتب منها :

– أخبار المقتدر في ألوف من الورقات – كما قال المسعودي – أو في في ألف ورقة . وقد ضاع .

– كتاب الأسمار الذي حدثنا عنه ابن النديم ، وقد اختار ألف سمر من أسمار العرب والعجم والروم لألف ليلة ، كتب منها ٤٨٠ سمراً كل واحد في خمسين ورقة وأقل وأكثر ثم عاجلته المنية قبل تمام الألف ، أي أنه كتب منها على الأقل ٤٨ ألف صفحة ومات قبل ايصالها إلى مائة ألف .

– كتاب الوزراء والكتاب وهو المؤلف الوحيد الذي بقي قسم منه عثر عليه المستشرق مزيك النمسوي في مكتبة فينا سنة ١٩٢٦ فطبعه تصويراً ثم طبع الكتاب في القاهرة سنة ١٩٣٨ في ٤٠٠ صفحة . وقد كان هذا الكتاب من أهم مصادر المؤرخين عن تاريخ الكتاب والوزراء منذ عهد النبي حتى السنة التي توقف عندها سنة ٢٩٦ وقد نقل عنه ياقوت والصفدي وابن خلكان .

– **الصولي** : أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ويعرف بالشطرنجي (توفي بالبصرة سنة ٣٣٥/٩٤٧) كان نديماً لعدد من الخلفاء المتتالين ، وكان يتمتع بكل ما يجب أن يتمتع به الندماء أمثاله من الثقافة . وقد دفعه ذوقه الأدبي إلى العناية بأخبار الشعراء الكبار وبشعرهم ، كما ألف في التاريخ كتباً منها :

– الأوراق في أخبار آل العباس وأشعارهم . قال ابن النديم [١] انه لم يتمه والذي خرج منه أخبار الخلفاء بأسرها وأشعار أولاد الخلفاء وأيامهم من السفاح إلى أيام المعتز . ويقصد الصولي بالأوراق أسماء الموظفين الذين يختلفون سنة بعد سنة على وظائف البلاط وأعمال العراق خاصة دون باقي أقاليم الخلافة ، ويهتم خاصة بسياسة القصر الخلافي والنشاط الأدبي للرجال فيه .

---

(١) ابن النديم – الفهرست ص ١٥٠ – ١٥١ .

- وله كتاب أشعار وأخبار من بقي من بني العباس ممن ليس بخليفة ولا ابن خليفة .

- كتاب الوزراء ولعله سبق به الجهشياري .

وله عدا هذا وذاك كتاب أدب الكاتب على الحقيقة ، وكتاب مناقب على ابن الفرات الوزير .

ولم يبق من تراث الصولي سوى أقسام من كتاب الأوراق نشر بعضها هيورث دن (القاهرة ١٩٣٥) بعنوان (أخبار الراضي بالله والمتقي لله أو تاريخ الدولة العباسية من سنة ٣٢٢ إلى سنة ٣٣٣) . وقسم من أخبار الشعراء نشره المستشرق نفسه قبل ذلك بسنة ، وقد رتب فيها الشعراء على حروف المعجم . وباقي الأقسام مخطوطة مثل : أخبار الراضي والمتوكل (وهو في مكتبة شهيد علي باشا في استامبول برقم ٢١٤١) ومكتبة الأزهر بالقاهرة (رقم ٤٨٧ أدب ، ٥٩٤ تاريخ) وحياة الخليفة الراضي (في المكتبة الآصفية بحيدر آباد ج ١ ص ١٨٠ رقم ٣) .

- المسعودي : أبو الحسن علي بن الحسين الهذلي ، من ذرية عبد الله بن مسعود (توفي في الفسطاط سنة ٩٥٧/٣٤٦) فالأصل حجازي اذن ولعل أجداده توطنوا أولا في المغرب [1] ثم جاء أهله العراق حيث ولد المسعودي ونشأ ، فهي كما يصرح موطنه [2] . وكان حدث السن سنة ٣٠٠ هـ حين زار مدينتي الملتان والمنصورة في حوض السند ، ومنذ ذلك الوقت لم يهدأ من السفر المتصل ، فانا نراه بعد ثلاث سنوات في فارس وكرمان ثم يظهر في السند سنة ٣٠٤ ثم يصل جزيرة سرنديب (سيلان) ويركب البحر من هناك إلى شرق أفريقيا ويصل مدغشقر ثم يعود منها

(١) ابن النديم يصرح بأنه رجل من أهل المغرب (انظر الفهرست ص ١٥٤) .
(٢) انظر المسعودي – مروج الذهب (طبعة بلا) ج ٢ ص ١٨٤ .

إلى عمان . ويستدل من فقرة غامضة في مروج الذهب أنه قام بجولات في ماليزيا وبحر الصين حتى بلغ مشارف الصين . وقد جاب الساحل الشرقي للبحر الأحمر (القلزم) وأرض الحجاز ومدين وقضى كما يخبرنا بنفسه بعض الزمن في طبرية من فلسطين سنة ٣١٤/٩٢٦ ثم في أنطاكية بشمال الشام سنة ٣٣٢ ونراه في كتبه يتحدث حديث الخبير عن شواطىء بحر قزوين في شمال إيران ، كما يتحدث « انا تقاذفتنا الأسفار وقطع القفار تارة على متن البحر وتارة على ظهر البر مستعلمين بدائع الأمم بالمشاهدة عارفين خواص الأقاليم بالمعاينة كقطعنا بلاد السند والزنج والصف والصين والزابج وتقحمنا الشرق والغرب ، فتارة بأقصى خراسان وتارة بوسائط أرمينية وأذربيجان والران والبيلقان وطوراً بالشام فسيرى في الآفاق سرى الشمس بالاشراق ... » . [1]

وقد جمع المسعودي إلى هذه الرغبة السندبادية في السفر ، نفساً لا تمل الاطلاع والتسجيل ولساناً لا يني عن السؤال والجدل في كل شيء ولا سيما في شؤون الافكار والملل والنحل وعيناً شديدة النهم لا تنقطع عن القراءة في كل أمر وقدماً تنقله دوماً بين الرجال والناس وذوي الصلة المباشرة بما يريد أن يعرف ويجادل . ولا شك أنه كان يسجل لنفسه وفي أوراقه وذاكرته هذه التجربة التي كانت ، لعهده ، من متع العصر ، يوم كان « التاجر » المتسلم المتنقل ما بين الصين والمحيط الأطلسي رمز الحضارة العربية الإسلامية .

ولعل المسعودي عاد خلال أسفاره مرات إلى بغداد ولعله وجد نفسه فيها حول سنة ٣٣٠ ، وبعد ذلك أو قبل ذلك بقليل ، مثقل الجعبة بما رأى وسمع وقرأ ، بعد أن قضى أطيب أيام العمر والشباب في النقلة فانصرف إلى تسجيل تجربته كلها وتسجيل معارفه التي جمع في شكل :

---

(١) المسعودي — مروج ١ ص ١٠ .

تواريخ عديدة من جهة وكتب تتحدث في ألوان الأفكار والملل وذخائر العلوم عند الناس من جهة أخرى ، وفي كتب من نوع ثالث تتحدث في الطرائف وظرائف الآثار والخبرات الحياتية التي عرف : في السياسة والتجارب وطب النفوس والرؤيا ... كانت هذه هي الألوان الثلاثة التي أفرغ فيها خبراته ... فجاءت في ٣٥ كتابا لم يبق منها كلها سوى اثنين وجزء واحد من ثلاثين من كتاب ثالث .

وبالرغم من أن طريقة المسعودي في التأليف لا تسمح لنا باستبعاد أي كتاب من كتبه عن ميدان المؤلفات التاريخية فان الكتب التاريخية الواضحة في نشاطه التأليفي هي :

- كتاب أخبار الزمان ومن أباده الحدثان من الأمم الماضية والممالك الداثرة وكان في حوالى ثلاثين مجلداً لم يبق منها الا الجزء الأول وقد طبع في القاهرة أول مرة سنة ١٩٣٧ ثم طبع أخرى في بيروت سنة ١٩٦٦ .
- كتاب مروج الذهب وقد تنبه المستشرقون اليه فطبعوه منذ سنة ١٨٦١ – ١٨٧١ في تسع مجلدات مترجمة للفرنسية في الوقت نفسه بقلم باربيه دي مينار ، ثم تتالت طبعاته بعد ذلك .
- كتاب التنبيه والاشراف ، وهو في مجلد طبع بدوره سنة ١٨٩٤ في ليدن بعناية المستشرق دي غويا ، مع التعاليق والذيول . ثم ترجمه إلى الفرنسية كارادي فو سنة ١٨٩٧ .
- وكانت هذه الكتب الثلاثة تؤلف سلسلة من أربعة ضاع منها بعد الكتاب الأول ما سماه المسعودي (بالكتاب الأوسط) . وبعضها اختصار بعض بالترتيب فقد رأى ثقل (أخبار الزمان) فاختصره في الكتاب الأوسط ، ثم عمد وهو في البصرة سنة ٣٣٢ إلى الأوسط فاختصره في مروج الذهب الذي راج كل الرواج ومع أن صاحبه أعاد النظر فيه سنة ٣٤٥ وهو في مصر فأصدر منه نسخة تكاد تبلغ في الحجم ضعف الأصل الأول إلا أن

شيوع هذا الأصل منع التعديل من الرواج والبقاء وبقي بيد الناس الأصل فقط دون النسخة المعدلة . كما أن المسعودي عاد فاختصر المروج في التنبيه والاشراف .

لكنه خلال هذه السلسلة أصدر كتباً تاريخية أخرى ذكر لنا أسماءها فهي الأمر الوحيد الباقي منها . كتب بعد مؤلفاته الأربعة الأولى بالترتيب :

- فنون المعارف وما جرى في الدهور السوالف .
- ثم : ذخائر العلوم وما كان في سالف العصور .
- ثم نظم الجواهر في تدبير الملك والعساكر .
- ثم : كتاب الاستذكار لما جرى في سالف الأعصار .

وعناوين هذه الكتب الأربعة قد تسمح لنا بأن نعتبرها سلسلة أخرى كتبها المسعودي وبعضها اختصار بعض بالترتيب ، لا سيما وأنه هو نفسه قد ذكرها بهذا الترتيب ، ثم أجمل ما فيها بقوله : انه ذكر فيها الأخبار عن بدء العالم والخلق وتفرقهم في الأرض والممالك والبر والبحر والقرون البائدة والأمم الخالية الدائرة الأكابر ... (كالهند والصين والكلدانيين – وهم السريانيون – والعرب والفرس واليونانيين والروم وغيرهم) ... وتاريخ الأزمان الماضية والأنبياء وذكر قصصهم وسير الملوك وسياساتهم ومساكن الأمم وتباينها في عباداتها واختلافها في آرائها ... وبحار العالم ... والخلجان ... والأنهار ... والجزائر العظام ... وما قاله حكماء الأمم في كيفية شبابها وهرمها وعلل جميع ذلك ... والأخبار عن شكل الأرض وانجادها وأغوارها ... ووصف الأقاليم ... ومجاري الأفلاك ... وحركاتها ... وما ظهر على الأرض من عجيب البنيان ... وما قاله الناس في مقدار عمر العالم ومبدئه ... وعلة طول الأعمار ... وآداب الرياسة وضروب أقسام السياسة المدنية الملوكية منها والعامية ... ووجوه أقسام السياسة الديانية ، ولأي علة لا بد للملك من دين

كما لا بد للدين من ملك ولا قوام لأحدهما الا بصاحبه ولم وجب ذلك وما سببه ؟ وكيف تدخل الآفات على الملك وتزول الدول وتبيد الشرائع والملل ؟ والآفات التي تحدث في نفس الملك والدين والآفات الخارجة المعترضة لذلك وتحصين الدين والملك وكيف يعالج كل واحد منهما بصاحبه اذا اعتل من نفسه ... وماهية ذلك العلاج ... وأمارات اقبال الدول وسياسة البلدان والأديان والجيوش على طبقاتهم ووجوه الحيل والمكائد والحروب ظاهراً وباطناً وغير ذلك من أخبار العالم وعجائبه وأخبار نبينا ﷺ ... ومغازيه والخلفاء بعده والملوك والغرر من أخبارهم ... وما كان من الكوائن والأحداث والفتوح ... وأخبار وزرائهم إلى خلافة المطيع (٣٣٤ – ٣٦٣) ... وذكرنا من كان في كل عصر من حملة الأخبار وطبقاتهم من عصر الصحابة إلى فقهاء الأمصار ... إلى هذا الوقت المؤرخ ... »[1] .

وكتب المسعودي في التاريخ أيضاً كتباً أخرى جاء على ذكرها متفرقة في حديثه ضاعت كلها :

- كتاب الصفوة في الامامة .
- رسالة البيان في أسماء الأئمة .
- كتاب الاستبصار في الامامة .
- الأخبار المسعوديات .
- كتاب تقلب الدول وتغيير الآراء والملل .
- كتاب المسائل والعلل في المذاهب والملل .
- أخبار الخوارج .
- كتاب مقاتل فرسان العجم .

(١) المسعودي – التنبيه والاشراف ص ١ – ٣ .

- كتاب مزاهر الأخبار وطرائف الآثار .
- كتاب حدائق الأذهان في أخبار الرسول .

ويمكن أن يلحق بالتاريخ بعض كتب المسعودي المتعلقة بالسياسة والادارة والحرب مثل :

- نظم الجواهر في تدبير الممالك والعساكر .
- كتاب السياسة المدنية .

أما المجموعة الثانية والثالثة من كتبه فتتعلق بالناحية الفكرية الدينية مثل :

- كتاب المقالات في أصول الديانات .
- كتاب نظم الاعلام في أصول الاحكام .
- كتاب نظم الأدلة في أصول الملة .
- كتاب الامانة في أصول الديانة .

أو يتعلق بمتفرقات من تجاربه وحصالة الطرائف في حياته مثل :

- كتاب الرؤوس السبعة .
- كتاب الرؤيا والكمال .
- كتاب طيب النفوس .
- كتاب القضايا والتجارب .
- كتاب وصل المجالس .

ويمكن أن نتصور مدى خسارة التراث العربي بضياع هذه المؤلفات ان قرأنا فقط بضع صفحات من كتبه الباقية . ان المسعودي يمثل في الواقع خلاصة الفكر العربي الإسلامي في أواسط القرن الرابع . وثقافته الموسوعية ، مع عقله الملحاح في الاطلاع ، يمثلان أوج ما بلغه العالم العربي – المسلم في تلك الفترة من سعة المعرفة .

وإذا كان الطبري قد مثل في مطلع القرن الرابع أوج الفكر التاريخي الإسلامي حتى عهده سواء في جمع المعلومات أو في المنهج ، فان المسعودي قد استطاع أن يمثل توسع ذلك الفكر وامتداده على مختلف الآفاق .

ولو أخذنا كتابه (مروج الذهب) نموذجاً لتآليفه التاريخية وهو مؤلف يمكن أن يمثل المسعودي المؤرخ تمام التمثيل لوجدنا أنه في هذا الكتاب : وضع تاريخاً عالمياً في ١٣٢ بابا تدخل في أربع مجلدات أولها : في ذكر المبدأ والخليقة وآدم وابراهيم وآخرها في ذكر من حج بالناس من أول الإسلام إلى سنة ٣٣٥ . وبين هذا وذاك ذكر المسعودي :

تاريخ بني إسرائيل والفترة ما بين السيد المسيح ومحمد ﷺ وجمل من أخبار الهند وملوكها وعباداتها . ثم الأرض والبحار والأقاليم ثم أخبار الصين وأمم اللات والخزر والترك والبلغر والسريان والنبط والفرس واليونان والروم ومصر والسودان والصقالبة والفرنجة والنوكبرد . وذكر عاد وثمود ومكة واليمن وملوكها والحيرة وغسان وبوادي العرب ودياناتها . وأساطيرها وعاداتها . ثم تقاويم الأمم في التأريخ وسنيها وشهورها والبيوت المعظمة لدى الأمم المختلفة . حتى يصل بعد ذلك كله ،وقد مضى نصف الكتاب أو يزيد ، إلى السيرة النبوية ثم الخلفاء الراشدين فالأمويين فالخلفاء العباسيين حتى خلافة المطيع لله .

ويسرد المسعودي في مقدمة كتابه أكثر من مائة مصدر من مصادره التاريخية تمثل أبرز ما أنتجه الفكر التاريخي الإسلامي حتى عهده . ولعل أهم مصادر المسعودي في تاريخه وأخباره تجربته الشخصية في الأسفار من جهة والمطالعة والجدل من جهة أخرى . فما شاهد وجادل وسمع هو أهم ما في كتابه ، وتلك ميزة صاحب (مروج الذهب) الأساسية التي اختلف فيها الاختلاف الأكبر عن سابقه الكبير الطبري . ومع أن الطبري قطع الطريق فترة طويلة على المؤرخين الآخرين فلم يعد الدارسون يهتمون منذ كتب تاريخه

بغيره ، الا أن المسعودي الذي كان فتى صغيراً حين كان الطبري في أوج شهرته ، استطاع مع ذلك أن يبرز وأن يحتل لنفسه مكانة خاصة بما تميز به منهجه التاريخي من ميزات جعلت كتبه أشبه بكتب الأدب التي تأخذ من كل شيء بطرف منها بكتب التاريخ الملتزمة بأخبار الماضي وحده . وأهم ما تميزت به طريقة المسعودي التاريخية :

— الموسوعية فهي تتسع لأمور الفلك اتساعها للأبحاث الجغرافية وتأتي فيها أخبار الكتب وأجناس البشر بجانب أخبار الرجال وحديث التقاليد والأقاصيص والطب وهو يتحدث في السياسة وعللها وأمور الحرب حديثه في أمور الفكر والجدل المذهبي والديني ، دون أن ينسى دوماً ذكر الأحداث والملوك والأعمار والناس . كل الآفاق تجتمع في عمله التاريخي معا وفي نسق يأخذ بعضه — أو لا يأخذ — برقاب بعض .

— بالاستجابة لتداعي الأفكار والاستطراد ، فهو فكر حي ديناميكي موّار بالحياة ينتقل من تجربة شخصية إلى قراءة في كتاب ويذكر جدلاً دينياً قام به بجانب خبر عن الملوك الأقدمين ويذكر مصادره في الوقت الذي يمارن بين النجوم . ويجب أن ننتظر مفاجأة بخبر أو نادرة أو مصدر أوجدل في أي صفحة أوجملة ، وحيث لا يتوقع أن تجد ذلك الخبر أو النادرة أو الجدل ...

— الاستسلام للطرائف والغرائب والخوارق ، يذكرها بجانب الكثير من المعلومات الدقيقة كأنها استراحة لفكره وللقارىء . وقد يناقشها أحياناً فيرفض أو يقبل لكنه في الغالب يدعها لتزيين الكتابة وللتشويق والامتاع حتى أخذ عليه ابن خلدون ذلك .

— عدم التنقيح والتنظيم وذلك ناجم دون شك عن السرعة الهائلة التي كان يسجل بها معارفه مما جعل انشاءه متخلخلاً أحياناً ، وأدخل عليه بعض التناقضات تبعا لنوع المصادر . وحرصه الشديد على أن يضع بين يدي

القارىء جميع ما يعرف جعل ذاكرته الخصبة تلقى اليه بالموضوعات المتعددة المتباينة دفعة واحدة ودون تنخل أو اختيار وان كانت لا تخفى محاولته وضع التبويب والتقسيم المناسبين في تآليفه .

واذا كان ابن خلدون أكثر المؤرخين تقديراً للمسعودي في القديم حتى لقبه « بامام الكتاب والباحثين » فان العلماء الغربيين قد أفردوا له منذ زمن طويل مكانة خاصة من التقدير.واهتمام المستشرقين بالمسعودي واعجابهم بما أتى به جعلهم يقارنون بينه وبين بعض المؤرخين الآخرين المشهورين ، فقد لقبه المستشرق فون كريمر بلقب هيرودوت العرب . ووجه الشبه بين الاثنين انما كان في حب المعرفة التاريخية وفي الدأب المتصل والرحلة لجمعها وتدوينها ، وفي الاستعداد الكلي لتسجيل الخوارق والعجائب دون تحفظ أحياناً ودون تحيز وفي الاهتمام بالمعطيات الجغرافية وتنوع الشعوب والأفكار . على أن هيرودوت ان كان أكثر فناً ومنهجية في كتابته التاريخية ، فان المسعودي كان أوسع أفقاً وأبعد في الرحلة والاطلاع ، وقد تصدى لوضع تاريخ عام شامل ثقافي واقتصادي وجغرافي وديني بقدر ما هو سياسي للانسانية كلها التي عرف . وقد وضع المفكر الفرنسي رينان دراسة مسهبة قارن فيها ما بين المسعودي ، الرحالة الجغرافي المؤرخ وبين بوزانياس الرحالة الجغرافي المؤرخ اليوناني (في القرن الثاني الميلادي) . ومع أن رينان كان يتعصب للاغريق الا انه لم يستطع أن ينكر أن المسعودي كان أشمل موسوعية وأكثر فضولاً علمياً واطلاعاً . وبينما يتحمس بوزانياس للأساطير الاغريقية ويزعم نفسه شاهد عيان للخوارق التي يرويها ، ولا تتجاوز رحلته على أي حال حدود بلاده اليونان ، نرى المسعودي انما يقع فقط ضحية فضوله الساذج أحياناً لا فريسة خياله . كما أنه مخلص كل الاخلاص فيما يروي بشكل عفوي بالاضافة إلى أنه انما كان يعتمد على مشاهداته في المشرق المتمدن كله ما بين الهند ومصر وأقصى خراسان وأرمينية لا على منطقة محدودة من الدنيا .

وقد عرف الغربيون المسعودي منذ القرن الثامن عشر ، من خلال الكثير من القطوف والنقول عن (مروج الذهب) الذي ترجمت أيضاً أقسام كثيرة منه لمختلف اللغات قبل أن يترجم كله إلى الفرنسية بقلم باربييه دي ميتار (باريس سنة ١٨٦١ – سنة ١٨٧١ ، مع النص العربي في تسعة أجزاء) وبقلم المستشرق شبرنجر إلى الانجليزية (لندن سنة ١٨٥١ – الجزء الأول وفيه الـ ١٧ فصلاً الأولى) . كما أن كتاب التنبيه والاشراف نشر مترجماً إلى الفرنسية بقلم كارا دي فو (باريس سنة ١٨٩٧) .

– **العياشي** : أبو النضر محمد بن مسعود بن عياش . من أهل سمرقند. قيل انه من بني تميم ولعله من مطالع القرن الرابع في الأرجح ، ويذكر ابن النديم [1] أنه من فقهاء الشيعة الامامية وأنه أوحد زمانه وأن لكتبه في نواحي خراسان شأناً كبيراً ، وتبلغ هذه الكتب ٢٠٨ مؤلفات منها في اطار التاريخ : كتاب الملاهي وكتاب الجزية والخراج وكتاب الأنبياء والأئمة وكتاب السبق والرمي . كتاب امامة علي بن الحسين . كتاب التجارة . كتاب القضايا وآداب الحكام . كتاب دلائل الأئمة . كتاب الملاحم . كتاب النوادر . ويضيف ابن النديم قوله : ومما صنفه من رواية العامة : كتاب سيرة أبي بكر وسيرة عمر . وسيرة عثمان . وسيرة معاوية وكتاب معيار الأخبار . وهذا يعني أن ثمة روايات تاريخية عامة كانت تروي بين الناس سير الخلفاء الراشدين بشكل غير تاريخي ومن وجهة النظر الشيعية .

– **أبو الفرج الأصبهاني** : علي بن الحسين بن محمد حفيد مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية (٢٨٤ – بعد سنة ٨٩٧/٣٦٢ – ٩٧٣) [2] عاش

(١) ابن النديم – الفهرست ص ١٩٤ – ١٩٦ .

(٢) تجمع المصادر على أن الاصبهاني توفي سنة ٣٥٦ عدا ابن النديم الذي يجعل الوفاة بعد سنة ٣٦٠ ويظهر أنه على حق فان بعض النصوص في كتاب أدب الغرباء للأصبهاني مؤرخة بتاريخ سنة ٣٦٢ مما يجعل الوفاة بعد هذا التاريخ ، إلا إن كانت هذه النصوص مدسوسة على الكتاب .

أهله في أصبهان، وفيها ولد ولكنه نشأ في بغداد، ومع أنه أموي الا انه كان شيعياً ، وقد انقطع إلى الوزير المهلبي كما لقي سيف الدولة ، وبالرغم من أنه يعتبر من كبار الأدباء الرواة للأدب والشعر وسير الشعراء والأغاني إلا أنه كان في الوقت نفسه من كبار العلماء بالسير والمغازي والأخبار والأحاديث والأنساب عدا اطلاعه على البيطرة والطب وعلم الجوارح والنجوم والأشربة ... هو موسوعي آخر معاصر للمسعودي ولكنه أفرغ ثقافته الموسوعية على شكل مختلف اذ صرف همه للتأليف في المواضيع الطريفة وفي هذا المجال كتب : كتاب القيان . كتاب الاماء الشواعر . كتاب الديارات . كتاب الحانات . كتاب أيام العرب (٧٠٠ يوم) كتاب آداب الغرباء. كتاب التعديل والانتصاف في مآثر العرب ومثالبها. كتاب الغلمان المغنين . كما كتب الكثير من كتب النسب مثل جمهرة النسب ، جمهرة بني شيبان . نسب المهالبة . نسب بني تغلب . نسب بني كلاب . وصنف كتباً في النسب وغيره أرسلها سراً إلى الأمويين في الأندلس وجاءه منهم عليها الانعام . على أن أعظم الكتب التي اشتهر بها أبو الفرج إلى اليوم انما هو : كتاب الأغاني . ويذكرون أنه اشتغل في جمعه وتأليفه خمسين سنة ويقع في ٢١ مجلدا . روى فيها ، من خلاله مائة صوت قيل أن الرشيد طلب إلى إبراهيم الموصلي اختيارها ، أخبار الأدب العربي وأيام العرب وأنسابهم والحياة الاجتماعية الإسلامية والشعراء والأمراء والخلفاء والجواري في استقصاء ونقد ودقة وأسانيد . وفيه من الأخبار ما يتفرد به كما أنه أخذ الكثير عن كتب ضاعت ، ونقد الكثير مما رواه الآخرون كابن خرداذبة وابن الكلبي .

والكتاب منجم من مناجم المعلومات للحضارة العربية الإسلامية والفكر الأدبي ولهذا فقد حظي بأكبر العناية من العلماء في القديم ومن الباحثين المحدثين . وقد طبع منذ أكثر من مائة سنة في مصر في عشرين مجلدا (سنة ١٨٦٥) لحقها من بعدها المجلد الأخير ، ثم طبع في اوروبا

سنة ١٨٨٨ ثم أعيد طبعه في مصر وغيرها مرات ... كما لخصه في القديم جمال الدين الحموي (المتوفى سنة ٦٩٧) ومنه نسخة خطية في المتحف البريطاني ولخصه في هذا القرن بعض الآباء اليسوعيين .

وقد بقي من كتب أبي الفرج ، عدا الأغاني ، ثلاثة كتب تاريخية بدورها :

- مقاتل الطالبيين : وقد طبع منذ سنة ١٣٠٧ في الهند ثم طبع في مصر سنة ١٩٤٩/١٣٦٨ وفيه أخبار من قُتل من آل أبي طالب .
- كتاب أدب الغرباء : وقد نشر لأول مرة سنة ١٩٧٢ عن نسخة فريدة بتحقيق صلاح الدين المنجد .
- كتاب الديارات ومنه نسخة مخطوطة في مكتبة برلين ويشك بعضهم في نسبتها إلى الأصبهاني ويظنون أنها كتاب الشابشتي نفسه .

على أن لأبي الفرج كتباً أخرى تاريخية الطابع منها : كتاب التعديل والانصاف في معايب العرب ومثالبها نقل عنه البغدادي في تاريخ بغداد (١١ ص ٣٩٨ — ٤٠٠) وكتاب أخبار القيان ، وأخبار المغنين والمماليك ونسب بني شيبان ونسب المهالبة وكتاب الاماء الشواعر وقد أورد ذكرها السخاوي في الاعلان بالتوبيخ .

- **المرزباني** : أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى ، (ولد سنة ٢٩٧ — توفي سنة ٣٧٨) وأصله من خراسان وكان من كبار الاخباريين المصنفين ، واسع المعرفة بالروايات كثير السماع صادق اللهجة ، كتب من الكتب الكثير كثرة مدهشة . ويكن له ابن النديم احتراماً خاصاً يظهر فيما كتبه عنه في الفهرست ولكن كتبه ضاعت جميعاً ومنها :

- كتاب في المسنين ، عدد أوراقه عشرة آلاف ورقة فيه أخبار الشعراء المشهورين والمكثرين من المحدثين ومختار أشعارهم وأنسابهم وأزمانهم في القرنين الثاني والثالث .

- كتاب المفيد في خمسة آلاف ورقة وفيه كل أخبار الشعراء وأحوالهم وصفاتهم الجسمية ودياناتهم وألوان شعرهم وأنسابهم وكناهم ... الخ .
- كتاب الموفق في خمسة آلاف ورقة أخرى في أخبار الشعراء وشعرهم حتى مطلع العصر العباسي .

وهذه الكتب الثلاثة تشكل تاريخاً كاملاً للأدب العربي منذ العصر الجاهلي حتى القرن الرابع ، وقد أضاف المرزباني اليها عدداً من الكتب الأدبية الأخرى الكثيرة ، كما أضاف بعض المؤلفات ذات الطابع التاريخي ومنها :

- كتاب الهدايا (نحو ٣٠٠ ورقة) .
- كتاب الزهد وأخبار الزهاد .
- كتاب زمر الحجاب (نحو ٢٠٠ ورقة) .
- كتاب المستظرف في الحمقى والنوادر (نحو ٣٠٠ ورقة) .

وأضاف إلى هذا كله أيضاً وإلى أمثاله بعض المؤلفات التاريخية الهامة ومنها :

- كتاب أخبار ملوك كندة (نحو ٢٠٠ ورقة) .
- كتاب الواثق (وفيه أحوال الغناء وأخبار المغنين والمغنيات من الأحرار والعبيد) .
- كتاب المغازي (نحو ٣٠٠ ورقة) .
- كتاب المعجم ، ذكر فيه الشعراء على حروف المعجم وفيه نحو ٥ آلاف اسم مع بعض شعرهم في ألف ورقة .
- كتاب الأوائل وفيه أخبار الفرس القدماء وأهل العدل والتوحيد وشيء من مجالسهم (نحو ألف ورقة) .

- كتاب المرشد إلى أخبار المتكلمين (حوالى ١٠٠ ورقة) .
- كتاب المقتبس في أخبار النحويين البصريين والكوفيين والرواة ومن نزل منهم بغداد (حوالى ٨٠ ورقة) .
- أخبار أبي حنيفة النعمان (نحو ٥٠٠ ورقة) .
- كتاب أخبار أبي مسلم صاحب الدعوة (أكثر من مائة ورقة) .
- كتاب نسخ العهود إلى القضاة (نحو ٢٠٠ ورقة) .
- كتاب أخبار البرامكة من ابتداء أمرهم إلى انتهائه مشروحاً في نحو خمس مائة ورقة .

ولو جمعنا ما كتب هذا المؤلف الخصيب العلم لوجدنا أنه كتب ما ينيف على ٤٥ ألف ورقة أي ما يزيد على ٩٠ ألف صفحة من التأليف الأدبي خاصة والتاريخي . وهو من النماذج النادرة في التراث الإسلامي بكثرة التأليف وضخامته ولعله لهذا السبب لم يبق شيء من مؤلفاته

- **التنوخي** : أبو علي المحسن بن علي بن محمد (ولد سنة ٣٢٩/٩٤٠ بالبصرة وتوفي سنة ٣٨٤/٩٩٤ ببغداد) . تأدب في البصرة حيث كان أبوه قاضياً على يدي الصولي وأبي الفرج الأصبهاني . ثم دخل في حاشية الخلفاء فأرسله الخليفة الطائع لخطبة ابنة عضد الدولة البويهي له . وتولى القضاء منذ سنة ٣٤٩/٩٦٠ في عدد من البلدان قبل أن يستقر أخيراً في بغداد .

وكتابه الهامّ نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة كان في عشر مجلدات لم يسلم منها سوى ثلاثة هي : الأول والثاني والثالث . وقد التزم فيه أن يؤرخ ما أهمله التاريخ من القصص والحكايات التي لم يسجلها أحد . فكتبه في عشرين سنة (٣٦٠ - ٣٨٠) وجمع فيه أخبار أصناف الناس من أتفه السوقة إلى كبار الرجال الشيء الكثير وهو سجل اجتماعي ، اداري ، سياسي ، اقتصادي واسع مملوء بالمادة . طبع عبود الشالجي

أجزاءه الثلاثة مؤخراً (١٩٦٨ – ١٩٧١) ثم أضاف اليها مجلدات خمسة جمعها مما نقلت مختلف المصادر عن النشوار .

وللتنوخي كتابان آخران على هذه الشاكلة هما :

– المستجاد من فعلات الأجواد ، وفيه مجموعة من النوادر والتراجم ، أكثرها للخلفاء العباسيين ، وقد نشره محمد كرد علي (دمشق ١٩٥١) .

– كتاب الفرج بعد الشدة وهو بدوره مجموعة من الأخبار والنوادر استعار عنوانها من كتاب للمدائني بالعنوان نفسه ومن ابن أبي الدنيا . وقد نشر الكتاب منذ سنة ١٩٠٤ في القاهرة في مجلدين ، ثم طبع كرة أخرى سنة ١٩٣٨ ومنه مختصرات ومهذبات ومخطوطات عديدة كما ترجم مبكراً إلى الفارسية في القرن السادس (ترجمه الحسين بن أسعد بن الحسين الدهستاني المؤيدي وقدمه إلى عز الدين طاهر بن زنكي ٥٥١ – ٥٧١) وإلى التركية .

– ابو اسحق الصابىء : إبراهيم بن هلال بن زهرون بن حبون الحراني الصابىء (جد هلال الصابىء) ، (ولد بعد سنة ٣٢٠ وتوفي سنة ٣٨٤). كان كاتب الانشاء في بغداد للخليفة العباسي ولعز الدولة بختيار البويهي ثم تقلد ديوان الرسائل سنة ٣٤٩ وتحيز لعز الدولة ضد عضد الدولة زمناً طويلاً فلما دخل الأخير بغداد اعتقله وكان على عزم القائه تحت أرجل الفيلة لولا أن تشفع فيه الشافعون فأبقاه في السجن حتى سنة ٣٧١ ثم أطلقه وطلب إليه أن يصنف كتاباً في أخبار الدولة البويهية فكتب له التاريخ المعروف « بالتاجي » (نسبة إلى لقبه تاج) ويبدو أنه كتبه وهو كاره وقد داجى فيه ونافق استرضاء لعضد الدولة الذي لم تخف عنه مشاعر أبي اسحق فظل على اقصاله حتى مات . وكان أبو اسحق بجانب ترسله شاعراً بليغاً وعالماً بالهندسة وبالرغم من أن أبا اسحق بقي على دينه

الصابيء فانه كان يحفظ القرآن ويصوم رمضان مع المسلمين ويحتفظ بصداقات واسعة معهم ومن أبرز أصدقائه الشريف الرضي .

وكتاب التاجي انما أخذ اسمه من لقب عضد الدولة : تاج الملة . ولم يسلم هذا التاريخ من الضياع عدا قسم محدود منه يحمل عنوان :

— المنتزع من كتاب التاجي في أخبار الدولة الديلمية : وفيه أخبار أهل الجبل والديلم (وهم أرومة البويهيين) وبعض أحوالهم ومساكنهم ومفاخرهم ودخولهم في الإسلام وقيامهم بالدعوة مع العلويين وآل البيت . ولكن ذلك الرجل المجهول الذي انتزع هذا الجزء أضاف اليه بعض الأخبار عن أئمة الزيدية في طبرستان واليمن حتى القرن السادس تقريباً .

وهذا الكتاب موجود بشكل مخطوط من ٢٢ ورقة في آخر كتاب الجامع الكافي في فقه الزيدية برقم ١٤٥ في مكتبة صنعاء باليمن . وقد طبع في منشورات وزارة الاعلام — ببغداد سنة ١٩٧٧ بتحقيق محمد حسين الزبيدي .

ولأبي اسحق أثر تاريخي آخر لعله أكثر شأناً من كتاب التاجي هو :

منشآت الصابيء : وهي الرسائل والمنشورات الرسمية التي كتبها على لسان ولاة الأمر في عصره من الخلفاء وبني بويه بحكم وظيفته في ديوان الرسائل وفيها وصف الوقائع الحربية ودخائل السياسة والخلافات والمفاوضات وصور العهود والتقاليد الرسمية للولاة والعمال والقضاة ، كما أن فيها المنشورات التي كانت تنشر للأهلين والعمال والقرامطة وهي بجانب ما تحمل من القيمة الأدبية العالية ، ومن الأخبار الأصيلة المباشرة ، ومن تصوير النظام الاداري والسياسي تشكل بمجموعها سجلاً كبيراً من الوثائق الأولية البالغة الأهمية في دراسة العصر وأحواله

السياسية والادارية والاجتماعية دراسة مباشرة ، ونجد فيها وصف المعارك في الرسالة التي كتبها إلى ركن الدولة سنة ٣٦٤ يصف فيها فتح بغداد وانهزام الترك ، كما نجد خبر فتح بلاد القفص (بين فارس وكرمان) وقهر البلوص (بعض الأكراد) وأخبار حروب البويهيين مع الحمدانيين ، ونقرأ فيه صورة العهد الذي قلد فيه الخليفة الطائع أبا الحسن علي بن ركن الدولة أمور الصلاة والحرب ، كما نقرأ العهد إلى قاضي القضاة ، وإلى أمير الحج ، ونعرف خطاب الحكام للشعب من خلال المنشورات ، وعلاقاتهم بالعمال أو بالقرامطة على السواء . فهي « خزانة أدب وتاريخ وسياسة »[1] .

وتحتفظ دار الكتب في مصر بنسخة مخطوطة من هذه المنشآت تدخل في ٤٥٤ صفحة .

- وللصابىء أيضاً رسائل مجموعة في أبواب : منها المراسلات والشفاعات والمعاتبات وما أنفذ إلى العمال والمتصرفين والنواحي . وهي تشبه المنشآت في معظم مادتها وفي قيمتها التاريخية وان كانت تحوي بعض الرسائل الودية بجانب بعض المخابرات السياسية والتقاليد الرسمية والمنشورات . منها نسخة خطية في دار الكتب بالقاهرة وأخرى في ليدن وكانت تزيد في الأصل على ألف ورقة ، وثمة جزء منها في باريس كما طبع بعضها في بيروت منذ أواخر القرن الماضي .

كما كتب الصابىء كتاباً في « أخبار أهله وولد ابنه » ألفه لبعض ولده . وهو ضائع .

- ابن النديم : أبو الفرج محمد بن اسحق أبي يعقوب بن النديم الوراق البغدادي (ولد ببغداد ونجهل تاريخ وفاته التي قد تكون فيما بين ٣٨٥ — ٣٩٠) وكان أبوه وراقاً فاحترف حرفة أبيه الذي كان يرسله كثيراً في

---

(١) زيدان — تاريخ آداب اللغة العربية ج ٢ ص ٢٨٣ .

تجارته فورد الموصل مرات عديدة . وكان على التشيع . وأهم ما ساهم به في التاريخ الفكري العربي أنه ألف ومنذ أكثر من ألف سنة أجمع كتاب لمختلف المؤلفات التي عرفها الفكر العربي حتى عهده وهو كتاب الفهرست وقدم بذلك أكبر الخدمات لتأريخ هذا الفكر في مختلف نواحيه وألوان نشاطه ، لأنه حاول استيعاب كافة ما عرفه الوراقون في عهده من الكتب المؤلفة : في علوم الدين والعربية وفي علوم الفلسفة والعلوم القديمة والمذاهب وقسمها على مقالات وفنون . ولم ينس حتى تسجيل كتب الخرافات والسحر والأسمار .

وقد طبع الكتاب (مع نقص قطعة منه) من قبل المستشرق فلوجل في ليبزيغ سنة ١٨٧١ ـ ٢ ، ثم طبع كاملا في مصر سنة ١٩٣٠ وترجمت أقسام منه إلى اللغات الأجنبية .

٢ ـ المؤرخون الثانويون

على أن وراء هذه الجماعة من مؤرخي القرن الرابع جماعة واسعة من المؤرخين الثانويين لو قدر لبعضهم أن تسلم لنا مؤلفاته اذن عددناه في كبار المؤرخين وهم يكونون الطبقة الثانية من رجال التاريخ في هذا العصر .

ولعلنا قبل أن نوغل في الحديث عنهم نقدم بعض الملاحظات حول أصحاب المادة التاريخية في القرن الرابع فقد تميز هذا القرن ، فيما يتعلق بهم ، ببعض الملامح . ونذكر منها خمسة :

أولاً : لم يكن التدوين التاريخي فيه وقفاً على من يحملون صفة الأخبار والتاريخ . فقد دخله من الباب الأوسع كافة المثقفين وأصحاب العلوم الأخرى ، ومنذ القرن الثالث أيضاً . وبالمقابل فإن الكتب

التي تحوي المعارف التاريخية . في هذا العصر ، لم تكن بالضرورة تحمل عناوين تدل على الأخبار والتاريخ ولكنها قد تحمل عناوين كتب الأدب والنحو واللغة والحديث والجغرافيا وتمتلىء بالمعلومات التاريخية ولا ضرورة ها هنا لضرب الأمثلة فكل الأسماء القادمة أمثلة شتى .

ثانياً : ظهرت في القرن الرابع بعض الأسر ذات الولع التاريخي المتصل بين الأب وابنه وحفيده أو أخيه . ومن ذلك :

أسرة الكتاب الوزراء المؤرخين آل الجراح ، فقد كان منهم :

- داود بن الجراح (جد أبي الحسن علي بن عيسى) وكان كاتباً لدى الخليفة المستعين (٢٤٨ — ٢٥٢) وقد كتب : كتاب التاريخ الجامع — كما قال المسعودي — لكثير من أخبـــار الفرس وغيرها من الأمم ، وكتاب أخبار الكتاب وكلاهما ضائع .

- أبو عبد الله محمد بن داود ، وزير ابن المعتز يوم خلافته ، وقد قتل سنة ٩٠٨/٢٩٦ وله من الكتب أيضاً كتابان تاريخيان : كتاب الورقة وهو تاريخ أدبي صغير ، خصص فيه لأخبار كل خليفة ورقة واحدة بخلاف كتاب الصولي الذي خصص لكل خليفة عدداً من الأوراق ، على ما يذكر الآمدي والصفدي . ويقال ان هذا المخطوط موجود في طهران ومنه نسخة لدى الشاعر أحمد الصافي النجفي ، أما كتاب محمد ابن داود الآخر فهو كتاب الوزراء وهو ضائع .

- علي بن عيسى بن داود « وكان بمنزلة من الرياسة يجل وصفها ومن الصناعة والفقه بما هو أشهر وأظهر »[1] وزر للمقتدر (٢٩٥ — ٣٢٠) ثلاث دفعات وتوفي يوم عبر معز الدولة البويهي إلى بغداد سنة ٣٣٤

---

(١) انظر في هؤلاء ابن النديم — الفهرست ص ١٢٨ — ١٢٩ .

وله مؤلف تاريخي بعنوان : كتاب الكتاب وسياسة المملكة وسيرة الخلفاء .

— وهناك أخوه عبد الرحمن بن عيسى ، وزر للمتقي (٣٢٩ — ٣٣٣) بمشورة أخيه وتحت رعايته . وقد كتب : كتاب سيرة أهل الخراج وأخبارهم وأنسابهم في القديم والحديث . وكتاب التاريخ من سنة ٢٧٠ إلى أيامه . وكتاب الخراج وكان كتاباً كبيراً ولكنه لم يتمه .

— وهناك ابنه أبو نصر ابراهيم بن علي بن عيسى الذي وضع كتاباً فيه أخبار وحكايات نقلها عنه بعض المؤلفين . وقد وقع الكتاب بيد ابن العديم ونقل عنه بعض الحديث عن الخليفة المعتضد [1] .

— أبو القاسم عبد الله بن علي بن محمد بن داود الجراح : ويعرف بابن أسماء (وهي أخت علي بن عيسى) وكان بدوره كاتباً مترسلاً وله : كتاب الاستفادة من التاريخ .

وهناك أسرة أخرى من الأطباء المؤرخين :

— أبو الحسن ثابت بن قرة الحراني (أو أبو سعيد سنان ابنه) طبيب الخلفاء [2] المتوفى سنة ٣٠٠ ، وقد توفي ابنه سنان الطبيب أيضا سنة ٣٣١ بعد أن أسلم .

كتب الأب أو الابن : سيرة المعتضد (٢٧٩ — ٢٨٩) في تاريخ يبدو أنه كان ضخماً واسعاً) [3] ، وكان بدأ هذه السيرة وكتب قسماً

(١) انظر ابن العديم — بغية الطلب المجلد ١ من مخطوط أحمد الثالث ٢٩٢٥ ورقة ١١٩ وجه .

(٢) يذكر ابن النديم أنه ولد سنة ٢٢١ وأنه مات وله سبع وسبعون سنة شمسية وهذا يعني أنه مات حوالي سنة ٣٠٠ هـ ، بخلاف ما يذكره هو نفسه عن وفاته سنة ٢٨٨ فان كان ثمة تصحيف في كلمة سبع وسبعين وكانت في الأصل سبع وستين فوفاته تكون بدورها أيضاً سنة ٢٩٠ .

(٣) لا يذكر ابن النديم هذا الكتاب لثابت بن قرة ولا غيره حتى ابن العديم ينسب الكتاب لسنان —

منها أحمد بن الطيب السرخسي طبيب المعتضد نفسه فاعتمد عليها ثابت بإذن الخليفة ، وتحت رعاية أبي الحسين محمد بن عبد الرحمن الروذباري الكاتب الذي قد يكون قدم لثابت بن قرة الوثائق الرسمية اللازمة من محفوظات الديوان وسجلاته .

ويبدو أن ثابتاً الأب ، بدأ كتابة السيرة بالاعتماد على مخطوط ابن الطيب السرخسي ثم لم تكمل على يديه فأتمها ابنه سنان بن ثابت من بعده ونسب الكتاب اليه . وقد عرف المسعودي هذا الكتاب كما نقل عنه ابن العديم [1] . ترك لنا المسعودي وصفاً واضحاً للكتاب مع نقد قاس لصاحبه يقول : « ... ورأيت سنان بن ثابت بن قرة الحراني حين انتحل ما ليس من صناعته ... قد ألف كتاباً جعله رسالة إلى بعض اخوانه من الكتّاب واستفتحه بجوامع من الكلام في أخلاق النفوس وأقسامها من الناطقة والغضبية والشهوانية. وذكر لمعاً من السياسات المدنية مما ذكر أفلاطون في السياسة المدنية وهو عشر مقالات ولمعاً مما يجب على الملوك والوزراء .

= ابن ثابت (انظر بغية الطلب – مخطوط اياصوفيا – مصور القاهرة تاريخ ١٥٦٦ ج ١ ص ١٣٧) لكن النص الذي يورده ابن العديم نفسه نقلا عن مطلع الجزء السادس من سيرة المعتضد يكشف بوضوح أن صاحب الكتاب هو الأب ثابت وليس الابن سنان . كما يكشف أن الكتاب في الأصل انما كتب قسم هام منه من قبل أحمد بن الطيب السرخسي الوزير الذي نكبه المعتضد ثم أخذ ثابت الكتاب باذن المعتضد نفسه من بين أوراق ابن الطيب فجعله أساساً للسيرة التي كتبها وأضاف إليه ما أكمله .

(١) يكرر ابن العديم الاشارة والنقل من كتاب سنان مرتين في المجلد الأول من مخطوط بغية الطلب في مكتبة أحمد الثالث باستامبول رقم ٢٩٢٥ (الورقة ١١٧ ظهر – ١١٨ وجه ، الورقة ١٧٦ ظهر) وهذا المجلد في الواقع هو المجلد الثاني من الكتاب ، ويذكر أن قسماً قد نقل من خط ابن الطيب. ويقول ابن العديم انه وقع على نسخة الكتاب وانه من تأليف سنان بن ثابت وهو في هذا يتفق مع المسعودي المعاصر لواضع الكتاب . وأمام هذا التأكيد وبالمقارنة مع النص الذي ينقله ابن العديم في المجلد الأول من البغية (مخطوط أياصوفيا السابق الذكر) يمكن ان نستنتج ان ثابت بن سنان هو الذي أخذ كتاب ابن الطيب من المعتضد وبدأ الزيادة فيه ثم لم يكمله وأتمه ابنه من بعده وأصدره باسمه .

ثم خرج إلى أخبار زعم أنها صحت عنـــده ولم يشاهدها ووصل ذلك بأخبار المعتضد بالله وذكر صحبته اياه وأيامه السالفة معه ثم ترقى إلى خليفة خليفة في التصنيف مضادة لرسم الأخبار وخروجاً عن جملة أهل التأليف . وهو وان أحسن فيه ولم يخرجه عن معانيه فإنه عيب لأنه خرج عن صناعته وتكلف ما ليس من مهنته . ولو أقبل على علمه الذي انفرد به من علم اقليدس ... والمجسطي ... وسقراط وأفلاطون وارسطوطاليس فأخبر عن الأشياء الفلكية ... والطبيعيات ... وغير ذلك من أنواع الفلسفة لكان قد سلم مما تكلفه وأتى بما هو أليق بصنعته ولكن العارف بقدره معوز والعالم بمواضع الحالة مفقود ... »[1] .

وهذا النقد القاسي من المسعودي يكشف في تاريخ سنان أمرين هامين :

الأول : أنه اتبع منهج العصر في مزج الفلسفة بالتاريخ مما نشهده لدى المسعودي نفسه والمطهر المقدسي وغيرهما .

الثاني : أنه ابتكر طريقة في التاريخ لم تنجح ولم تجد من يتابعها في ذكر الأحداث على الأساس التراجعي بدءاً من الحاضر وانطلاقاً إلى الأمس وما قبله .

وهنالك :

أبو الحسن ثابت بن سنان الطبيب المتوفى سنة ٣٦٥ فقد كتب بدروه كتاب التاريخ من سنة ٢٩٥ إلى حين وفاته كما يذكر ابن النديم[2] كما كتب فيما يبدو جزءاً في (وفيات الأعيان) نقل منه ابن العديم في أكثر من موضع من تاريخه بغية الطلب[3] . وكتب كذلك كتابــاً عن

(١) المسعودي مروج الذهب (طبعة بلا) ج ١ ص ١٦ - ١٧ .

(٢) ابن النديم - الفهرست ص ٣٠٢ .

(٣) انظر ابن العديم - بغية الطلب ، مجلد مكتبة فيض الله رقم ١٤٠٤ الورقة ٢٦٠ ظهر والمجلد الثاني من مكتبة احمد الثالث رقم ٢٩٢٥ ورقة ٨٩ وجه .

الحلاج وأخباره أخذ عنه ابن النديم [1] .

وثمة أيضاً أبوان وابنان آخران مشوا على الطريقة نفسها هم :

- أبو صالح عبد الله محمد بن يزداد بن سويد ، وهو كاتب بايغ في أواخر القرن الثالث .

- وابنه أبو أحمد محمد بن عبدالله [2] في مطالع القرن الرابع ،وقد كتب الأب كتاب التاريخ وجاء الابن فتمم الذي عمله أبوه إلى سنة ٣٠٠ .

- وابن أبي طاهر أحمد الذي مر معنا من قبل صاحب تاريخ بغداد . وقد جاء ابنه :

- أبو الحسن عبيد الله بن أحمد ، فزاد على كتاب أبيه (تاريخ بغداد) الذي انتهى به إلى أيام المهتدي (٢٥٥ - ٢٥٦) أخبار المعتمد والمعتضد والمكتفي والمقتدر (ما بين ٢٥٦ - ٣٢٠) لكنه لم يتمه [3] ويصل إلى عهد القاهر والراضي (٣٢٠ - ٣٢٢ - ٣٢٩) ... وقد نقل منه ابن العديم في بغية الطلب بعض أخبار المعتضد[4] ، كما نقل منه أيضاً المقريزي في الخطط [5] .

ثالثاً : وجاء في هذا القرن الرابع الذي يمكن أن يعتبر قرن الجغرافيا العربية عدد من كبار الجغرافيين كانت مؤلفاتهم ، حتى في عصرها، نوعاً من الجغرافيا التاريخية . إن الصفة الموسوعية التي

(١) انظر ابن النديم - الفهرست ص ١٩١ .
(٢) انظر ابن النديم - الفهرست ص ١٣٤ .
(٣) المصدر ذاته ص ١٤٢ .
(٤) انظر مثلا ابن العديم - بغية الطلب (مخطوط أحمد الثالث) رقم ٢٩٢٥ ج ١ ورقة ١٢١ ظهر .
(٥) انظر المقريزي - الخطط ج ٢ ص ٢٠ وهو يذكر نقله من كتاب أخبار أمير المؤمنين المعتضد بالله ... لابن أبي طاهر ولا شك أنه جزء مقتطع من الكتاب الأصلي .

اتصف بها « العلم » والعلماء في هذا القرن جعلت الحدود بين العلوم من الضعف بحيث يمكن بسهولة أن ينساح بعضها على بعض. وهكذا كان للتاريخ – ودون أن يقصد المؤلفون إليه – مكانه في كتب الجغرافيا التي عرفت في هذا العصر ، عصرها الذهبي ، وقرنها الكلاسيكي. كما بلغت قمة ما وصلته من أصالة في الإسلام.

وانسياح التاريخ في الجغرافيا يعود في الواقع إلى القرن الثالث وجغرافييه من أمثال : البلاذري واليعقوبي وابن رسته وابن الفقيه الهمذاني وابن خرداذبه. فقد كانوا مؤرخين وجغرافيين في وقت معاً ولم يستطيعوا التحرر عند التأليف والبحث الجغرافي من ضغط معلوماتهم التاريخية على الأقلام. فابن خرداذبه لم يضع معلوماته التاريخية في مؤلفه التاريخي الضائع ولكنا نجد الكثير منها في كتابه المعروف (المسالك والممالك) الذي استخرج منه المستشرق كريمر ميزانية الدولة الإسلامية لأواسط القرن الثالث والذي نجد فيه وصف طرق التجارة بين الصين وبلاد الإسلام والغرب في روسيا وأوروبا والبحر المتوسط، وكذلك فعل اليعقوبي الذي وضع مع تاريخه « كتاب البلدان » بعد أن عُني بعلم أخبار البلدان – حسب قوله – منذ عنفوان شبابه ، ويحفل كتابه بجانب أمور الخراج بالملاحظات الاتنوغرافية والاشارة إلى الصناعة والفنون وطبغرافية المدن. وإذا تركنا جانباً كتاب البلاذري الذي هو كتاب تاريخ رغم معلوماته الجغرافية نجد أن كتاب البلدان لابن الفقيه الهمذاني يشبه كتاب اليعقوبي في الهدف وإن غلب عليه الأدب والتاريخ في النهج والرواية. ومع أنه لم يصلنا من الكتاب الذي كان في خمس مجلدات إلا مختصره فهو يكفي لبيان صفته الأدبية التاريخية رغم عنوانه الجغرافي ، ولبيان أنه أقرب إلى تاريخ الحضارة منه إلى ميدان الجغرافية.

وكتاب ابن رسته الذي وضع في مطالع القرن الرابع ليس أقل قيمة في التاريخ منه في الجغرافية. ونستطيع أن نضرب صفحاً عما يروى من

العجائب ولكنا نجد لديه أموراً تاريخية هامة تتعلق بإيران وجنوب الجزيرة العربية وبالامبراطورية البيزنطية والقسطنطينية وبنواحي طبرستان وبطرق التجارة وبعض قصص الرحلات . وهكذا جاء جغرافيو القرن الرابع ولم يكن الباب مفتوحاً أمامهم وحدهم لمثل هذا الضرب من التلوين التاريخي بل كان مفتوحاً بدوره أمام المؤرخين ، وبخاصة المؤرخين البلدانيين والاقليميين كي يقدموا لتواريخ المدن والأقاليم بمقدمات طبغرافية وجغرافية أو لكي ينثروا في مؤلفاتهم المعلومات الجغرافية . ويكفي أن نذكر في هذا الصدد المسعودي خاصة، والنرشخي صاحب أخبار بخارى وابن أبي طاهر صاحب تاريخ بغداد والأزرقي صاحب تاريخ مكة والسلامي صاحب أخبار ولاة خراسان ...

وقد استنجد الجغرافيون بكتب الرحلات التي جاءتهم بدورها بمعلومات تاريخية عن المناطق القصية لم يستطيعوا إبعادها عن مؤلفاتهم لطرافتها وجهل الناس عامة بها من مثل رحلات ابن فضلان إلى البلغار وأبي دلف الينبعي الخزرجي إلى الصين وإبراهيم بن يعقوب اليهودي الطرطوشي إلى أوروبا الغربية وقد زاد هذا كله في تحويل كتب الجغرافيا نحو الجغرافيا التاريخية. ومع أن مطلع القرن الرابع قد عرف أبا زيد أحمد بن سهل البلخي (ولد سنة ٨٥٠/٢٣٥ وتوفي بعد سنة ٩٣١/٣١٩)الذي كرر ما فعله اليعقوبي من وضع كتاب في التاريخ هو البدء والتاريخ وكتاب في الجغرافية هو صور الأقاليم إلا أن الجغرافيين التالين لم يفعلوا فعله وأضافوا معلوماتهم التاريخية المحدودة إلى كتبهم الجغرافية وهكذا نجد من كبار الجغرافيين الذين خدموا التاريخ :

- أبا اسحق الفارسي الإصطخري الذي كتب سنة ٣١٨ – ٩٣٠/٣٢١–٩٣٣ كتابه المسالك والممالك ثم أعاد تنقيحه سنة ٩٥٠/٣٤٠ فوصف أقاليم العالم الإسلامي العشرين وأورد عن كل إقليم ما استطاع من المعلومات عن الحدود والمدن والمسافات والمواصلات والحاصلات والتجارة وأجناس

البشر مما أعطى الكتاب أوسع الانتشار كما ترجم متأخراً إلى الفارسية بل وإلى التركية .

- ابن حوقل أبو القاسم النّصيبيني التاجر الرحالة والداعية السياسي الذي جاب ما بين الهند والأندلس وايطاليا وصحح كتاب الاصطخري بطلب من مؤلفه قبل أن يكتب كتابه : المسالك والممالك المعروف أيضاً بكتاب صورة الأرض كسودة أولى سنة ٩٦٧/٣٥٦ ثم كسودة ثانية سنة ٣٦٧/ ٩٧٧ . والكتاب يفصّل – كما قال – بلاد الاسلام صقعاً صقعاً وكورة كورة ويحفل بعثات الإشارات والأخبار والمعلومات التاريخية التي لا نكاد نجدها لدى المؤرخين. ونجد لديه بعض الأخبار الهامة عن الحمدانيين وصورة من أدق الصور للأندلس في آلعصر الأموي تماماً كما نجد لديه بعض الأخبار المجهولة عن الصقالبة والخزر وعن تجارة الرقيق والمحاصيل المصدرة من مصر إلى المغرب وجمال مدينة الزهراء وقرامطة البحرين ! ..

- المقدسي البشاري : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء الشامي (ولد ٩٤٦/٣٣٥ وتوفي أواخر القرن الرابع حوالى سنة ٣٩٠/ ١٠٠٠ م) . ويعتبر أكبر الجغرافيين الكلاسيكيين العرب على الاطلاق . وآخرهم ، وأكثرهم أصالة . وضع وهو في سن الأربعين ، وبعد العديد من الرحلات والنقلة كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم وقدمه لآل سامان ثم عاد على الكتاب بالتنقيح بعد ثلاث سنوات سنة ٩٨٩/٣٧٨ وقدمه للفاطميين في مصر . وهو يقول في مقدمته إنه لم يغادر خزانة كتب إلا ولزمها ولا تصانيف فرقة أو مذهب إلا واطلع عليها وأنه لقب في الرحلات بستة وثلاثين اسماً لاختلاف البلدان التي حلها وتنوع الحياة التي عاشها . وخرج المؤلف من هذا كله بحصيلة يمكن أن تعتبر الصورة الحضارية للعالم الإسلامي كله في عصره فكل قطر قد وصف لديه أولاً في أقسامه ومدنه ومواضعه العامرة ثم وصف ثانياً في مناخه وزرعه وطوائفه ولغته وتجارته وأوزانه ونقوده وخراجه وعاداته ومياهه ومعادنه وأماكنه

المقدسة وأخلاق سكانه وألوانهم السياسية ثم وصف ثالث بمسافاته وطرق مواصلاته وأبعاده ... مقدماً خلال ذلك كله معلومات تاريخية بالغة الأهمية حول أجناس السكان وميولهم السياسية والدينية وعاداتهم وتجاراتهم ومعتقدهم ولهجاتهم اللغوية أيضاً وكل ذلك في إطار ذكي من الفهم والأصالة والطرافة وقوة الملاحظة التي تجعل الكتاب كله وثيقة تاريخية من وثائق العصر .

وقد أتى مع هؤلاء الجغرافيين جمع آخر نهجوا بدورهم نهجهم مثل :

- أبي عبدالله محمد بن أحمد الجيهاني وزير السامانيين الذي ألف كتاباً في صفة العالم وأخباره والمدن والأمصار والأمم ومساكنهم وغير ذلك – حسب رواية المسعودي – من الأخبار العجيبة والقصص الطريفة ويقال إن ابن الفقيه الهمداني قد « سلخ » هذا الكتاب بما فيه !

- المؤلف المجهول الفارسي صاحب كتاب حدود العالم الذي تم تأليفه حوالى سنة ٣٧٢ وكشفه المستشرق تومانسكي سنة ١٨٩٢ ثم نشره بارتولد بالروسية سنة ١٩٣٠ وترجمه مينورسكي إلى الانكليزية سنة ١٩٣٧ .

- ويمكن أن نضيف أخيراً البيروني أبا الريحان (المتوفى سنة ١٠٤٨/٤٤٠) والذي كان سنة ١٠٠٠/٣٩٠ قد أتم كتابه الآثار الباقية عن القرون الخالية الذي جمع فيه بدوره بين الجغرافيا والفلك والتاريخ ...

رابعاً : وظهرت في هذا القرن الرابع أيضاً ظاهرة التأليف المشترك أي اشتراك أكثر من مؤلف في كتاب .

وثمة أربعة مؤرخين قاموا بتجربة فريدة في التأليف في هذا القرن لم تتكرر – فيما نعلم – في التاريخ الإسلامي كله كما لم تتكرر في أي علم آخر هي أن كل اثنين منهما اشتركا معاً في تأليف كتاب واحد في التاريخ ، فالاثنان الأولان هما :

– أبو محمد عبد الله بن الحسين الكاتب القطربلي (ولعله حفيد القطربلي الآخر الذي مر معنا من قبل) .

– وأبو بكر محمد بن أحمد بن مزيد الخزاعي البوشنجي المعروف بابن أبي الأزهر النحوي الاخباري المتوفى عن سن عالية[1] وكان عمره سنة ٣١٣ ثلاثين سنة كما كان من غلاة الشيعة .

وقد اجتمع الرجلان على تأليف تاريخ واحد على السنين ذكره ابن العديم ونقل عنه مرات عديدة في كتابه بغية الطلب في تاريخ حلب[2] .

ولابن أبي الأزهر هذا مشاركة واضحة في التاريخ : اذ أنه كتب أيضاً أخبار يزيد بن معاوية[3] ، كما كتب كتاب : الهرج والأحداث أو أخبار الهرج والمرج في أخبار المستعين والمعتز (٢٤٨ – ٢٥٥) . وكتاب عقلاء المجانين (ومنه نسخة مخطوطة في الاسكوريال – ج ٢ ص ٤٨٢) .

وأما الآخران فهما الأخوان الخالديان :

– أبو بكر محمد بن هشام بن وعلة الخالدي المتوفى سنة ٩٨١/٣٧١ (أو سنة ٩٩٠/٣٨٠) .

– وأبو عثمان سعيد بن هشام بن وعلة الخالدي المتوفى سنة ٩٩٩/٣٩٠ (أو سنة ٩٦١/٣٥٠) .

---

(١) ذكر صاحب هدية العارفين (ج ٢ ص ٣٤) كما ذكر بروكلمان (ج ٣ ص ١٣٨ من الترجمة العربية) أنه توفي سنة ٣٢٥ ولعلهما على خطأ في ذلك وقد فضلنا رواية ابن النديم المعاصر للمؤلف (انظر الفهرست ص ١٤٨) لا سيما ونحن نجد لدى كشف الظنون اسم أبي منصور محمد بن أحمد بن مزيد ابن ابي الأزهر وأنه توفي سنة ٣٧٠(كشف الظنون ٣١/١).

(٢) انظر مثلا ابن العديم – بغية الطلب مخطوط أحمد الثالث ج ١ ورقة ١١٦ ظهر و ١٣١ ظهر ، ج ٢ ورقة ٢٢٥ وجه وظهر ، ورقة ٢٩٠ وجه .

(٣) انظر كشف الظنون ج ٣١/١ .

وتوطن الاثنان في حلب ودخلا في حاشية سيف الدولة بسبب من شهرتهما بالشعر والأدب .

وقد اشترك الاثنان معا في كتابة تاريخ بلدهما الموصل في كتاب أخبار الموصل وفي تأليف كتاب آخر في التحف والهدايا طبعه سامي الدهان وله قيمته في التاريخ الحضاري .

ولأبي عثمان منهما بدوره مشاركته الواسعة في التاريخ الأدبي ، فله كتاب أخبار أبي تمام وغيره ، كما أن له كتاب تراجم بعنوان فوات الوفيات [1] وكتاب الديارات الذي ذكره ياقوت في معجم الأدباء .

خامساً : وثمة عدا هؤلاء جميعاً مؤلفان اثنان ذيلا على الطبري في هذا القرن الرابع هما :

- الفرغاني : أبو محمد عبد الله بن أحمد بن جعفر بن خذيان التركي (ولد سنة ٢٨٢ وتوفي سنة ٣٦٢/٨٩٥ ـ ٩٧٣) وهو أمير قائد جندي بقدر ما هو مؤرخ محدث . نشأ في بغداد فيما يظهر حيث صحب الطبري ونزل مصر كما وحدث بدمشق عن الطبري وغيره وكتب [2] : التاريخ المذيل على الطبري وهو ضائع .

- عريب بن سعد القرطبي [3] المتوفى سنة ٣٦٨ والذي كتب صلة تاريخ الطبري . وقد نقل ابن عذاري عن هذه الصلة ما يختص بأخبار أفريقية والأندلس وأودعه كتاب المغرب في أخبار المغرب ، كما طبعت أخبار العراق منها ملحقة بتاريخ الطبري في الطبعة الأوروبية وتشمل ما بين سنتي ٢٩١ ـ ٣٢٠ هـ .

---

(١) انظر هدية العارفين ج ١ ص ٣٩٠ .
(٢) أنظر تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ج ٧ ص ٢٧٧ ، والثعالبي : يتيمة الدهر ١/٥٠٧ - ٥٣٠ ، وياقوت - معجم الأدباء ج ٢ ص ٢٢ .
(٣) ذكرنا عريباً بن سعد هنا للمناسبة وسوف نلم به أيضاً في ذكر التاريخ في الأندلس.

وإلى هؤلاء المؤرخين جميعاً هناك عدد آخر يمتدون في قائمة طويلة على امتداد القرن الرابع منهم :

— أحمد بن يعقوب الرازي المصري المقري ، المتوفى سنة ٣٠٠ وله كتاب أخبار العباسيين أو أخبار بني العباس [١] .

— الجمحي أبو خليفة الفضل بن الحباب بن محمد بن شعيب البصري من بني جُمح (المتوفى سنة ٣٠٥) ولي قضاء البصرة . وكان من رواة الأخبار والأنساب . وله من المؤلفات : كتاب الفرسان ، وكتاب في تاريخ الأدب هو طبقات الشعراء الجاهليين .

— وكيع القاضي : أبو بكر محمد بن خلف بن حيان بن صدقة الضبي (المتوفى سنة ٣٠٦) . كان بجانب عمله في القضاء (بالأهواز خاصة) متفنناً بجميع الآداب عالماً بالسير وأيام الناس وأخبارهم إلى تضلع في علوم القرآن والنحو والفقه . وقد كتب عدداً من المؤلفات يزيد على العشرة ، منها :

— كتاب الشريف وقد جرى فيه مجرى ابن قتيبة في كتاب المعارف ، كتاب الرمي والنضال ، كتاب النقد والسكة ، كتاب النواحي في أخبار البلدان ومسالك الطرق ، كتاب المكاييل والموازين . وقد ضاعت هذه الكتب جميعاً مع غيرها وبقي لنا من وكيع كتاب واحد لعله من أهم كتبه إن لم يكن أهمها وهو :

— كتاب غرر الأخبار في أخبار القضاة وتاريخهم وأحكامهم وقد طبع في مصر (تحقيق المراغي ـ القاهرة ١٩٤٧) بعنوان أخبار القضاة في ثلاثة أجزاء . ولعل هذا الكتاب من أقدم وأثمن الكتب في تاريخ القضاء

---

(١) انظر الصفدي ـ الوافي بالوفيات ج ١ ص ٥١ وانظر كشف الظنون ١/٢٦ ، وهدية العارفين ١/٥٦ .

الإسلامي لأنه استعرض تاريخ القضاة في مختلف الأمصار الإسلامية حتى عهده كما أورد الكثير من القضايا المختارة الاجتهادية . ولهذا فالكتاب سجلٌ لجانب من أهم الجوانب في تاريخ الإسلام .

- ابن المرزبان أبو عبد الله محمد بن خلف (المتوفى سنة ٣٠٩) كان من حفاظ الأخبار والأشعار والملح بجانب تبحره الواسع في علوم القرآن وكثرة التأليف وله مما يدخل في جو التاريخ :

- كتاب المقيمين المعصومين ، كتاب أخبار عبد الله بن جعفر بن أبي طالب . كتاب الجلساء والندماء . كتاب الهدايا . كتاب السودان وفضلهم على البيضان . كتاب النساء والغزل [1] .

- ابن الحرون محمد بن أحمد بن الحسين بن الاصبغ بغدادي من أولاد الكتاب توفي غالباً في مطالع القرن الرابع وله من المؤلفات : كتاب الكتّاب. كتاب مجالسة الرؤساء . كتاب الحقائق وهو كتاب كبير عدا كتاب الشعر والشعراء [2] .

- الجوهري أبو بكر أحمد بن عبد العزيز وكان حياً في أوائل القرن الرابع وقد روى عنه عمر بن شبة وغيره كما روى عنه أبو الفرج الأصبهاني. ويبدو أنه كان مؤلفاً لأكثر من كتاب من النوع الإخباري إلا إنا لا نعرف له سوى كتاب السقيفة الذي نجد قطعاً كثيرة منه ، وفي صفحات طويلة أحياناً في كتاب شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد [3] .

---

(١) المصدر نفسه ص ١٤٩ — ١٥٠ .
(٢) المصدر نفسه ص ١٤٨ .
(٣) انظر الخوانساري : روضات الجنات ص ١١١ وآغا بزرك – الذريعة ج ١٣ ص ٢٠٦ . وانظر ابن ابي الحديد – شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ٤٤ – ٥٩ وج ٦ ص ٥ – ١٢ ، ١٣ – ١٧ ، ٣٨ – ٥٢ ، ١٣٧ وج ٩ ص ٣ – ١٠ ، ص ٢١ – ٢٢ ... الخ .

- **الرازي أبو بكر محمد بن زكريا** الفيلسوف الطبيب المعروف ، المتوفى سنة ٣١١ وقد قدم بغداد من الري وعمل في البيمارستان العضدي وله أكثر من خمسين مؤلفاً في الطب والفلسفة ، ومن مؤلفاته ما هو في التاريخ أيضاً ومن ذلك :
- كتاب سير الخلفاء الذي ذكره المسعودي وكان من مصادره [1] .

وكتاب الامام والمأموم ، ورسائل الملوك ، وعلامات اقبال الدولة .

- **السراج أبو العباس محمد بن اسحق بن إبراهيم بن مهران** (ولد سنة ٨٣١/٢١٦ وتوفي سنة ٩٢٥/٣١٣) ، سمع الحديث من عدد من أساتذة البخاري ومسلم في خراسان وبغداد والكوفة والبصرة والحجاز . ألف (كتاب الأخبار) « ذكر فيه — كما يقول ابن النديم — أخبار المحدثين والوزراء والولاة وغير ذلك من سائر البلدان رجلاً رجلاً » ويقال إن البخاري نسخ قسماً من كتابه هذا في التاريخ ثم أخذه عنه سماعاً بعد ذلك وأدخله في كتابه [2] ونجد من هذا التاريخ اقتباسات لدى ابن حجر في كتاب الاصابة [3] .
- **اليزيدي أبو عبد الله محمد بن العباس بن يزيد** المتوفى سنة ٣١٣ الذي كتب (أخبار يزيد بن معاوية) . وقد كانت كتابة بعض الكتب التاريخية عن الأمويين عامة وعن يزيد بخاصة نوعاً من المقاومة للعباسيين وللأفكار الشيعية . وفي المكتبة الظاهرية بدمشق اليوم قطعة من مخطوط باسم تاريخ الخلفاء (ضمن مجموع رقم ٤٠ الأوراق من ٢١٨ حتى ٢٢٤) قد تكون بعضاً من أخبار يزيد أو جزءاً من كتاب آخر لهذا المؤلف نفسه .

---

(١) انظر المسعودي — مروج الذهب (طبعة بلا) ١٥/١ .

(٢) انظر ابن النديم — الفهرس ص ١٥٥ وانظر المنتظم لابن الجوزي ج ٦ ص ١٩٩ — ٢٠٠ ، وتاريخ بغداد ج ١ ص ٢٤٨ — ٢٥٢ ، والصفدي — الوافي ١٨٧/٢ — ١٨٨ .

(٣) انظر ابن حجر — الاصابة : مثلا ج ١ / ص ١٧٠ ، ٢٨٩ ، ٢٩١ ، ٧٤٢ ، ٩٢٣ ، ج ٢ ص ٦٣٦ ، ٨٤٣ ، ١٠٠٠ ، ١٢٥٩ . ج ٣ ص ٦٥ ، ٦٨٠ ، ٧٣٠ ... الخ .

- ابن عماد الثقفي ، أبو العباس محمد بن عبيد الله بن محمد الكاتب . المتوفى سنة ٣١٩ . وقد كان صاحب علي بن عيسى بن الجراح الوزير وروى عنه . كتب عدداً من الكتب التاريخية منها [١] :

- كتاب المبيضة في أخبار مقاتل آل أبي طالب (ويشبه كتاب مقاتل الطالبيين للأصبهاني) .

- كتاب الزيادات في أخبار الوزراء .

- رسالة في بني أمية ، ورسالة في تفضيل بني هاشم وأوليائهم وذم بني أمية وأتباعهم .

- كتابان في السير : أخبار سليمان بن أبي شيخ ، أخبار عبد الله بن معاوية ابن جعفر .

- القابوسي : أبو القاسم المنذر بن محمد بن المنذر بن سعيد بن أبي الجهم من ولد القابوس بن المنذر (توفي في العشرين الأولين من القرن الرابع) من علماء الشيعة الثقات البارزين . وقد روى عنه أبو الفرج الأصبهاني وكثيرون . ومصنفاته تعطيه الطابع الإخباري وتجعله من الممثلين الأواخر لتلك المرحلة . ومن كتبه : كتاب الجمل . وكتاب وفود العرب إلى النبي . كتاب النهروان . كتاب الغارات . كتاب صفين الذي أفاد منه الأصبهاني في مواضع عدة من كتابه مقاتل الطالبيين [٢]..

- البلخي أبو القاسم عبدالله بن أحمد بن محمود الكعبي (المتوفى سنة ٩٣١/٣١٩) وهو من كبار المعتزلة المعروفين،وقد كتب تاريخ الحركة التي ينتمي إليها ورجالها في كتابه : طبقات المعتزلة . وقد اقتبس ابن حجر عنه في

---

(١) انظر ابن النديم – الفهرست ص ١٤٨ .

(٢) انظر الاصبهاني – مقاتل الطالبيين ص ١٣٣ ، ١٥٢ ، ١٥٣ وانظر : النجاشي – الرجال (ط . ايران) ص ٢٢٨ .

لسان الميزان [1] .

– الدولابي أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد الوراق ، مولى الأنصار (ولد سنة ٢٣٤ وتوفي سنة ٣٢٠) وله كتب في التواريخ منها : أخبار الخلفاء ، وقد نقل عنه صاحب العيون والحدائق [2] وله كتاب الأسماء والكنى في عشرين جزءاً (مجلدين) وكتاب المولد والوفاة [3] .

– أبو زيد البلخي أحمد بن سهل المتوفى سنة ٣٢٢ وله قائمة طويلة من كتب الفلسفة والدين [4] والنحو . ويبدو أنه كان من كبار المثقفين في عصره وابن النديم يجعل إنتاجه أقرب إلى الأدب منه إلى الفلسفة على أن الكتب التاريخية في تراثه عديدة ومنها :

– كتاب اختيارات السير
– كتاب السياسة الكبير
– كتاب العتاك والنساك
– كتاب فضيلة مكة على سائر البقاع
– كتاب الأسمار والكنى والألقاب
– كتاب السياسة الصغير
– كتاب النوادر في فنون شتى
– كتاب المصادر

---

(١) أنظر ابن حجر – لسان الميزان ج ٦ ص ٣٣٥ وانظر كذلك السخاوي– الاعلان ص ٥٧٨ – ٥٧٩ .

(٢) انظر العيون والحدائق لمؤلف المجهول (ج ٤ طبع نبيلة داود – بغداد) ص ٢٥ ، وانظر كذلك اللباب (٤٣١/١) ، الذهبي – ميزان الاعتدال ج ٣ ص ١٧ ، وابن كثير : البداية والنهاية ج ١١ ص ١٤٥ ، والصفدي ج ١ ص ٥١ . وبعضهم يجعل وفاته سنة ٣١١ أو يلقبه بأبي سعيد .

(٣) ذكر الكتابين ابن خير في الفهرست ص ٢١٣ وص ٢٠٨ .

(٤) أنظر قائمة كتبه لدى ابن النديم – الفهرست ص ١٣٨ ولدى هدية العارفين ج ١ ص ٥٩ .

- وقد كتب كتاباً في مدح الوراقة ، وآخر في فضيلة علوم الرياضيات ، وثالثاً في فضيلة علم الأخبار . ولعل هذا الكتاب الأخير من أوائل الكتب في الدفاع عن علم التاريخ وبيان فائدته قبل السخاوي بكثير .

- ونضع في جانب أبي زيد صديقه الجيهاني أبا عبد الله أحمد بن محمد بن نصر وزير صاحب خراسان نصر بن أحمد الساماني . وابن النديم يروي أنه كان ثنوياً [1] . وله من الكتب :

- كتاب المسالك والممالك وكان من الكتب الهامة في موضوعه .
- كتب العهود للخلفاء والأمراء ولعله من أول الكتب الوثائقية التاريخية .
- كتاب آيين في المقالات ولعله في نظم الدولة .
- كتاب الزيادات في كتاب آيين في المقالات .

بالاضافة إلى مجموعة رسائله – وهي بدورها وثائق تاريخية لعصره – وقد جمعها في كتاب رسائل . على أن انتاج الجيهاني ضاع كله .

- نفطويه أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفه بن سليمان العتكي الأزدي الواسطي الملقب بنفطويه (ولد سنة ٢٤٤ وتوفي سنة ٣٢٣) أخذ عن ثعلب والمبرد والمدائني وغيرهم وهو معدود من علماء النحو واللغة وله حوالى ١١ كتاباً من بينها [2] :

- كتاب التاريخ ولسنا ندري محتوى مادته ولكن المسعودي يمتدحه ويمتدح مؤلفه كل الامتداح ويقول : « إنه محشو من ملاحات كتب الخاصة مملوء من فوائد السادة ... كان مصنِّفهُ أحسن أهل دهره بالنقد وأملحهم تصنيفاً ... » [3] .

---

(١) انظر ابن النديم – الفهرست ص ١٣٨ وهو تارة يذكره بكنيته ابي عبد الله وتارة أبي علي وقد يكونان شخصين مختلفين .

(٢) انظر ابن النديم – الفهرست ص ٨١ – ٨٢ .

(٣) المسعودي – مروج الذهب ج ١ ص ١٥ والسخاوي – الاعلان ص ٦٨٦ .

- ولنفطويه كتاب آخر باسم كتاب الملح لا شك أنه في طرائف الأخبار الأدبية واللغوية .
- وله كتاب ثالث يقع – على ما يذكر – في ثلاث مجلدات تقريباً (٢٨ جزءاً) اسمه كتاب الأخبار أو أخبار نفطويه مجموعة ذكرها ابن خير في فهرسه وذكر أن أبا علي البغدادي الذي سمعها من صاحبها جاء بها إلى الأندلس [1] .
- الوشاء أبو الطيب محمد بن أحمد بن إسحق بن يحيى الأعرابي الوشاء (المتوفى سنة ٣٢٥) وهو نموذج من نماذج المثقف الظريف في القرن الرابع ، أوج الحضارة العباسية ، أديب . نحوي . معلم . مصنف لكتب الأخبار . له من المؤلفات عشرون كتاباً بعضها في اللغة مثل كتاب خلق الإنسان (وهو مطبوع في الكويت) وبعضها في النحو وبعضها تاريخي وفي تاريخ الحضارة ويسميها ابن النديم الأدبية الإخبارية [2] مثل :
- أخبار صاحب الزنج وقد ضاع رغم قيمته ،
- أخبار المتظرفات وقد ضاع بدوره .
- كتاب الفرق (ضائع) – كتاب حدود الظرف الكبير – كتاب الحنين إلى الأوطان ... الخ .

وأما كتابه الموشى فكتاب يحوي بجانب المواعظ وأخبار الظرف والظرفاء وصفاً لأزياء العصر لدى جميع طبقات الناس وما يكتب على العصائب والزنانير والمناطق ومنه مخطوط في ليدن كما انه طبع في مصر سنة ١٨٨٧ بعنوان كتاب الظرف والظرفاء .

- **جحظة** : أحمد بن جعفر حفيد خالد بن بربك من ابنه موسى (٢٢٤ – ٨٣٨/٣٢٦ – ٩٣٧) وجحظة لقب أطلقه عليه ابن المعتز وكان شاعراً

---

(١) ابن خير – فهرست ابن خير ص ٢٩٨ .

(٢) ابن النديم – الفهرست ص ٨٥ .

مطبوعاً وطنبورياً حاذقاً بجانب أنه لقي العلماء والرواة وأخذ عنهم . والأخبار تتهمه بقلة الدين .

وقد عُمِّر طويلاً وكتب : كتاب ما شاهده من أمر المعتمد على الله[١] . كتاب الطنبوريين . كتاب النديم . كتاب المشاهدات .

- الجلودي : أبو أحمد عبد العزيز بن يحيى ، المتوفى بعد سنة ٩٤١/٣٣٠ وهو اخباري بصري ، ذكر ابن النديم أنه « صاحب سير وزيادات » وقد كتب كتاباً في أخبار خالد بن صفوان وآخر أدبياً - فيما يظهر - في أخبار العجاج (بن رؤبة) الراجز[٢] .

- سمكة : أبو علي أحمد بن إسماعيل بن عبد الله البجلي الأهوازي القمي الملقب بسمكة (توفي حوالى سنة ٣٣٠) وهو عربي من أهل قم كان شيعي المذهب وقد علم ابن العميد الوزير الكاتب المعروف . وله : كتاب العباسي وهو كتاب كبير في تاريخ الخلفاء العباسيين « لم يصنف مثله في فنه » وكان يقع في عشرة آلاف ورقة استوفى فيها أخبار الدولة العباسية[٣] .

- الدوري : محمد بن مخلد بن حفص العطار الدوري المتوفى سنة ٣٣١ وله من المؤلفات كتاب أخبار الصبيان[٤] .

- ابن عقدة الكوفي أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد بن عبد الرحمن الجارودي (ولد سنة ٢٤٩ ، توفي سنة ٩٤٤/٣٣٢) وهو من علماء

---

(١) انظر ياقوت ، ارشاد الأريب ج ٢ ص ٢٤٢ طبعة القاهرة (ج ١ ص ٣٨٤ طبعة مرغليوث) وانظر ابن النديم - الفهرست ص ١٤٥ والذهبي وابن الحنبلي في الشذرات بحملان وفاته سنة ٣٢٤ وكذلك الصفدي- الوافي ج ٦ ص ٢٨٦ - ٢٨٩ .

(٢) ابن النديم - الفهرست ص ١١٥ .

(٣) أنظر الطوسي - الفهرس ص ٥٥ . (ط . النجف سنة ١٩٦١) .

(٤) كشف الظنون ج ٢٧/١ .

الزيدية المعروفين ، وقد شارك في الانتاج التاريخي من الكتب ومنها [1] :

- «كتاب التاريخ ، وهو في ذكر من يروي الحديث من الناس كلهم العامة والشيعة وأخبارهم ، أخرج منه الكثير ولم يتمه » .
- كتاب يحيى بن الحسين بن زيد وأخباره .
- كتاب الرجال (وهو في التراجم) وقد اقتبس منه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد .
- كتاب فضل الكوفة .
- كتاب الراية .
- كتاب الولاية .
- كتاب الشورى .

وتشبه أن تكون هذه الكتب من نمط كتب الاخباريين ، كما كتب كتاب من روى عن الحسنين والأئمة ، وكتاباً من السير هو : أخبار أبي حنيفة النعمان ومسنده .

- أبو الفرج قدامة بن جعفر (المتوفى سنة ٣٣٧) الكاتب البغدادي ، وكان على النصرانية فأسلم على يد الخليفة المكتفي بالله . وقد كتب في المادة التاريخية : كتاب زهر الربيع في الأخبار والتاريخ الذي امتدحه المسعودي ووصف صاحبه بأنه « حسن التأليف بارع التصنيف موجز الألفاظ مقرب للمعاني » [2] ، واذا كان هذا الكتاب قد ضاع فقد بقي لدينا شيء من كتاب آخر لقدامة ، أكثر شأنا من الأول هو كتاب الخراج وصنعة الكتابة (ومخطوطته الباقية تحوي ما بين المنزلة الخامسة حتى آخر الثامنة

(١) الطوسي – الفهرست ص ٥٢ – ٥٣ وانظر تاريخ بغداد ج ٥ ص ١٤ – ٢٣ وابن حجر لسان الميزان ج ١ ص ٢٦٣ والسخاوي – الاعلان ص ٥٨٠ .

(٢) انظر المسعودي – مروج الذهب (طبعة بلا) ج ١ ص ١٦ .

وهو آخر الكتاب ، وتوجد في مكتبة كوبريلي باستامبول رقم ١٠٧٦) [1] ولقدامة إلى هذا كتابان يدخلان في اطار المادة التاريخية هما : نزهة القلوب وزاد المسافر ، وكتاب السياسة .

- ابن حاجب النعمان : أبو الحسين عبد العزيز بن إبراهيم ، وكان أبوه حاجب النعمان أبي عبد الله الكاتب . ويروي ابن النديم أنه « كان أحد أفراد الزمان في الفضل والنبل ومعرفة كتابة الدواوين ... » .

« وكان له أيام معز الدولة البويهي ديوان السواد . ولم يشاهد خزانة للكتب أحسن من خزانته لاحتوائها على كل كتاب عين وديوان فرد بخطوط العلماء المنسوبة ... » [2] ، وقد كتب كتباً نعدها من كتب الحضارة منها :

- - كتاب نشوة النهار في أخبار الجوار (وقد كتب الكثيرون في ذلك كالجاحظ وكاسيبويه المصري (وكاسيبويه غير سيبويه) .

- كتاب أخبار النساء (ويعرف بكتاب ابن الدكاني) .

- كتاب أنس ذوي الفضل في الولاية والعزل ، ولعله في حديث المعزولين وأسباب العزل والولاية ومراسم ذلك .

وهناك كتاب الصبوة ، وكتاب الغرر ومجتنى الزهر ، وكتاب أشعار الكتّاب ولعلها كتب أدبية ونجد بين مصادر القلقشندي في صبح الأعشى كتاب ذخيرة الكتاب لابن حاجب النعمان نفسه ولعله الكتاب السابق .

- عبيد الله بن أبي سعيد الوراق (من رجال النصف الأول من القرن الرابع) وهو نسابة إخباري راوية للشعر بالإضافة إلى التأليف في ذلك ومما صنف

---

(١) ومن الكتاب نفسه نسخة أخرى في المكتبة الوطنية في باريس برقم ٥٩٠٧ منقولة عن مكتبة كوبريلي ، ونسخة مصورة عنها في التيمورية بالقاهرة برقم ٢٥٠٠ تاريخ .

(٢) ابن النديم – الفهرست ص ١٣١ .

عدا بعض الكتب الأدبية عن الشعراء [1] :

- كتاب المدنية وأخبارها وكتاب الألقاب .
- أبو الحسن محمد بن القاسم التميمي النسابة من أهل البصرة في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) وكان أحد العلماء بالأنساب في أيام ابن النديم . وله من المؤلفات :
- كتاب الأنساب والأخبار وهو دون شك خليط بين التاريخ والنسب .
- كتاب أخبار الفرس وأنسابها .
- كتاب المنافرات بين القبائل وأشراف العشائر وأقضية الحكام بينهم في ذلك [2] .
- علي بن الحسن بن الفتح الكاتب المعروف بالمطوق من رجال الفترة نفسها وقد عاصر الخليفة المقتدر (٢٩٥ – ٣٢٠) وكتب كتاباً في أخبار عدة من وزراء المقتدر . كان أحد مصادر المسعودي . ويمكن أن يعد نوعاً من المذكرات أو الشهادة على العصر .
- ابن سوار ، أبو عبد الله محمد بن سوار المعروف بابن أخت عيسى بن فرّخان شاه ، المعاصر للمسعودي في العقود الأولى من القرن الرابع وقد ذكر له المسعودي كتاباً هاماً في التاريخ اسمه :
- كتاب التاريخ الجامع لفنون الأخبار والكوائن في الأعصار قبل الإسلام وبعده . بلغ في تصنيفه إلى سنة عشرين وثلاثمائة [3] .
- العلوي الدينوري محمد بن علي الحسيني العلوي وهو معاصر آخر للمسعودي وقد يكون سابقاً له بعض السبق وقد اعتمد المسعودي على كتابه التاريخي

(١) انظر ابن النديم – الفهرس ص ١٠٨ .
(٢) المصدر نفسه ص ١١٤ .
(٣) انظر المسعودي – مروج الذهب (ط . بلا) ج١ ص ١٤ .

المسمى : كتاب التاريخ من المولد إلى الوفاة ومن كان بعد النبي عليه السلام من الخلفاء والملوك إلى خلافة المعتضد بالله (٢٧٩ – ٢٨٩) وما كان من الأحداث والكوائن في أيامهم وأخبارهم [١] ...

- ابن المنادي أبو الحسين أحمد بن جعفر بن محمد (المتوفى سنة ٣٣٦) من كبار القراء . وله كتاب التاريخ أخذ عنه الخطيب البغدادي الكثير جداً في تاريخ بغداد وله كتاب الأسماء والكنى وكتاب أفواج القراء وكتاب الملاحم ومؤلفاته تزيد على ١٢٠ كتاباً [٢] .

- أحمد بن كامل القاضي المتوفى سنة ٣٥٠ وكان من العلماء المحدثين والقضاة والنحاة والمؤرخين الثقات . ولي قضاء الكوفة وألف في أخبار الرجال من أهل الحديث . وله تاريخ لا شك أنه في التراجم ذكره ابن الفوطي في معجم الألقاب ونقل عنه [٣] ترجمة قاض من عهد الرشيد .

- الخطبي اسماعيل بن علي بن إسماعيل بن يحيى البغدادي (ولد سنة ٢٩٩ وتوفي سنة ٣٥٠) ويذكرون عنه أنه « ثقة اخباري عارف بالأخبار » [٤] وقد كتب تاريخاً كبيراً مرتباً على السنين .

- ابن قانع (الحافظ أبو الحسين عبد الباقي بن قانع بن مرزوق البغدادي الأموي المتوفي سنة ٣٥١) ، وله بدوره : تاريخ مرتب على السنين [٥] ولعله المسمى أيضاً كتاب الوفيات [٦] ذكر السخاوي أنه انتهى به إلى

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) ابن النديم – الفهرست ص ٢٨ والذهبي تذكرة الحفاظ ص ٨٤٩ .

(٣) انظر ابن الفوطي – تلخيص معجم الألقاب (تحقيق مصطفى جواد – طبع دمشق) ج ٤ قسم ٣ ص ٥٥٢ .

(٤) الصفدي – الوافي ج ١ ص ٥٠ .

(٥) المصدر نفسه ، وانظر كذلك كشف الظنون ج ٢ ص ١٧٣٥ والخطيب البغدادي وتذكرة الحفاظ ص ٨٨٣ .

(٦) السخاوي – الاعلان ص ٧٠١ .

سنة ٣٤٦ . وقد اقتبس عنه الخطيب في تاريخ بغداد في عشرات المواضع . وتذكر له المصادر مؤلفاً ثالثاً كان في التراجم دون شك هو : معجم الشيوخ عن شيوخه . وتحتفظ مكتبة كوبريلي باستامبول تحت رقم ٤٥٢ بمخطوط مخروم الأول من كتاب رابع لابن قانع أبي الحسين عنوانه معجم الصحابة رتبت فيه أسماء الصحابة على حروف المعجم مع أنسابهم وبعض ما روي عنهم من حديث دون ذكر أخبارهم أو سنوات الوفاة .

- النقاش أبو بكر محمد بن الحسن المعروف بالنقاش الموصلي (المتوفى سنة ٣٥١) وقد كتب : أخبار القُصّاص[١] وهو من الكتب القلائل التي وضعت في تاريخ الوعظ والواعظين وكانوا يعرفون يومئذ بالقُصّاص .

- العمي أبو بشر أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن معلى بن أسد (المتوفى سنة ٣٥٠) وهو بصري كان مستملى أبي أحمد الجلودي وروى عنه كتبه كلها كما أكثر الرواية عن العامة والاخباريين . وكان جده المعلى من أصحاب زعيم الزنج في ثورته فروى أخبار الثورة عنه . وله من التصانيف التاريخية : كتاب التاريخ الكبير وكتاب التاريخ الصغير ، وكتاب أخبار صاحب الزنج ، وكتاب الفرق « وهو كتاب حسن غريب » وكتاب عجائب العالم وكتاب أخبار السيد الحميري وشعره وكتاب مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب[٢] .

- ابن حبان أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد البستي التميمي (المتوفى سنة ٣٥٤) من كبار أئمة العلم والحديث والفقه واللغة والوعظ حتى الطب والنجوم والكلام . اشتغل في العلم بخراسان والشام والعراق ومصر والجزيرة حتى صار إمام عصره وعمل في القضاء بسمرقند ونسا ثم توفي في بلده بست . وله عدا كتاب الصحيح في الحديث :

---

(١) كشف الظنون ج ١ ص ٢٨ .

(٢) الطوسي – الفهرست ص ٥٤ .

- كتاب الثقات في ٣ مجلدات ومنه نسخة مخطوطة فأما مجلدها الأول ففي مكتبة أحمد الثالث باستامبول (رقم ٢٩٩٥) وأما المجلدان الثاني والثالث ففي الظاهرية بدمشق رقم ٧١٠ ، ٧١١ تاريخ .
- كتاب معرفة المجروحين في الحديث ومنه نسخة مخطوطة في أياصوفيا (رقم ٤٩٦) .
- مشاهير علماء الأنصار وقد طبع بعناية المستشرق فلايشهمر - طبع بلجنة التأليف بالقاهرة سنة ١٩٥٩ .
- أوهام أصحاب التواريخ وقد ذكره السخاوي [١] .
- الطبراني أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطر اللخمي (ولد سنة ٢٦٠ وتوفي سنة ٣٦٠) أحد الحفاظ الكبار والمكثرين من السماع والرحلة ، سمع الحديث بدمشق ومصر وبرقة واليمن والشام والعراق وصنف : المعجم الكبير في أسماء الصحابة والمعجم الأوسط في غرائب شيوخه ، والمعجم الصغير في أسماء شيوخه [٢] .
- الماسرجسي أبو علي الحسين بن محمد بن أحمد بن ماسرجس المتوفى سنة ٣٦٥ عن ثمان وستين سنة ، وهو نيسابوري ولد وتوفي هناك . وقد رحل إلى العراق والشام ومصر . يقول عنه الحاكم النيسابوري انه « كان سفينة عصره في كثرة الكتابة » وشهرته الكبرى في الحديث وحفظه ولكنه صنف في التاريخ أيضاً : فنظم صحيح مسلم على تراجم الرجال في ١٣٠٠ جزء ولم يصنف في الإسلام أكثر منه مهذباً . وصنف في المغازي وكتب كتاب القبائل ، عدا ما جمع من حديث الزهري وما خرّج من صحيحي البخاري ومسلم [٣] .

---

(١) السخاوي - الاعلان ص ٥٨٨ .

(٢) انظر تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ج ٦ ص ٢٤٠ .

(٣) انظر سبط ابن الجوزي - مرآة الزمان (مخطوط أحمد الثالث - النسخة الرابعة رقم ٢٩٠٧) ج ١١ الورقة ١١٥ ظهر ، وشذرات الذهب لابن الحنبلي ج ٣ ص ٥٠ .

- ابن خلاد الرامهرمزي أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد القاضي (المتوفى سنة ٣٦٠) كان حسن التأليف يسلك طريقة الجاحظ إلى جانب قرض الشعر ، ومن كتبه ذات الطابع الاخباري التاريخي [١] :
- كتاب العلل في مختار الأخبار
- كتاب النوادر والشوارد
- كتاب مباسطة الوزراء
- كتاب الفلك في مختار الأخبار والأشعار
- كتاب ربيع المتيم في أخبار العشاق .
- ابن القطان الجرجاني ، أبو أحمد عبد الله بن عدي الحافظ (المتوفى بجرجان سنة ٣٦٥) وكان من كبار الحفاظ رغم لكنة أعجمية في لسانه . طاف البلاد وسمع على أكثر من ألف شيخ. وكتابه التاريخي : الكامل في معرفة الرجال يتحدث عن تراجم الرواة وفي معرفة الضعفاء والمتروكين . ويبدو من تقريظ المؤلفين له أنه كان يحمل معنى من عنوانه فهو كامل وصاحبه في مادته لا يجارى . وصفه السخاوي بأنه إليه المنتهى في الجرح[٢] وقد ذكره في أصحاب معاجم الرواة .
- الزّراري : أبو غالب أحمد بن محمد بن سليمان بن الحسن والزّراريون هم البكريون توفي سنة ٣٦٨ وكان شيخ الشيعة في عصره . صنف كتباً كثيرة كان منها كتاب التاريخ أخرج منه ألف ورقة ولم يتمه [٣] .
- أبو منصور محمد بن أحمد الأزهريّ الهروي (المتوفى بهراة سنة ٣٧٠) وكان من كبار اللغويين وله بين تصانيفه الكثيرة كتاب أخبار يزيد بن معاوية [٤] .

---

(١) انظر ابن النديم – الفهرست ص ١٥٥ .
(٢) انظر السخاوي – الاعلان ص ٧١٤ وابن الحنبلي شذرات ٥١/٣ .
(٣) الطوسي – الفهرست ص ٥٥ – ٥٦ والبكريون نسبة إلى جدهم بكير بن أعين وأول من نسب إلى زرارة منهم هو سليمان بن الحسن .
(٤) كشف الظنون ٣١/١ وهدية العارفين ٤٩/١ .

- ابن بدر عبد الله بن الحسين الكاتب المتوفى سنة ٣٧٢ وله كتاب : أخبار بني العباس [١] .
- السلامي أبو الحسن عبد الله بن موسى (المتوفى سنة ٣٧٤/٩٨٤) وهو عالم مؤرخ شاعر فلكي يذكره الخطيب البغدادي وربما كان هو نفسه صاحب كتاب التاريخ الذي يبحث في تاريخ الرسول وميلاد علي والحسن والحسين والأئمة من آل علي وغيرهم والذي أخذ عنه البيروني في الآثار الباقية [٢] .
- السميساطي أبو الحسن علي بن محمد العلوي المتوفى ببغداد سنة ٣٨٠ وهو شاعر مصنف مليح الرواية ، علم بعض الأمراء الحمدانيين (أولاد ناصر الدولة) وله كتب من شاكلة كتب الرامهرمزي وأهمها :
- كتاب الديارات ، وهو كتاب كبير .
- كتاب العلم ، وقد جوّد – على حد قول ابن النديم – في تأليفه [٣] .

عدا بعض الكتب الأدبية الضخمة مثل كتاب الأنوار في محاسن الأشعار ، ويقع في ٤٦ ألف صفحة ، ومنه نسخة مخطوطة في مكتبة طوبقبو سراي باستامبول رقم ٢٣٩٢ .

- الشاهد : أبو القاسم طلحة بن محمد بن جعفر البغدادي (المتوفى سنة ٣٨٠) كان على الاعتزال وله كتاب أخبار القضاة الذي اقتبس عنه الخطيب البغدادي في أكثر من مائتي موضع [٤] .

---

(١) كشف الظنون ١/٢٦ .

(٢) انظر البيروني – الآثار الباقية ص ٢٣٢ والخطيب البغدادي – تاريخ بغداد ج ١٠ ص ١٤٨ . ويرجح روزنتال أن السلامي المذكور هو صاحب التاريخ (راجع السخاوي – الاعلان ص ٤٤١ – ٤٤٢ حاشية ٥٨) .

(٣) ابن النديم ص ١٥٤ ، وانظر بروكلمان (الترجمة) ج ٣ ص ١٤١ – ١٤٢ .

(٤) أنظر الخطيب – تاريخ بغداد ج ٩ ص ٣٥١ وابن حجر لسان الميزان ج ٣ ص ٢١٢ وص ٩٥٧ .

— **الصاحب بن عباد** : أبو القاسم إسماعيل بن عباد بن عباس الطالقاني (المتوفى سنة ٣٨٥/٩٩٥) وهو الكاتب الوزير المعروف في العهد البويهي ، وقد شارك في التراث التاريخي ببعض الكتب ، اذ كتب :

— كتاب الامامة ، وهو دفاع عن حق عليّ وآله فيها .

— كتاب الوزراء ، وقد ضاع . كما ضاع كتاب الروزنامجه ، الذي كتبه في حداثة سنّه ، وهو مذكرات يومية نجد منها مقتطفات لدى الثعالبي في يتيمة الدهر ، ولدى ابن ظافر في بدائع البدائه ، ولدى ياقوت في معجم الأدباء [1] .

— **ابن شاهين** أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان بن شاهين الواعظ البغدادي (المتوفى سنة ٣٨٥) وهو من الحفاظ المفسرين رحل إلى الشام والبصرة وفارس قبل أن يستقر في بغداد وقد كان مكثراً في التأليف . ويذكرون عنه أنه صنف ٣٣٠ مصنفاً . منها التفسير الكبير في مائة مجلد والمسند الكبير في ١٥٠ مجلداً . ويهمنا منه مؤلفه : كتاب التاريخ ويذكر الذهبي أنه يقع في ١٥٠ جزءاً (١٥ مجلداً) [2] .

ولابن شاهين كتاب بعنوان : تاريخ أسماء الثقات ممن نقل عنهم العلم . وهو مرتب على حروف المعجم . ومنه نسخة مخطوطة في الجامع الكبير بصنعاء (رقم ١٢ مصطلح) في ٩٢ ورقة .

— **السقطي** أبو اسحق إبراهيم بن حبيب البصري الطبري (توفي سنة ٣٩١/١٠٠١) يذكرون أنه من أهل البصرة ومن أصحاب الطبري ولعله سمع عنه في أواخر حياته بينما كان السقطي فتى صغيراً فقد مات الطبري سنة ٣٠١ .

---

(١) انظر مثلا الثعالبي — يتيمة الدهر (طبع دمشق) ج ٢ ص ١١ ، وابن ظافر بدائع البدائه (طبع ابي الفضل ابراهيم) ص ٢٩٣ وياقوت — الأدباء ج ١٥ ، ص ١١٢ — ١١٦ .

(٢) انظر الذهبي تذكرة الحفاظ ص ٩٨٨ وابن الحنبلي — شذرات ج ٣ ص ١١٧ .

على أن أبا اسحق كتب : كتاب التاريخ الموصول بكتاب ابن جرير الطبري وضمنه من أخباره وأخبار أصحابه شيئاً كثيراً .

وله عدا ذلك كتاب الرسالة الذي نجهل موضوعه . وكتاب لوامع الأمور وهو كتاب في التاريخ مرتب على السنين ولعل السقطي تابع فيه تاريخ الطبري . وقد نقل ابن العديم عنه من حوادث سنة ٣٤٤ وسنة ٣٤٦ وسنة ٣٤٨ وسنة ٣٥١ بعض الأخبار المتعلقة ببعض الأحداث وبعض من توفي تلك السنوات [1] . على أن المؤرخين الذين حرصوا على ذكر ذيول الطبري لم يشيروا إلى هذا الكتاب مما قد يعني أنه كتاب مستقل .

وينسب ابن العديم للسقطي كتاباً رابعاً هو كتاب الرديف الذي قد يكون بدوره ذيلاً تاريخياً آخر ولكنا نجهل كل أمر عنه .

- ابن منده : أبو عبد الله محمد بن اسحق بن محمد بن يحيى العبدي الاصبهاني (ولد سنة ٣١٠ – توفي سنة ٣٩٥) ، محدث من طبقة الحفاظ له من كتب التاريخ : – كتاب تاريخ اصبهان ، وكتاب أسماء الصحابة .

- أبو الحسن النسابة محمد بن القاسم التميمي البصري المتوفى في حدود سنة ٤٠٠ وكان أحد علماء الأنساب المشهورين في القرن الرابع وقد كتب :

- كتاب الأنساب والأخبار ،
- كتاب أخبار الفرس وأنسابها .
- كتاب المنافرات بين القبائل وأشراف العشائر وأقضية الحكام بينهم في ذلك [2] .

---

(١) انظر كشف الظنون ج ٢ ص ١٥٦٨ وهدية العارفين ج ١ ص ٧ وانظر ابن العديم بغية الطلب (مخطوط أحمد الثالث) ج ٢ الورقة ٨٩ وجه و ج ١ الورقة ٤٥ وجه و ج ٨ الورقة ٢٥٨ وجه والورقة ٣٤ ظهر ٣٥ وجه وظهر ...

(٢) ابن النديم – الفهرست ص ١١٤ .

— أبو الحسن محمد بن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسن من أحفاد الحسين بن علي بن أبي طالب ، ومن رجال القرن الرابع . وقد ألف كتاب الكامل في أنساب آل أبي طالب في عشرة آلاف ورقة . وله مختصر مخطوط في ليدن (٩١١/١) اختصره علوي آخر هو أبو عبد الله الحسين بن محمد بن القاسم في القرن الخامس بعنوان تهذيب الأنساب ونهاية الاعقاب .

وثمة عدا هؤلاء جميعاً مجموعة أخرى من مؤلفي الكتب التاريخية من هذا القرن الرابع ولم يحفظ لنا التاريخ لا مؤلفاتهم ولا شيئاً شافياً عنهم ومنهم مثلا :

— محمد بن أحمد بن مهدي ، صاحب التاريخ الذي كتب لخزانة الخليفة القادر ، وقد نقل عنه ابن العديم [١] .

— واقد بن عمرو التميمي الذي عمل (أخبار بابك) وقد قرأه ابن النديم ونقل عنه [٢] .

— أبو حفص عمرو بن الأزرق الكرماني صاحب كتاب (أخبار البرامكة) وقد نقل منه ابن العديم [٣] ، كما أن ثمة مجموعة أخرى ذكرها المسعودي واعتبرها من مصادره ، ولعل بعضها يعود إلى القرن الثالث . ومنها [٤] :

— أبو اسحق بن سليمان الهاشمي ، صاحب كتاب التاريخ والسير .

— محمد بن خالد الهاشمي ، مؤلف كتاب السير والأخبار .

— عبد الرحمن بن عبد الرزاق المعروف بالجرجاني السعدي ، وله كتاب التاريخ .

---

(١) انظر ابن العديم – بغية الطلب (مخطوط أحمد الثالث ٢٩٢٥) ج ٢ ورقة ١٧٨ وجه .
(٢) ابن النديم – الفهرست ص ٣٤٣ .
(٣) انظر ابن العديم – بغية الطلب (مخطوط أحمد الثالث) ج ٨ ورقة ٢٦١ ظهر .
(٤) راجع مقدمة المسعودي لمروج الذهب (طبعة بلا) ج ١ ص ١٣ – ١٦ .

- عبد الله بن الحسين بن سعد الكاتب ، مؤلف كتاب أخبار الخلفاء من بني العباس .

- محمد بن الهيثم بن شبابة الخراساني ، صاحب كتاب الدولة (العباسية) .

- إبراهيم بن ماهويه الفارسي ، مؤلف كتاب التاريخ الملقب بالكامل في التاريخ وهو صاحب التسمية قبل ابن الأثير بثلاثة قرون ، وقد عارض فيه الكامل للمبرد .

- جعفر بن محمد بن حمدان الموصلي الفقيه ، وله كتاب في الأخبار عنوانه الباهر ، عارض فيه بدوره كتاب الروضة للمبرد . وعنوان الباهر أخذه ابن الأثير بدوره لكتابه التاريخي الثاني . وقد سبق ذكر هذا المؤلف وسابقه عند الكلام على المبرد .

- ابن نانا أبو محمد الحسن بن علي : وهو من رجال القرن الرابع وقد ألف كتاباً اختصر فيه أخبار بني بويه . ذكره البيروني وأخذ عنه نسب هذه الجماعة من الحكام [1] .

وبرغم كثرة هذا العدد من العاملين على التاريخ فانهم ليسوا الا جانباً من الجمهور الواسع من المؤلفين.ولا بد كي تكتمل الصورة من أن نضيف اليهم من سوف نذكرهم فيما بعد لا من مؤرخي الشام واليمن فقط ولكن من مؤرخي المواضيع الخاصة كالمؤلفين في الوزراء ، أو في الخراج أو في المسالك والممالك وفي تواريخ المدن .. اذ ذاك فقط ينكشف مدى عمق وسعة الضمير التاريخي في الحضارة الإسلامية التي كانت في القرن الرابع في أوج عطائها ونبضها الحي .

---

(١) البيروني - الآثار الباقية ص ٣٨ .

الفصل الرابع عشر

المدرسة العباسية الأم - ٣

مؤرخو العراق وايران

منذ مطالع القرن الخامس حتّى أواسط السابع الهجري

هي فترة تمتد على مدى قرنين ونصف القرن يتوالى فيها بعد العهد البويهي (الذي كان بدأ ٣٣٤ ولكنه انتهى ٤٤٧) العهد السلجوقي الذي انقطع بدوره في بغداد منذ ٥٤٨ واستمر في ايران حتّى سقط تدريجياً في أيدي الخوارزميين قبل نهاية القرن السادس ثم سقط هؤلاء وهؤلاء بدورهم أمام السيل المغولي خلال النصف الأول من القرن السابع وحتّى سنة ٦٥٦ . ليس طول هذه الفترة ولكن تقلب الأحوال السياسية فيها وكثرة الأحداث واجتماع الجو الثقافي كله إلى بغداد ، كل أولئك هو الذي أبقى مدرسة بغداد في المقدمة دوماً في إطلاع المؤرخين وفي المقدمة أيضاً في إطلاع العدد الكبير من كبار المؤرخين . في الكثرة العددية وفي النوعية ظلت هي المدرسة ــ الأم .

١ ـ المؤرخون البارزون

ونستطيع أن نعد من الأسماء البارزة ما يزيد على العشرين قابلة للزيادة دوماً رغم تفاوتها هي نفسها في القيمة التاريخية ومنها :

- مسكويه : أبو علي الخازن أحمد بن محمد بن يعقوب ، ويلقب بمسكويه (توفي سنة ١٠٣٩/٤٢١) من العلماء الموسوعيين الذين حفل بهم القرن الرابع الهجري على أنه كان يتميز بالفكر الواسع العملي. نشأ على المجوسية ثم أسلم ، ودرس بين هذا وذاك علوم الأوائل ، وصحب ابن العميد مشرفاً على مكتبته ثم التحق بخدمة بني بويه واشتغل بالفلسفة والكيمياء والمنطق بجانب الفقه والأدب والتاريخ ونظم الشعر . أنفق ماله في البحث الكيماوي الفاشل عن حجر الفلاسفة الذي يحول المعادن الخسيسة إلى ذهب . كما أنفق عمره في التأليف الكثير في الفلسفة والتربية والآداب والأخلاق والتاريخ [١] ومن كتبه التاريخية :

- تجارب الأمم ، وهو من أجلّ الكتب في التاريخ العام،ويقع في ستة مجلدات ، تبدأ مع الخليقة وتنتهي إلى سنة ٩٧٩/٣٦٩ ـ ٩٨٠ ، وتتناول تاريخ الفرس القدماء خاصة والعرب والإسلام ، وينتهي الجزء الأول سنة ٣٧ هـ ويأتي تاريخ الأمويين في الثاني مع مطالع العباسيين ، وتسهب الأجزاء الباقية في أخبار الدولة العباسية ، مع التركيز الواضح على العراق والعناية أحياناً كثيرة بذكر التفاصيل والوثائق والكتب الرسمية والملامح الاقتصادية .

ولم يحظ الكتاب بعدُ بالعناية الكافية التي تجعله يطبع ، فما يزال عزيز المنال لأنه رغم العثور على نسخة كاملة منه في استامبول منذ قرابة سبعين سنة الا أن ما طبع منه لا يعدو أجزاء متفرقة .

---

(١) انظر قائمة كتبه لدى ياقوت ـ معجم الأدباء ج ٢ ص ٩١ .

طبع المجلد الأول تصويراً مع التحقيق والتقديم من قبل لجنة جب التذكارية وكان طبع قبل ذلك جزء يشمل الحوادث ما بين سنتي ١٩٨ — ٢٥١ من قبل المستشرق دي غويه (بريل ١٨٧١) كما طبع جزءان آخران يتناولان الحوادث بين سنتي ٢٩٥ — ٣٦٩ بعناية المستشرق آمدروز (القاهرة ١٩١٤) .

— كتاب آداب العرب والفرس ، وهو في ستة مجلدات أيضاً . وفيه يتحدث عن الأخلاق والآداب لدى مختلف الأمم (العرب والفرس والهند واليونان) وتحوي مكتبات ليدن . اكسفورد . باريس ، نسخاً خطية من أجزائه .

— كتاب أنس الفريد وهو بشهادة القفطي وأحسن كتاب صُنّف في الحكايات القصار والفوائد اللطاف ، وقد ضاع .

— **الشلحي** [1] : أبو الفرج محمد بن محمد بن سهل البكري الكاتب (المتوفى سنة ١٠٣١/٤٢٣) وكان من كتاب الدولة الكبار . ويبدو أنه سجل نتيجة خبرته في الوظيفة واطلاعه الثقافي في كتب عدة منها :

— كتاب الخراج . المجالسات . تحف المجالس . النساء الشواعر . أخبار ابن قريعة . الانشاء . بدائع ما نجم من متخلفي كتاب العجم ... ولم يبق من هذه الكتب شيء .

— **الثعالبي** : أبو منصور عبد الملك بن إسماعيل النيسابوري (المتوفى سنة ١٠٣٧/٤٢٩) من مشاهير الأدباء البلغاء في التاريخ الأدبي ومن المؤلفين المكثرين . واذا تركنا كتبه الأدبية جانباً وجدنا من كتب التاريخ وما يتصل به :

— كتاب يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر (٤ مجلدات — طبعت مرات)

---

(١) انظر الصفدي — الوافي ج ١ ص ١١٦ .

وتشمل أخبار شعراء المائة الرابعة . وقد وضع الثعالبي نفسه ذيلاً لليتيمة بعد ذلك وهو بدوره مطبوع ، كما سوف يكون لها ذيول على مدى قرنين تجعلها أشبه بتاريخ الطبري في كتب التاريخ .

- لطائف المعارف . وهو في أبواب تمتلىء بالفوائد التاريخية منها : باب الأوائل من كل شيء وألقاب الشعراء والألقاب الإسلامية وكتاب المتقدمين وكتاب الاتفاق في الألقاب والكنى وغرائب الأحوال ونموذج من خصائص البلدان ... وقد طبعه دي يونغ في ليدن سنة ١٨٦٧ كما طبع في القاهرة .
- كتاب الغرر في سير الملوك وأخبارهم وهو كتاب في التاريخ العام يقع في أربعة مجلدات . وسوف نعود إليه كرة أخرى عند بحث المدرسة الفارسية وآثارها بسبب الخلاف على نسبته للثعالبي [١] المعروف .
- كتاب الغلمان ومنه مخطوط في برلين وآخر في الاسكوريال .
- تحفة الوزراء ومنه مخطوط في مكتبة غوطا .
- لطائف الصحابة والتابعين ومخطوطه في مكتبة ليدن .
- أحاسن كلام النبي والصحابة والتابعين وملوك الجاهلية والإسلام والوزراء والكتاب والبلغاء والحكماء . وقد طبع بعضه في ليدن سنة ١٨٤٤ ومخطوطه الكامل في ليدن وباريس .
- **أبو نعيم الاصبهاني** أحمد بن عبد الله بن أحمد الحافظ الصوفي (سنة ١٠٣٨/٤٣٠) طاف الأقاليم في طلب الحديث حتى أضحى حجة زمانه وصنف التصانيف الكبار ومنها ما يتعلق بالتاريخ :
- كتاب حلية الأولياء وطبقات الأصفياء وهو مطبوع (في القاهرة ١٩٣٨)

---

(١) ينسب في إحدى النسخ المخطوطة لحسين بن محمد المرغني الثعالبي المتوفى سنة ٤٣١ .

في أربع مجلدات . وفيه تراجم الصحابة والتابعين وكبار رجال الإسلام وخاصة المتصوفة وقد اختصره ابن الجوزي في كتاب صفوة الصفوة .

- تاريخ أصبهان وهو في تراجم رجال هذا البلد ويعتبره السخاوي أجمع التواريخ التي كتبت لأصفهان [1] وهو في مجلدين ، والتراجم فيه مرتبة على الحروف وقد طبع بعناية المستشرق ديدرنغ (١٩٣١ – ١٩٣٤) .
- أخبار الأخيار .
- أخبار النساء .

- البيروني : أبو الريحان محمد بن أحمد الخوارزمي (المتوفى سنة ٤٤٠/ ١٠٤٧) وهو من مواليد السند . وبالرغم من أنه أقام في خوارزم وغيرها الا انه قضى أربعين سنة في الهند . وهو متعدد الجوانب في المعرفة . كان اهتمامه بالنجوم والفلك والرياضيات معادلاً لاهتمامه بالتاريخ. وبجانب كتبه بالعشرات في علم الهيئة والنجوم والأسطرلاب والحساب والأزياج والهندسة ، فان له :

- كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية ، وهو مطبوع بعناية سخاو منذ حوالى القرن في ليبزيغ ، كما طبع بعد ذلك سنة ١٩٢٧ وفيه دراسة للتواريخ عند مختلف الأمم وجداول الأشهر وتواريخ الملوك الأقدمين وتواريخ المتنبئين وأممهم وحساب أيام الأعياد عندهم ، يتخلل ذلك أشتات من الفوائد والمعلومات التاريخية الهامة .

- كتاب تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة (في ٧٠٠ ورقة) على ما يذكر هو نفسه في قائمة كتبه. وهو من أهم الكتب لأنه يكاد يكون الوحيد الذي يصف وضع الهند وعقائدها وأحوالها في اللغة

---

(١) السخاوي – الاعلان ص ٦١٧ .

العربية ، ومن قبل عالم مسلم واسع الاطلاع عريق الصلة بتلك البلاد (وقد طبع الكتاب منذ حوالى تسعين سنة في لندن ١٨٨٧) .

- كتاب تنقيح التواريخ وكان دون شك في ضبط وتحقيق بعض التواريخ الهامة .

- أخبار المبيضة والقرامطة ، وفيه أخبار مترجمة عن الفارسية حول المقنّع وغيره . وقد حكى فيه عن أبي زكريا الطمامي ، ولم يذكر له ذلك الكتاب أحد وانما ذكره هو نفسه في كتاب الآثار الباقية [١] .

- كتاب المسامرة في أخبار خوارزم وقد ذكره وأخذ عنه البيهقي في تاريخ بيهق [٢] .

- الكتابة في المكاييل والموازين وشرائط الطيار والشواهين . وهو ضائع .

- كتاب المقالات والآراء والديانات ، وكتاب جوامع الموجود في خواطر الهنود . ذكرهما صاحب هدية العارفين .

كتاب الجماهر في معرفة الجواهر ، ألفه للملك المعظم أبي الفتح مودود ، ومخطوطه موجود في الاسكوريال .

وذكر البيروني إلى هذا أنه ترجم العديد من القصص ، (مما يجري مجرى الاحماض من الهزل والسخف) ومنها قصة وامق وعذرا ، وحديث صنمي الباميان والتحذير من الترك ... [٣] .

---

(١) البيروني – الآثار الباقية ص ٢١١ ، ٢١٣ .

(٢) البيهقي – تاريخ بيهق (الترجمة العربية – الخشاب) ص ٧٣٤ وانظر مقدمة الآثار الباقية .

(٣) البيروني – نفس المصدر ، رسالة البيروني في فالنة كتبه في المقدمة الألمانية من الكتاب نفسه ص ٣٨ – ٤٠ وما بعدها حتى ص ٤٨ .

- **ابن زنجويه السمان** أبو سعد اسماعيل بن علي بن الحسين بن محمد الرازي الحافظ الزاهد (المتوفى سنة ٤٤٥) من المحدثين الذين أفنوا العمر بالرحلة في طلب العلم ما بين المغرب ومصر إلى الحجاز والعراق وايران، وقد زار الشام ١٤ مرة وبلغ عدد شيوخه ٤ آلاف شيخ وسمع بحلب ودمشق. كان معتزليّ الرأي يميل إلى الزيدية [1] مات عازباً بعد أن صنف كتباً كثيرة منها معجمان ضائعان:

- معجم الشيوخ فيه تراجم شيوخه.
- ومعجم البلدان أودعه نتائج رحلاته.

- **هلال الصابىء**: أبو الحسن هلال بن المحسن بن إبراهيم الصابىء المنشىء (ولد سنة ٣٥٩ وتوفي سنة ٤٤٨) وجدّة إبراهيم، كان من كبار الكتاب وقد ورث هلال عنه هذه الموهبة وعمل في الانشاء ثم أسلم في أواسط عمره وله من الكتب التاريخية الكثير ومن ذلك:

- كتاب التاريخ وهو تاريخ لعصره، كان في ٤٠ مجلداً، على ما يذكر السخاوي ذيّل فيه على تاريخ ثابت بن سنان وهو يتناول الأحداث ما بين سنتي ٣٦٠ – ٤٤٧ ولم يبق منه سوى جزء واحد (الثامن) وفيه أخبار خمس سنوات (٣٨٩ – ٣٩٣) وهي تدل على مبلغ قيمة الكتاب وشأنه.
- كتاب تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، وهو مطبوع بعضه نشره آمدروز (بيروت سنة ١٩٠٤).
- كتاب رسوم دار الخلافة (نشره ميخائيل عواد في بغداد سنة ١٩٦٤) ويظهر شأن هذا الكتاب فيما يكشف عنه من مراسم وتقاليد البلاط الخليفي في بغداد.

---

(١) ترجمته لدى ابن العديم – بغية الطلب (مخطوط أحمد الثالث) ج ٣ الورقة ١١٨ وجه وحتى ١٢٤ ظهر.

- كتاب الأماثل والأعيان ، وهو ضائع وكان جمع فيه على قول ياقوت أخباراً وحكايات مستظرفة ، مما حكي عن الأعيان والأكابر .

ويبدو أن الصابىء أراد أن يقلد فيه كتاب التنوخي نشوار المحاضرة فهو يذكر بنفسه عن كتابه هذا أنه : « أورد حكايات مستظرفة وآثاراً ونوادر مستملحة لجملة من أماثل الناس وأعيانهم من مشايخ وفضلاء وعلماء وكتاب وأدباء وأمراء ووزراء وظرفاء وندماء ومحدثين وفلاسفة وحكماء وغيرهم ... »[1] .

- أخبار القرامطة ، وهو ضائع ، ويحتمل أن يكون هو الكتاب نفسه الذي ألفه ثابت ابن سنان بن قرة الصابىء .

- كتاب السياسة ، ضائع بدوره .

- كتاب أخبار بغداد ، ضاع أيضاً ، وقد نقل عنه ياقوت في غير موطن من معجم البلدان ، كما ذكر له الصفدي في الوافي كتاباً في مآثر أهله (ويحتمل أن يكون هذا الكتاب لجده حسب رواية ابن النديم) وكتاب الكتّاب .

- وللصابىء كذلك الروزنامجة وهي أول روزنامجة في الإسلام [2] وينقل عنها ياقوت في معجم الأدباء .

- الماوردي : أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (٤٥٠/١٠٥٧). درس في البصرة حيث كان أهله ثم أضحى من كبار القضاة الشافعية في بغداد . بين مؤلفاته المتصلة بالتاريخ :

- كتاب الأحكام السلطانية وهو مطبوع معروف . وقد قدم فيه الماوردي

---

(١) انظر الصابىء - رسوم دار الخلافة (المقدمة) ص ٣٠ .

(٢) انظر ياقوت - إرشاد الاريب ج ٢ ص ٢٦٨ - ٢٧٦ وانظر كذلك آغا بزرك - الذريعة ج ٥ ص ٩٥ - ٩٦ .

الشكل النظري والاطار الاسلامي الفقهي لواقع النظام السياسي العباسي ، واستخرج من المبادىء الإسلامية شروط وحدود الامامة والخلافة والوزارة والامارة وأحكام الغنائم والجزية والخراج وترتيب الدواوين وبيت المال والحسبة .

- قانون الوزراء ، وهو مخطوط في استامبول (مكتبة أمانة رقم ١٣٤٥) ، ولا يتحدث في تاريخ الوزارة والوزراء بقدر ما يتحدث في عمل الوزارة وكيف يعمل الوزير .

- الرتبة في طلب الحسبة وهو من أقدم ما كتب في هذا الموضوع ومخطوطه موجود في مكتبة فاتح باستامبول (رقم ٣٤٩٥) وقد ألمّ الماوردي بالحسبة في كتابه الاحكام السلطانية ، وكتب فيه فصلاً عنها .

- كما أن له كتاب أدب الدنيا والدين ، وهو في الأخلاق والآداب وفيه أبحاث عن الكلام والصمت والصبر والجزع والمشورة وكتمان السر والمزاح والضحك ... إلى آخر ذلك مما يصور المثل الأعلى الأخلاقي لذلك العصر . وهو مطبوع مرات عديدة .

- كتاب تسهيل النظر وتعجيل الظفر : في السياسة والحكومة . وهو مخطوط في مكتبة غوطا .

- وكتاب نصيحة الملوك وهو مخطوط في المكتبة الأهلية بباريس وقد يكون هو الكتاب السابق نفسه كما أن المصادر تذكر للماوردي كتاباً ضائعاً باسم سياسة الملك ، وقد يكون هو الاسم الآخر للمخطوطين السابقين أو لواحد منهما .

- **الخطيب البغدادي** : أبو بكر أحمد بن ثابت بن أحمد (٣٩٢ ـ ٤٦٣/ ١٠٧٠) وهو من أشهر الحفاظ وأشهر المؤرخين في الوقت نفسه. رحل في طلب العلم إلى البصرة والكوفة وفارس وحتى نيسابور ثم ورد الشام

وأقام في صور ودمشق والقدس وطرابلس وحلب ، فلما عاد في النهاية إلى بغداد لم يمهله الأجل سوى سنة واحدة . ومؤلفاته تزيد على ٥٥ مؤلفاً ، وبعضهم يجعلها مائة . واذا كان معظمها في اللغة والنحو والفقه والأدب فان فيها من مؤلفات التاريخ جملة :

- تاريخ بغداد (١٤ مجلداً) وهو أشهر مؤلفاته جمع فيه تراجم من أطلعتهم بغداد أو من زاروا بغداد من العلماء والرجال البارزين في كل فن وميدان ونظمه على الأحرف الأبجدية واجتهد في استيفاء التراجم بأسنادها ، وجعل الجزء الأول من الكتاب خاصاً بوصف بغداد وبنائها وأقسامها ودورها وما يتعلق بها ... مما جعله النموذج الذي قلده من بعده المقلدون في وضع تواريخ المدن الأخرى كما أنه دفع المؤرخين اللاحقين إلى متابعة عمله بعقد الذيول المتتالية لتاريخه ، وقد استمر ذلك فترة تزيد على قرنين . بينما استمر النقل عن الخطيب وتاريخه عدة قرون . والكثيرون يؤيدون الكلمة التي قالها ابن خلكان فيه : « لو لم يكن له الا التاريخ لكفاه » والكتاب مطبوع (القاهرة ١٩٣١) وأعيد طبعه في بيروت سنة ١٩٦٥ .

- الأسمار المبهمة في الانباء المحكمة . وهو مخطوط موجود منه نسختان في استامبول ، وقد يكون هو نفسه الكتاب الذي يحمل عنوان تلخيص المتشابه في الرسم وحماية ما أشكل منه عن نوادر التصحيف والوهم والذي تحتفظ دار الكتب في القاهرة بنسخة مخطوطة منه .

- المؤتنف تكملة المؤتلف والمختلف ، وهو بدوره مخطوط منه نسخة في برلين . ولعله هو المخطوط الذي يحمل اسم المتفق والمفترق والذي نجد في دمشق واستامبول والقدس نسخاً مخطوطة منه .

- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع في آداب التعليم ، وهو مخطوط كذلك في الاسكندرية .

- كتاب البخلاء ومنه نسخة في المتحف البريطاني .

- **المجاشعي** : أبو محمد علي بن نضال القيرواني النحوي (المتوفى سنة ١٠٨٦/٤٧٩) هجر مسقط رأسه يشرّق مرة ويغرّب أخرى حتى ألمّ بغزنة ، وانخرط فترة في خدمة نظام الملك السلجوقي . إمامته الأساسية انما كانت في النحو واللغة . وبالرغم من ان الاسم غير معروف للمؤرخين الا ان الرجل كان من كبارهم فان له على الأقل ثلاثة كتب لو سلمت لكانت ثروة تاريخية أو كان ممكنا أن تكون :

- كتاب الدول في التاريخ الذي يقول فيه ياقوت « رأيت في الوقف السلجوقي ببغداد منه ثلاثين مجلداً ويعوزه شيء آخر »[1] .

- كتاب شجرة الذهب في أخبار أهل الأدب . وهو في تراجم الأدباء ، يقول ياقوت وقع إليّ شيء منه فوجدته كثير التّراجم قليل الفائدة لكونه لا يعنى بالأخبار ولا يعبأ بالوفيات والأعمار ... »

- كتاب معارف الأدب في ثمانية مجلدات (وقد يكون هو الكتاب السابق نفسه .

- **غرس النعمة** أبو الحسن محمد بن هلال الصابىء (٤١٦ – ١٠٢٥/٤٨٠ – ١٠٨٧) وهو من أسرة الكتاب الصابئة نفسها وأبوه هو الذي أعطاه لقب غرس النعمة عرفاناً بجميل الخلفاء عليه . ولكن الرجل لم يعمل كأبيه في الوظائف العامة مكتفياً بالعيش الهانىء من ريع أمواله وأملاكه دون الخوض في الجو السياسي لا سيما وأنه أدرك وهو بعد شاب في الثلاثين صراع السلاجقة ودخولهم بغداد وازاحة الدولة البويهية وما تلا ذلك من

---

(١) ياقوت – الأدباء ج ١٤ ص ٩٢ (٥ / ٢٨٥ – ٢٩٤ طبعة مرغليوث) .

ظهور طبقة جديدة من الحكام الترك في العالم الإسلامي الشرقي. غير أن غرس النعمة إذا لم يعن بممارسة السياسة فقد عني بمراقبتها وتسجيل أحداثها كما عني برواية الطُرف وكان لنا من هذا وذاك :

- كتاب التاريخ ويسمى في بعض المصادر عيون التاريخ [1] وقد جعله ذيلاً على كتاب أبيه هلال في التاريخ وذكر في خطبة الكتاب أن والده أوصى إليه حين وافته المنية « بصلة كتاب التاريخ الذي ألفه حتى سنة ٤٤٧ » وهكذا بدأه من هذه السنة وانتهى به إلى سنة ٤٧٩ [2] ويبدو أنه جدّ وتوسع في الأقسام الأولى من الكتاب ثم اختصر وداري الأمور في السنوات الأخيرة . وقد ضاع الكتاب كله فليس منه سوى مقتطفات عديدة لدى سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان خاصة ولدى ابن العديم في بغية الطلب (وهما ما يزالان مخطوطين) ولدى ابن القفطي وياقوت وابن خلكان .

- كتاب الربيع : ابتدأ غرس النعمة هذا الكتاب سنة ٤٦٨ يريد أن يذيل به على كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي ويظهر أنه كان معجباً به كأبيه . فهو اذن على منهاجه في الرواية الحرة للأخبار من كل لون . ويقول عنه ياقوت إنه « كتاب ممتع » وقد ضاع الكتاب ولكنا نجد مقتطفات كثيرة عديدة منه لدى ابن العديم [3] في بغية الطلب ، كما نجد قطعة لدى القفطي .

---

(١) انظر مثلا ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة ١٢٦/٥. وسبط ابن الجوزي – مرآة الزمان (مخطوط باريس) ورقة ١٩٩ ظهر .

(٢) يذكر القفطي أن الكتاب ينتهي بعد سنة ٤٧٠ بقليل وتوقف لمانع منعه ، ويبدو أن سبط ابن الجوزي أدق منه حين ينهي الكتاب بحوادث سنة ٤٧٩ لا سيما وأن لدى سبط نفسه في مرآة الزمان عدة مقتطفات أخذها عن غرس النعمة في أخبار سنوات ٤٧٤ ، ٤٧٧ ، ٤٧٩ ، انظر مثلا مرآة الزمان (مخطوط باريس) الأوراق ١٨٥ وجه ١٧٢ ظهر ، ٢٠٨ وجه .

(٣) انظر مثلا ابن العديم – بغية الطلب (مخطوط أحمد الثالث) ج١ الورقة ٢١١ وجه، ٢٢٣ –

- كتاب المفوات النادرة وهو الكتاب الوحيد الذي سلم وبقي من غرس النعمة وهو بدوره حكايات مستظرفة ذات موضوع محدد . وفيها العديد من الاشارات التاريخية . طبع الكتاب بدمشق [1] .

- **ابن ماكولا** : الأمير سعد الملك أبو النصر علي بن أبي القاسم هبة الله الوزير بن علي بن جعفر العجلي العكبري (٤٢٩ – ١٠٣٧/٤٨٧ – ١٠٩٤) توفي قتيلاً بجرجان ، وكانت هوايته الحديث الا انه كتب في اطار هذا العلم كتباً هامة في الرجال منها :

- الاكمال في رفع الارتياب عن المختلف والمؤتلف من الأسماء والكنى والأنساب وقد أراد أن يجعله تصحيحاً وتعليقاً على كتاب الخطيب البغدادي في المؤتلف والمختلف ، ورتبه على حروف المعجم وقد بلغ من احاطته ودقته أن أضحى رأس سلسلة من الكتب في فنه ، ذيلت عليه وأكملت ما بدأه . ومخطوطة الكتاب موجودة ومنها نسخة في تونس (الأحمدية) وقد نشر منه ٦ أجزاء فقط بحيدر آباد كان آخرها سنة ١٩٦٧ ، وكتب ابن ماكولا كتاباً آخر في الموضوع نفسه عنوانه :

- كتاب الوزراء وهو ضائع .

- **الروذراوري** : أبو شجاع محمد بن الحسين بن عبد الله الوزير (٤٣٧ – ١٠٤٥/٤٨٨ – ١٠٩٥) ومثله كمثل غرس النعمة في الولادة ببيت من النعمة والرخاء ولكنه شارك في الحياة السياسية ووزر للخليفة المقتدي بين سنتي ٤٧٧ – ٤٨٤ وحمد الناس وزارته . كتب الكثير من المؤلفات ومن بينها :

- ظهر ، ٢٠٨ ظهر ، ج ٢ الورقة ٦٢ ظهر والورقة ٢٠٣ ظهر . ج ٣ الورقة ٢٨٧ وجه ، ج ٤ الورقة ٩٣ وجه .

(١) طبع المجمع العلمي العربي – تحقيق صالح الأشتر – دمشق ١٩٦٧ .

- ذيل كتاب تجارب الأمم لمسكويه . ولدينا منه قطعة تمتد على مدى عشرين سنة (بين ٣٦٩ — ٣٨٩ / ٩٧٠ — ٩٨٩) والتفاصيل التي ترد فيها تجعلنا نأسف أن لا يكون الروذراوري قد تابع الكتابة حتى عصره بمثل ذلك النفس وذلك التدقيق . ونشر الكتاب آمدروز (القاهرة ١٩١٦) .

- الهمداني : أبو الحسن محمد بن عبد الملك بن إبراهيم الفرضي (٤٦٣ — ٥٢١ه / ١٠٧٠ — ١٠٢٧) نشأ في بيئة علم وحديث لكنه رغم ثقافته الدينية الواضحة كان أميل إلى التاريخ فكانت مؤلفاته في هذا الميدان ، ونعرف منها سبعة لم يبق منها الا نصف كتاب هو :

- تكملة تاريخ الطبري ، وهي مجلدان رسم لهما المؤلف أن يسجل التاريخ منذ سنة ٢٨٦ ه أثناء خلافة المقتدر حتى خلافة المستظهر بالله (٤٨٧ — ٥١٢ / ١٠٩٤ — ١١١٨) وقد فعل ولكن لم يبق من الكتاب سوى جزئه الأول الذي ينتهي سنة ٣٦٧ مع فجوات في بعض السنوات فيه . وقد نشر في بيروت في طبعتين سنة ١٩٥٨ ثم سنة ١٩٦١ وكشف نشره عن تاريخ متوازن جيد العرض دقيق المعلومات .

أما الكتب الباقية فضائعة وهي ، ذيل تاريخ أبي شجاع الرّوذراوري ، عنوان السير (أو المعارف المتأخرة) ، تاريخ الوزراء ، طبقات الفقهاء ، أخبار دولة السلطان محمد ومحمود (السلجوقيين) ، أمراء الحاج من زمان النبي إلى أيامنا ...

- السمعاني : أبو سعد عبد الكريم بن أبي بكر بن المنصور المروزي المتوفى سنة ٥٦٢ والرجل من أشهر الأسماء في عالم الحديث والتأليف . أكثر الرحلة وحدّث في بغداد ودمشق وألف الكثير من المؤلفات وإنما كان دخوله علم التاريخ عن طريق ولعه بالتراجم وبراعته فيها فكتبه كلها في هذا الباب ومنها :

- كتاب الأنساب وهو أشهر كتاب في بابه . نظمه على الأبجدية ، وعلى

ألقاب العلماء في ثماني مجلدات مخطوطة . طبع منها نصفها تقريباً في حيدر آباد فجاءت في ٦ أجزاء ثم توقف النشر منذ سنوات لموت المحقق . وكانت طبعة كاملة مصورة تصويراً من الكتاب قد صدرت بعناية مرغليوث سنة ٩١٢ .

- ذيل تاريخ بغداد وهو تذييل على الخطيب البغدادي جاء في ١٥ أو ٢٠ مجلداً لم يسلم منها سوى قسم محدود في ليدن .
- تاريخ مرو في عشرين مجلداً ومنه قسم مخطوط في استامبول .
- التحبير في عشر مجلدات وهو مخطوط في الظاهرية بدمشق .
- طراز الذهب ، ٤ مجلدات وهو ضائع .
- معجم الشيوخ ، وهو مخطوط يتحدث فيه عن شيوخه .

وهناك أيضاً ثلاثة كتب ضائعة : معجم البلدان ، فرط الغرام إلى ساكني الشام وفضائل دمشق .

- ابن الجوزي : أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد (المتوفى سنة٥٩٧/١٢٠١) وهو مشهور بين الوعاظ الكبار والحفاظ الكبار والمؤلفين الكبار ولعله واحد من بضعة نفر في التاريخ الإسلامي تزيد قائمة مؤلفاتهم على الـ ٤٠٠ كتاب ورسالة . له كتب في الحديث والفقه واللغة والأدب والتفسير والشعر والأصول والتصوف والطب والوعظ ، كما أن له في التاريخ عدة عشرات من المؤلفات قد يكون من غير الضروري استيفاء الاحصاء فيها هنا وهي تعد ٩٢ كتاباً في التاريخ والجغرافيا والرجال على أن منها :

كتاب المنتظم في تواريخ الملوك والأمم وهو التاريخ العام الذي كتبه في عشر مجلدات ونصفه الأول ما يزال مخطوطاً بينما طبع نصفه الثاني الذي يتناول التاريخ العباسي حتى عصر ابن الجوزي . ويبدو الرجل في كتابه بغدادياً عراقياً لا إسلامياً عالمياً لأنه يركز جهوده على تاريخ بغداد بالذات

ذاكراً في ختام حوادث كل سنة وفيات الرجال فيها وهم بدورهم بغداديون في الأغلب مع اهتمام بالخوارق والحوادث الواعظة .

ولابن الجوزي من كتب التاريخ المطبوعة أو المخطوطة :

- الذهب المسبوك في سير الملوك (مطبوع) .
- حسن السلوك إلى مواعظ الملوك (وهو مخطوط) . عقلاء المجانين (مطبوع).
- صفوة الصفوة (تلخيص حلية الأولياء لأبي نعيم – مخطوط) في أربع مجلدات .
- أخبار الأذكياء (مطبوع) .
- عيون الحكايات في مجلدين (مطبوع) .
- شذور العقود في تاريخ العهود ، وهو تاريخ عام موجز (مطبوع) ومنه نسخ خطية عديدة في ليدن وبيروت والقاهرة واستانبول .
- أخبار الظراف والمتماجنين (مطبوع) .
- كتاب تلبيس إبليس (مجلدان – مطبوع) .
- تلقيح فهوم أهل الأثر في علم التواريخ والسير (مجلد مطبوع) .
- كتاب المصباح المضيء في فضائل المستضيء . وقد طبع مؤخراً في بغداد سنة ١٩٧٦ – ١٩٧٧ في مجلدين بتحقيق ناجية عبد الله ابراهيم .

وله من الكتب التاريخية الضائعة :

- كتاب المفاخر في أيام الناصر .
- كتاب الأعاصر في ذكر الإمام الناصر .
- كتاب الفخر النوري .
- كتاب المجد الصلاحي .
- كتاب النصر على مصر .

وكل كتاب منها مجلد .

كما أن له أيضاً كتاب الصلف في المؤتلف والمختلف (مجلدان) كتاب الضعفاء والمتروكين (مجلدان) ، كتاب أسد الغابة في معرفة الصحابة (مجلدان) ، كشف النقاب عن الأسماء والألقاب (مجلد) ، كتاب أخاير الذخائر (مجلد) كتاب المحتسب في النسب (مجلد) .

وله كذلك سلوة المحزون (مجلدان) ، أعمار الأعيان (مجلد) ، كتاب القصص . كتاب ملح الأعاريب . كتاب النساء . ملتقط الحكايات . وكتاب زين القصص (في الوعظ) .

وله كذلك من كتب الفضائل والمناقب : فضائل بغداد. فضل القدس. كتاب الوفا بفضائل المصطفى . فضائل العرب . فضل السودان والحبش ..

ومن كتب المناقب لكبار وجوه الإسلام أحد عشر كتاباً منها لسفيان الثوري وابن حنبل والعمرين والحسن البصري وبشر الحافي .

وقد أصدر عبد الحميد العلوجي (بغداد سنة ١٩٦٥) كتاباً يحصي فيه مؤلفات ابن الجوزي ما هو مطبوع منها ومظان المخطوط وتحديد الضائع ، وقد ظهر معه أن المطبوع من آثاره يبلغ الثلاثين والمخطوط الموجود ١٣٩ والضائع ٢٣٣ ، وأما مجموع آثاره فهو ٤٠٢ .

- ابن المارستانية أبو بكر عبيد الله بن علي بن نصر بن حمزة التيمي البغدادي (المتوفى سنة ٥٩٩ /١٢٠٣) والرجل من العقليات الموسوعية . شارك في علوم الأوائل من فلسفة وطب مشاركته في الفقه واللغة ثم كان الى هذا وذاك من الأطباء البارزين ومن موظفي الدولة كما سجن مرة على أنه مجنون . وقد مات وهو عائد من سفارة للخليفة العباسي في تفليس .

جعل ابن المارستانية همه تقديم عمل تاريخي يزري بما قدمه الخطيب البغدادي من تاريخ بغداد وكان يكره الخطيب ويحتقره ولذلك ألزم نفسه بتأليف :

- ديوان الإسلام الأعظم في تاريخ بغداد ورسم له أن يأتي في مائة مجلد ،

ولكن المشروع لم يكمل لأن صاحبه لم يكتب منه سوى ستين ولم يأخذ مكانه في التاريخ لأن اهتمام الناس انصرف عنه وان نقل منه بعض المؤرخين كابن الدبيثي وابن النجار .

– وقد كتب ابن المارستانية أيضاً سيرة الوزير ابن هبيرة (المتوفى سنة ٥٦٠) ويبدو أنها كانت تكريماً منه للوزير . وقد ضاعت بدورها .

– **ابن الأثير** : عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري (٥٥٥ – ٦٣٠/١١٦٠ – ١٢٣٣) هو أوسط ثلاثة أخوة يحملون هذا اللقب ابن الأثير وكانوا من البارزين : أكبرهم مجد الدين وأصغرهم ضياء الدين ، وقد عمل الاثنان في الوظائف الحكومية ، الأول في حكومة الموصل والثاني في خدمة الأيوبيين في دمشق ومصر والجزيرة . ورغم انطلاق الأخوة الثلاثة من قاعدة تعليمية دينية ، فقد اشتهر الأول بالعلوم الدينية كما عرف الثاني بالسمعة الأدبية والإنشاء أما الأوسط عز الدين فلم يعمل الأعمال الحكومية لأنه يكرهها ويخاف أعقابها ولأنه كان ميسوراً . ويوم حدث الغلاء والمجاعة في الموصل سنة ٦٢٣ وأكل الناس الميتة والكلاب والسنانير كان باستطاعة ابن الأثير أن يدخل بيته فيرى الجواري – كما قال – يقطعن اللحم ليطبخنه ومن حولهن اثنا عشر سنوراً . . . . يستكثرهم ويعدهم ، وقد غلب على ابن الأثير مع علم الحديث بل أكثر من علم الحديث حب التاريخ فكان – كما قال ابن خلكان – حافظاً للتواريخ المتقدمة والمتأخرة وخبيراً بأنساب العرب وأيامهم وأخبارهم لا سيما الصحابة ، وقد اشتهر بذلك وعقد الصلات مع علماء الشام والعراق لكثرة تردده بالزيارة على دمشق وحلب وبغداد وإلى الحج . ومع اجماع المصادر على امتداح أخلاقه وصفاته الا أن القفطي – وهو معاصره – يتهمه بأنه حين أودع ياقوت عنده كتبه وأوراقه ومجموعاته قبل موته بحلب وأوصاه أن يسيرها إلى وقف الزيدي ببغداد أخذ الكتب

والأوراق وتصرف بها ... فلما طالبوه من بغداد بها سيَّر بعضها وأعرض عن بعض ...

ويعتبر ابن الأثير أبرز المؤرخين المسلمين بعد الطبري ومؤلفاته التاريخية تبرر ذلك وقد كتب في أربعة أنواع من التاريخ وبرز فيها جميعاً.

فكتابه «الكامل في التاريخ»، هو في التاريخ العام ويعدل كتاب الطبري المماثل له. وكتابه «الباهر في الدولة الأتابكية» مجلد في تاريخ الدول أو الأسر على منهج الصابىء في كتابه التاجي.

وكتاب «أسد الغابة في معرفة الصحابة» ٦ مجلدات في التراجم، وفي جمع الكتب الأساسية الأربعة حول صحابة الرسول.

وأما «اللباب في تهذيب الأنساب» فهو في علم النسب وهو يهذب ويكمل كتاب الأنساب للسمعاني.

- الكامل في التاريخ ويقع في ١٢ مجلداً. وقد طبع مرات، وهو تاريخ عام منذ الخليقة حتى عصره. ذكر ابن الأثير في مقدمته سبب تأليفه وأن ذلك يرجع إلى ولعه بالتاريخ وإلى أنه وجد في التواريخ المطول المملّ والمختصر المخلّ وأن بعض المؤرخين شغلوا بصغائر الأمور عن العظيم من الحادثات وأن بعضهم أرخ لزمانه وبعضهم أرخ لناحيته ومكانه، فان كان من المشرق افتقر إلى تاريخ المغرب وبالعكس. وعلى هذا الأساس جعل منهجه: التسجيل الحولي وذكر الأحداث الصغرى وبعض الوفيات في نهاية كل سنة، أما الأحداث الهامة فيعطيها عناوينها ضمن السنة ولا يخرج بالأحداث من سنة إلى أخرى الا عند الحاجة إلى الربط وخوف تفرق الخبر. وأقام بين هذا وذاك وبقدر استطاعته توازناً في الحجم بين أخبار المشرق والمغرب وبين أخبار الدول والملوك المختلفين مما أعطى كتابه طابع التاريخ العام أكثر من أي تاريخ عام لغيره. وهو في الوقت نفسه لم يهمل الحوادث المحلية في كل اقليم وأخبار الظواهر الجوية

والأرضية من غلاء ورخص وقحط وأوبئة وزلازل ...

وحرص ابن الأثير – بقدر علمه – على تعليل بعض الظواهر التاريخية وعلى نقد بعض الأخبار بل ونقد بعض السلوك من الناس . ونجد لديه النقد السياسي والحربي والأخلاقي والعلمي ، يدرج عفواً بين ثنايا الأحداث مما جعل شخصيته التأريخية واضحة على الدوام في الكتاب لا سيما حين أرخ لأحداث عصره وتحدث عن الأيوبيين والزنكيين والصليبيين والمغول .

ولعل من أهم ما أعطى التاريخ«الكامل»مكانه ان صاحبه تخيرله المصادر ونستطيع أن نعد منها حوالى ٣٢ مصدراً وأنه نقد بعض المصادر – ومن جملتها الطبري نفسه – وأنه إلى هذا وذلك كان يلخص الأخبار أحسن تلخيص ويذكر أصح الروايات التي ارتضاها فان ظل على الشك من بعضها أورد الرواية الأخرى وترك للقارىء الحكم بين الروايتين وقليلا ما كان يفعل ذلك . على أن التلخيص كان يتم أحياناً على حساب بعض التفصيلات الهامة التي لم ير فيها ابن الأثير كبير شأن .

وقد أعان الرجل على الاحسان في التأليف أن أسلوبه النثري كان موجز العبارة واضحها كما كان أسلوباً سهلاً مرسلاً يرصعه أحياناً آية كريمة أو حديث أو مثل سائر أو بيت شعر ، وفيه أحياناً التعليق الوعظي أو الانفعال أو اللمحة الساخرة .

ومع هذا كله ومع ما حظي به الكتاب دوماً من التقدير ، ومع أنه اعتُمد من المؤرخين التالين كمصدر رئيسي لا يكاد يكتب مؤرخ كتاباً لا يعتمد فيه على كثير وقليل من أخباره فان الكتاب متفاوت القيمة التأريخية بين أجزائه . فالقسم الأول المتعلق بالخليقة وبدء العالم ولو أنه ينتقد الطبري أحياناً الا انه في الوقت نفسه يعتمد الاعتماد الكلي عليه ولا ينجو من السطحية ، ومن تقبل الأحاديث الواضحة الوضع رغم استخدامه المنطق

في رد بعض الأخبار . وتتخلل أخباره عن الفرس الخرافات والأساطير والمبالغات كما أنه في تاريخه للسيرة النبوية قبل الكثير من الأخبار الموضوعة والأسطورية عن التنبؤ بميلاد الرسول وبعثه. لكن أكثر أقسام الكتاب اتزاناً وجدية وشأناً ، والأقسام التي أعطته قيمته هي ما اتصل بالتاريخ الإسلامي . وعن هذه الأقسام كانت نقول المؤرخين عنه .

أما كتب ابن الأثير الأخرى فهي :

- الباهر في الدولة الأتابكية (مطبوع) وهو تاريخ للدولة الزنكية التي يدين لها المؤرخ بالولاء والود ، لا سيما وأن ملوكها هم ملوك بلده — وقد كتبه تقرباً من أولئك الملوك.واذا كان قد عرض في تاريخه العام لتاريخ الأتابكة بالطبع لكنه في « الباهر » كان يسجل — عدا الأخبار الحربية والسياسية التي حواها الكامل — أخباراً منوعة وتفاصيل فيها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي ابتداء من مطلع عماد الدين زنكي ووصوله إلى حكم الموصل سنة ٥٢١ حتى وفاة الملك نور الدين ارسلان شاه سنة ٦٠٧ . ولا يتجلى ابن الأثير في هذا الكتاب بكامل موضوعيته فهو يحابي أمراءه ويجاملهم بالمديح ولا يلزم جانب الحياد أو التفصيل حين يتكلم عن علاقة الزنكيين بصلاح الدين ، لما تُظهر تلك العلاقة من ضعفهم أمام الرجل الأيوبي .

واذا اعتمد ابن الأثير على المؤرخين الآخرين وعلى المعاصرين له في التقاط أخبار الأتابكة فان بُعده عن الوظائف العامة وعدم اطلاعه على وثائق البلاط وديوان الرسائل حرمه — وحرمنا معه — من فرصة الالتقاء في الكتاب مع مجموعة من الوثائق المعاصرة . غير أن هذا لم يمنع اعتماد المؤرخين عليه منذ أبي شامة في كتاب الروضتين حتى ابن قاضيَ شهبة في « الكواكب الدرية في السيرة النورية » مروراً بسبط ابن الجوزي وابن خلكان وابن واصل وابن الفرات والذهبي وغيرهم ...

– أسد الغابة في معرفة الصحابة : وقد برر ابن الأثير اهتمامه بهذا الموضوع . رغم تأخر زمنه ستة قرون عن عصر الصحابة بأن « السنّة التي عليها مدار تفصيل الأحكام ومعرفة الحلال والحرام إلى غير ذلك من أمور الدين انما ثبتت بعد معرفة رجال أسانيدها ورواتها ... فينبغي أن يُعرفوا .. لأن سيرهم هي سنن الهداية والقدوة للمسلمين» . وبالرغم من صدور كتب كثيرة في الصحابة قبله فان ابن الأثير قد وجد ضرورة لتأليف كتابه فيهم لأن كل مؤلف سابق « اختلف مقصده من ذكرهم على الآخر » وفي كتبهم « مآخذ » سجلها عليهم . كما أن عدداً من العلماء في دمشق والقدس طلبوا اليه تأليف كتاب يحسم ما هم فيه مختلفون . وقد وضع الكتاب بالاستناد إلى خمسة مصادر كبرى معروفة : هي كتب ابن منده الاصفهاني ، وأبي نعيم الاصفهاني أيضاً وابن عبد البر القرطبي ، وأبي علي الغساني (صاحب تقييد المهمل) وكتاب أبي موسى الذي ذيل به على ابن منده . يضاف اليها حوالى ثلاثين كتاباً آخر ذكر بعضها في فصل خاص وفي ثنايا الكتاب. وقد رتب التراجم على أحرف الهجاء، وضبط الأسماء وشرح الألفاظ الصعبة وصوب بعض الأخطاء بعد أن جمع التراجم جمعاً مختاراً من المصادر ... وهكذا أخذ عليه أنه ارتبط بمصادره الارتباط القوي وكرر بعض الأخبار وأطال أحياناً وَقَبِلَ في الصحابة من ليس في الاجماع منهم ... وقد تتبعه العلماء وخاصة ابن حجر بالنقد والتصويب ...

– اللباب في تهذيب الأنساب (في ثلاث مجلدات) وقد دفع ابن الأثير إلى تأليفه قلةُ التأليف في هذا العلم حتى اندثر رغم حاجة طالب العلم اليه... وأن أكثر الأنساب « مجهول عند العامة غير معلوم عند الخاصة » وبالرغم من أنه وجد كتاب الأنساب للسمعاني وافياً « وفي غاية الملاحة والجودة والفصاحة وقد أتى بما عجز عنه الأوائل ولم يدركه الأواخر » الا انه لاحظ فيه بعض العيوب فلما عاد إلى تهذيبه خرج من ذلك بكتاب اللباب .

فالكتاب اذن هو مادة السمعاني نفسه ، ولكنها مصوغة بقالب ابن الأثير وقد أسقط الفصول الأولى واختصر بعض التراجم أو حذفها . وشكك في بعض الأخبار التي يرويها السمعاني بيقين وصحح بعض مروياته وأنسابه مما جعل المؤرخين من بعد يعتمدون عليه دون الكتاب الأصلي الكبير العزيز الوجود ...

ولابن الأثير عدا هذا كله كتاب ضائع اسمه أدب السياسة . كما ينسب اليه كتاب منحول بعنوان تحفة العجائب نجد مخطوطه في استامبول ولكن مطالعته تكشف الزيف فيه لأنه ينقل عن مؤلفين متأخرين عن عهد ابن الأثير .

- ابن الدبيثي : جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد بن محمد البغدادي (المتوفى سنة ٦٣٩/١٢٤١) وهو بدوره من الفقهاء المحدثين افتتن بتاريخ بغداد للخطيب وبذيله للسمعاني فأنشأ ذيلاً عليهما هو :

- ذيل تاريخ بغداد ابتدأ به من حيث انتهى السمعاني وذكر فيه ما لم يذكره الخطيب ولا السمعاني من التراجم والأخبار . وقد حفظ الزمن من هذا الذيل أجزاء كلها مخطوط وبعضها في استامبول وهو الجزء الأول الذي ينتهي بحرف الحاء (مخطوط مكتبة شهيد علي ومكتبة الأوقاف) وبعضها في باريس وهو الجزء الثاني خاصة وغيره ، وبعضها في كمبردج وهو الجزء الثالث ... وليس هو على أي حال نهاية الكتاب ولكن حوالى أواسطه .

- وألف ابن الدبيثي تاريخاً كبيراً لواسط ذكره ابن حجر [1] ولا شك أنه على التراجم .

- وكتب كذلك معجم الشيوخ في تراجم شيوخه .

---

(١) ابن حجر – الدرر الكامنة ج ٢ ص ٣٦٥ .

- ابن النجار محب الدين أبو عبد الله محمد بن محمود بن محاسن البغدادي (المتوفى سنة ٦٤٣/١٢٤٥) وهو من كبار المحدثين والمؤرخين معاً . وبالرغم من ضياع القسم الأعظم من تراثه الذي لم يبق منه الا النزر الأيسر فان هذا لا يمنع من اعتباره بين أكثر المؤلفين انتاجاً .

ساح الرجل ٢٧ سنة في أقطار العالم الإسلامي ما بين خراسان إلى مكة ومصر والشام ودرس على ثلاثة آلاف شيخ . بدأ السماع وهو ابن عشر سنين وطلب بنفسه وهو ابن خمس عشرة وحصل الكثير ، في ثقة واتقان وكتب الكثير ووقف كتبه على المدرسة النظامية ببغداد حين مات . واذا تركنا جانباً بعض مؤلفاته الحديثية والدينية وجدنا له في باب التاريخ ثبتاً طويلاً من الكتب تدخل كلها في باب علم الرجال والتراجم ومن ذلك :

- التاريخ المجدد لمدينة السلام ، وهو في شهادة السخاوي « أحفل كتاب في تاريخ بغداد (جعله ذيلا على كتاب البغدادي) وأدخل فيه ما في كتاب ابن السمعاني وابن الدبيثي وزاد وأفاد بحيث كان في سبعة عشر مجلداً .. »[1] وقد ضاع معظم هذا الكتاب فليس منه سوى مجلد مخطوط في الظاهرية بدمشق (هو العاشر من ترجمة عبد المغيث إلى ترجمة علي بن الحسين الدنيسري) ومجلد مخطوط آخر في باريس لعله التالي له .
- الدرة الثمينة في تاريخ المدينة ، وهو مخطوط المدينة .
- نزهة الورى في تاريخ أمّ القرى ، ومنه نسخة مخطوطة .

وأما باقي تراث ابن النجار التاريخي فقد ضاع وان كنا نعرف عناوينه ومنها ١٢ مؤلفاً ضخماً :

- تاريخ الكوفة (ذكره ياقوت) . الكامل في معرفة الرجال . أنساب

---

(١) السخاوي — الاعلان ص ٦٢٢ .

المحدثين معجم الشيوخ (٣ آلاف ترجمة) . المستدرك على تاريخ الخطيب (في ١٠ مجلدات) . روضة الأولياء في مسجد ايلياء . العقد الفائق في عيون أخبار الدنيا ومحاسن تاريخ الخلائق . غرر الفرائد (في ٦ مجلدات) . المتفق والمفترق المؤتلف والمختلف (وهو ذيل على الاكمال لابن ماكولا) ... مناقب الشافعي . جنة الناظرين في معرفة التابعين ...

ولا شك أن ابن النجار ، بهذا الاطلاع مع تلك الرحلة وآلاف الشيوخ ، وضخامة التأليف وكثرته يمكن أن يُعَدّ النموذج الأكمل للعالم المحصّل المنتج في عصره .

٢ ـ المؤرخون الثانويون :

ويأتي بعد هذه الجماعة الواسعة من المؤلفين الكبار طبقات عديدة من المؤرخين نستطيع أن نعد من البارزين فيها عدداً ينيف على المائتين ولكنا نقتصر من ذلك الجمع على بضع عشرات :

- الحاكم النيسابوري أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه المعروف بابن البيّع (٣٢١ ـ ٤٠٥ / ٩٣٣ ـ ١٠١٤) درس ورحل في سبيل الدراسة سنين ووصل العراق والحجاز مرتين وكتب عن نحو ألفي شيخ حتى صارت له الرئاسة في الحديث والقراءة في خراسان وفي الدنيا الإسلامية وكان فيه تشيع كما قالوا وأنحى على معاوية فأوذي ...

تقلد القضاء للسامانيين وسفر بينهم وبين بني بويه . وصنف بين هذا وذاك تصانيف كثيرة بلغت ألفي جزء (٢٠٠ مجلد) ولعل من أهمها كتبه التاريخية :

- تاريخ نيسابور (في ٦ مجلدات) ولعله هو الذي سماه السخاوي أخبار

علماء خراسان أيضاً [1] واختصره لنفسه وقد ذيل عليه عبد الغفار الفارسي بكتاب السياق . كما لخصه بالفارسية الخليفة النيسابوري ونشر الملخص بعناية بهمن كريمي (طهران سنة ١٣٣٩) .

- وللحاكم عدا ذلك كتابان ضائعان : تراجم الشيوخ، شيوخه الألفين، وكتاب فضائل الامام الشافعي بالاضافة إلى كتابه المشهور المستدرك على الصحيحين وكتاب في الكنى والألقاب .

- الشريف الرضيّ أبو الحسن محمد بن أبي أحمد الحسين الموسوي (ولد سنة ٣٥٩ وتوفي سنة ٤٠٦) الشاعر المشهور . كان مثل أبيه وجده نقيب الاشراف في بغداد منذ سنة ٣٨٠ وله عدا ديوانه الشعري الذي يبلغ أربع مجلدات ، وعدا كتبه الأخرى مثل معاني القرآن وغيره :

- كتاب أخبار قضاة بغداد .

ذكره صاحب مطالع البدور في ترجمته ونقله عنه صاحب الذريعة إلى تصانيف الشيعة [2] .

- ابن فورك : أبو بكر محمد بن الحسن الاصبهاني (المتوفى سنة ١٠١٥/٤٠٦) أديب نحوي واعظ متكلم أقام بالعراق مدة يعمل بالتدريس ثم توجه إلى الريّ فسعت به المبتدعة فاستدعاه أهل نيسابور إليهم فاستوطن ذلك البلد وبنى به مدرسة وداراً كما زار مدينة غزنة في التدريس فسُمَّ وهو في طريق العودة إلى نيسابور وله ما يزيد على مائة مصنف في الفقه والقرآن والدين منها :

- طبقات المتكلمين ولم يسبقه في البحث إلا المرزباني أبو عبد الله محمد بن عمران البغدادي (المتوفى سنة ٣٨٤) بكتابه أخبار المتكلمين .

---

(١) انظر السخاوي ص ٦٢٩ ، ص ٦٥٢ .

(٢) انظر آغا بزرك - الذريعة ج ١ ص ٣٤٥ وكتاب مصفى المقال ص ٤٠٥ .

— الشيرازي أبو بكر أحمد بن عبد الرحمن المتوفى سنة ٤٠٧ وقد كتب كتاب ألقاب الرواة ولم يصلنا ولكن وصلتنا نسخة خطية من مختصره الذي صنعه محمد بن الانماطي في مكتبة كوبريلي باستامبول ونسخة في الظاهرية بدمشق .

— الجرجاني أبو الفضل محمد بن جعفر بن بديل الخزاعي الجرجاني (المتوفى سنة ٤٠٨ عن ٧٦ سنة) وهو محدث مقرىء وله عدا مؤلفه في القراءات العشر كتاب : الواضح في التاريخ .

— ابن مردويه الأصبهاني أبو بكر أحمد بن موسى الحافظ ، المتوفى سنة ١٠١٩/٤١٠ عن قرابة التسعين عاماً . وله عدا كتاب التفسير كتاب التاريخ [١] .

— الفارسي الجوال أبو بكر أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد الحافظ (المتوفى سنة ٤١٠ أو سنة ١٠٢٠/٤١١) وله كتاب ألقاب الرجال [٢] .

— ابن الجراح أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن عيسى بن عروة (المتوفى سنة ١٠٢٢/٤١٣) الكاتب الشيعي البغدادي وله نوادر الأخبار في التاريخ .

— محمد بن أحمد بن مهدي وهو مؤرخ مجهول كتب تاريخاً قدمه لخزانة الخليفة القادر بالله (٣٨١ — ٩٩١/٤٢٢ — ١٠٣١) وكان هذا التاريخ — فيما يبدو — شاملاً لتاريخ الإسلام إن لم يكن تاريخاً عاماً . وقد نقل عنه ابن العديم في بغية الطلب نصاً يتعلق بالأحنف بن قيس وموته سنة ٦٨ هـ [٣] .

— الرازي أبو القاسم تمام بن محمد (المتوفى سنة ١٠٢٣/٤١٤) وله تاريخ الرهبان .

---

(١) انظر ابن العماد — شذرات ج ٢ ص ١٩٠ .

(٢) المصدر السابق نفسه .

(٣) انظر ابن العديم — بغية الطلب (مخطوط أحمد الثالث) ج ٢ ورقة ١٧٨ وجه .

- ابن جهضم أبو الحسن علي بن عبد الله (المتوفى سنة ١٠٢٣/٤١٤) وقد كتب : بهجة الأسرار ولوامع الأنوار في حكايات الصالحين العلماء الأخيار والصوفية الحكماء الأبرار .

- البغدادي أبو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي (المتوفى سنة ٤٢٩/ ١٠٣٧) وله كتاب الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية ، وهو مطبوع .

- الفلكي أبو الفضل علي بن الحسين بن أحمد بن الحسن الهمذاني الحافظ المتوفى سنة ٤٢٩ أيضاً وهو من العلماء المؤرخين المنسيين [١] . وسليل بيت من بيوت العلم رحل كثيراً وجمع كثيراً وصنف كثيراً وله من الكتب :

- كتاب طبقات الرجال في ألف جزء (مائة مجلد) ذكره الخطيب البغدادي [٢] .

- كتاب منتهى الكمال في معرفة ألقاب الرجال وقد أخذ عنه السمعاني في أكثر من موضع في كتاب الأنساب [٣] .

- كتاب معرفة الثقات المحدثين . وجميع هذه الكتب ضائعة .

- السرخسي أبو يعقوب اسحق بن إبراهيم بن محمد القراب (٣٥٢ - ٤٢٩ / ٩٦٣ - ١٠٣٨) وله كتاب تاريخ السنين في تراجم العلماء . رتبه الترتيب الزمني منذ صدر الإسلام حتى سنة وفاته . وكان أحد مصادر ابن حجر في تهذيب التهذيب [٤] .

- المرتضى : أبو القاسم علي بن الحسين بن موسى العلوي الموسوي (المتوفى

---

(١) انظر بعض ترجمته لدى السمعاني - الأنساب ورقة ٤٣٦ وجه وظهر .

(٢) الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد ج ١ ص ٢١٤ .

(٣) اقتبس السمعاني من كتاب الألقاب في أكثر من موضع من كتابه الأنساب.انظر ورقة ٤٢٠ وجه ، ٤٨٣ وجه و ٤٨١ ظهر .

(٤) انظر مثلا ابن حجر - تهذيب التهذيب ج ٢ ص ١٤٧ ، ج ٥ ص ٢٨٨ ، ج ٩ ص ٢٤٣ .

سنة ١٠٤٤/٤٣٦) ويوصف في المصادر بأنه « الفقيه المتكلم » وبأنه « الرافضي المعتزلي » وقد كتب كتاباً هاماً في : طبقات المعترلة وهو مطبوع موجود . وفيه الكثير مما لم يورده غيره من الأخبار . كما أن للمرتضى كتاباً ضائعاً بعنوان درر القلائد [١] .

- الأمير الميكالي أبو الفضل عبيد الله بن أبي النصر أحمد بن علي بن إسماعيل ابن ميكال (المتوفى سنة ٤٣٦ أو سنة ٤٧٥) ويكتب اسمه أحياناً عبد الرحمن مما يوحي بأنهما أخوان اثنان يختلط أمر أحدهما بالآخر وقد تأخرت وفاة أحدهما عن أخيه مما أوجد لهما وفاتين مختلفتين . وعلى أي حال فإن أبا الفضل كان من ولد ملوك الفرس وقد ذكر ابن شاكر الكتبي في الفوات أنه « كان أوحد خراسان في عصره أدباً وفضلاً ونسباً » كما كان كثير القراءة رائق الأدب والشعر . وله من التصانيف (التي تنسب في الوقت نفسه إلى عبد الرحمن) في التواريخ :

- كتاب مخزون (أو مخزن) البلاغة في التاريخ .
- كتاب ملح الخواطر ومنح الجواهر .
- كتاب فضائل الملوك [٢] .

هذا إلى جانب كتب أدبية أخرى منها شرح المتنبي وشرح الحماسة وديوان الرسائل وكتاب المنتحل ولعل الكتب الأدبية لواحد من الأخوين والتاريخية للآخر . إلا أن يكون ثمة تصحيف في الاسم والوفاة لمسمى واحد .

---

(١) انظر ترجمة ابن الفوطي له – تلخيص مجمع الآداب ج ٢ القسم الأول ص ٦٠٠ – ٦٠٢ والسخاوي ص ٥٨٠ .

(٢) انظر كشف الظنون ج ٢ ص ١٦٣٩ وص ١٢٧٨ ثم ص ١٨١٧ حيث يذكر أن الميكالي توفي سنة ٦٧٥ وانظر كذلك هدية العارفين ج ١ ص ٥١٦ وص ٦٤٨ وانظر إلى هذا وذاك ابن شاكر الكتبي – فوات الوفيات (ط. محمد محي الدين عبد الحميد) ج ٢ ص ٥٢ .

ويكاد يكون من المؤكد أن أبا الفضل عبيد الله هو الشاعر الأديب وهو المتوفى سنة ٤٣٦ لورود ترجمته في يتيمة الدهر [1] للثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩ .

- الوزير المغربي أبو سعد محمد بن الحسين بن عبد الرحيم (المتوفى سنة ١٠٤٧/٤٣٩) وليس سنة ٣٨٨ كما في بعض المصادر [2] . وهو من رجال الدولة البويهية . وزر لجلال الدولة البويهي في بغداد ست مرات ما بين سنتي ٤١٩ وسنة ٤٢٧،وحمل لقب عميد الدولة . وحين مات البويهي وقدم أبو كاليجار إلى العاصمة العباسية أخرج الوزير المغربي منها لمضى إلى تكريت ثم توفي بجزيرة ابن عمرو [3] ويبدو أنه كان ذا ثقافة أدبية شعرية تاريخية واسعة سمحت له أن يؤلف بعض المؤلفات ومنها :

- أخبار الشعراء المحدثين
- النتف والظرف في الأدب .
- طبقات الأمم في التاريخ [4] ولعله شاء أن يقلد به مسكويه في تجارب الأمم مقتبساً الاسم نفسه من صاعد الاندلسي صاحب كتاب طبقات الأمم .

- الداني أبو محمد عثمان بن سعد بن عمر الأموي المعروف بالداني والشهير بابن الصيرفي (٣٢٧ – ٤٤٤) وهو من العلماء المتبحرين والمؤلفين المكثرين وله بين مصنفاته البالغة ١٢٠ مصنفاً :

- كتاب الفتن والملاحم يتحدث عما سوف يجري في نهاية الدنيا (وهو

---

(١) الثعالبي – يتيمة الدهر (تحقيق م. محي عبد الحميد) ج ٤ ص ٥٢ .
(٢) هدية العارفين ج ٢ ص ٥٦ .
(٣) ابن الأثير ج ٩ ص ٥٤٢ وانظر ما بين صفحة ٣٧٠ و ٥٤٢ .
(٤) هدية العارفين ج ٢ ص ٥٦ .

مخطوط بالظاهرية بدمشق) .

- كتاب تاريخ القراء ، وقد ضاع [1] .

- الخليلي أبو يعلى خليل بن عبد الله الخليلي القزويني الحافظ (المتوفى سنة ٤٤٦) وهو من كبار العلماء الحفاظ وقد كتب : الارشاد إلى علماء البلاد ذكر فيه المحدثين وغيرهم من العلماء على ترتيب البلاد حتى زمانه وترجم كل بلد أو ناحية . وقد انتخب الحافظ السلفي (المتوفى سنة ٥٧٦) من هذا المؤلف كتاب المنتخب من الارشاد ومنه نسخة مخطوطة في الرباط (مكتبة الكتاني رقم ٥٢٨) وتراجمه تتراوح بين الصفحة والسطر الواحد وهو مرتب على أساس المدن كالأصل . وقد جاء بعد ذلك زين الدين قاسم بن قطلوبغا الحنفي (المتوفى سنة ٨٧٩) فرتب الكتاب الأصلي على الحروف .

وللخليلي كتاب آخر على النهج نفسه يختص ببلاده قزوين اسمه : الارشاد في أخبار قزوين [2] .

- الغضائري أبو الحسين أحمد بن الحسين بن عبيد الله (توفي بعد سنة ٤٥٠) وهو عالم شيعي كتب : كتاب تراجم الشيعة ، أخذ معلوماته عن النجاشي وكتاب تاريخ واسع ، أتلفه الورثة .

- السرخسي أبو نصر زهير بن حسن بن علي الجذامي (توفي سنة ٤٥٤) وله كتابان في التاريخ ضائعان : تاريخ الخلفاء (الأمويين والعباسيين) وكتاب الانباء على الانبياء .

- ابن البناء أبو علي الحسن بن أحمد (٣٩٦ - ٤٧١) وأسرته أسرة علم

---

(١) انظر السخاوي - الاعلان ج ٥٦٤ .
(٢) كشف الظنون ج ١ ص ٧٠ .

وحديث كما كان بدوره من المحدثين وقد كتب : تاريخ ابن البناء . وطبقات الحنابلة وكلا الكتابين ضائع . غير أن له تعليقات أشبه بالمذكرات أو اليومية تشمل فترة صغيرة بين سنة ٤٦١ – ٤٦٣ مخطوطتها بالظاهرية بدمشق وقد طبعت .

– ابن أبي صادق أبو القاسم عبد الرحمن بن علي بن أحمد النيسابوري (المتوفى في حدود سنة ٤٧٠) وهو طبيب واسع التأليف في مادته إلا إنه شارك في الوقت نفسه في التاريخ « بكتاب التاريخ » ولسنا نعرف شيئاً عن مادته والأرجح أنه في التاريخ العام لا في التراجم [١] .

– الشيرازي : أبو اسحق جمال الدين إبراهيم بن علي الفيروزبادي (٣٩٣ – ٤٧٦) وهو فقيه مدرس شافعي وقد كتب كتاب : طبقات الفقهاء (ويسمى أحياناً نزهة الأفكار ، وهو مطبوع) .

– السمناني : أبو القاسم علي بن محمد (المتوفى سنة ٤٩٩) وهو من طبقة القضاة وقد كتب عدداً من الكتب منها :

– الاستظهار في معرفة الدول والأخبار وهو مرتب لا على السنين فقط ولكن على الشهور أيضاً ... على أنه اندثر .

– روضة القضاة وطريق النجاة وقد طبع منه الجزء الأول عن نسخة فريدة في برلين وفي نهاية الكتاب تاريخ القضاة .

– المرشد النظامي . وهو المرشد إلى معرفة الصحابة والتابعين والخلفاء والخوارج ويبدو أنه تراجم على الأساس الأبجدي . أشار إليه في مقدمة كتابه روضة القضاة وذكر أنه قدمه لنظام الملك وزير السلاجقة المعروف (قتل سنة ٤٨٥) .

---

(١) انظر هدية العارفين ج ١ ص ٥١٧ .

– **الذهلي** : أبو غالب شجاع بن فارس بن الحسين (المتوفى سنة ٥٠٧) وهو وراق نساخ وقد كتب أول (ذيل على تاريخ بغداد) للخطيب البغدادي .

– **السقطي** أبو البركات هبة الله بن المبارك بن موسى بن علي (المولود سنة ٤٤٥ المتوفى سنة ٥٠٩) بغدادي طلب الحديث بنفسه وسمع الكثير وكتب الكثير وسافر في ذلك إلى واسط والبصرة والكوفة والموصل وإصبهان والجبال . وكان له بجانب الحفظ للحديث أنس بالأدب ومعرفة بالسير والتواريخ وأيام الناس ويتهمونه بالتهاون والضعف في الحديث وله : معجم لشيوخه في نيف وعشرين جزءاً (أكثر من مجلدين) [1] .

– ابن نما أبو البقاء هبة الله بن نما بن علي بن حمدون الحلي الربعي (المتوفى سنة ٥٢٠) ولسنا نعرف عن الرجل سوى أنه شيعي المذهب ومن أهل الحلة من أسرها المعروفة وقد كتب :

– المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية .
تكلم في القسم الأول من الكتاب عن بعض الأنبياء ثم عن الساسانيين ، مقتبساً ذلك عن الطبري وينص على ذلك . وبعد أن يستعرض بعض أخبار الجاهلية ، عن ملوك الحيرة وفرسان العرب ومفاخرها، يعود في القسم الثاني إلى الكلام عن امرىء القيس والنعمان بن المنذر ويقارن ما بينهما وبين ملك العرب ، لعهده ، صدقة بن مزيد ، أمير الأعراب في جنوب العراق مع أسرته في تلك الفترة . ويقتصر في الكلام على صدقة خاصة دون أسلافه الذين لا يخصص لهم سوى روايات قليلة جداً . ويحتفظ المتحف البريطاني بنسخة مخطوطة من هذا الكتاب (رقم OR ٢٣٢٩٦) .

– **الأخوان الاخسيكثي** ، وهما أبو الوفا محمد بن محمد بن القاسم المعروف بابن أبي المناقب (سنة ٤٦٦ – ٥٢٠) وهو فقيه كتب تاريخاً عرف باسمه .

---

(١) الدمياطي – المستفاد من ذيل تاريخ بغداد (المخطوط) الورقة ٧٧ وجه وانظر ابن الدبيثي (اختصار الذهبي) ج ٢ ص ٢٠٧ والذهبي – لسان الميزان ج ٦ ص ١٨٩ .

وأخوه أبو رشاد ذو الفضائل الذي كتب تاريخ فرغانه (توفي سنة ٥٣٦) .

- الزاغوني أبو الحسن علي بن عبيد الله بن نصر الحنبلي (٤٥٥ - ٥٢٧) كان من كبار الوعاظ والفقهاء حتى صار شيخ الحنابلة ببغداد وقد وضع : ذيلا على تاريخ الطبري ذكر فيه تاريخ بغداد من ولاية المسترشد (٥١٢/ ١١١٨ - ١١٣٥/٥٢٩) حتى وفاة المؤلف فكأنها نوع من المذكرات .

- السهروردي وجيه الدين أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله بن عمريه (المتوفي سنة ٥٣٢) وهو من الصوفية وقد أولع بالتاريخ فكتب لشحنة العراق وبغداد في عهده : التاريخ المجاهدي ، وهو تاريخ عام مختصر ، وقد ضاع .

- النسفي عمر بن محمد بن إسماعيل (سنة ١٠٤٢/٥٣٧) وهو من المحدّثين على أنه اتبع علم الرجال وكتب كتاب : القند في تاريخ سمرقند وهو في ٢٠ مجلداً . كما كتب تاريخ بخارى .

- التيمي الأصبهاني قوام الدين أبو القاسم اسماعيل بن محمد بن الفضل (٤٥٩ - ٥٣٨) وهو محدث فقيه صوفي كتب كتاب سير السلف في طبقات الصوفية والعارفين ، وكتاب المبعث والمغازي والكتابان موجودان مخطوطان ، الأول في التيمورية بالقاهرة وفي استامبول والهند والثاني توجد منه نسخة مخطوطة في كوبريلي في استامبول .

- البيهقي فخر الزمان أبو المحاسن (وقيل أبو الفضل) مسعود بن علي أحمد ابن أبي العباس البيهقي المعروف بابن الصوابي . وينتسب لعبد الرحمن ابن عوف (المتوفى مطالع سنة ٥٤٤) أديب رحالة بجانب أنه،فيما يبدو، كان شاعراً معروفاً كما كان من طبقة الكتاب . وله عدد من الكتب الأدبية يدخل بعضها رحاب التاريخ ومن ذلك :

- كتاب التذكرة وتعرف بتذكرة أبي المحاسن وهي في أربع مجلدات .
- كتاب أعلاق الملوين وأخلاق الأخوين .
- كتاب نفثة المصدور في مجلد يروي فيه أسفاره [1] .

- الشهرستاني أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد (٤٦٩ – ٥٤٨) وهو مشهور بكتابه : الملل والنحل الذي يحوي تاريخ الفرق الإسلامية وآراءها . كما كتب الشهرستاني تاريخ الحكماء ومنه نسخة مخطوطة لدى بعض المستشرقين .

- ابن خميس الكعبي تاج الإسلام مجد الدين أبو عبد الله الحسين بن نصر بن محمد الموصلي الجهني (سنة ٥٥٢) . وهو من الفقهاء والمتصوفة ، وقد كتب كتاب طبقات الأولياء وكتاب مناقب الأبرار وهما مخطوطان حتّى الآن .

- الخرقي السبيّي أبو محمد عبد الجبار بن عبد الجبار بن محمد بن ثابت (٤٧٩ – ٥٥٣) وهو بدوره محدث فقيه وقد كتب تاريخ مرو – على التراجم في الأرجح وكتب نهاية المعارف وهو كتاب جغرافي غير أنه كان دون شك خايقاً بأن يحوى الكثير من التاريخ .

- العمراني جمال الدين محمد بن علي بن محمد (المتوفى بعد سنة ٥٦٠) ويبدو أنه كان موظفاً لدى العباسيين ثم فارق بغداد عن محنة وقد كتب : كتاب الأنباء في تاريخ الخلفاء وهو مخطوط ومنه نسخ متعددة في لبنان .

- ابن حمدون أبو المعالي محمد بن علي بن محمد (المتوفى بعد سنة ٥٦٠) وهو من كبار الكتاب وموظفي البلاط العباسي ، ويبدو أنه أراد أن يضع نوعاً من المنهاج لتعليم الكتّاب فألف : التذكرة في ١١ مجلداً .

---

(١) انظر ابن الفوطي – معجم الألقاب ج ٤ قسم ٣ ص ١٠١ – ١٠٢ وانظر كذلك السبكي – بغية الوعاة ص ٣٩٠ .

وخصص المجلد الأخير (ما عدا أوراق في نهايته) للتاريخ . وقد طبع بعض أجزاء التذكرة كما أن بعض أجزائها مفقود وأما الجزء التاريخي فموجود وفيه ذكر للتاريخ الإسلامي على السنين تارة وعلى المواضيع أخرى ، كما أنه يحوي مجموعة من جداول الضرائب هامة عند الدراسة والمقارنة .

— الحظيري أبو المعالي سعد بن علي بن القاسم الأنصاري (المتوفى سنة ٥٦٨) الوراق ، ويعرفه المؤرخون باسم دلال الكتب . فقد كان هذا عمله . كما كان الأدب هوايته وقد دخل التاريخ من باب الأدب نفسه حين كتب ذيلا على يتيمة الدهر للثعالبي وعلى دمية القصر للباخرزي باسم :

— زينة الدهر في شعراء العصر . والكتاب كان في مجلدات ولكنه ضاع ، كما ضاع :

— ألطاف شعراء العصر وهو الكتاب الآخر من مؤلفاته .

— وبقي من انتاج الحظيري كتاب لمح الملح ومنه نسخة مخطوطة في استامبول .

— العباسي الخوارزمي مظهر الدين أبو محمد محمود بن محمد الاسلابي (المتوفى سنة ٥٦٨) وقد كتب تاريخاً لخوارزم في ثمانية مجلدات ، ليس يعرف مصيره .

— ابن العطار قطب الدين أبو العلاء الحسن بن أحمد الهمداني (سنة ٥٦٨) وهو من جمهرة المحدثين والقراء البارزين وقد كتب كتابين ضخمين ضائعين ، ولعل لضخامتهما أثرا في الضياع .

— زاد المسافر في خمسين مجلداً . فيه من كل فن . ومن ذلك بعض التاريخ .

— تاريخ وسير القراء وهو تراجم المشاهير من القراء في عشرين مجلداً .

— صدقة الحداد : أبو الفرج عفيف الدين بن الحسين بن الحسن بن بختيار

(المتوفي سنة ٥٧٠) وكان يعمل فرضياً وناسخاً بالأجرة ، كما عمل بالتدريس وقد دخل غمار المؤرخين بكتابة ذيل على تاريخ الطبري ... ضاع كما ضاع غيره .

- **الفارقي** ابن الأزرق أحمد بن يوسف بن علي (المتوفى بعد سنة ٥٧٧) وهو محدث فقيه وموظف وجوال كتب تاريخ ميافارقين وهي بلده ، ولكنه من خلال ذلك كتب تاريخ المنطقة كلها وأدرج في كتابه بعض الوثائق والشهادات من المعاصرين ومنه . ويمتلىء كتابه الذي يشبه المذكرات في أقسامه الأخيرة بالملاحظات الحية والاشارات المعبرة . ويحتفظ المتحف البريطاني بالنسخة المخطوطة الوحيدة له كما يحتفظ بموجز لها . وقد حققنا الكتاب كاملاً للنشر بعد أن نشر منذ سنوات قسم محدود منه في القاهرة .

- **ابن الأنباري** كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن محمد (سنة ٥٧٧/ ١١٨٢) وهو لغوي نحوي أديب شارك في التاريخ بكتابين :

  - نزهة الألباء في تاريخ الأدباء وهو في التراجم وقد طبع .
  - تاريخ الانبار ، بلده وقد ضاع .

- **ابن بابويه** منتجب الدين أبو الحسن علي بن عبيد الله بن الحسن القمي (سنة ٥٠٤ – ٥٨٥) وهو من كبار فقهاء الشيعة وعلماء الرجال فيها . وله في هذا الباب عدة كتب :

- كتاب الرجال أو الفهرس ، ويتحدث عن مؤلفي الشيعة مكملاً به فهرس الطوسي قبله ، وهو مطبوع وعنوانه الأصلي : أسماء مشايخ الشيعة ومصنفيهم وقد كتبه صاحبه للشريف المرتضى يحيى بن أبي الفضل نقيب أشراف قم والري وذلك فيما بين سنتي ٥٧٢ – ٥٩٢ .

- تاريخ الشيعة ولا شك أنه في تراجم رجالها ، وهو ضائع ويبدو كأنه هو

الكتاب السابق نفسه .

- تاريخ الري ، وهو بدوره ضائع .

- ابن شهراشوب الطبرسي رشيد الدين أبو جعفر محمد بن علي بن أبي نصر السروي المازندراني (سنة ٥٨٨) من كبار علماء الشيعة توفي عن مائة سنة الا بضعة أشهر قضاها في الرحلة والتدريس والتأليف ومن كتبه المعروفة ، كتاب يماثل كتاب ابن بابويه في مصنفي الشيعة . وقد ظهر معه في وقت واحد وهو :

- كتاب معالم العلماء (ويسمى أحياناً كتاب الرجال) وقد جعله إتماماً لفهرس شيخ الطائفة الطوسي ، كابن بابويه، وزاد عليه قرابة ٦٠٠ مصنف. والكتاب مطبوع أكثر من مرة في طهران والنجف .

- نخب الأخبار ، مطبوع .

- مناقب آل أبي طالب ، مطبوع .

وسوف نعود إلى الطبرسي كرة أخرى في مدرسة الشام فقد سكن حلب في النصف الثاني من حياته وألف فيها مؤلفاته كما توفي فيها .

- الشيباني أبو غالب جمال الدين عبد الواحد بن مسعود بن الحسين الكاتب (المتوفى سنة ٥٩٧) وهو من جمهرة الكتاب في بلاط بغداد ، وقد كتب كتابين ضائعين :

- ذيل الطبري وهو الثالث في هذا القرن السادس بعد الزاغوني وصدقة الحداد ، وقد نقل عنه عدد من المؤرخين وبصورة خاصة ابن العديم في البغية .

- كتاب الشعراء على حروف المعجم وهي محاولة معجمية للتراجم .

- ابن الحداد قوام الدين أبو الفرج علي بن عمر بن محمد بن فارس بن معن الانباري ويعرف بابن الحداد (المتوفى سنة ٦٠٣) كان كاتباً في بلاط

خلفاء بغداد ورتب ناظراً في الحلة . ومن مؤلفاته :

— كتاب نخبة الانتقاد من تاريخ بغداد [1] ويوحي العنوان بأن الرجل اختصر أو انتخب شيئاً من تاريخ بغداد للبغدادي أو غيره .

— ابن حمدان تاج الدين الحسن بن محمد بن الحسن البغدادي (سنة ٦٠٨) من كبار الموظفين ومن الهواة في التاريخ وله كتابان ضائعان :

كتاب أخبار العلماء ، وكتاب أخبار الشعراء .

— الربضي فخر الدين أبو الظل مودود بن إسماعيل بن سوتاش بن إسرائيل ابن تميرك (المتوفى بعد سنة ١٢١٤/٦١١) . وهو ليس من المؤرخين ولكن من كتاب الرحلات التي لا تقل شأناً عن الشهادة التاريخية . حفظ لنا ابن الفوطي ترجمته وقال : «.... ذكره ابن الشعار وقال : من أهل سنجار . سكن ربضها . أصل آبائه من التركمان ... سافر البلاد وجال الآفاق ولقي علماء الأنام وكانت له معرفة بالأدب والعربية . أقام بشهرزور مدة ثم عاد إلى سنجار ... » [2] « وهو صاحب كتاب المشاهد » الذي يبدو أنه سجل فيه انطباعات رحلاته الواسعة .

— الهاشمي العباسي : أبو طالب عبد الرحمن بن أبي الفتح بن عبد السميع (ولد بواسط سنة ٥٣٨ وتوفي بها سنة ٦٢١) نشأ وتعلم وعاش في واسط وحدث كثيراً وصنف . من مؤلفاته :

كتاب المنتخب من مناقب الدولة العباسية ومآثر أئمتها المهدية . ألفه للسيد علاء الدين هاشم بن علي بن المرتضى . وقد أخذ عن الكتاب ابن الفوطي كما أخذ الذهبي ونقل عنه السيوطي في ترجمة المقتفي لأمر الله [3] .

---

(١) ابن الفوطي – معجم الألقاب ج ٤ قسم ٣ ص ١٠٥ .

(٢) ابن الفوطي – معجم الألقاب ج ٤ قسم ٤ ص ٨١٠ – ٨١١ .

(٣) انظر ابن الفوطي – معجم الألقاب ج ٤ قسم ٤ ص ١١٠٩ (ترجمة ١٦٥٩) . وانظر =

– قيصر بن كمشتكين الحاجب وله كتاب تاريخ يتعلق ببغداد ورجالها وجواريها في أواخر القرن السادس ومطالع السابع . نقل عنه ابن الساعي في الجامع المختصر مرات عديدة [1] .

– ابن نقطة أبو بكر محمد بن عبد الغني بن أبي بكر البغدادي (سنة ٦٢٩/ ١٢٣٣) محدث رحالة طلب الحديث في أنحاء العالم الإسلامي ما بين خراسان إلى مصر ومكة ودمشق وبغداد وواسط وحلب والموصل وصنف الكثير . ولأنه من كبار المحدثين فقد عني بتراجم رجال علم الحديث وفي هذا المجال كتب عدة كتب موثوقة معتمدة :

– إكمال الاكمال ، مذيلاً به على كتاب ابن ماكولا ، والكتاب مخطوط موجود في القاهرة وحلب ودمشق والمتحف البريطاني .

– التقييد لمعرفة رواة السنن والأسانيد وهو مخطوط أيضاً في الأزهر .

– كتاب لطيف أي صغير في الأنساب . ضاع أثره .

– القيلوي أبو علي الحسن بن محمد بن اسماعيل البغدادي (سنة ٦٣٣) وهو كاتب وقاض من قضاة بغداد . اشتهر برواية الاخبار حتى عُرف بالمؤرخ . وَرَدَ على ملوك الأيوبيين في الشام فعرف حلب ثم مات بدمشق. وقد أراد متابعة قاض من أسلافه هو السمناني فكتب ذيلاً على كتابه « الاستظهار في التاريخ على الشهور» ضاع مع الأول ويقول سبط ابن الجوزي « وكتابه أحسن » [2] .

– كذلك الذهبي – تاريخ الإسلام (مخطوط دار الكتب – القاهرة رقم ٤٢ تاريخ) مجلد ٢٥ الورقة ٢٧٢ وجه . وانظر أيضاً السيوطي – تاريخ الخلفاء ص ٤٤١ .

(١) انظر ابن الساعي – الجامع المختصر (طبعة جواد – بغداد ١٩٣٤ – ونسبة الكتاب لابن الساعي خطأ) ص ١٦ ، ٤٣ ، ٧٧ ، ١١١ ، ١٣٦ ، ١٦٢ ...

(٢) سبط ابن الجوزي – مرآة الزمان ج ٨ ص ٦٩٦ .

- القطيعي أبو الحسن محمد بن أحمد بن عمر بن الحسين بن خلف الأزجي البغدادي (المتوفى سنة ١٢٣٧/٦٣٤) عن ست وتسعين سنة وهو من كبار الحفاظ ومن الوعاظ . طلب العلم في بغداد والموصل ودمشق وعمل مع الوعظ في التدريس بالمستنصرية وكانت بينه وبين ابن النجار منافسة في ذلك. جمع تاريخاً لبغداد ذكر فيه محدثيها وذيّل فيه على ذيل تاريخ بغداد للسمعاني وسماه : درة الاكليل في تتمة التذييل وكان في نحو خمسة أسفار . وقد استفاد منه ابن النجار ونقل عنه واتّهمه في الوقت نفسه بوجود أغلاط وأوهام في كتابه .

- القادسي : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن علي الحنبلي (المتوفى سنة ٦٣٤) وهو محدّث وكتبي ؛ وعن هذين الطريقين استفاضت عنايته بالتاريخ وقد كتب : – تاريخ الوزراء ضمن سلسلة الكتب بهذا الموضوع وكان آخر السلسلة .

- الفاخر في ذكر حوادث أيام الامام الناصر (٥٧٥ – ٦٢٢) في مجلدات عدة . ولعله هو نفسه الكتاب المسمى :

- ذيل المنتظم (لابن الجوزي) وقد انتهى بهذا الذيل إلى سنة ٦١٤ أو سنة ٦١٦ .

وبعض المصادر كالقفطي في تاريخ الحكماء يعتبر القادسي آخر ذيول الطبري على اعتبار أن المنتظم لابن الجوزي هو من تلك الذيول . وعلى أي حال فلن يظهر بعد الآن من ذيّل للطبري وإن كان قد اختصر ذيول الطبري جميعاً ملك أيوبي من هذا العصر نفسه .

- البنداري أبو ابراهيم الفتح بن علي بن محمد الاصبهاني (سنة ٦٤٣/ ١٢٤٥) مؤرخ ذو ثقافة مزدوجة عربية فارسية . ترك بلاده إلى بغداد ثم تركها ليلتحق بملوك الأيوبيين في الشام . وهو من طبقة الكتاب الا أنه

كان مولعاً بالتاريخ وبابن بلده العماد الاصبهاني للدرجة التي دفعته إلى ايجاز كتابين من كتبه :

- تاريخ السلاجقة وقد أوجز فيه كتاب نصرة الفطرة وعصرة القطرة . وهو مطبوع منذ سنة ١٩٠١ .

- سنا البرق الشامي أوجز فيه البرق الشامي الذي كان في ٧ مجلدات مع ذيليه : عتبى الزمان وخطفة البارق . ويبدو أن هذا المختصر قد تم بناء على طلب الملك المعظم عيسى بن السلطان العادل الأيوبي صاحب دمشق أو لكي يهدي إليه وذلك سنة ٦٢٢ وهو قيد الطبع في جزئه الثاني بعد أن صدر الأول (تحقيق رمضان ششن بيروت ١٩٧١) .

- وترجم البنداري كذلك قصيدة الشاهنامه للفردوسي نثراً إلى العربية لخزانة الملك المعظم نفسه . ومن هذه الترجمة نسخة مخطوطة في مكتبة أحمد الثالث باستامبول (رقم ٢٩٩٦) كتبت سنة ٦٩٢ بخط ابن الشهرستاني . أما اسهامه التاريخي الذاتي فقد جاء في كتابه تاريخ بغداد ومنه نسخة مخطوطة في باريس (رقم ٦١٥٢ Ar) .

- الحريمي أبو منصور عبد الله بن محمد بن الوليد البغدادي (المتوفى سنة ١٢٤٥/٦٤٣) ، وكان يلقب جُزيرة (تصغير جزرة) وهو من القراء المعروفين ومن الحفاظ المحدثين ، ومن كبار الحنابلة في بغداد . سمع الكثير فيها وفي حران والجزيرة وحلب ودمشق ثم عاد يدرس في المدرسة المستنصرية زميلاً للمؤرخ المعاصر له ابن النجار . كتب الحريمي تاريخاً كبيراً [١] لعله في التراجم على طريقة المحدثين .

- النسوي شهاب الدين محمد بن أحمد بن علي المنشي (سنة ٦٤٧) وهو

---

(١) انظر ابن الحنبلي - شذرات الذهب ج ٥ ص ٢١٩ .

من كبار دولة الخوارزميين. لجأ إلى الشام حين انهارت تلك الدولة أمام المغول في ايران ، وكتب : سيرة السلطان جلال الدين منكوبرتي . وهي مطبوعة .

— وثمة اسم آخر هو الزيدري نور الدين محمد الخراساني المنشىء (المتوفى سنة ٦٤٧) يشتبه الباحثون في أن يكون هو النسوي السابق نفسه بسبب تطابق الاسم والعمل وسنة الوفاة ثم التأليف بألم واضح عن سقوط الخوارزميين ولعل الزيدري اتخذ لنفسه لقباً آخر في الشام . وكتابه التاريخي يحمل اسم : نفثة المصدور في فتور زمان الصدور وصدور زمان الفتور ، وقد كتب بالفارسية .

— الخطار كمال الدين أبو سالم محمد بن طلحة بن الحسن بن محمد القرشي العدوي النصيبي (سنة ٦٥٢) من كبار الكتاب وقد ولي الوزارة لبعض ملوك الأيوبيين فترة قصيرة ، وشارك في التاريخ بعدة كتب :

— نفائس العناصر لمجالس الملك الناصر . ومنه نسخة مخطوطة في الرباط في ٢٨٣ ورقة .

— العقد الفريد للملك السعيد وهو في التعليم السياسي (مطبوع) .

— مطالب السول في مناقب آل الرسول (مطبوع) .

— الجفر الجامع والنور اللامع ... وهو ضائع .

— ابن الشعار أبو البركات بن حمدان الموصلي (سنة ١٢٥٦/٦٥٤) من الكتاب في الدولة والأدباء في المجتمع . له في التاريخ مشاركة واسعة تدل عليها كتبه التالية :

— عقود الجمان في شعراء الزمان ، وقد كان في عشر مجلدات منها الآن ثمان فقط مخطوطة في استامبول .

— التذكرة وكانت في ١٢ مجلداً فاندثرت .

- تحفة الوزراء ، المذيل على معجم الشعراء للمرزباني .

- ابن باطيش عماد الدين أبو المجد اسماعيل بن هبة الله بن سعيد الموصلي (سنة ١٢٥٧/٦٥٥) تفقه في بغداد ودرس في حلب ثم الموصل ، وكان من كبار المحدثين الفقهاء وله في التاريخ :

- تاريخ الموصل ، بلده ، والأرجح أنه في التراجم على طريقة الخطيب وغيره .

- أخبار الفقهاء الشافعية . وهو أحد الأصول التي اعتمدها السبكي .

- التمييز والفصل بين المتفق في الخط والنقط والشكل وهو مؤلف في خمس مجلدات ضاعت أجزاؤه الأولى الثلاثة وأما الرابع فمنه نسخة مخطوطة في تونس ، كما أن من الخامس نسخة مخطوطة في الأزهر بالقاهرة .

- ابن أبي الهيجاء وليس يعرف عنه أكثر من هذا الاسم الذي يربطه بأسرة أبي الهيجاء الكردية في شمال شرق الموصل ، وأنه من معاصري العهد الأيوبي كما يظهر من النص وله تاريخ عالمي مختصر على السنين منه نسخة مخطوطة مخرومة الآخر في تونس .

- ابن طاووس رضيّ الدين أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر (المتوفى سنة ٦٦٤) وهو نقيب الطالبيين ببغداد كما أنه من أكبر فقهاء الشيعة . ومؤلفاته في معظمها مطبوعة متداولة الا كتابه التاريخي :

- الاصطفاء في تاريخ الملوك والخلفاء ، فانه مفقود .

وقد يعتبر في جو التاريخ كتاباه (الطرف) و (الملاحم والفتن) وكلاهما مطبوع في النجف .

- البصري : علي بن أبي الفرج بن الحسين البصري (المتوفى بعد سنة ٦٥٩) ويظهر أنه كان من الكتاب وقد وضع : كتاب المناقب العباسية والمفاخر المستنصرية ، ألفه للخليفة المستنصر الذي نصبه الملك الظاهر بيبرس خليفة

عباسياً في مصر سنة ١٢٦١/٦٥٩ بعد سقوط بغداد . ذكر فيه مناقب وتاريخ الدولة العباسية مبتدئاً بسيرة العباس بن عبد المطلب ومنتهياً بخلافة المستنصر . وختم الكتاب بالبيت التالي :

وأصبحوا قد أعاد الله دولتهم　　　إذ هم قريشٌ وإذ ما مثلهم بشر ا

ومن هذا الكتاب نسخة مخطوطة كتبت في زمن المؤلف في ١٦٣ ورقة وذلك في المكتبة الوطنية في باريس (رقم ٦١٤٤ Ar.) .

ويذكر حاجي خليفة مؤلفاً باسم ابن أبي الروح البصري ولعله تصحيف لكلمة الفرج . وينسب إليه كتاب :

— سيرة طغرل [1] . ولعلها في سيرة طغرل آخر السلاطين السلاجقة في العراق وايران المتوفى سنة ٥٩٠ .

---

(١) انظر حاجي خليفة — كشف الظنون ج ٢ العمود ١٠١٦ ومن المستبعد أن تكون في طغرل أول السلاجقة الكبار .

الفصل الخامس عشر

مَدرَسة مِصر

١ ـ الجذور

لم يكن دخول عمرو بن العاص بالاسلام والفتح إلى مصر سنة ٦٤١ حدثاً من الأحداث الهامة في تاريخها فقط ولكنه كان نقطة انقلاب كبرى في ذلك التاريخ ، غيرت من مصائره اثنولوجياً في التكوين السكاني ، وثقافياً في الدين واللغة والفكر ، وسياسياً في الارتباط النهائي بغربي آسيا العربي المسلم بدلاً من الاقتصار على حوض البحر المتوسط والعالم الاغريقي ـ الروماني بالذات منه .

وكان طبيعياً أن يتأثر الفكر التاريخي في مصر أعمق التأثر بهذا الانقلاب الجذري والشامل في حياة البلاد وأن يبدأ مسيرة جديدة . وقد بدأها بالفعل ولديه منبعان من المصادر :

أ ـ مجموعة المعارف التاريخية السابقة العائدة لكل التاريخ القديم والمصري منه على الأخص والمتوارثة ثقافياً في البلاد .

ب ـ مجموعة الأخبار الحديثة التي حملتها الأحداث العربية المستجدة في

مصر من اسلام ورسالة وفتح وبطولات ...

١ - **المعارف التاريخية القديمة** : لم تكن مصر ، بماضيها العريق ، فراغاً ثقافياً بالطبع ولم تكن في المعارف التاريخية بالذات بالبلد القليل الشأن. كان يكفي أن تكون أرضها مزروعة ، ومنذ أكثر من ثلاثة آلاف سنة قبل الفتح ، بذلك العدد الهائل من الآثار المتزايدة مع العصور ، لكي يلتهب خيال المصريين بصور التاريخ وبالتساؤل فيه وبمعرفته وحفظه . ولو شئنا تحليل تلك الخلفية أو الأرضية التاريخية الموجودة لوجدنا أنها قد تكون نسيجاً من عناصر أربعة مشتبكة :

أ - الأخبار المتعلقة بالتاريخ الفرعوني - الاغريقي - الروماني للبلاد . واذا كانت هذه الأخبار ترتبط بالتراث الأثري الملموس القائم بكل مكان من البرابي والأطلال والأصنام الحجرية من النقوش المبهمة فانها قد تلقت الكثير ، بل الكثير جداً ، من التشويه والتحويل والأسطورة والترقيع ، مع توالي القرون ، يدل على ذلك ما سجل منها ، من بعد ، لدى المؤرخين الاسلاميين منذ ابن عبد الحكم حتى المقريزي والسيوطي ، مروراً بالمسعودي وغيره . انها إلى حد كبير تاريخ مخترع لا يكاد يقترب تدريجياً من الحقائق الا مع الاقتراب التدريجي من العصر الاسلامي .

ب - التراث الثقافي اليهودي - المسيحي . وهي معلومات تاريخية تجد جذورها في الكتاب المقدس (التوراة والأناجيل) ولكنها متطورة بما أضافت اليها الثقافة اليهودية والأدب المسيحي وأخبار الرهبنات والنسك وصراع المذاهب في تاريخ المسيحية القريب . ان جانباً من هذه « الاسرائيليات » من نوع أخبار كعب الأحبار ووهب بن منبه نجده في كتب التاريخ المصري القديمة كما نجد أخبار الرهبان والزهد في القصص الوعظي .

ومع أن هذه الطبقة من المعلومات التاريخية قد تلقت بدورها الكثير من التغيير والترميم والاضافة الأسطورية والدينية الا أننا يجب أن نربط العنصرين السالفين بالعنصر الثالث وهو :

ج — علم التاريخ باعتباره جانباً من المعرفة الانسانية العلمية . فقد كان موجوداً أيضاً وله مؤلفاته المتداولة بين أهل العلم . والأصول الأولى لهذه التواريخ قد تكون اغريقية – رومانية لكن الذين كانوا يكتبونها ويتداولونها كانوا بصورة عامة من رجال الديانتين : اليهودية والمسيحية . واذا كان معظم ما كتب اليهود متصلاً بتاريخهم القديم وهو توراتي بصورة أساسية فان رجال الدين المسيحي كتبوا مع التاريخ الكنسي التاريخ المدني . وقد لقي الفاتح عمرو بن العاص واحداً من هؤلاء المؤرخين واستمع إلى بعض من معارفه التاريخية وهو يوحنا النحوي الاسكندري الذي ألف في ذلك الوقت كتاباً في التاريخ أخذ عنه ، من بعد ، ابن النديم فقرة في مديح الطبيب ديسقوريدس العين زربي [1] . « وثمة احتمال وجود كثير من النشاط في كتابة التاريخ في الاسكندرية حتى زمن الفتح الاسلامي رغم أنه لم يبق مما كتب إلا شيء قليل [2] » .

د — وأخيراً هناك تراث متداول من القصص التاريخي هو من التاريخ ومن الخرافة بين بين . وكان يتعلق بأخبار الماضين تعلقه بأوهام التنبؤات بما سوف يكون في المستقبل أو في نهاية العالم ، وفيه من الاسرائيليات بقدر ما فيه من أخبار السحر والطلاسم والجان والأرواح الساكنة في الأوابد المصرية . هذا التراث — ومعظمه شفوي — هو ما يحمل في

---

(١) ابن النديم – الفهرست ص ٥٩٣ .

(٢) أنظر : A.J. Butler : The Arab Conquest of Egypt. P. 95 (Oxford, 1902)

وهو مترجم بقلم محمد فريد أبو حديد – القاهرة ١٩٢٧ (نقلا عن روزنتال – علم التاريخ – الترجمة العربية) ص ١٠٩ .

المصطلح الاسلامي اسم « الملاحم والفتن » . واذا كانت للعناصر الثلاثة السابقة مستنداتها من الواقع التاريخي فهذا العنصر الرابع غيبي في معظمه ، أسطوري في محتواه . ولكنه مع ذلك لم يكن أقل أثراً ولا أقل تسرباً إلى الفكر التاريخي الاسلامي من العناصر الأخرى ، لا سيما وقد حمله « القصاصون » فكان رأس مالهم في الوعظ الديني .

٢ - المنبع الاسلامي الجديد : دخل العرب الفاتحون مصر وهم يحملون في صدورهم وذاكرتهم أخبار وأجواء وأحداث وصور الحركة العربية الاسلامية الكبرى التي فجرها الرسول الأعظم بين مكة والمدينة ثم شملت الجزيرة ، وكانوا هم أنفسهم ، بالفتوح والمعارك ، يشاركون فيها وفي صنع تلك الأخبار والأحداث ويكتبون بالسيوف جانباً من قصصها وتاريخها . كانوا هم التاريخ الجديد . وبالرغم من أن بعضهم ، من اليهود أو المسيحيين السابقين كانوا ما يزالون يتذكرون ثقافتهم الدينية السابقة ، وقد يربطون بعضها ببعض مع ما يتصل به من الدين الجديد ، إلا أن عناصر المادة التاريخية التي يمكن أن يرووها انما كانت تتناول بخاصة :

- السيرة النبوية والمغازي وما يتصل بعصر الرسالة والصحابة ..
- الفتوح وبخاصة ما يتصل منها بفتح مصر بالذات ثم فتح المغرب وأخيراً الأندلس بعد ذلك .

والتقى المنبعان ، منذ وقت مبكر جداً ، لتكوين المادة الأولية ، والنواة التاريخية لمدرسة مصر في التاريخ ، ولم يكن قد مضى على الفتح قرن واحد حتى تبين أن هذه المدرسة قد اختارت مادتها الخاصة اختياراً . أهملت جانباً مما أتيح لها من المادة التاريخية واهتمت بجانب ، ويتمثل ما اهتمت به في أمرين :

- بعض جوانب المغازي النبوية .

– فتوح مصر والمغرب ثم الأندلس .

– القصص الوعظي وما يتصل منه « بالملاحم والفتن » .

وما من شك في أن عوامل كثيرة قد عملت على هذا التخصص ، في مدرسة مصر ، منها شخصية مصر التاريخية – الجغرافية المميزة ، ومنها القلة النسبية في أعداد الصحابة والتابعين ورجال القبائل العربية [1] التي نزلت بها ، بالمقارنة مع الأعداد الضخمة التي نزلت منهم في العراق والشام خاصة ، ومنها تباعد الثقافة العربية الاسلامية الناشئة عن التراث التاريخي الوثني وما يتصل به .. ولما كان التاريخ الجديد يروى ويكتب بالعربية ، ومن خلال المنظور الاسلامي ، فقد كان بدهياً أن يأخذ التراث القديم سبيله إلى التاريخ الجديد بشكل موارب ، وعلى أنه تفسير لما أجمله القرآن من القصص أو على أنه ايضاح للغوامض الأثرية أو على أنه مادة للوعظ والعبرة . وقد سجل المؤرخون الاسلاميون ذلك بوضوح ولاحظوا أن المادة التاريخية الأولى التي تنوقلت على شفاه الرواة والمحدثين وهواة التاريخ ، في القرن الهجري الأول قد أخذت مبكرة شكل القصص الوعظي . « كانوا يتحدثون في الترغيب والملاحم والفتن » [2] . ولما كان هذا القصص

---

(١) لا يعد المؤرخون من الصحابة الذين نزلوا مصر أكثر من ٣٥٣ صحابياً وصحابية فقط (أنظر السيوطي – حسن المحاضرة ج ١ الفصل الخاص بذلك ما بين صفحتي (١٦٦ – ٢٠٤) ومن التابعين المعروفين ١٦٩ تابعياً (المصدر نفسه ص : ٢٥٥ – ٢٧٨) ويصلون بهم مع أتباع التابعين إلى ٢٧٢ فرداً . ولا يزيد عدد من برز بمصر من الفقهاء في القرن الأول وحتى نهاية القرن الثاني ومطلع الثالث على أربعين . والسبب في ذلك قلة أعداد النازلة العربية المسلمة في مصر بالنسبة للسكان فيها وبالنسبة لمن نزل في غيرها وبصورة خاصة في القرن الهجري الأول : فأعداد الفاتحين لمصر لم تكن تزيد على عدة آلاف (٤ آلاف مع عمرو بن العاص لحق بهم ٤ آلاف أخرى أو ١٢ ألفاً في بعض المصادر) وقد زاد عدد العرب زمن معاوية في مصر فبلغوا أربعين ألفاً (السيوطي – حسن المحاضرة ج ١ ص ١٥١) ولم يبدأ تكاثر العرب في مصر وبصورة خاصة في الحوف الشرقي إلا في مطالع القرن الهجري الثاني ، عهد هشام بن عبد الملك ثم تكاثروا بالتدريج من بعد .

(٢) السيوطي .. حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٩٩ .

انما يروى لخدمة الغرض الديني الاسلامي فقد كان لذلك أثران :

أ — تسرب الكثير من المعلومات التاريخية الأسطورية المتعلقة بالقدماء وبالتاريخ المصري السابق إلى هواة التاريخ ورواته ، يرافقها الكثير من « الملاحم » والأفكار التنبؤية .

ب — تأثر الرواة بطريقة العرض القصصية هذه في رواية الفتوحات والمغازي الاسلامية وعلى الأخص ما يتعلق منها بمصر .

وبالرغم من تمازج هذين الأثرين وتأثير كل منهما في الآخر بدوره فليس من الصعب أن نرى بوضوح وجود تيارين في الرواية التاريخية بمصر في ذلك الوقت المبكر :

— تيار الخبر الاسلامي الذي يستعير فترة بعد أخرى الكثير من التراث المصري التاريخي . وقد حمله بعض الصحابة والتابعين ، في ما يمكن أن نسميه مدرسة الفسطاط وكانت المادة الأساسية له فتوح مصر والمغرب يمازجها الكثير من تاريخ مصر القديم بشكله الأسطوري .

— تيار « القصص » الوعظي الذي يخدم الفكر الديني الاسلامي وان كان يعتمد على الخرافة والأساطير والملاحم ، وقد حمله من عرفوا في التاريخ الأدبي « بالقُصاص » . وفيهم عدد من « المحدثين » ومن « القضاة » ، من التابعين وتابعي التابعين .. والمادة الأساسية لهذا التيار مستمدة من القصص الشعبي وأخبار النسك والجان والعجائب والكهانة والأنبياء والسحر والطلاسم الأثرية .. كل ذلك في ثوب اسلامي يتفق مع تأصيل ومعطيات الدين الجديد .

وقد تعاصر ظهور التيارين ثم توازيا في الوجود خلال القرن الهجري الأول ومطلع الثاني ، لكن اتجاه التيار الثاني القصصي إلى العامة سحب بالتدريج الثقة العلمية منه . وبالرغم من أنه لم يمت لاتصاله بالنوازع الشعبية العميقة من تدين

وحبّ للغرائب إلا أنه أضحى خارج « العلم » بالمعنى الديني المحترم لهذه الكلمة واستمر التيار الثاني ليكون أساس المدرسة التاريخية المصرية .

٣ – **القصاصون والقصص** [١] : الخبر الأول الذي يروى عن هذا النوع التاريخي في مصر يكشف عن ظهوره الظهور المبكر . وهو يتعلق برجل من كبار التابعين هو :

– أبو سلمة سليم بن عتر التجيبي المصري (المتوفى بدمياط سنة ٧٥هـ/٦٩٤م) انه فيما يذكرون : « قاضي مصر وناسكها وكان يسمى الناسك لكثرة فضله وشدة عبادته .. وهو أول من قص بمصر سنة ثلاثين ، وولاه معاوية القضاء بها سنة أربعين .. فأقام قاضياً عشرين سنة وهو أول من أسجل سجلاً في المواريث ... » [٢] .

فاذا تذكرنا أن مصر فتحت سنة ٢٠ هـ فان هذا الخبر يعني أن القصص قد

---

(١) قد يكون من الهام هنا أن نوضح معنى كلمة القاص والقصص في ذلك العهد الاسلامي الأول اذ يبدو من استعراض النصوص أن لهذه الكلمة يومذاك معنيين اثنين منفصلين وان كان بينهما بعض النسب : الأول هو الدعاء في الجامع والتحريض والتشجيع في الحروب والثاني هو رواية القصص على سبيل الوعظ والعبرة . وقد طغى المعنى الثاني بالتدريج على المعنى الأول مع رغبة القصاص في اجتذاب قلوب الناس وأسماعهم بالأمثلة والقصص الديني فطال هذا المدخل حتى أصبح هو الأساس وتقلص معنى الدعاء حتى أضحى هو الذيل الذي ينهي به القاص موعظته ... لا سيما بعد أن صار القصص ، اعتباراً من أواخر القرن الثاني الهجري وسيلة للكدية ، وأحياناً وسيلة للاحتيال حتى ذمه العلماء وتبرأوا منه (أنظر مادة القصة في الموسوعة الاسلامية ، وما كتبه الأبشيهي في المستطرف (ج ١ ص ٩٠) والمقريزي في الخطط (ج ٢ ص ٢٥٣) وأبو نعيم الأصفهاني في حلية الأولياء (ج ٢ ص ٢٥٧ وص ٢٢٧) وابن الجوزي في كتاب القصاص والمذكرين المخطوط ، وانظر أيضاً بحثي الدكتورة وديعة النجم : تميم الداري أول قاص في الاسلام – مجلة كلية الآداب – جامعة بغداد ١٩٦٢ والقصص والقصاص في الأدب الاسلامي – الكويت ١٩٧٢) وهما بحثان وافيان في هذا الموضوع .

(٢) السيوطي – حسن المحاضرة ٢٩٥/١ ولنلاحظ أن الطبعة الأقدم للكتاب تذكر أن التجيبي ولي القصص سنة تسع وثلاثين (١٦١/١) وسواء كان ذلك سنة ثلاثين أو تسع وثلاثين فانه يعني أن القصص كان في ذلك الوقت شائعاً معترفاً به رسمياً .

ظهر على لسان أحد العرب المسلمين المتفقهين في الدين بعد عشر سنوات فقط من الفتح . مما يدل على سرعة تسربه الثقافي . ويبدو أن هذا « النوع » التاريخي وجد هوى في نفوس القوم فتلقّفوه واستطرفوه . فشاع وصار الناس « يتحدثون في الملاحم والفتن » حتى لقد برز فيهم ما بين أواخر القرن الأول والعقود الأولى من القرن الثاني عدد من التابعين والمحدثين الذين عرفوا بالقصص ؛ والتصقت صفاتها بأسمائهم ومن أولئك :

- أبو عمرو موسى بن وردان القاص المصري (المتوفى سنة ١١٧هـ/٧٣٥م) وهو أستاذ الليث وابن لهيعة [١] .

- أبو محجن ثوبة بن نمر بن حومل الحضرمي المصري (المتوفى سنة ١٢٠هـ/ ٧٣٨م) وقد جمع له القضاء والقصص بمصر وأخذ عنه المؤرخ ابن لهيعة [٢] .

- أبو محمد عقبة بن مسلم التجيبي (المتوفى قريباً من سنة ١٢٠ هـ / ٧٣٨ م) القاص المصري كما يقول السيوطي وكان امام جامع الفسطاط . أخذ عن عبد الله بن عمر وعن عبد الله بن عمرو بن العاص [٣] .

- الجُلاح أبو كثير الأموي المصري ، (المتوفى سنة ١٢٠ هـ) مولى عبد العزيز بن مروان (شقيق الخليفة عبد الملك) ، وأستاذ الليث . وكان عمر بن عبد العزيز قد جعل اليه القصص بالاسكندرية [٤] .

- أبو السمح دراج بن سمعان المصري القاص (المتوفى سنة ١٢٦هـ/٧٤٤م) مولى عبد الله بن عمرو بن العاص . يقال ان اسمه عبد الرحمن ودراج

---

(١) السيوطي – حسن المحاضرة ١/٢٧٠ وابن حجر – تهذيب التهذيب ج ١٠ ص ٣٧٦ .
(٢) السيوطي – حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٩٧ والكندي – الولاة والقضاة ص ٣٤٢ .
(٣) السيوطي – حسن المحاضرة : ج ١ ص ٢٦٩ وابن حجر – تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٢٤٩ .
(٤) السيوطي – حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٦٥ ، ابن حجر – تهذيب التهذيب ج ٢ ص ١٣٦ .

لقب . وقد أخذ عنه الليث [1] .

- جبر بن نعيم بن مرة الحضرمي المصري (المتوفى سنة ١٣٢ أو ١٣٥ أو ١٣٦ هـ / ٧٥٠م) قاضي مصر ولي القضاء والقصص فيها . وقد أخذ عنه الليث وابن لهيعة [2] .

على أن أشهر هؤلاء القصاص وأكثرهم شأناً هو :

- أبو قبيل حيي بن هانيء بن ناصر المعافري المصري (المتوفى سنة ١٢٨هـ/ ٧٤٦م) . تلميذ عبد الله بن عمرو بن العاص . كان صغيراً يوم مصرع عثمان (٣٥هـ / ٦٥٦م) وقد اشترك في غزو جزيرة رودوس واستقر في مصر . « وكان له علم بالملاحم والفتن » [3] حتى صار رأس المدرسة في هذا الموضوع . واستمرت مدرسته في مصر من بعده أكثر من قرنين . والمرويات التي نقلها ابن عبد الحكم عنه [4] قد تكون مأخوذة من كتابه الذي اشتهر : كتاب المعافري المسمى فتوح مصر .

في ذلك الوقت المبكر ، ومع هؤلاء القصاصين الذين يقصون على العامة لا العلماء ، والذين يروون الأخبار بهدف العبرة والعظة وليس الحقيقة ، كان من الصعب فصل التاريخ عن القصة الخرافية والخوارق والملاحم والتنبؤ . ومع تواضع هذه المنابع وقلة قيمتها التاريخية فان أهم عنصر تاريخي فيها وهو روايات فتح مصر والمغرب ، قد حفظ ضمنها .

---

(١) السيوطي نفسه ج ١ ص ٢٦٦ ، وابن حجر نفسه ج ٣ ص ٢٠٨ .
(٢) السيوطي نفسه ج ١ ص ٢٩٩ .
(٣) السيوطي نفسه ج ١ ص ٢٩٨ ، ابن حجر نفسه ج ٣ ص ٧٣ (ويذكر اسمه عل أله جبي وهو خطأ النسخ) .
(٤) أنظر ابن عبد الحكم – فتوح مصر وأخبارها الصفحات : ١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٧٤ ، ٨٢ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٢٧ ، ١٣٩ ، ١٥٨ ، ١٧٣ ... الخ . وينظر في ترجمة عبد الله بن عمرو كتاب الاصابة لابن عبد البر رقم ١٥٨٤ (ص ٣٧٠) والاصابة لابن حجر (رقم ٤٨٤٧ ج ٢ ص ٣٤٣) نقلا عن ابن سعد .

٤ ـ **الخبر الاسلامي** : حملة هذا الخبر ورواته هم بالطبع رجال الفتح العربي . ولما كان البارزون فيهم هم من الصحابة والتابعين لذلك توجهت الأسئلة التاريخية اليهم وأخذت رواياتها عنهم . وهنا يبرز الصحابي الذي يمكن أن يعتبر رائد وعماد ومؤسس مدرسة التاريخ في مصر :

ـ أبو محمد عبد الله بن عمرو بن العاص (المتوفى سنة ٦٥هـ/٦٨٤م)[١] أسلم قبل أبيه وشهد فتح مصر وقد جاهد في أفريقية وولي مصر سنتين ونقل الكثير من الأحاديث عن النبي ﷺ . أخذوا عنه أكثر من مائة حديث . ولكنه أضاف إلى هذا كله واعاً بقصص التاريخ . وقد اهتم بتاريخ مصر القديم وبعض أخبار المغرب ، ويبدو أنه أغنى بعض معلوماته التاريخية [٢] بعض الاسرائيليات والأخبار الموضوعة كما نسبت اليه بعض أخبار الملاحم وما « سيقع بمصر قرب الساعة » وخبر « ظهور ذي العرف من الأندلس » ونظرة سريعة إلى ما روي عنه لدى ابن عبد الحكم في فتوح مصر تكشف نوع مروياته ومنها مثلاً : خلق الدنيا على خمس صور على صورة الطير ، وكنوز فرعون المرصودة حتى يأتي الحبش بالسفن ، وبناء فرعـــون للاسكندرية ، وحديث عن مارية القبطية وابنها ابراهيم ، ونيل مصر الذي سخر الله له كل نهر لامداده بالماء ، وخبر سجلات الذنوب يوم القيامة .. وخبر ضربات الرسول الثلاث بالفأس قائلاً ان الله يفتح بها كنوز الروم

---

(١) يذكر السيوطي (حسن المحاضرة ١ / ٢١٥) انه توفي سنة ٧٧ في خلافة عبد الملك . ولدى ابن عبد الحكم (فتوح مصر ص ٩٦) نقلا عن ابن بكير أنه توفي سنة ٧٣ . وقد اتبعنا تحقيق الذهبي في ذلك اذ يقول في العبر (ج ١ ص ٧٢) : « وفيها مات على الصحيح عبد الله بن عمرو ابن العاص السهمي ... »

(٢) يذكر ابن عبد البر (في جامع بيان العلم وفضله ج ٢ ص ٤٠) أن الرسول أذن لعبد الله بن عمرو أن يختلف إلى أحبار اليهود ويأخذ عنهم . ويذكر ابن عبد الحكم (فتوح مصر ص ٢٥٤) ان الرسول صلى الله عليه وسلم تنبأ لعبد الله تفسيراً لحلم فقال : « ان عشت قرأت الكتابين التوراة والفرقان . فكان يقرؤهما » .

وفارس ومعونة أهل اليمن [١] ...

ويبدو أن عبد الله بن عمرو كان يحفظ لديه بعض كتب الملاحم والتنبؤ ، ويطالع فيها ويروي عنها . فقد ذكر أبو قبيل المعافري أنه « كان عند عبد الله ابن عمرو ... فتذاكرنا فتح القسطنطينية ورومية أيهما تفتح قبل فدعا عبد الله بصندوق له طخم (حلق) فقال : كنا عند رسول الله ﷺ نكتب ما يقول لا أو نعم فقلنا أي المدينتين تفتح قبل يا رسول الله قال : مدينة هرقل يريد القسطنطينية ... » ورويت الحكاية ذاتها وذكر فيها أن عبد الله « دعا ... بصندوق فيه قراطيس فقال : تفتحون القسطنطينية ثم تغزون بعثاً إلى رومية فيفتح الله عليكم والا فأنا عند الله من الكذابين [٢] ...

وقد اشترك مع عبد الله بن عمرو في الاهتمام بالتاريخ وقصصه من الصحابة جماعة منهم :

- أبو حماد عقبة بن عامر الجهني (توفي سنة ٥٨هـ/٦٧٨م) أحد مشاهير الصحابة [٣] . كان مقرئاً فصيحاً من الفقهاء . شهد فتح مصر بعد أن حمل رسالة الخليفة إلى عمرو وولي أمرتها ذات مرة وله مصحف بخطه . ذكر ابن عبد الحكم أنه قدم على أبي بكر فطلب اليه الخليفة أن يروي للناس أمامه في المسجد الجامع أخبار الفتوح : « فافتتح سورة البقرة ثم ذكر قتالهم وما فتح الله لهم » [٤] .

---

(١) أنظر مثلا ابن عبد الحكم - فتوح مصر ص ١ ، ٦ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٤٠ ، ٤٩ ، ١٤٩ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٧ - ٢٥٨ . وأنظر أيضاً في حسن المحاضرة السيوطي (ج ١ ص ١٨ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٤٥) .

(٢) المصدر السابق ص ٢٥٧ .

(٣) الذهبي : تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٤٠ ، ابن حجر : الاصابة ج ٢ ص ٤٨٠ ، السيوطي : حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٢٠ وص ٤٨٥ (وهو يكنيه أبا عمرو وليس أبا حماد) .

(٤) ابن عبد الحكم - فتوح مصر ص ٩٥ وص ٩٤ وص ٢٧٥ .

- واهب بن عبد الله المعافري (توفي سنة ٣٧ في برقة) وقد أخذ عنه ابن لهيعة [١] ونرى لدى ابن عبد الحكم بعض رواياته عن نيل مصر .

- عبد الله بن الحارث بن جزء بن معد يكرب الزبيدي المذحجي (توفي بين سنة ٨٦ وسنة ٨٨) وقد شهد فتح مصر واختط بها وسكنها وروى عند الناس الحديث (عشرين حديثاً) وهو آخر صحابي توفي بمصر بعد أن أضرّ [٢] .

- جابر بن ماجد الصدفي من الصحابة وشهد فتح مصر وقد روى عنه حفيده كما روى ابن لهيعة بعض الأخبار التنبؤية [٣] .

- أبو عبيدة تبيع بن عامر الحميري (المتوفى سنة ١٠١ بالاسكندرية) وهو ابن امرأة كعب الأحبار . كان دليلاً للرسول ﷺ ولم يسلم ثم أسلم زمن أبي بكر [٤] ونجد لدى ابن عبد الحكم بعض مروياته من الاسرائيليات مما يتعلق بقصة يوسف وبالسحرة وسليمان ومساجد الاسكندرية والدجال [٥] ...

- أبو عبد الرحمن الحُبُلي عبد الله بن يزيد المعافري (المتوفى سنة ١٠٠هـ/ ٧١٨ - ٩م في افريقية) وقد أخذ عن عبد الله بن عمرو وعن كثيرين غيره [٦] .

---

(١) أنظر السيوطي - حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٧١ .
(٢) المصدر السابق ج ١ ص ٢١٢ .
(٣) السيوطي - حسن المحاضرة ج ١ ص ١٨٣ .
(٤) أنظر السيوطي : حسن المحاضرة ج ١ ص ١٧٨ والاصابة ج ١ ص ١٨٩ وطبقات ابن سعد ج ٧ ص ٤٥٢ .
(٥) ابن عبد الحكم - فتوح مصر ص ٥ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٩ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ١٢٥ .
(٦) السيوطي - حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٥٩ - ٢٦٠ .

واذا كان أبو عبد الرحمن هذا من التابعين ، فإنا ندخل معه في طبقة واسعة منهم ، بعضهم عاصره وبعض من الجيل اللاحق وقد شكلوا جمهوراً واسعاً من رواة التاريخ والمتحدثين به إلى الناس بجانب الحديث النبوي . فأخبار السيرة والفتح لم تكن لتنفصل ، في تلك الفترة ، عن الاهتمامات الدينية ان لم تكن جزءاً منها . وتتبع الأخبار يكشف لنا قرابة الثلاثين من التابعين الذين حملوا الرواية التاريخية وكانوا جمهور التاريخ ومن هؤلاء :

- أبو عمرو يحيى بن ميمون الحضرمي المصري (المتوفى سنة ١١٤هـ/٧٣٢م) قاضي مصر وهو من التابعين وقد روى عنه ابن لهيعة وجماعته [١] ...
- علي بن رباح اللخمي (المتوفى سنة ١١٤ أو سنة ١١٧ هـ/ ٧٣٥ م) من التابعين وكان من علماء زمانه كما قاد بعض الحملات في افريقية . حمل عن عدة من الصحابة وروى عنه ابنه وعدد آخر من الرواة [٢] .
- أبو خنيس عامر بن يحيي المعافري (توفي قبل سنة ١٢٠هـ/ ٧٢٨م) وقد أخذ عنه الليث [٣] .
- ربيعة بن سيف المعافري (توفي سنة ١٢٠هـ) من الاسكندرية . وقد روى عنه الليث أيضاً [٤] .
- عبد الله بن هبيرة السبْئي الحضرمي التابعي [٥] توفي سنة ١٢٦هـ/ ٧٤٤م) .

ويأتي مع هؤلاء رعيل واسع منهم مثلاً : يزيد ابن عبد الله بن عمرو بن العاص الذي روى عن أبيه ، وأبو هبيرة الكحلاني مولى عبد الله أيضاً . وعيسى

---

(١) الكندي– الولاة والقضاة ص ٣١٠ – ٣٤٢ والسيوطي – حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٩٧ .
(٢) الذهبي – العبر ج ١ ص ١٤٢ ، ابن حجر – تهذيب التهذيب ج ١٠ ص ٢٨٩ والسيوطي – حسن المحاضرة ١/٢٩٧ .
(٣) السيوطي – حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٦٨ .
(٤) المصدر نفسه ص ٢٦٧ – ابن حجر تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٢٥٥ .
(٥) المصدر نفسه ص ٢٦٩ ، وابن حجر ج ٦ ص ٦١ .

ابن هلال الصدفي ، وشراحيل بن يزيد المعافري ، وحميد بن هانىء الخولاني ، وحيي بن عبد الله بن شريح وعبد الرحمن بن زياد بن أنعم ، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج ، وعبد الرحمن بن شماسة المهري ، وأسلم بن يزيد التجيبي ، وعمر بن جابر أبو زرعة الحضرمي المصري ، أستاذ ابن لهيعة،وأبو جمعة حبيب ابن وهب مولى المصري ، وأبو جمعة حبيب بن وهب مولى عقبة بن عامر ، ويحيى بن أيوب الغافقي (التابعي المجتهد المتوفى سنة ١٦٣) ، وحنش بن عبد الله الصنعاني ، وبكر بن عمرو الخولاني ، وأحمد بن يحيى الوزير التجيبي ، وأبو صالح باذام مولى أم هانىء الذي روى عن عبد الله بن عباس ، وعياش ابن عباس القتباني . وقيس بن رافع الأشجعي الذين نرى مروياتهم متناثرة في أسناد الأخبار المصرية الأولى [١] . ويستطيع الباحث استخراج المزيد من الأسماء الأخرى ، ان شاء ، كما يستطيع أن يكتشف أن ثمة جماعة من الرواة المجهولي الأسماء أسهموا في رواية التاريخ وحفظ أخباره للناس . وهكذا كثيراً ما نقرأ في الاسناد : « حدثني مشيخة لنا » « حدثني فلان عن مشائخه » « حدثني شيخ من أهل مصر » « حدثني بعض مشائخ أهل مصر » « حدثني بعض المشائخ » « حدثني بعض المحدثين » « حدثني فلان عن جماعة من التابعين » « حدثني فلان عن شيخين من قومه » [٢] . وتكشف بعض هذه الأسناد بوضوح عن المصدر غير العربي لها في مثل قول الراوي : « حدثني من يسوق الأحاديث عن الأعاجم فيما توارثوا عن علمه أنه » [٣] ...

واذا كان ذلك كله يكشف عن شيء فانه يكشف أن التاريخ كان يشكل في تلك الفترة أحد الاهتمامات الفكرية المسيطرة والنشاطات البارزة ، ضمن

---

(١) نجد تراجم مختصرة لبعض هؤلاء التابعين وتابعيهم لدى ابن حجر في تهذيب التهذيب ولدى السيوطي في حسن المحاضرة ، ونرى بعض مروياتهم لدى ابن عبد الحكم والكندي وغيرهما .

(٢) أنظر في ذلك مثلا ابن عبد الحكم – فتوح مصر الصفحات ١٣ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٩ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٤٢ ، ٦٤ ... الخ .

(٣) أنظر المصدر السابق نفسه ص ٣٧ .

إطار الفكر الديني . وليس بالصعب أن نجد تفسير ذلك في التصعيد الذي أصاب نظرة العرب والمسلمين الجدد في مصر وهم في أواخر القرن الأول ومطلع الثاني ينظرون إلى أخبار السيرة النبوية والفتوح وبخاصة فتح مصر والأحداث التي جرت في مطالع العصر الاسلامي نظرة الاجلال والاستلهام وهي تبتعد أكثر فأكثر . ان ضخامة التجربة الاسلامية وتعاظم شأنها مع الأيام في عيون أصحابها وعيون من لحقهم إلى الاسلام جرّت التابعين وتابعيهم إلى تداول الشؤون التاريخية والأخبار والمعلومات فيما بينهم بعد أن أضحت لا مجرد مفاخر فحسب ولكن جزءاً أساسياً من الشرع والتنظيم وحدود الحكم . ثم ان كثرة المهتمين بأخبار التاريخ قد تكون ناجمة أيضاً عن عملية تعويض ، فمع ابتعاد أيام السيرة النبوية وتوقف الفتوح وعدم وجود تسجيل يعلم الأجيال الاسلامية أو الجديدة أخبار السابقين كان لا بد من استنطاق الشهود أو الذين سمعوا منهم أو سمعوا ممن سمع عن التفاصيل والدقائق . وكان لا بد من الحرص على حفظ ذلك التراث ذي القيمة الدينية - السياسية - التشريعية في وقت معاً .. فكأن الرواية تعني تأكيد الحضور الدائم وتجديد الاحترام والفخر لذلك الماضي القريب المبتعد .

٢ - ظهور المدرسة

خلال ذلك كانت مدرسة مصر التاريخية تظهر ويؤسسها بوضوح :

- أبو رجاء يزيد بن أبي حبيب واسمه سويد الأزدي المصري (المتوفى بدوره سنة ١٢٨هـ/٧٤٦م وقد ولد سنة ٦٧٣/٥٣) وقد ذكروا أنه «أول من أظهر العلم بمصر والمسائل في الحلال والحرام ، وقبل ذلك كانوا يتحدثون في الترغيب والملاحم والفتن ... »[1] وقد رُوي عنه الكثير من الأخبار التاريخية لدى ابن عبد الحكم والكندي وغيرهما . وبدأت

(١) السيوطي - حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٩٩ .

به بعد عبد الله بن عمرو المدرسة التاريخية المصرية وذلك في كتابة : فتوح مصر الذي لم يبق منه الا مقتبسات نقلها الطبري (عن طريق ابن اسحق والواحدي) ونقلها ابن عبد الحكم والكندي والبلاذري وابن سعد . كما نجد مقتبسات أخرى قد تكون نقلت بشكل غير مباشر لدى ابن حجر في الاصابة ولدى ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة [1] .

- أبو عبد الكريم الحارث بن يزيد الحضرمي المصري (المتوفى سنة ١٣٠) وقد روى عن التابعي علي بن أبي رباح ، وتتلمذ عليه ابن لهيعة والليث والأوزاعي [2] . ويبدو أنه ألف كتاباً في تاريخ مصر وصلت الينا بعض المقتطفات منه من خلال ابن عبد الحكم في (فتوح مصر) والكندي في (الولاة والقضاة) .

- أبو بكر عبيد الله بن أبي جعفر الفقيه (٦٧٩/٦٠ — ٧٥٢/١٣٥ وقيل ١٣٢ أو ١٣٦ هـ) مولى بني أمية أخذ عن الشعبي وعطاء وكان من تلاميذه ابن لهيعة والليث . وكان في العلم ثقة وفي التقى من الزهاد [3] . وقد عُرف بجانب حفظ الحديث والاجتهاد في الفقه ، بمعرفة الأخبار والتاريخ . نقل عنه الكندي الكثير . وقد عده الواقدي ثاني اثنين من مؤرخي مصر في العهد الأموي بعد ابن أبي حبيب والأخير هو الأشهر .

- جبر بن نعيم بن مرة الحضرمي المصري (المتوفى سنة ٧٥٥/١٣٧) قاضي مصر وأستاذ ابن لهيعة والليث . وقد ذكروا أنه ولي القضاء والقصص بمصر [4] وهذا يعني أنه كان من الوعاظ الذي يروون أحاديث القصص

---

(١) انظر ابن حجر ، الاصابة ١٧٦/٣ ، ٦٠٠ ، ١٠٩٣ ، ١٢٢٩ وانظر ابن تغري بردي النجوم ج ١ ، الصفحات : ٢٥/٥ ، ٣٣ ، ٣٤ ... الخ .
(٢) انظر ابن حجر – تهذيب التهذيب ج ٢ ص ١٦٣ .
(٣) السيوطي – حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٩٩ . وتهذيب التهذيب ج ٧ ص ٥ – ٧ .
(٤) المصدر السابق .

التاريخي للناس . وقد نقلت عنه بعض الروايات .

- أبو أمية عمر بن الحارث بن يعقوب الأنصاري (ولد سنة ٧٠٨/٩٠ بالمدينة وتوفي سنة ٧٦٤/١٤٧ في مصر) وهو محدث راوية للشعر والأخبار ، ومن كبار علماء العصر الأموي وكان الليث بن سعد من تلاميذه . ويبدو أنه وضع كتاباً في تاريخ مصر وفتوحها كان أحد المصادر التي اعتمد عليها ابن يونس المؤرخ المصري (سنة ٩٥٨/٣٤٧) ونقل عن نسخة منه بخط مؤلفه [١] .

وليس يعني هذا كله أن هذه المدرسة لم تعرف بدورها كما عرفت كل الأقطار الاسلامية في تلك الفترة المغازي والسيرة النبوية . ويكفي دليلاً على ذلك أن كبار كتاب السيرة الثلاثة الأوائل : محمد بن اسحق ، وابن هشام والواقدي قد وفدوا على مصر لاستكمال معلوماتهم . فقد جاء ابن اسحق الاسكندرية سنة ١١٥ هـ فسمع الحديث من ابن أبي حبيب ، كما سمع منه الواقدي ومن ابن رباح . وأمضى ابن هشام السنوات الأخيرة من حياته في مصر . وقد درس الشافعي السيرة والأخبار عشرين سنة (بعد أواسط القرن الثاني) قبل أن يتفقه وينتقل بعلمه إلى الاستقرار في مصر ويحدث بذلك . وتشير بعض المقتطفات الواردة لدى ابن سعد في الطبقات أن ابن أبي حبيب ألف كتاباً تناول حياة الرسول .

على أن مدرسة مصر لم تستطع تصدير « الملاحم » والتنبؤات إلى بلاد أخرى الا في حدود قليلة جداً ، وكانت سلبية أي عالة على غيرها في الغالب في موضوع السيرة النبوية تأخذ أكثر مما تعطي بكثير ، أما فيما يتعلق بأمورها الاسلامية وبحوادثها من جهة وفتوح ما وراءها من افريقيا والأندلس من جهة أخرى فكانت هي المصدر الأول ، وعلى هذين النوعين من المعلومات قامت المدرسة . وإذا كانت معلوماتها عن مصر

(١) انظر ابن حجر - الاصابة ج ٣ ص ٦٠٠ - ٦٠٢ .

محلية فقد ساهم في تزويدها بالمعلومات الافريقية والأندلسية عدد من التابعين وأتباع التابعين ممن حضر فتوح المغرب ثم الأندلس ثم عاد اليها أو مر بها وهو في الطريق إلى الحج فحدث وكان النبع الثاني من منابع المدرسة وأبرز هؤلاء :

- موسى بن علي بن رباح اللخمي (ولد سنة ٩٠ بالقيروان وتوفي سنة ١٦٣ بمصر) والده علي من كبار التابعين وكان رفيق موسى بن نصير وله سمعة واضحة في المغرب والأندلس ، وقد جاء ابنه مصر واستقر فيها وصار واليها للمنصور والمهدي منذ سنة ١٥٥ حتى سنة ١٦١ . ويبدو أنه كان مولعاً بمعرفة الأخبار التاريخية وروايتها ، فقد جمعها من أبيه وغيره ، كما ان اسمه يظهر كمصدر للمعلومات عن مصر وعن فتح الأندلس لدى الكثير من المؤلفين فيما بعد أمثال الواقدي وابن عذارى . ويظهر خاصة لدى تلاميذه الذين رووا عنه .

وعلى هؤلاء التلاميذ المشتركين بينه وبين ابن أبي حبيب قامت المدرسة المصرية وأشهرهم في مجال التاريخ اثنان :

- ابن لَهِيعَة : أبو عبد الرحمن عبد الله بن عقبة بن لهيعة الحضرمي المصري (ولد سنة ٧١٥/٩٧ وتوفي سنة ٧٩٠/١٧٤) [1] ولي قضاء مصر سنة ١٥٥ بأمر المنصور فكان أول قاض يعينه خليفة فيها . وقد أتى التاريخ عن طريق الحديث . « وكان مكثراً من الحديث والأخبار والرواية » ولهذا كان مصدر كثير من الأخبار التي سجلها مؤرخو مصر منذ ابن عبد الحكم حتى السيوطي عن أيامها الإسلامية الأولى وان كان فيها الكثير من التفاصيل الخرافية أحياناً والقصصية الوثيقة الصلة بالتقاليد القديمة للقصص التاريخي المصري .

(١) لدى السيوطي (حسن المحاضرة ٣٠١/١) أنه توفي سنة ١٦٤ وهو خطأ من الناسخ في ما يظهر ، وقد اعتمدنا ابن خلكان (٣٩/٣) وغيره .

وقد روى ابن لهيعة عن ابن أبي حبيب وابن رباح وعن أحمد بن جاسم المعافري الأندلسي ونقل رواياته ابن عبد الحكم والكندي وسعيد بن عقير وعبد الله بن وهب وآخرون .

– الليث بن سعد : أبو الحارث الفهمي المصري (ولد سنة ٩٤ في قلقشند بدلتا مصر وتوفي سنة ١٧٥) وأصل أبيه من أصبهان ويعتبر من التابعين . وقد تفقه الليث في الحجاز منذ حج سنة ١١٥ هـ . ثم أتم دراسته في بغداد وبلغ من الفقه حداً صار له فيه مذهب خاص معترف به بين الفقهاء ، كما بلغ من الاحترام حداً رفض معه أن يكون والياً لمصر أيام المنصور ، وقد سمح له غناه الواسع واتصاله بأوساط العلماء والحكام أن يكون أكثر اطلاعاً وأوسع معرفة بأمور مصر وأحوالها ، ولهذا لم يكن غريباً أن تحوي المؤلفات الأولى عن تاريخ مصر تلك الكمية الوافرة من الأخبار المروية عن الليث وهي أخبار تكثر فيها ، على طريقة المدرسة المصرية ، الحكايات الخرافية الشعبية ، التي أعطاها الليث بذلك نوعاً من الاعتراف التاريخي بها ، ثم دخلت في كتب تلاميذه أمثال عبد الملك بن حبيب وابن عبد الحكم وواضع كتاب الامامة والسياسة ... وفي الكتب الأخرى بعد ذلك كالمقريزي وابن تغري بردي والسيوطي .

على أن أهم ما قدمه الليث لمدرسة مصر هو أنه كان أول مؤلف معروف فيها . فقد كتب كتاباً في « التاريخ » كان فيما بعد أحد مصادر الكندي في كتابه ولاة مصر وقضاتها . وقد ذكره ابن النديم [1] ولا شك أنه دون فيه ، لأول مرة ، المعلومات التاريخية التي تجمعت حتى ذلك الوقت لدى أهل طبقته عن مصر وافريقيا والأندلس ورجالها . وقد لا تكون الأخبار المروية عن الليث لدى المؤرخين اللاحقين الا مقتطفات ونقولاً عن هذا الكتاب .

---

(١) ابن النديم – الفهرست (ط. فلوجل) ص ١٩٩ .

ويمكن أن نضيف إلى هذين المؤرخين ، ابن لهيعة والليث، مؤرخاً ثالثاً هو :

– أبو العباس يحيى بن أيوب الغافقي المصري [1] (المتوفى سنة ١٦٨/٧٨٤) وقد روى عن ابن أبي حبيب وابن أبي جعفر وعن الليث أيضاً . ويبدو أنه كان يقع في بعض الأخطاء حين يروى عن الذاكرة . وقد وضع كتاباً قد يكون في تاريخ مصر نجد منه مقتطفات لدى ابن أبي الحكم والكندي .

وتبدأ مدرسة مصر ، بعد الليث وعلى أساس مروياته خاصة، بالتوسع والتكاثر . وبينما تنحصر مدرسة القصاص في قناة واحدة محدودة الأثر ، شعبية الحديث ، يبرز منها خاصة قصاص مشهور ، تتوسع المدرسة التاريخية في جماعة واسعة .

فأما القصاص فهو مروان القصاص[2] الذي نجهل عنه كل شيء ولكنا نعلم شيئاً عن زميل آخر له طرق مصر من بغداد فأقام فيها فترة وهو :

القصاص منصور بن عمار السلمي (المتوفى سنة ٢٢٥/٨٣٩) الواعظ الذي يذكر ابن تغري بردي والخطيب البغدادي أنه « لم يقصّ أحد في زمانه مثله » [3] . ويذكر أبو نعيم الاصبهاني في حلية الأولياء [4] والخطيب البغدادي خبراً هاماً يكشفان فيه أن منصوراً كان يدرس قصصه في المسجد الجامع وأن الليث بن سعد أعجب به وأغدق عليه هو وأهله من المال ما جعله ينقطع له وحده « ولا يتبذل » ... حتى غادر مصر .

---

(١) انظر تهذيب التهذيب لابن حجر ج ١١ ص ١٨٦ – ١٨٨ .

(٢) انظر رواية عثمان بن صالح نقلا عنه لدى ابن عبد الحكم – فتوح مصر والمغرب (طبعة عامر) ص ٥ .

(٣) انظر ابن تغري بردي – النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٢٤٤ . وانظر الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٧٢ – ٨ .

(٤) أبو النعيم – حلية الأولياء ج ٧ ص ٣٢٠ . والخطيب ، المصدر ذاته .

وأما الجماعة التاريخية فتشكلت من تلاميذ الليث الكثيرين ومنهم :

- أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلمة الفهري بالولاء (١٢٥ - ١٩٧/٨١٢) تفقه على الليث وأنس بن مالك ورافقه ثلاثين سنة وكان أحد أعمدة المذهب المالكي وذيوعه في مصر . ورواية الحديث وجمعه أدّيا به إلى التاريخ ، وقد روى فيه أشياء عن أستاذه الليث وغيره منها ما هو في تاريخ مصر ومنها ما يتعلق بالمغرب والأندلس ، وقد ظهرت مروياته خاصة بعيداً عن مصر لدى تلميذه الأندلسي ابن حبيب . ويبدو فيها التأثير القصصي والملاحمي . ويذكرون أنه قرىء عليه كتابه في أهوال القيامة فخرّ مغشياً عليه ولم يتكلم بكلمة حتى مات بعد أيام ... »[1] .

- عبد الملك بن مسلمة وكان أكثر أصحاب الليث ارتباطاً بمروياته من الحديث والأخبار على السواء.ودوره الأساسي في العمل التاريخي هو أنه نقل هذه المرويات إلى تلميذه ابن بكر . وقد غض المؤرخ المصري ابن يونس من قيمة ما يرويه عبد الملك من الحديث لأنه يروي المناكيد الكثيرة عن أهل المدينة »[2] .

- أبو محمد عبد الله بن عبد الحكم بن أعين القرشي المصري (ولد سنة ١٥٥ وتوفي سنة ٢١٤/٧٧٢ - ٨٣٩) انتهت اليه رئاسة المذهب المالكي في مصر . وما رواه من الأمور التاريخية حول فتوح مصر والمغرب كان الأساس الأول الذي أقام عليه ابنه عبد الرحمن المؤرخ كتابه فتوح مصر والمغرب .

- أبو يحيى عثمان بن صالح بن صفوان السهمي (١٤٤ - ٢١٩/٧٦١ - ٨٣٤) وقد درس عدا الليث على أنس بن مالك وابن لهيعة وعبد الله بن وهب . ولعله ورث عن أساتذته هؤلاء حب الأخبار التاريخية . فقد زود

---

(١) السيوطي - حسن المحاضرة ج ١ ص ٣٠٣ .

(٢) انظر ابن حجر - لسان الميزان (طبعة حيدر آباد ١٣٣٠) ج ٤ ص ٦٨ .

ابن عبد الحكم بالكثير منها وخاصة ما يتعلق بالأندلس كما أنه زود الامام البخاري بها ، وذكر الكندي كتابه عن مصر وأفاد منه في سبعين موضعاً . وتتميز أخباره بالنضج والسعة وترك القصص الخرافي إلى حد ما ، وبالدقة فكأنها « انتقاء من كافة الروايات في المدرسة المصرية »[1] .

وكان في رواياته مختصراً واضحاً لدرجة أن ما رواه عن فتح الأندلس خاصة كان أساس ما كتبه كافة المؤرخين عنها .

وهناك كذلك أبو الأسود النضر بن عبد الجبار المرادي (المتوفى سنة ٢١٩) وهو من الزهاد وكتب عند الليث بن سعد فترة .

وهناك : عبد الله بن صالح وما نعرفه عنه محدود في أنه كان كاتب الليث أيضاً وقد تفقه بفقهه ونقل عنه رواياته التاريخية .

وهناك أخيراً تلميذ آخر من مدرسة الليث تأخرت وفاته وهو :

- أبو عبد الله محمد بن رمح بن مهاجر التجيبي المصري المتوفى سنة ٢٤٢ هـ . وقد درس على الليث وابن لهيعة . وكان محدثاً من الثقات بقدر ما كان راوية أخبارياً من الثقات أيضاً في تاريخ مصر . يقول ابن يونس المؤرخ المصري : « ... هو ثقة ثبت كان من أعلم الناس بتاريخ بلدنا ... »[2]

ولا بد أن نضيف إلى هذه الجماعة السابقة من تلاميذ الليث ، جماعة أخرى من رواة التاريخ نشأت بجانب الأولى في أواسط القرن الثاني وكلها من رجال الحديث ، وقد كان منها :

- يحيى بن أيوب الغافقي (المتوفى ١٧٣) ويعتبر من كبار المجتهدين وكان كثير العلم والرواية .

---

(١) انظر مقال محمود مكي (مصر والمصادر الأولى للتاريخ) ص ١٨٤ .
(٢) السيوطي - حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٤٧ .

- أبو حميد خالد بن حميد المهري (المتوفى ١٦٩) وقد تلمذ عليه ابن وهب وعبد الله بن صالح .

ويظهر اسما هذين العالمين معاً في عدد من المرويات التاريخية التي اعتمدها ابن عبد الحكم ، ويبدو أنهما كانا متفقين في رواياتهما التي جمعها نقلاً عنهما معاً تلميذ مشترك لهما هو : خالد بن نجيح ، ولعله كتب عنهما أخبارهما . ثم انتفع عثمان بن صالح كل الانتفاع بهذه الأخبار ورواها نقلاً عن ابن نجيح .

ومن هذه المجموعة الثانوية كذلك :

- أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك (المتوفى سنة ١٨١) الحنظلي بالولاء ، وكان قمة في الحديث والفقه والأدب والنحو والشعر والأخبار .
- أسد بن موسى بن ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك الأموي الآمدي (ولد بمصر سنة ١٣٢ ومات بها في مطلع سنة ٢١٢) وكان يسمى أسد السنّة ، لما يحفظ من الحديث. ويبدو أنه كان يحفظ معه الأخبار أيضاً وقد نقلها عنه ابن عبد الحكم والربيع الجيزي وأحمد بن صالح وآخرون . ولعل النقل إنما كان عن كتاب وضعه في تاريخ مصر فانه كان من المؤلفين وقد وضع ابنه سعيد كتاب فضائل التابعين معتمداً على مؤلفات أبيه وغيره .
- سعيد بن أبي مريم الحكم بن محمد بن سالم الجمحي بالولاء (توفى سنة ٢٢٥) عن ثمانين سنة وكان أحد أركان الحديث بمصر . ودرس في الحجاز ومصر ، ورُوي عنه العديد من الأخبار التاريخية .

ولا بد أن نضيف أيضاً جماعة ثالثة ظهرت في أواخر القرن الثاني ومطالع الثالث هي الجماعة الشافعية .. فان أولئك الذين سلفت اسماؤهم منذ ابن لهيعة والليث إلى ابن رمح كانوا جميعاً من فقهاء المالكية خاصة وقد حملوا الرواية التاريخية لا كجزء متمم فقط لمعلوماتهم الفقهية ولكن رغبة

منهم في نشر المذهب المالكي في المغرب والأندلس وفي معرفة أحوال مصر نفسها . فلما جاء الشافعي إلى مصر في نهاية القرن الثاني أسهمت مدرسته الفقهية بدورها في حمل الأخبار التاريخية وروايتها ولعلها بسبب أصلها الحجازي المشرقي كانت أكثر اهتماماً بأخبار المشرق لا المغرب . وقد برز من الفقهاء الشافعية في الأخبار تلميذ من تلاميذ الإمام الشافعي هو :

- أبو زيد عبد الحميد بن الوليد بن المغيرة النحوي المصري (المتوفى سنة ٢٢١) والمعروف بكيد ، أخذ عن الشافعي وكان فقيهاً عالماً بالأخبار أعجوبة فيها ... » [١]

على أن هذه الجماعات الثلاث جميعاً من الليثية إلى الشافعية لم تحول مروياتها التاريخية إلى مؤلفات مكتوبة . وهذا لا يعني بالطبع أنها لم تكن تسجل تلك المعلومات ولكنه يعني أنها كانت تكتفي بنقلها بشكل روايات متفرقة شفوية لا مؤلفات ذات مواضيع محددة . وتفرد من المجموعات الثلاث ثلاثة أدخلوا مدرسة مصر مرحلة التأليف الواضحة بعد الليث وهم اثنان من تلاميذه وثالث من المالكية ولكن الجميع كانوا من رجال النصف الأول من القرن الثالث :

- أبو عثمان سعيد بن كثير بن عفير المصري (١٤٦ - ٢٢٦ /٧٦٣ - ٨٤١) وقد درس أولاً على ابن لهيعة والليث وابن وهب في مصر ثم درس على مالك ابن إنس في المدينة ثم أتم دراسته في الأدب واللغة والشعر في بغداد ، فلما عاد إلى مصر كان من أبرز وجوهها الفكرية في الفقه والشعر والتاريخ والنسب . وأهمية ابن عفير أنه كان أول تلميذ من تلاميذ الليث كتب كتاباً في التاريخ ، وفي تاريخ الأندلس بالذات هو : أخبار الأندلس[٢]

(١) انظر السيوطي - حسن المحاضرة ج ١ ص ٣٩٨ .

(٢) ذكر هذا الكتاب الحميدي في جذوة المقتبس ص ٢٢٢ وابن الفرضي - التاريخ ج ١ ص ١٦٤ ، ١٦٧ كما أخذ عنه ابن عبد الحكم (فتوح ص ١٨٥) والمالكي في رياض النفوس (ج ١ ص ١١ - ١٢) ... الخ

بينما كانت روايات زملائه الأوائل أمثال ابن وهب وابن مسلمة وعبدالله ابن عبد الحكم (الأب) منطلقاً لمؤلفات كتبها من بعدهم آخرون .

- أبو زكريا يحيى بن عبدالله بن بكير المخزومي بالولاء المصري (١٥٤ – ٢٣١/ ٧٧٠ – ٨٤٥) درس على ابن لهيعة والليث كما درس على مالك بن أنس فسمع منه الموطأ سبع عشرة مرة وكان من الثقة بحيث اعتمده البخاري ومسلم في الصحيحين ورويا عنه . ويبدو أنه عني برواية الأخبار التاريخية قريباً من عنايته برواية الحديث. فقد كان مع ابن عبد الحكم(الأب) المصدر الأساسي لكثير من الأخبار الهامة لدى ابن عبد الحكم المؤرخ ولكن رواياته مرتبطة في معظمها بما سمعه عن الليث فكأنه مجرد ناقل للأخبار أكثر منه ذا إصالة فيها . ويظهر أن ابن بكير قد ألف كتاباً في التاريخ أشار إليه ابن عبد الحكم [1] إذ أسند رسالتين رواهما لعمر بن الخطاب إلى كتاب لابن بكير قال إنه أعطاه إياه . ولعل هذا هو السبب الذي جعل ابن تغري بردى يعطيه لقب: مؤرخ مصر[2] وقد أخذ عدد عنه من المؤلفين الأندلسيين وان كانوا ينظرون إليه في الغالب كراوية للموطأ وزعيم للمالكية أكثر منه كمؤرخ .

أما الثالث فهو المؤرخ الأول في تاريخ مصر الإسلامية والذي جمع أطراف الروايات التاريخية في مدرسة الليث وغيرها وسجلها جميعاً منظمة منسقة في مجموعة أخبار واحدة لم تغب عنها حتى المدرسة القصصية :

- أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم (ولد بالفسطاط سنة ٨٠٣/١٨٧ وتوفي في مطلع سنة ٨٧١/٢٥٧) وأسرة عبد الحكم [3] من من أسر العلم والجاه في مصر خلال عدة أجيال ، وكان أبوه أحد أعمدة المذهب المالكي كما كان أخوه محمد بعده ثم أصيبت الأسرة بنكبة من

---

(١) أنظر ابن عبد الحكم – فتوح مصر (طبعة ليدن) ص ٣١٦ و ٣١٩ (طبعة مصر ص ٢١٥ و ٢١٧) .

(٢) ابن تغري بردي– النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٣٢٠ .

(٣) أنظر ابن حجر – تهذيب التهذيب ج ٦ ص ٢٠٨ .

الاضطهاد والمصادرة أثر الثورة التي قام بها علي ابن عبد العزيز الجروي في مصر سنة ٢٣٥ وفرض عليها من المال سنة ٢٣٧ ما لا تطيق دفعه وسجن المؤرخ مع أفراد اسرته حتى أفرج عنهم المتوكل فيما بعد ...

كتب ابن عبد الحكم كتاب فتوح مصر وأخبارها [1] معتمداً في الدرجة الأولى على روايات تلاميذ الليث : أبيه عبد الله أولاً ، وابن بكر ، وعثمان ابن صالح ، وكلها روايات شفوية ثم على بعض الرواة الآخرين كما استخدم أحياناً بعض المصادر المكتوبة من ابن بكير ومن الواقدي .

وقد قسم ابن عبد الحكم كتابه إلى سبعة أجزاء . الأول في فضائل مصر وتاريخها قبل الإسلام وفيه الكثير من الأساطير . والثاني يعالج الفتح الإسلامي. والثالث يشرح الخطط ونزول العرب في مصر والنظام الضريبي. والرابع إدارة مصر بعد الفتح حتى وفاة عمرو بن العاص . والخامس في فتح إفريقيا وإسبانيا حتى سنة ١٢٧ . والسادس تاريخ مختصر لقضاة مصر حتى سنة ٢٤٦ هـ قبل وفاة المؤلف بعشر سنوات . وأما السابع فأكبر الأجزاء وقد خصصه لمختارات من الحديث والروايات المنسوبة للصحابة الذين دخلوا مصر وعددهم عنده ٥٢ صحابياً .

وقد اهتم بهذا الكتاب المؤرخون القدامى فأخذوا جميعاً عنه من الكندي إلى ابن زولاق إلى القضاعي إلى ابن دقماق والمقريزي وابن تغري بردي والسيوطي وابن اياس. واهتم به المؤرخون المحدثون فأصدر المستشرقون أجزاء منه منذ أواخر القرن الماضي حتى صدوره كاملاً سنة ١٩٢٠ .

والنسخة التي طبع عنها في ليدن من رواية أبي طاهر السلفي المحدث المؤرخ المعروف في القرن السادس (توفي سنة ٥٨٤) أما الطبعة التي صدرت في مصر سنة ١٩٦١ فمن رواية هبة الله البوصيري (من القرن السابع)

---

(١) طبع الكتاب في ليدن سنة ١٩٢٠ عن اربع نسخ خطية في أوروبا مع مقدمة للمستشرق تشاولز توري. كما طبع مؤخراً في مصر نقلا عن نسخة خطية خاصة في استامبول تحقيق عبد المنعم عامر (القاهرة ١٩٦١) القسم التاريخي منه فقط .

وفي هذا وذلك دليل على شدة الحرص قديماً وحديثاً على هذا المؤلف الذي وضع في الواقع أساس المدرسة المصرية في التاريخ كما وضع لها عدداً من التقاليد من بينها مثلاً : قبول الأخبار الخرافية عن تاريخ مصر القديم والاهتمام بخطط مصر ، والاهتمام بقضاة مصر حتى أفرد بعض المؤلفين فيما بعد لهذين الموضوعين كتباً خاصة .

وليس يظهر في القرن الثالث من طبقة ابن الحكم مؤلف آخر في التاريخ ولكنا نجد جمهرة من الأسماء التي أسهمت في هذا الميدان ولبعضها شهرة معروفة ومن هؤلاء .

- شقيقة : أبو عبدالله محمد بن عبد الحكم (١٨٢ - ٢٦٢ / ٧٩٨ - ٨٧٥) الذي كتب سيرة عمر بن عبد العزيز وأخباره وقد نشر هذا المؤلف في دمشق سنة ١٣٤٦ / ١٩٢٧ .

- أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (سنة ٢١٨/٨٣٤ أو٢١٣) وهو مؤرخ نسابة نحوي . ولد في البصرة ولكنه عاش في مصر . وقدم أشهر السير المعروفة للرسول ﷺ بأن لخص ونقح السيرة النبوية لابن اسحق . وهي مطبوعة معروفة ، وقد حجبت نسخة المؤلف الأول وأعطت شهرته لابن هشام كما كانت مصدراً لمجموعة واسعة من كتب السيرة فيما بعد دون السيرة الأصلية التي لم نكد نعثر على غير نسخة مخطوطة واحدة منها في المغرب ، وينسب إلى ابن هشام بجانبها كتاب : التيجان لمعرفة ملوك الزمان في أخبار قحطان ، الذي طبع في حيدر آباد سنة ١٣٤٧ هـ .

- أبو يزيد وليمة بن موسى بن الفرات الفارسي الوشاء (المتوفى سنة ٢٣٧/٨٥١) وكان يعمل بتجارة الحرير وقد ولد في فسا وسافر إلى مصر والأندلس ثم

عاد فاستوطن مصر ومات بها وهو مؤرخ محدث له كتاب الردة [1] ونجد منه قطعة في كتاب الإصابة لابن حجر .

- سعيد بن أسد بن موسى الأموي (المتوفى حوالى أواسط القرن) وقد وضع بالاستناد إلى مؤلفات أبيه ومعاصريه كتاباً في « فضائل التابعين وأخلاق الصالحين » في مجلدين ذكره ابن خير الأشبيلي في فهرسه ، كما ذكره وأخذ عنه ابن حجر [2] .

- أبو القاسم عبد الله بن عبد العزيز الضرير النحوي المعروف بأبي موسى . من أهل بغداد وكان يؤدب أبا اسحق محمد المهتدي (٢٥٥ - ٢٥٦ هـ) ثم سكن مصر وحدّث بها وله كتاب في الفرق وآخر في الكتابة والكتاب[3] .

- أبو زكريا يحيى بن عثمان بن صالح القرشي السهمي [4] (المتوفى سنة ٨٩٥/٢٨٢) روى عن والده وعن ابن أبي مريم وأبي صالح . وقد قيل أنه ذو ميول شيعية . وله مؤلف في تاريخ مصر ذكره الكندي واحتفظ منه بعدة مقتبسات كما ذكره ابن ماكولا في الاكمال واقتبس منه وسماه : أخبار المصريين .

- أبو رفاعة عمارة بن وثيمة بن موسى الفارسي (المتوفى سنة ٩٠٢/٢٨٩) وقد ولد بمصر ودرس فيها وحدث عن أبي صالح عبد الله كاتب الليث ثم وضع تاريخاً حولياً على السنين [5] ، لسنا نعلم وقد ضاع هل كان

---

(١) أنظر ابن خلكان - وفيات الأعيان (طبعة عباس) ج ٦ ص ١٢ - ١٣ ، وياقوت - معجم الأدباء (٢٢٥/٧ أو ٢٤٨/١٩) .

(٢) ابن حجر - المصدر السابق ج ١١ ص ١٨٦ وابن خير - فهرست ص ٢٧٠ .

(٣) أنظر الصفدي- نكت الهميان ص ١٨٢ .

(٤) ابن حجر - تهذيب التهذيب ج ١١ ص ٢٥٧ . السيوطي - حسن المحاضرة ج ١ ص ١٩٧ .

(٥) السيوطي - حسن المحاضرة ج ١ ص ٥٥٣ وابن الجوزي ج ٦ ص ٣٧ ، وانظر كذلك كشف الظنون ج ٢ ص ١٠٥ وبروكلمان (الترجمة العربية) ج ٣ ص ٤٥ .

تاريخاً لمصر وحدها أم تاريخاً عاماً وهو الأرجح . كما كتب أبو رفاعة (كتاب بدء الخلق والأنبياء) وتحتفظ مكتبة الفاتيكان بالجزء الأخير منه.

ويجب مع هؤلاء أن ننتظر القرن التالي لتأخذ المدرسة التاريخية المصرية شكلها الواضح القوي المميز على يد عدد من المؤرخين يمكن اعتبارهم من الطبقة الأولى وجد من حولهم آخرون أقل شأناً .

ولم يكن مؤرخو الطبقة الأولى بالكثيرين فانهم على امتداد ثلاثة قرون ونصف القرن (ما بين مطلع القرن الرابع وأواسط السابع) لا يزيدون على عدد أصابع اليد الواحدة . ومعظمهم انما ظهر في الفترة الأولى أي في عهد المجد الفاطمي أما في عهد الانهيار (ما بين سنة ٤٥٠ حتى سقوط الدولة سنة ٥٦٧) وفي العهد الأيوبي التالي (٥٦٧ – ٦٤٨) فان حجم المؤرخين يتضاءل وطموحهم العلمي ، من خلال المؤلفات التي نعرفها ؛ يتقلص فلا نكاد نعثر فيهم على اسم بارز ... ولعل السبب في ذلك هو أن تألق الخلافة الفاطمية في قرنها الأول في مصر ، بعد تألق الطولونيين والاخشيديين ثم استقلال مصر خلال هذا وذاك بمصيرها وتجمع العدد الواسع من العلماء حول قصور آل طولون والأخشيد ثم حول البلاط الفاطمي كل ذلك قد أغرى الأقلام المؤرخة بتسجيل الوقائع التي يعيشها الناس . ثم جاء عهد التخلف وسيطرة القواد والوزراء على الخليفة الفاطمي فظهرت بعض الكتب التي تتحدث عن هؤلاء أو عن رسوم الدولة وذخائرها ونظمها . وبالرغم من أن العهد الأيوبي كان عهد مجد عسكري فان مجال ذلك المجد انما كان في الشام فلم يسجل المصريون وقائعه البعيدة عنهم . ولولا رجال سجلوا تواريخ أهل العلم وآخرون كتبوا حول النظم الفاطمية وقوانين الدواوين وعن الدول المنقطعة والأنساب (وقد ضاع الكثير مما كتبوا على أي حال) لكانت فترة الجفاف التاريخي في مصر قد استمرت حتى آخر العهد الأيوبي ...

٣ ـ الملامح العامة لمدرسة مصر التاريخية

ولعلنا قبل استعراض المؤرخين البارزين الذين أطلعتهم مصر ، في هذه الفترة ، وكانوا رؤوس المدرسة فيها ، نستعرض الميزات التي تميزت بها هذه المدرسة . على أن نسرع في التنبيه إلى أن هذه الميزات قد لا تكون بالضرورة ميزات خاصة بمدرسة مصر دون غيرها ولكنها على أي حال الملامح والاطارات العامة التي دارت تلك المدرسة في فلكها .

أولاً : تنوع مصادر هذه المدرسة واختلافها عن المصادر الأخرى :
منابع المعارف التاريخية لديها لم تكن هي المنابع نفسها التي وجدها الناس في العراق مثلاً أو في الشام . كانت لمدرسة مصر منابعها المميزة ، لا الإسلامية فقط لكن غير الاسلامية أيضاً .

فأما في مصادرها الإسلامية فقد كان واضحاً في التاريخ بمصر :

أ) أثر القصاصين : ومع أن القصص التي كانوا يروونها للوعظ لم تكن إسلامية كلها وكانت فيها دون شك عناصر من الزهد والرهبنة المسيحية ونساك الأديرة ومن قراءة النقوش القديمة على أساس وعظي ، إلا إن هذه القصص لم تكن واضحة الأثر في التواريخ العراقية مثلاً وضوحها في مصر .

ب) تلقت مصر عناصر تاريخية حجازية أتتها بصورة خاصة مع المذهبين المالكي والشافعي اللذين كانا يحملان في السيرة وأخبار الصحابة والتابعين وغيرها طابع مدرسة المدينة .

ج) وتلقت إلى هذا وذاك عناصر من المدرسة العراقية حملها إليها أمثال : ابن هشام صاحب السيرة والوشاء الفارسي والنحوي الضرير وابن وثيمة الفارسي وابن الداية .

د) وحملت إلى ذلك كله وبعد ذلك كله الأثر الراجع إليها من

الأندلس والمغرب . أولئك الذين حملوا أخبار المدرسة المصرية إلى تلك الأقاليم القصية ، عادوا أو عاد بعضهم أو عاد تلاميذهم فأضافوا إلى ثروة هذه المدرسة ما علموه من تاريخ تلك الأقاليم . وهو أثر لم يصل بغداد إلا نادراً أو لماماً .

وأما المصادر غير الإسلامية فكانت على نوعين كل منهما بدوره معقد التركيب ولكنهما يشكلان خلفية ثقافية مؤشرة ومنابع معلومات واضحة البصمات لدى المؤرخين المصريين :

أ) المصادر اليونانية ـ المسيحية وفيها من التراث اليوناني الفكري بقدر ما فيها من التراث المسيحي .

وقد كان لهذه المصادر علماؤها البارزون عند الفتح الإسلامي من مثل : يحيى النحوي الاسكندراني الذي يذكرون أنه كان على اليعقوبية ثم أنكر التثليث فأسقطه الأساقفة عن منزلته بعد خطوب جرت ، وعاش أيام الفتح الإسلامي بمصر ودخل على عمرو بن العاص « وقد عرف موضعه من العلم واعتقاده ... فأكرمه ورأى له موضعاً وسمع كلامه في إبطال التثليث فأعجبه وسمع كلامه أيضاً في انقضاء الدهر ففتن به وشاهد من حججه المنطقية وسمع من ألفاظه الفلسفية التي لم تكن للعرب بها أنسة ما هاله . وكان عمرو عاقلاً حسن الاستماع صحيح الفكر فلازمه وكان لا يكاد يفارقه (١) ... » وما من شك في أن هذه العلوم لم تمت في القرون الثلاثة الأولى للإسلام وإن استبعد حاملوها والعاملون عليها عن الأنوار لأن غربتهم عن كتابة التاريخ العربي كانت مزدوجة : غربة لغة وغربة دين وقد نستطيع أن نضيف غربة سوية حضارية

(١) أنظر القفطي ـ تاريخ الحكماء (مختصر الزوزني) ص ٣٥٤ ـ ٣٥٦ وهو يضيف هنا قصة حريق مكتبة الاسكندرية .

متفاوتة . على أن المتتبع لتواريخ البطاركة في مصر وأسمائهم وأعمالهم يستطيع أن يقع فيهم على جانب من ممثلي هذا المصدر الحضاري .

ب) المصادر القبطية : وهي وإن اشتركت مع المصادر اليونانية في النصرانية إلا إنها كانت تستمد معلوماتها من جذور مصرية خالصة ومن لغة وكتابة مختلفتين عما كان يستعمل في ثقافة اليونان . والكتابة الهيروغليفية ، في شكلها الديموطيقي المتأخر ، كانت – على ما يبدو – تقرأ من قبل بعض حملة الثقافة القبطية القديمة في مصر ، تماماً كما كانت تقرأ نقوش المسند في اليمن ... ونعني على ضعف أحياناً وتخليط . ويحمل إلينا المسعودي أخباراً عن عالم قبطي من القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي تكشف أن المعارف المتعلقة بتاريخ مصر القديم كانت محفوظة وأن ثمة من العلماء الأقباط من كان يتوارثها ويحفظها . يقول : في خبر طويل يمتد عشر صفحات [1] : « ... وقد كان أحمد بن طولون بمصر بلغه في سنة نيف وستين وثلاث مائة أن رجلاً بأعالي مصر من أرض الصعيد له ثلاثون ومائة سنة من الأقباط ممن يشار إليه بالعلم من لدن حداثته والنظر والاشراف على الآراء والنحل من مذاهب المتفلسفين وغيرهم من أهل الملل . وأنه علامة بمصر وأرضها من برها وبحرها وأخبارها وأخبار ملوكها . وأنه ممن سافر في الأرض وتوسط الممالك وشاهد الأمم من أنواع البيضان والسودان وأنه ذو معرفة بهيئة الأفلاك والنجوم وأحكامها . فبعث أحمد بن طولون برجل من قواده في أصحابه فحمله إليه في النيل مكرها . وكان قد انفرد عن الناس في بنيان قد اتخذه وسكن في أعلاه ...

---

(١) أنظر المسعودي– مروج الذهب (ط . بلا) ج ٢ ص ٧٣ حتى ص ٨٣ .

فأسكنه (ابن طولون) بعض مقاصيره ومهد له ... وأحضر له أحمد بن طولون من حضره من أهل الدراية وصرف همته إليه وأخلى له نفسه في ليال وأيام كثيرة يسمع كلامه وإيراداته وجواباته فيما يسأل عنه . فكان مما سئل عنه الخبر عن بحيرة تنيس ودمياط ... وسئل عن ملوك الأحابيش على النيل وممالكهم فقال لقيت من ملوكهم ستين ملكاً من ممالك مختلفة ، كل ملك منهم ينازع من يليه من الملوك ... وسئل عن بناء الاهرام فقال : إنها قبور الملوك (وذكر بالتفصيل كيفية بنائها) فقيل له : ما بال هذه الكتابة التي على الأهرام والبرابي لا تقرأ ؟ فقال دثر الحكماء وأهل العصر الذين كان هذا قلمهم وتداولت أرض مصر الأمم فغلب على أهلها القلم الرومي وأشكال الحرف للروم (اليونان) والقبط تقرؤه على حسب تعارفها إياه وخلطها لأحرف الروم بأحرفها على حسب ما ولدوا من الكتابة بين الرومي والقبطي الأول . فذهبت عنهم كتابة ابائهم ... فقيل له : فمن أول من سكن مصر ؟ . » (فأجاب إجابة توراتية) ثم سئل عن مقالع الرخام وعن المدن المصرية الدائرة . وعن النوبة وأرضها فأجاب ببعض التفصيل وسئل عن الفيوم وعن حجر اللاهون فيها فأفاض في الحديث . ويعلق المسعودي بعد ذلك قائلاً : «وكان الرجل من أقباط مصر . ممن يظهر دين النصرانية ورأي اليعقوبية ... » ولهذا سألوه في التثليث وقصة الصلب . كما سأله يهودي بحضر مجلس ابن طولون في اليهودية فما زال يكشف من تناقضاتها حتى أفحم مخاطبه ... وأقام عند ابن طولون نحو سنة فأجازه وأعطاه فأبى قبول شيء من ذلك فرده إلى بلده مكرماً . وأقام بعد ذلك مدة من الزمان ثم هلك . وله مصنفات تدل من كلامه على ما ذكرنا عنه » ..

وهكذا كان لدى مدرسة مصر مصادر اسلامية مختلفة إلى حد ما عن غيرها

كما كان وراءها في التراث الثقافي المحلي سواء الرومي اليوناني منه أو القبطي ما يختلف في المعلومات والمعارف عن الخلفية الثقافية التي وجدها المؤرخون في العراق أو في إيران أو في الشام .

ثانياً : الاهتمام بتاريخ مصر : ولعل الاهتمام بالتاريخ الإقليمي يجد تفسيره في الاستقلال السياسي الذي تمتعت به مصر (والشام معها) منذ أواسط القرن الثالث ، وفي الجو التاريخي العريق الذي يعيش الناس مع بقاياه وآثاره في وادي النيل . ونستطيع أن نعد على الأقل عشرة مؤلفات في تاريخ مصر كتبها ابن مديد أبو القاسم علي بن الحسن (المتوفى سنة ٩٢٤/٣١٢) والطحاوي الحافظ أبو جعفر أحمد بن محمد (المتوفى سنة ٩٣٣/٣٢١) وابن يونس أبو سعيد عبد عبد الرحمن بن أحمد الصوفي (المتوفى سنة ٩٥٨/٣٤٧) والعتقي أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الله الفريابي (سنة ٩٩٥/٣٨٥) في كتابه (التاريخ الجامع) الذي ذكر فيه الأمويين والعباسيين بالخير فغضب عليه الفاطميون وحرموه [١] وابن أبي مريم أبوبكر عبيد الله بن محمد [٢] (من أواخر القرن الخامس) . والقرطي أبو عبد الله محمد بن سعد (أواسط القرن السادس) وابن بصيلة أبو محمد عبدالله ابن خلف المسكي (المتوفى سنة ١٢٠٢/٥٩٨) وابن وصيف شاه ابراهيم (المتوفى سنة ١٢٠٠/٥٩٦) وابن اللباد موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادي (المتوفى سنة ١٢٣٢/٦٢٩) ولعل كتابه كان كبيراً . وهناك كتب في أخبار مصر لمؤلفين مجهولين ...وكتاب في أخبار النوبة والمقرة ...والبهجة لعبد الله بن أحمد بن سليم الأسواني وقد نقل عنه المقريزي في الخطط [٣] وكتاب المفيد في أخبار صعيد للحاوي الأدريسي جمال الدين محمد بن عبد العزيز المتوفى سنة ١٢٤٧/٦٤٥ .

وبجانب هذه المجموعة ظهرت مجموعة أخرى من المؤلفات تشيد بفضائل

(١) انظر القفطي – تاريخ الحكماء ص ١٨٥ .
(٢) نقل عنه ابن العديم في بغية الطلب (مخطوط استامبول – أحمد الثالث) ج ١ الورقة ١٧٥ وجه .
(٣) انظر المقريزي – الخطط ج ١ ص ٣٣٥ حتى ص ٣٤٧ . وص ٣٥٤ – ٣٥٥ .

مصر وبلدانها ومنها : فضائل مصر لكل من الكندي وابن جدار المصري (من القرن الخامس) . وفضائل الإسكندرية لابن اسحق أبي علي الحسن بن عمر الفقيه (من القرن الرابع) ولابن الصباغ أبي علي الحسن (أواسط القرن الخامس) وللسلفي كتاب محاسن القاهرة ولابن وصيف شاه : محاسن الروضة وللقاضي عبد المحسن بن عثمان بن غانم الخطيب كتاب العروس في فضائل تنيس . وقد ذكره ابن العديم ونقل عنه [1] .

ثالثاً : الاهتمام بخطط مصر ودروبها وأحيائها . ومصر هنا تعني عاصمة الإقليم في تطور أمرها منذ بناء الفسطاط ثم بناء العسكر إلى جانبها ثم القطائع الطولونية ثم القاهرة المعزية الفاطمية وما تقلب عليها من عمران وخراب . إن سلسلة الكتب التي تحدثت في هذا الشأن والتي بلغت قمتها ونهايتها في كتاب المقريزي : المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار ، إنما بدأت مبكرة مع الكندي (سنة ٣٥٠) ثم القضاعي (سنة ٤٥٥) ثم ابن هلال الصعيدي أبو عبدالله محمد بن بركات (سنة ٥٢٠/١١٢٩) وشرف الدين أبي علي محمد بن أسد الجواني (سنة ٥٨٨/١١٩٢) صاحب كتاب النقط بعجم ما أشكل من الخطط ثم القاضي ابن المتوج تاج الدين محمد بن عبد الوهاب (من مطالع القرن الثامن) ...

رابعاً : الاهتمام بالسير الشخصية لكبار الرجال بمصر : ونستطيع أن نعد في التراث التاريخي ما لا يقل عن ١٨ سيرة كتبت في مصر على مدى القرون الأربعة التي امتدت تلك الفترة ، وهي تعبير آخر عن الاعجاب الاقليمي برجال الاقليم . وإذا كتب كل من ابن الداية والبلوي سيرتين لابن طولون (وهما مطبوعتان) فان ابن الداية قد كتب اثنتين أخريين واحدة لخمارويه بن أحمد ، والثانية لهارون بن خمارويه وكتب ابن زولاق أربعاً منها ، واحدة لمحمد بن طغج الأخشيد وأخرى للمعز الفاطمي وثالثة لقائده جوهر الصقلي ورابعة للوزير المارداني وأسرته . أما العزيز بالله الفاطمي فكتب سيرته أبو عبد الرحمن

---

(١) انظر ابن العديم (مخطوط فيض الله) الورقة ٢٨٣ وجه .

العتيقي الفريابي ، كما كتب الكندي سيرة مروان الجعدي (آخر الأمويين) وأخبار السري بن الحكم ، وكتب ابن الداية عن ابراهيم ابن المهدي (صاحب الغناء الذي استخلف في بغداد) . ونجد بعد ذلك ستة مؤلفات تحكي سير الوزراء الكبار منها سيرة لليازوري وسيرتان للوزير المغربي وسيرة للبطائحي (ابن مأمون) وسيرة للأفضل وسيرة لطلائع بن زريك . كما نجد سيراً لكبار رجال الدعوة من مثل سيرة الاستاذ جؤذر وسيرة المؤيد لدين الله داعي الدعاة.. بقلمه .

خامساً : العناية المتأخرة بعلم الرجال والتراجم : ولئن لم تكن هذه العناية خاصة بمدرسة مصر ، فان الملاحظة الواضحة أنها إنما جاءت لديها متأخرة . بمعنى إن المؤرخين المصريين في القرنين الرابع والخامس قلما عنوا بتراجم الرجال وكانت عنايتهم موجهة إلى الأحداث ونظم الحكم والحضارة ووصف الواقع الحياتي . وقد نجد منذ القرن الخامس مؤلفاً واحداً في التراجم لكن هذا النوع التاريخي لم يصبح من هموم المؤرخين في مصر إلا متأخراً وفي أواخر القرن السادس وأوائل السابع . لقد توافق ذلك مع عودة مصر إلى المذهب السني أيام الأيوبيين وانسجامها مع مسيرته الفكرية. وهكذا فان علم التراجم قد أزاح في هذه الآونة الاهتمام بالأحداث وحل محلها . فملأ الميدان التاريخي كله تقريباً مما أعطانا عدداً من أبرز كتب الرجال في هذه الفترة ومنها :

- معجم وفيات الشيوخ ، لأبي اسحق ابراهيم بن سعيد النعماني الحبال (المتوفى سنة ١٠٨٩/٤٨٢) .
- معجم الرحلة ، معجم شيوخ بغداد ، معجم شيوخ اصفهان للسلفي صدر الدين أبي طاهر أحمد بن محمد (سنة ٥٧٦/١١٨٠) .
- معجم الشيوخ ، لابن الأنماطي أبي البركات اسماعيل بن عبد الله (سنة ١٢٢٢/٦١٩) .

- اكمال الاكمال ، التقييد لمعرفة رواة الأسانيد . لابن نقطة أبي بكر محمد بن عبد الغني (١٢٣٢/٦٢٩) .
- معجم الشيوخ ، لابن الحاجب جمال الدين أبي عمرو عثمان بن عمر الأسنائي (١٢٤٨/٦٤٦) .
- الدرة الفائقة في محاسن الأفارقة ، للتيفاشي ابي العباس أحمد بن يوسف المغربي (١٢٥٣/٦٥١) .
- تاج المجامع والمعاجم (٣ مجلدات) للقوصي شهاب الدين أبي المحامد اسماعيل ابن حامد الانصاري (١٢٥٥/٦٥٣) .
- التكملة لوفيات النقلة (طبع منه ٤ مجلدات وهي حوالى النصف) للمنذري زكي الدين أبي محمد عبد العظيم بن عبد القوي (١٢٥٨/٦٥٦) .
- وهناك كذلك كتاب تاريخ الغرباء ممن دخل مصر لأبي سعيد ابن يونس، وقد ذيل عليه بذيل يحمل الاسم نفسه أبو القاسم يحيى بن علي الحضرمي، واستعمل الذيل ابن العديم [1] وابن القفطي في انباه الرواة .

ولعل من قبيل العناية بالرجال العناية بالأنساب . وقد حرص على هذا العلم وعلى حفظه والتأليف فيه جماعة المنسوبين الى آل البيت بصورة خاصة ، والتآليف في هذا الباب كثيرة ويكفي أن نذكر منها :

- جامع الأنساب للقاضي المهذب أبي محمد الحسن بن علي بن الأمير الأسواني (١١٦٥/٥٦١) .
- الحاوي لأنساب الناس وهو أنساب مشجرة في أكثر من عشر مجلدات للشريف الهاشمي أبي طالب عبد الرحمن بن محمد (المتوفى سنة ٦٢١/ ١٢٢٤) .

---

(١) انظر ابن العديم – بغية الطلب (مخطوط أحمد الثالث) ج ١ الورقات ٤٦ ظهر ١٧١ وجه ١٧٢ وجه . وانظر كذلك السخاوي – الاعلان ص ٦٤٥ .

- حظيرة القدس ، وهو في ٦٠ مجلداً عدا كتب عديدة أخرى للشريف المروزي عزيز الدين اسماعيل بن الحسن العلوي (المتوفى سنة ١٢٣٥/٦٤٢)

سادساً : التأليف في نظم الحكم والقوانين المالية وطرق الادارة : وهذا النوع من التأليف جاء بدوره متأخراً أيضاً . ويبدو أن الحكم الفاطمي حين ضعف ثم انتهى بعد أواسط القرن السادس وجاء العهد الأيوبي من بعده وأصحابه حديثو عهد بالحكم ، احتاج الأمر لأن يتطوع الخبراء في قوانين المال والإدارة لإرشاد الحكام الجدد ...وهكذا ظهرت مجموعتان من المؤلفات :

أ - مجموعة تتحدث في شئون المال منها :

- كتاب المنهاج في احكام الخراج ورسالة في مال مصر وكلاهما للمخزومي ذي الرياستين القاضي السعيد أبي الحسن علي بن عثمان من عهد صلاح الدين .
- قوانين الدواوين ومؤلفه معاصر للمخزومي ويعرف بابن مماتي شرف الدين الأسعد ابن المهذب (المتوفى سنة ١٢٠٩/٦٠٦) وهو مطبوع .
- كتاب لمع القوانين المضية وكتاب : اظهار صنعة الحي القيوم في وصف الفيوم وحسن السيرة في وصف الجزيرة وكلها للنابلسي أبي عمرو عثمان بن إبراهيم المتوفى سنة ١٢٦٢/٦٦٠ .

ب - ومجموعة أخرى تجمع الرسائل الرسمية في الدولة لتعليم ناشئة الكتاب أساليب الادارة والانشاء ومن ذلك :

- مواد البيان (في صنعة الكتابة) لعلي بن خلف من كتاب الفاطميين ، وقد اعتمده القلقشندي .
- قانون ديوان الرسائل ، لابن منجب الصيرفي أبي القاسم علي (المتوفى سنة ١١٥٥/٥٥٠) .

- البرد الموشى في صناعة الإنشا ، للموصلي تاج الدين موسى بن حسن الكاتب (معاصر لابن منجب وللفاطميين الاخيرين) .
- التذكرة وهي في ١٢ مجلداً لابن مسيلمة أحد كتاب العاضد آخر الفاطميين .
- رسائل علم الرؤساء (١٠ مجلدات) لأبي القاسم عبد الرحمن بن هبة الله المعروف بابن رفاعة وبكاتب ناصر الدولة (توفى سنة ٥٩٣/ ١١٩٧) .
- المنشآت (وهي في ١٠٠ مجلد) والمتجددات . والرسائل . وهي مجموعات مما كتب القاضي الفاضل عبد الرحمن بن علي البيساني العسقلاني كاتب صلاح الدين المتوفى سنة ٥٩٦/١١٩٩ .

سابعاً : التأليف في أوجه الحضارة وألوان الحياة والعجائب والسلاح والصوفية والموالي والحواري وأخبار كبار الموظفين ، ولعل هذا الباب من التأليف أهم الأبواب الأخرى وأخصبها . وقد كانت دائرة الاهتمام الحضارية واسعة للدرجة التي أوجدت مجموعات عدة من المؤلفات ومعظمها انما ظهر في العهد الفاطمي الأول .

أ) مجموعة تتحدث في أخبار الوزراء والقضاة والولاة والأطباء ومنها :

- كتاب الولاة وكتاب القضاة للكندي أبي عمر محمد بن يوسف التجيبي (٩٦١/٣٥٠) .
- كتاب قضاة مصر ، لأبي عبيد الله محمد بن الربيع الجيزي (المتوفى سنة ٣٢٤) .
- كتاب قضاة مصر (وهو ذيل على السابق) لابن زولاق (سنة ٣٨٧/ ٩٩٧) .

ـ أخبار الأطباء ، أخبار المنجمين ، وكلاهما لابن الداية أبي الحسن يوسف ابن إبراهيم (المتوفى سنة ٣٣٤) .

ـ كتاب القضاة ، للحافظ أبي محمد عبد الغني بن سعيد المصري السمرقندي، وقد نقل عنه ابن العديم بعض التراجم [١] .

ـ كتاب البغية والاغتباط فيمن ولي مصر الفسطاط لأبي اسحق إبراهيم بن إسماعيل بن سعيد الهاشمي الاخباري [٢] .

ـ كتاب الاشارة إلى من نال الوزارة ، لابن منجب الصيرفي .

ـ كتاب النكت العصرية في الوزارة المصرية ، لعمارة اليمني المقتول سنة ٥٦٩/١١٧٣ .

ـ كتاب القضاة لابن ميسر محمد بن علي المؤرخ ، المتوفى سنة ٦٧٧/١٢٧٨.

ب) مجموعة كتب في طبقات الناس ، ومن ذلك :

ـ كتاب الموالي ، كتاب الجند العربي ، للكندي أبي عمر يوسف (سنة ٣٥٠) .

ـ كتاب الطنبوريين والطنبوريات لعلي بن الحسين الحلبي المعروف بابن كوجك الوراق بمصر ، المتوفى في حدود سنة ٤٠٥ [٣] .

ـ كتاب المأثور من ملح الخدور لأبي القاسم الحسين بن علي المغربي الوزير الفاطمي (سنة ٤١٨) [٤] .

---

(١) انظر ابن العديم – بغية الطلب ج ١ ورقة ٨١ وجه (مخطوط أحمد الثالث) .

(٢) السخاوي – الاعلان ص ٦٤٥ .

(٣) ذكره ونقل عنه ابن العديم في بغية الطلب (مخطوط أحمد الثالث) ج ٨ ورقة ١٣٩ وجه . وذكره هدية العارفين ج ١ ص ٦٨٦ .

(٤) نقل عنه ابن العديم مرات . انظر مثلا (مخطوط أحمد الثالث) ج ٢ الورقة ٨٨ وجه ج ٧ الورقة ٢٩٢ ظهر و ٢٩٣ وجه . ومخطوط فيض الله ، الورقة ٩٤ وجه .

- كتاب جامع الفنون وسلوة المحزون في ذكر الغناء والمغنين لأبي الحسين ابن الطحان (القرن الخامس) [1] . وقد نقل عنه ابن العديم عدة نقول ...
- كتاب الجواري ، لابن كاسيبويه أبي علي الحسن بن اسماعيل القاضي المؤتمن المتوفى (سنة ٥٨٨) .
- كتاب أخبار الشجعان ، لأبي منصور ظافر بن الحسين المصري شيخ المالكية [2] (سنة ٥٩٧) .
- كتاب تاريخ الصوفية وكتاب تاريخ الأولياء للحسين بن علي بن أبي المنصور بن ظافر الاسدي ، المتوفى حوالى سنة ١٢٦٢/٦٦٠ .

جـ) مجموعة مؤلفات في العجائب والغرائب ومن ذلك :

- تحفة القصر في عجائب مصر ، وينسب إلى العاضد آخر الخلفاء الفاطميين .
- عجائب الدنيا ، ويسمى كتاب العجائب الكبير ، لابراهيم بن وصيف شاه (سنة ١٢٠٠/٥٩٦) .
- كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار ، لمؤلف مجهول (من أواخر القرن السادس) وهو مطبوع (نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد ، الاسكندرية سنة ١٩٥٨) .
- عجائب الأخبار ، وكتاب الافادة والاعتبار ، لابن اللباد عبد اللطيف بن يوسف (سنة ٦٢٩) .
- أسرار الأهرام ، للشريف الحاوي الادريسي جمال الدين محمد بن عمر (سنة ٦٤٥) .

د) مجموعة كتب تاريخية للمسامرة ومنها :

- كتاب المجالسة ، لأبي بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي القاضي في

---

(١) نقل عنه ابن العديم (مخطوط أحمد الثالث) انظر مثلا ج ٨ ورقة ١٩٤ ظهر .

(٢) وينسب الكتاب نفسه لابن ظافر جمال الدين علي بن الحسن الازدي الوزير المتوفى سنة ٦١٣ ولعله الأصح .

أسوان (في مطالع القرن الرابع) [1] .

- كتاب المكافأة لابن الداية (المتوفى سنة ٣٣٤) ويحوي ٧١ قصة مما يحدث في العراق ومصر وبلاد الإسلام في مطالع القرن الرابع الهجري ، وقد نشر الكتاب سنة ١٩٤١ في القاهرة بتحقيق أحمد أمين وعلي الجارم .
- وثمة كتاب الثمرة ، لابن الداية أيضاً .
- كتاب بدائع البدائه ، لابن ظافر جمال الدين علي بن الحسن الاسدي الوزير (سنة ٦١٣) .
- كتاب الهدايا والتحف ، لمؤلف مجهول (من النصف الثاني من القرن الخامس) وقد نشر الكتاب في الكويت سنة ١٩٥٩ بعنوان الذخائر والتحف منسوباً إلى القاضي الزبير الأسواني وهو كبوة وقع فيها المحقق .

هـ) مجموعة كتب في مواضيع متفرقات من أبرزها :

- كتاب ما كفى من الأيام وهو كتاب كاليومية كتبه أبو الحسن الاسكندراني حوالى سنة ٣٦٥ أيام المعز لدين الله الفاطمي ولعله أول وأقدم مذكرات موجودة بين أيدينا من العهد الإسلامي ، اذ توجد منه نسخة مخطوطة في مكتبة الاسكوريال بمدريد [2] .
- كتاب العزيزي في الطرق والمسالك ، وقد كتبه الحسن بن أحمد المهلبي للخليفة العزيز الفاطمي وكان أول كتاب يصف بلاد السودان الوصف الدقيق ، وكان الجغرافيون في القرن الرابع لا يعلمون شيئاً كثيراً عنها .

---

(١) ذكره ابن العديم في بغية الطلب (مخطوط أحمد الثالث) ج ٢ الورقة ٦٤ ظهر و ٦٥ وجه . وقال انه « ضمن كتابه نخب الأحاديث والأخبار ومحاسن النوادر والآثار ومنتقى الحكم والأشعار ... »

(٢) انظر جرجي زيدان – تاريخ آداب اللغة العربية ج ٢ ص ٦٣٠ .

والكتاب كان أكبر مصادر ياقوت حولها [1] ، ويصفه ابن العديم بأنه يوجد فيه ما لا يوجد في غيره من أخبار البلاد وفتوحها وخواصها .. » [2] .

- كتاب الخندق والتراويح للكندي ويتحدث عن الحوادث التي وقعت في مصر سنة ٦٤ حين تغلب بعض أنصار عبد الله بن الزبير عليها ودافعهم الأمويون ...

- كتاب تبصرة أرباب الألباب ، كتبه مرضي بن علي بن مرضي الطرسوسي في عصر صلاح الدين ، وهو في السلاح ووصفه وعمله واستخدامه . وقد نشر الكتاب كلود كاهن .

ثامناً : ونضيف أخيراً الملاحظة الهامة وهي أن مدرسة مصر التاريخية كان لها دون باقي المدارس الاقليمية الأخرى امتداد مبكر إلى أرض أخرى هي أفريقية والمغرب والأندلس ونعني بذلك أمرين :

الأول : انها اهتمت أول من اهتم وأكثر من اهتم في المشرق بأخبار تلك البقاع وفتحها وسجلت تلك الأخبار . والمعلومات التاريخية الواردة من هناك كانت تجد أول مستقر لها في مصر .

الثاني : ان الخطوات الأولى للمدارس التاريخية هناك والتدوين التاريخي الأندلسي انما استمدت معارفها ورواياتها وأخبارها الأولى نقلاً عن الرواة والكتاب الأولين للتاريخ في مصر .. فهي بذلك بنت المدرسة المصرية .

وقد بدأ اهتمام رواة التاريخ المصريين بالأندلس قبل أن يتم الفتح لها . نجد ذلك في بعض ما يروى من أخبارها عن الصحابي المعروف عبد الله بن عمرو ابن العاص (المتوفى سنة ٦٥ — ٦٨٤) قبل فتح الأندلس بنحو ربع قرن . وهي أخبار تسربت وتحدث بها المحدثون نقلاً عن بعض علماء اليهود الذين

---

(١) آدم متز — الحضارة الاسلامية في القرن الرابع ج ٢ ص ١٠ .

(٢) انظر ابن العديم — بغية الطالب (مخطوط فيض الله) الورقة ١٦٣ وجه ، ومخطوط أيا صوفيا الورقة ٥٦ ظهر .

أسلموا (مما اصطلح على تسميته بالاسرائيليات) . ثم جاءت طبقة التابعين الذين دخلوا الأندلس بالفتح وبعده ، وكلهم تقريباً من تلاميذ عبد الله بن عمرو فأخذوا يروون لتلاميذهم ، في مصر ، قصص الفتح ، واضعين بذلك أساس التاريخ المغربي ـ الأندلسي ومنهم : موسى بن نصير الفاتح نفسه ، وعلي بن رباح ، وحنش بن عبد الله السبئي الصنعاني ، وأبو عبد الرحمن الحبلي ، وحبان بن أبي جبلة القرشي ، وبكر بن سوادة الجذامي .

وبلغ من احترام أخبار هؤلاء أن تتبع الأندلسيون تاريخ بلادهم الأول لديهم أو لدى من بقي في مصر من أبنائهم حتى صارت مصر هي المصدر الأول لأخبار الغرب الاسلامي كله . وصارت أخبار فتح الأندلس مادة من مواد المجالس الأدبية والدينية في مصر ينقلها المحدثون والفقهاء ، ورواة التاريخ ، ولا شك أن الأسباب في ذلك كثيرة :

- فقد كانت العلاقات السياسية والعسكرية ، بين مركز الدولة الاسلامية وبين المغرب والأندلس تمر من مصر ان لم تكن تنطلق منها .
- وكانت مصر منطلق الخطوط التجارية البرية والبحرية على السواء إلى تلك الأصقاع .
- وكانت مصر إلى كل أولئك ، منطلق الثقافة الاسلامية : ديناً وفقهاً وعقيدة ولغة وفكراً وأدباً إلى المغرب والأندلس . ومؤسسو المدارس الفقهية بمصر كان لهم الفضل في وضع أسس التشريع بالأندلس .

وهكذا جاءت الطبقة الثانية من رواة التاريخ في مصر وهي ليست أقل اهتماماً من سابقتها بتاريخ المغرب والأندلس ومن هؤلاء موسى بن علي بن رباح اللخمي (ت : ١٦٣/٧٧٩) وهو أستاذ اثنين من أهم المؤرخين المصريين هما ابن لهيعة والليث بن سعد (كما نقل عنه الواقدي ايضاً) وقد أخذ عنه ذلك الاهتمام المغربي ثم واصل تلاميذ الليث من أمثال عبد الملك بن مسلمة وعبد الله بن الحكم ويحيى بن عبد الله بن بكر وعبد الله بن وهب وعثمان ابن صالح وأخيراً سعيد بن عفير الطريق نفسه ...

وقد ظهر أثر هؤلاء واضحاً في أول كتاب تاريخي يؤلفه أحد الأندلسيين وهو تاريخ عبد الملك بن حبيب الالبيري (ت ٢٣٨ / ٨٥٢) فأكثر أخباره مرويّ عن الليث بن سعد وعبد الله بن وهب ..

وقد تابعت المدرسة المصرية هذا الاهتمام بالمغرب والأندلس خلال ذلك ، كما تثبت كتابات ابن عبد الحكم (ت ٢٥٧ / ٨٣٠) ثم سعيد بن يونس الصدفي (ت ٣٣٦ / ٩٤٧) ثم تقلص هذا الاهتمام تدريجياً من بعد لأن الصدفي كان آخر مؤرخ مصري شارك بشكل قوي فعال في كتابة التاريخ الأندلسي والذين تابعوه مثل عبد الغني ابن سعيد (ت ٤٠٩ / ١٠١٨) توجه اهتمامه إلى علم الحديث والرجال أكثر من اهتمامه بالأخبار التاريخية ....

ولعلنا نجد أسباب هذا التناقص في اهتمام المدرسة المصرية بالمغرب والأندلس في عدد من العوامل ومنها :

- كانت الثقافة الأندلسية قد أتيح لها الاستقلال عن المشرق إلى حد كبير .
- وكانت الأوضاع السياسية (ما بين أموية الأندلس وفاطمية مصر) تباعد الاهتمام بين الطرفين .
- وأنتجت الأندلس خلال ذلك مؤرخيها ذوي المكانة كآل الرازي والخشني وابن القوطية الذين أنهوا الوصاية المشرقية على تاريخهم الاقليمي .
- وزادت كميات الأخبار المشرقية الاسلامية ، وتراكمت تجارب الأمة للدرجة التي اضطر معها المؤرخون لتضييق اهتماماتهم وللاقتصار بها — كما في مصر — على التاريخ المحلي والاقليمي .

وهكذا ما جاءت نهاية القرن الخامس حتى كان هذا الامتداد التاريخي — الفكري ما بين مصر وبين المغرب والأندلس قد ذبل واندثر [١] .

---

(١) أول من كتب في علاقة مدرسة مصر التاريخية بتاريخ المغرب والأندلس هو محمود علي مكي

٤ ـ المؤرخون البارزون

اذا كانت هذه هي أبرز المواضيع والكتب التاريخية في مصر في العهدين الفاطمي والأيوبي فان المؤرخين البارزين معدودون ومنهم :

ـ ابن الداية : أبو جعفر أحمد بن يوسف بن ابراهيم المصري (المتوفى سنة ٣٣٤ أو سنة ٩٥١/٣٤٠) كان جده ابن داية المهدي ، كما روى أخبار أبي نواس، وكان أبوه يوسف كاتب ابراهيم بن المهدي ورضيعه. فلما مات ابراهيم وساءت أحوال يوسف تحول إلى مصر فصار من جلة الكتاب لدى ابن طولون . ونشأ ابنه أحمد على الثقافة الواسعة في الأدب والطب والنجوم والحساب والمعرفة بالأخبار بجانب الكتابة لآل طولون وقد ترك هذا كله آثاره في إنتاجه الغزير من الكتب التي نعد منها عدداً في مختلف العلوم : مثل شرح كتاب الثمرة لبطليموس وكتاب النسبة والتناسب وكتاب مختصر المنطق وكتاب الطبيخ وكتاب الأقواس المتماثلة كما نعد أيضاً مجموعة واسعة من كتب التاريخ تجعل ابن الداية — لو سلمت — في طليعة مؤرخي مصر الأولين . ومنها سلسلة من ثلاث سير ، كانت نوعاً من عرفان الجميل للطولونيين :

ـ سيرة أحمد بن طولون : وقد استوعبها المؤرخ المغربي ابن سعيد (المتوفى سنة ١٢٨٦/٦٨٥) في كتابه : المغرب في حلى المغرب (قسم الفسطاط) وبهذا الشكل وصلنا القسم الأعظم من هذه السيرة .

في بحثه الجيد : (مصر والمصادر الأولى للتاريخ الأندلسي) الذي نشره بالاسبانية (مع ملخص بالعربية) في صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد (المجلد الخامس سنة ١٩٥٧) وقد اعتمدنا في جانب كبير من تفصيلات هذه العلاقة عليه .

- سيرة ابنه خمارويه بن أحمد بن طولون . وقد جاءت قطع منها ، كالأولى ، لدى ابن سعيد . وكان ابن العديم قد رآها ونقل عنها [1] .

- سيرة هارون بن خمارويه . وهي مفقودة .

ولابن الداية عدا هذه السير مجموعة من كتب التاريخ ، منها كتاب واحد باق وأما الباقي فضائع :

- كتاب المكافأة : وهي مجموعة من ٧١ قصة مما حدث في العراق ومصر وبلاد الإسلام ، تكشف الحياة الاجتماعية والخلقية الاسلامية في عصر ابن طولون خاصة وقد قسمها ابن الداية ثلاثة أقسام : ٣١ في المكافأة على الجميل و٢١ في المكافأة على الشر والقبيح . و ١٩ في حسن العقبى . نشر الكتاب بتحقيق أحمد أمين وعلي الجارم (القاهرة ١٩٤١) ، وكان قد نشر من قبل سنة ١٩١٤ .

- أخبار غلمان بني طولون .

- كتاب أخبار الأطباء .

- كتاب أخبار المنجمين .

- كتاب أخبار ابراهيم بن المهدي [2] .

ولا شك أنه كان من الممكن لابن الداية أن يكون له شأن آخر في دنيا المؤرخين والعلماء لو لم تلعب الصدفة في إضاعة تراثه الأساسي وإبقاء

---

(١) انظر المصدر السابق (مخطوط أحمد الثالث) ج ٢ الورقة ٥٢ وجه .

(٢) انظر الصفدي – الوافي ج ٨ ص ٢٨٢ – ٣ .

التحف منه سواء في التاريخ مثل كتابي سيرة ابن طولون والمكافأة أو في الفلسفة مثل كتابي السياسة لأفلاطون والثمرة لبطليموس أو في الرياضيات مثل كتاب النسبة (وهو مخطوط في الجزائر والقاهرة) والأقواس (مخطوط البودليان) .

الكندي : أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب التجيبي (من بطون كندة) ولد في الفسطاط سنة ٨٩٧/٢٨٣ وتوفي بها سنة ٩٦١/٣٥٠ . وهو مؤرخ فقيه عارف بأحوال الناس وسير الملوك كما يقول المقريزي . درس على النسائي وابن قديد . وقد كتب عدداً من كتب التاريخ .

- كتاب الولاة وكتاب القضاة ، وهما اثنان وصلا في مخطوطة واحدة يحتفظ بها المتحف البريطاني ، وقد طبعا في كتاب واحد (بعناية المستشرق غوتهيل) وهو يعدد ولاة مصر أولاً بعضهم في ايجاز وبعض في بسط من القول . ويذكر سنده في الأقسام الأولى من الكتاب ثم يهمل السند في الأقسام الأخيرة وتقف روايته عند وفاة محمد بن طغج الاخشيد (سنة ٣٣٤) ، وقد ذيل على الكتاب كاتب مجهول لعله ابن زولاق بأربع صفحات وصل بها الولاة إلى مطلع العهد الفاطمي . وأما كتاب القضاة فيقف عند منتصف القرن الثالث (سنة ٢٤٦) وقد تابع فيه الكندي ابن عبد الحكم واعتمد عليه ووسع الأخبار كما اعتمد على وثائق ومحفوظات رسمية فيما يبدو من أخباره ، مما نقل له عن سجل الديوان . ولكتاب القضاة ذيلان أولهما منسوب لأبي الحسن أحمد بن عبد الرحمن بن برد يصل تاريخ القضاة إلى سنة ٩٧٧/٣٦٦ والثاني لمؤلف مجهول يلخص ذكر القضاة حتى سنة ١٠٣٣/٤٢٣ ...

وقد كان للكندي آثار تاريخية أخرى ضاعت كلها ومنها : كتاب الخطط ، كتاب مسجد أهل الراية ، كتاب الخندق والتراويح ، كتاب الجند العربي ، كتاب الموالي ، كما أن له كتابين في سيرة رجلين هما :

أخبار السري بن الحكم ومروان الجعدي . ولعل أهمها الكتاب الأول لأنه كان رأس سلسلة من الكتب في مادته انتهت بكتاب المقريزي المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار وانتظمت مايزيد على سبعة كتب .

ابن زولاق : أبو محمد (أو أبو الحسين على قول المقريزي)[1] الحسن بن ابراهيم بن الحسين الليثي المصري . من مواليد الفسطاط سنة ٩١٩/٣٠٦ وتوفي بها سنة ٩٩٧/٣٨٧ . وهو من أسرة علم كما درس على كبار العلماء ومنهم الكندي في التاريخ غير أنه وقف جهوده على تسجيل تاريخ عصره ببراعة ودقة نادرتين : وكان لاتصاله بالأحداث من جهة وببلاط الولاة الاخشيديين ثم الخلفاء الفاطميين أثرهما في معرفته بالكثير من الأخبار والأحوال وفي غنى مؤلفاته بالتفاصيل ... لا نعرف ذلك من آثاره نفسها ، فلم يصلنا منها رغم كثرتها شيء سوى رسالة عادية في أخبار سيبويه المصري ولكن نعرفه من القطع والمقتبسات التي نقلها المؤرخون عن كتبه التي نعد منها من مؤلفات حول مصر :

- كتاب تاريخ مصر ويستفاد من ابن حجر العسقلاني انه كان على السنين .
- كتاب فضائل مصر وثمة ثلاث رسائل مخطوطة في المكتبة الوطنية بباريس بهذا العنوان وتنسب لابن زولاق وقد درسها المستشرق غوهيل واستنتج أن واحدة منها فقط هي له وأما الأخريان فهما لمؤلفين متأخرين .
- كتاب خطط مصر وابن خلكان يذكر أنه « استقصى فيه » الخطط مع أن المقريزي لا يذكره بين مؤلفي هذا الموضوع .

ونعد من مؤلفات ابن زولاق في السير :

- سيرة الأخشيد وقد وصلتنا في معظمها تقريباً عن طريق مؤرخ آخر هو ابن سعيد الاندلسي سنة ١٢٧٤/٦٧٣ الذي نقلها في كتاب المغرب في حلى المغرب وهو كتاب أسرة بن سعيد الذي تعاقب على تأليفه ثلاثة

---

(١) المقريزي – اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ١٧٢ .

أجيال من مؤلفي هذه الأسرة وسمي الجزء الخاص (وهو الرابع) بالاخشيديين باسم العيون الدعج في حلي دولة بني طغج . وقد اقتبس سيرة الأخشيد عن ابن زولاق ابن العديم في بغية الطلب [1] .

- أخبار الماردانيين وهم وزراء الأخشيديين . وقد ضاعت هذه الرسالة الكبيرة فيما عدا اقتباس أخذه عنها المقريزي في أخبار عميد الأسرة أبي بكر المارداني وولده [2] .

- سيرة المعز لدين الله ، وقد ضاعت بدورها لولا شذور منها لدى المقريزي نجدها في كتابه الخطط كما نجدها أيضاً في اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الخلفا [3] .

- سيرة جوهر الصقلي ، ولم يشر اليها سوى ابن حجر العسقلاني في رفع الاصر [4] .

- سيرة ابن طولون . ذكرها وأخذ عنها ابن العديم في بغية الطلب [5] .

المسبحي عز الملك : محمد بن عبد الله بن أحمد بن إسماعيل الأمير المختار الحراني . ولد بمصر سنة ٩٧٧/٣٦٦ وتوفي بها سنة ١٠٢٩/٤٢٠ وعاش خاصة عصر الحاكم بأمر الله الفاطمي ، وكان من المقربين اليه حتى اذا انتهى الحاكم سنة ١٠٢٠/٤١١ غاب المسبحي عن الحياة العامة يكتب ...

---

(١) ابن العديم – بغية الطلب (مخطوط فيض الله) الورقة ٢٤١ ظهر وما بعد .
(٢) انظر المقريزي – الخطط ج ١ ص ١٣٢ ، ج ٣ ص ٢٥٤ .
(٣) انظر المقريزي – الاتعاظ (طبع الشيال) ج ١ ص ٢٢٧ – ٢٣٠ ، ٢٣٢ .
(٤) انظر ابن حجر – رفع الاصر (القسم الأول ص ٧٤) – نشر وزارة التربية – القاهرة .
(٥) ابن العديم – بغية الطلب (مخطوط أحمد الثالث) ج ١ الورقة ١٧٥ ظهر ١٧٦ ظهر ، ج ٨ الورقة ٢٦٠ ظهر .

وقد قدم لتاريخ مصر ما لو بقي بين الناس لما كان ثمة ما يدانيه فيه سوى المقريزي بعد عدة قرون .

يذكر ابن خلكان ثبتاً حافلاً بمؤلفات المسبحي [1] تكشف أي مؤرخ واسع كان وأيّ مؤلف خصب . ان مجموع كتبه يزيد على الثلاثين ويربو عدد صفحات ١٢ منها على ٦٢ ألف صفحة . ومنها :

- كتاب التاريخ الكبير في ١٣ ألف ورقة (٢٦ ألف صفحة) ولو سلم لكان أهم الموسوعات في تاريخ مصر ، اذ كتب في مقدمته : « ... التاريخ الذي يُستغنى بمضمونه عن غيره من الكتب ... وهو أخبار مصر ومن حلها من الولاة والأمراء والائمة والخلفاء وما بها من العجائب والأبنية واختلاف أصناف الاطعمة وذكر نيلها وأحوال من حل بها إلى الوقت الذي كتبنا فيه ... وأشعار الشعراء وأخبار المغنين ومجالس القضاة والحكام والمعدلين والأدباء والمتغزلين وغيرهم ... » ويسمى السمعاني في الأنساب تاريخ المسبحي باسم : تاريخ المغاربة (يقصد الفاطميين) ومصر . ومن المؤسف أن هذا التاريخ الذي بقي موجوداً ورآه ابن خلكان كما اقتبس منه ابن العديم في بغية الطلب والمقريزي وابن تغري بردي والسيوطي والسخاوي ، وذكر حاجي خليفة في كشف الظنون (في القرن الحادي عشر الهجري) أنه يقع في ١٢ مجلداً .. قد ضاع . ومع أن اشارة وردت في معجم مخطوطات الاسكوريال في أواخر القرن الثامن عشر (سنة ١٧٧٠) تشير إلى وجود ٤ مجلدات منه هناك الا انها الآن ضائعة ... ولم يبق سوى جزء في ٧٩ ورقة تبدأ من بقية سنة ٤١٤ هـ حتى سنة ٤١٦ وهذا الجزء المسمى بالأربعين ليس بآخر الكتاب ، وهذا يعني أن المسبحي تابع التاريخ بعد سنة ٤١٦ .

وتنظيم الكتاب حوليّ يدل على ذلك الشذرات المقتطفة منه وقطعته

---

(١) ابن خلكان – وفيات (طبع عباس) ج ٤ ص ٣٧٧ وما بعدها .

الباقية المخطوطة . ويبدو أن المسبحي كتب مختصراً لكتابه بعنوان مختار من أخبار مصر ، أو أن مؤلفاً آخر اختار من تاريخه مؤلفاً ذكره ابن العديم ونقل عنه [1] .

أما كتب المسبحي الأخرى فالتاريخية منها هي : كتاب الغرق والشرّق فيمن مات غرقا وشرّقا (في ۲۰۰ ورقة) كتاب درك البغية في وصف الأديار والعبادات (۳۵۰۰ ورقة) قصص الأنبياء وأحوالهم (۱۵۰۰ ورقة) كتاب الأمثلة للدول المقبلة ، في النجوم وحساب طوالع الدول (۵۰۰ ورقة) . كتاب جونة الماشطة في غرائب الأخبار والأشعار والنوادر (۱۵۰۰ ورقة) كتاب الشجن في أخبار أهل الهوى (۱۵۰۰ ورقة) ... وكل هذه الكتب قد ضاع .

القضاعي : أبو عبد الله محمد بن سلامه بن جعفر القضاعي الشافعي (من مواليد أواخر القرن الرابع ، وقد توفي سنة ٤٥٤/١٠٦١) . ولي القضاء وتقلب في عدد من الوظائف الهامة في ظل الخليفة المستنصر وكان سفيره أحياناً إلى الروم في مهمات سياسية اقتصادية . وللقضاعي عدة كتب ضاع معظمها منها :

- عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف ، وهو على ما يقول القضاعي في مقدمته : « موجز في ذكر الأنبياء وتاريخ الخلفاء وولايات الملوك والخلفاء إلى سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة ... » ومن هذا الكتاب مخطوطتان في دار الكتب بمصر [2] وثالثة في باريس .
- كتاب الانباء عن الأنبياء وتاريخ الخلفاء ، ولعله هو نفسه الكتاب الأول

---

(۱) انظر ابن العديم ، المصدر السابق ج ۲ الأوراق ٤٢ ظهر ، ٥١ وجه ، ٥٤ وجه ، حيث يكرر القول أنه نقل عن مختار من أخبار مصر تأليف الأمير مختار الملك ... المسبحي .

(۲) هي ضمن مجموعة رقمها ۱۷۷۹ تاريخ .

و هو الكتاب الأوسع الذي يقتبس عنه كثير من المؤرخين المتأخرين .

- كتاب المختار في ذكر الخطط والآثار ، ولم يصلنا من هذا الكتاب سوى شذور موزعة في كتب المقريزي والقلقشندي وابن تغري بردي والسيوطي وقيمته في أنه يصف القاهرة قبل خرابها في الشدة المستنصرية التي دمرت حضارتها بين سنتي ٤٥٨ – ٤٦٣ هـ ، ولكن الكتاب ضاع بدوره مع أن السيوطي رآه بخط القضاعي نفسه . وللقضاعي إلى هذا كتاب مناقب الامام الشافعي وكتاب الشهاب في الحديث ، وهو مخطوط في الاسكوريال .

ولا نكاد نجد بعد المسبحي والقضاعي من مؤرخ كبير في مصر ، والأسماء الباقية محدودة الانتاج أو منصرفة إلى التراجم ومنها :

القاضي الرشيد : أبو الحسن أحمد بن علي بن الزبير الغساني الاسواني المقتول سنة ١١٦٧/٥٦٢ ، وكان من رجال الدولة الفاطمية وذوي الفضل والعلم والشعر وأخوه القاضي المهذب مثله وان كان أشعر منه . شارك الرشيد في الجو التاريخي بعدد من الكتب ضاعت كلها ومنها :

- تاريخ أسوان ، كتاب الرجال ، كتاب الذخائر والتحف ، جنان الجنان ، ورياض الاذهان . والكتاب الأخير في شعراء مصر والشام في عصره مع تراجمهم ، وقد كتب القسم الشامي من الكتاب أسامة بن منقذ [1] .

ابن منجب الصيرفي : أمين الدين أبو القاسم علي بن منجب بن سليمان (المتوفى سنة ٥٤٢ أو بعد سنة ٥٥٠ [2] . عمل الرجل لدى الفاطميين في

(١) ذكر الكتاب ومشاركة ابن منقذ فيه كما نقل عنه أيضاً المؤرخ ابن العديم في بغية الطلب (مخطوط أحمد الثالث) انظر مثلا ج ١ الورقة ٢٠١ وجه ، الورقة ٦٥ ظهر ، ج ٢ الورقة ٧٧ وجه ، الورقة ١٥٤ ظهر . ج ٧ الورقة ١ – ٢ وجه وظهر ٢٠٣ ظهر و ١٩٠ وجه وظهر . ج ٨ ورقة ٢٤٧ وجه .

(٢) أولى التراجم لابن منجب قدمها ياقوت في معجم الأدباء (١٢٢/٥) وابن ميسر في أخبار مصر (طبع المعهد الفرنسي بمصر) ج ٢ ص ٨٧ ، والأول يجعل وفاته بعد سنة ٥٥٠ والثاني يجعلها سنة ٥٤٢ .

كتابة الجيش والخراج ثم صار صاحب الرسائل وله شعر وترسل وخط مليح وله مؤلفات كثيرة لعل أهمها من زاوية التاريخ :

- الاشارة إلى من نال الوزارة ، وهو الكتاب الوحيد الذي وصلنا منه . نشره عبد الله مخلص (المعهد الفرنسي بالقاهرة سنة ١٩٢٤) عن نسخته الخطية الوحيدة في الخزانة الخالدية بالقدس . ويترجم للوزراء منذ يعقوب بن كلس زمن العزيز بالله حتى أبى عبد الله محمد بن أبي شجاع الآمري .
- مجموع « رسائل أنشأها عن ملوك مصر تزيد على أربع مجلدات » وكانت ثروة تاريخية سياسية لو سلمت .
- قانون ديوان الرسائل . في أصول العمل في ديوان الانشاء الفاطمي وقد ضاع . وهناك كذلك مما ضاع من كتبه لمح الملح ، كتاب رد المظالم ، وكتاب عقائل الفضائل .

السلفي : صدر الدين أبو طاهر أحمد بن محمد ، المتوفى سنة ٥٧٦/١١٨٠ . سكن الاسكندرية وقد كان فقيهاً محدثاً واسع الرحلة في طلب العلم ، ومن هنا فقد كان مؤرخاً دون أن يقصد إلى التاريخ الذي دخله من باب التراجم لا من باب رواية الأحداث ، فهو يعطينا لوحة واسعة عن الحياة العلمية في عصره في كتبه التي سلم معظمها :

- معجم السفر ، وهو مخطوط يترجم للشيوخ اللذين جاؤوه في الاسكندرية فأخذوا عنه وقد نقل عنه الكثيرون . منه نسخة بمكتبة عارف حكمة بالمدينة ، ومنه نسخة ناقصة مصورة بدار الكتب في القاهرة رقم ٣٩٣٢ تاريخ بخط المنذري .
- معجم شيوخ بغداد ، وهو مخطوط منه نسخة في الاسكوريال وأخرى في استامبول (فيض الله) .

- معجم شيوخ اصبهان ، وقد ضاع .
- الفضائل الباهرة في محاسن القاهرة ، ومنه نسخة مخطوطة .
- مختصر تاريخ بخارى وقد أوجز فيه تاريخها الذي ألفه محمد بن أحمد البخاري (توفي سنة ٤١٠ أو سنة ٤١٢) المعروف بالجنجار . وهو بدوره ضائع .

القاضي الفاضل : عبد الرحيم بن علي بن محمد البيساني العسقلاني المتوفى سنة ١٢٠٠/٥٩٦ ، كاتب صلاح الدين . والرجل مشهور الشهرة الكافية في دنيا الأدب والكتابة ، وقد قالوا ان قلمه كان يعدل سيف صلاح الدين في الأثر . ويهمنا منه أنه جمع رسائله التي كتبها لصاحبه أثناء ولايته للديوان في مجموع بلغ مائة مجلد وسماها المنشآت وقد بقي بعضها مخطوطاً وبعضها مقتبس في العديد من الكتب . كما جمع القاضي الفاضل أعماله اليومية على شكل مذكرات – فيما يبدو – سماها المتجددات ويدعوها بعضهم المتجددات أو تاريخ الماجريات ، كما يسمونها المياومات أو دستور القاضي الفاضل ، وقد بقي منها مقتطفات فقط [1] .

وثمة كتاب ثالث مجموع له باسم رسائل القاضي الفاضل ...

ومن عجب أن الرجل – وقد تيسرت له فرصة الاعتزال سنوات بعد العمل – لم يجرب ما جربه زميله المعاصر له العماد الاصفهاني فيكتب ما عرف من أمور السياسة والتاريخ في عصره مع أنه كان في قمة الأحداث وفي مركز الاطلاع على كل أمر وبيده دبلوماسية صلاح الدين .

ابن وصيف شاه ، ولسنا نعرف الكثير عنه سوى اسمه ابراهيم وأنه توفي سنة ٥٩٦ فهو ممن أدرك الدولة الفاطمية وعاش عصر صلاح الدين في

---

(١) انظر مثلا مقتبسات منها لدى ابن العديم – بغية الطلب (مخطوط أحمد الثالث) ج ٦ الورقة ٢١٧ ظهر ، ٢١٨ وجه .

مصر ، على أن كتابه جواهر البحور الذي وصل فيه إلى سنة ٦٠٦ يثبت أنه عاش إلى ما بعدها أو اليها على الأقل ولا يبدو أنه ذو ثقافة دينية في الفقه والحديث ولكنه مولع بالتاريخ وغرائب الأخبار ، ألف في ذلك بعض الكتب التي بقي لدينا شيء منها فله :

- تاريخ مصر ذكر فيه الخليفة والأنبياء ثم اقليم مصر وعجائبها وتاريخها والكتاب ضائع .
- تاريخ آخر مختصر سماه جواهر البحور ووقائع الأمور وعجائب الدهور في أخبار الديار المصرية ،ولدينا من هذا الكتاب مخطوط يصل تاريخ مصر إلى سنة ٦٠٦ ، ولكن في آخره ذكراً لطومان باي وسليم شاه ثم ولده سليمان (العثماني) والمخطوط في المتحف البريطاني رقم ٣٩ ، ولدى دار الكتب في القاهرة (التيمورية) رقم ٣٧١ تاريخ .
- كتاب عجائب الدنيا .
- كتاب العجائب الكبير ، ولعله أوسع من الأول أو لعله هو نفسه ومنه مخطوط في استامبول (مكتبة أسعد أفندي رقم ٢٢٤٠ في ٢١٠ ورقات) . وقد طبع كارا دي فو مختصر هذا الكتاب في باريس سنة ١٨٩٨ .
- أخبار مدينة السوس ويبدو أن لهذه المدينة المغربية علاقة به ولعله في الأصل منها .
- نزهة الغيضة في فضائل الروضة . والروضة جزيرة في النيل عند القاهرة كانت مسكن الكبراء ولعل ابن وصيف شاه كان يسكن فيها .

والكتابان الأخيران ضائعان والمقريزي فقط هو الذي حفظ لنا بعض المقتطفات من ابن وصيف شاه في كتابه الخطط والآثار .

ابن ظافر الاسدي : جمال الدين أبو الحسن علي بن أبي المنصور ظافر ابن حسن الأزدي المصري المتوفى سنة ٦١٣/١٢١٦ ، وكان من كبار موظفي

العهد الأيوبي وزر للملك الأشرف موسى بن العادل في الرها ثم ترك الوزارة وعاد إلى مصر . وهو من بيت علم وأدب وحب للتاريخ ؛ كان أبوه مؤلفاً فيه وكذلك ألف ابنه من بعده ، أما مؤلفات أبي الحسن فنعرف منها :

- أخبار الدول المنقطعة ، وقد رتب فيه على السنين أخبار عدد من الدول الاسلامية كالحمدانية والسلجوقية والساجية والطولونية والاخشيدية وأخبار الدولة الفاطمية في افريقية ومصر والصنهاجية في المغرب والأندلس وفيه أخبار يتفرد بها ، ونسخته الخطية في المتحف البريطاني نسخة فريدة مخرومة ، وقد طبع مؤخراً سنة ١٩٧٤ في مصر ولقد ذكر أبو الفداء [1] بين مصادره في تاريخه هذا الكتاب وأضاف أنه في نحو أربعة مجلدات ولكن الباقي منه لا يدل على ذلك إلا أن يكون الضائع هو القسم الأكبر .
- أخبار الدولة السلجوقية ولعله جزء من الكتاب السابق .
- بدائع البداله وهو مجلد ضخم ضم ألوان الحكايات التي انتثر بعضها في كتب التاريخ والأدب كالأغاني واليتيمة والخريدة والعقد الفريد والمقتبس لابن حيان والذخيرة لابن بسام والعمدة لابن رشيق وزهر الآداب للحصري . وأضاف إلى كل أولئك ما رواه عن شيوخه والعلماء الذين عرف أو طارح وجالس في الشام أو مصر . وفي الكتاب الكثير من اللمح والاشارات التاريخية . وقد ذيل عليه ابن ظافر نفسه بذيل .
- أخبار الشجعان وهو بدوره كتاب تاريخ على نحو ما . ومنه نسخة مخطوطة بالمتحف البريطاني بلندن .

ولابن ظافر كذلك ثلاثة كتب ضائعة أحدها بعنوان أساس السياسة ، ذكره ياقوت وابن شاكر الكتبي والثاني بعنوان مكرمات الكتاب ، أشار اليه أيضاً ياقوت ، والثالث كتاب من أصيب واسمه عليّ وبدأ فيه بعلي بن أبي طالب . عدا كتاب أدبي بعنوان كتاب التشبيهات .

---

(١) ابو الفداء – المختصر في تاريخ البشر ج ١ ص ٣ .

ويخطىء الباحثون فينسبون أحياناً بعض كتب ابن ظافر لوالده أو لابنه أو يعكسون فينسبون إلى هؤلاء ما لابن ظافر .

ابن اللباد : موفق الدين أبو محمد عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي البغدادي الموصلي (ولد سنة ٥٥٧ وتوفي سنة ٦٢٩) وهو طبيب لغوي ، نحويّ دارس للفلسفة والعلوم ومن المثقفين الواضحي الصورة في العصر . استقر في مصر وألف عدداً من الكتب منها في ميدان التاريخ :

- كتاب الافادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر . وهو مطبوع في مصر مرات وفيه العديد من الفوائد التاريخية والعلمية ، ومن ذلك وصفه الحي في القسم الأخير من الكتاب لمجاعة مصر ووبائها المروع سنة ٥٩٧ – ٨ وذكره قبل ذلك لما فيها من حياة مادية ومآكل ومن أجواء أدبية وحديثه الهام في وصف النبات والحيوان والآثار (التي يعترض على تخريبها ويدافع عنها) والسفن والأبنية ...
- كتاب أخبار مصر الكبير ، وهو ضائع ويبدو أن الذهبي نقل عنه الكثير من أخبار المغول وظهورهم وحياتهم ووقائعهم . وقد يكون كتاب الإفادة والاعتبار مختصراً لهذا الكتاب الكبير .
- وكتاب عجائب الأخبار وهو بدوره ضائع .

المنذري : زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي (المتوفى سنة ٦٥٦) وهو مؤرخ محدث واسع الرحلة ، وقد دخل التاريخ من باب الحديث والتراجم بوضعه كتاب :

- التكملة لوفيات النقلة : وقد أكمل فيه كتاباً لشيخه أبي الحسن علي بن المفضل المقدسي الحافظ (المتوفى سنة ٦١١) ذاكراً وفيات الشيوخ الكبار في عصره منذ حوالى سنة ٥٨١ حتى سنة ٦٤٢ .

والمخطوطات الموجودة منه ناقصة المطلع تبدأ خلال سنة ٥٨٢ ، وقد

نشر نصف الكتاب أو حوالى ذلك في أربع مجلدات (نشره بشار عواد معروف في بغداد) . وللمنذري عدا ذلك من كتب التاريخ : تاريخ من دخل مصر (من الشيوخ) ، المعجم المترجم (في مجلد كبير) ترجمة أبي بكر الطرطوشي . الاعلام بأخبار شيخ البخاري محمد بن سلام . وقد نقل السيوطي والأدفوي عن الكتاب الأول . وأما المعجم فذكر فيه شيوخه وترجم لهم في مجلد كبير ذكره السبكي وابن العماد الحنبلي والذهبي . ونقل عنه ابن الصابوني والأدفوي واليونيني والذهبي والصفدي والمقريزي وابن حجر . وأما الكتابان الأخيران فهما من باب السير وقد نقل ابن خلكان من ترجمة الطرطوشي لدى المنذري .

٥ ـ المؤرخون الثانويون

ويأتي بعد هذه الجماعة البارزة مجموعة أخرى قد لا يكون بعضها أقل شأناً وقيمة في التاريخ من هؤلاء ولكنها إما محدودة الانتاج أو ضائعة الأثر وقد بقيت في الحالين في طبقة المغمورين ومنها :

- الدينوري : أبو بكر أحمد بن مروان بن محمد المالكي (المتوفى بعد سنوات من سنة ٣٠٢) . كان من القضاة والحفاظ المرموقين في دينور وبغداد . « سمع الحديث الكثير وروى عن الجم الغفير » ثم هاجر من بلاده فدخل حلب وحدّث بها سنة ٣٠٢ . ثم نزل مصر وحدث بها وولي قضاء أسوان . وله بين مصنفاته الضائعة :

- كتاب فضائل مالك بن أنس .

- كتاب المجالسة وقد ضمّنه « من نخب الأحاديث والأخبار ومحاسن النوادر والآثار ومنتقى الحكم والأشعار ما يشهد له بحسن التأليف والاختيار »

حسب كلمات ابن العديم في ترجمته [1] له . وكان هذا الكتاب يقع في ٢٥ مجلداً .

- ابن قديد أبو القاسم علي بن الحسن بن خلف الأزدي المصري (المتوفى سنة ٣١٢ عن بضع وثمانين سنة) وهو من كبار المحدثين والرواة والعارفين بالأخبار . ويبدو أنه وضع كتاباً في تاريخ مصر كان يحدث به . ومن جملة من أخذ عنه الكندي فإنه في كتابه ولاة وقضاة مصر ينقل عنه في ١٠٧ مواضع . كما نلاحظ ان ابن قديد بدوره يروي في الغالب عن يحيى بن عثمان بن صالح القرشي السهمي الذي يتكرر ذكره في كتاب الكندي سبعين مرة .

- الطحاوي : أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامه المصري (المتوفى سنة ٣٢١ عن ٨٢ سنة) . تفقه على كبار علماء عصره في مصر كالمزني - وهو خاله - وأبي حازم . وكان من ثقة الحفظ والفهم بحيث أضحى شيخ الحنفية في مصر وله من المؤلفات :

- كتاب التاريخ الكبير ولا شك أنه كان حديثياً أي في تراجم رواة الحديث .

- عقود المرجان في مناقب أبي حنيفة النعمان . وهو ضائع كسابقه .

- الجيزي : أبو عبيد الله محمد بن الربيع بن سليمان (المتوفى سنة ٣٢٤) . وهو من الحفاظ الرواة . كتب كتاباً في (من دخل مصر من الصحابة) لخصه السيوطي في (حسن المحاضرة) [2] وزاد عليه ما فاته فقفز بالعدد من ١٤٠ إلى ٣٠٠ وساق كتابه كله . وللجيزي كتاب آخر .

- أخبار قضاة مصر . وقد أخذ عنه الكندي في كتاب الولاة والقضاة في عدة مواضع . كما نقل عنه القاضي عياض بن موسى اليحصبي (سنة

---

(١) انظر ابن العديم - بغية الطلب (مخطوط أحمد الثالث) ج ٢ ورقة ٦٤ ظهر ٦٥ وجه .
(٢) السيوطي - حسن المحاضرة ج ١ ص ١٦٦ وما بعدها .

٥٤٤ بمراكش) في كتابه ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة مذهب الإمام مالك [١] . ونقل عنه ابن حجر في رفع الإصر عن قضاة مصر [٢] . وقد يعني هذا أن الكتاب ظل موجوداً منتشراً حتى القرن السادس والتاسع . كما أنه حظي مبكراً بالذيول وأول ذيل عليه كان من ابن زولاق المؤرخ .

- النحاس : أبو جعفر أحمد بن محمد بن اسماعيل النحاس النحوي (توفي غريقاً سنة ٣٣٨) كان من أهل مصر ورحل إلى بغداد للدراسة ثم عاد إلى مصر . وهو مؤلف مكثر . وله من الكتب أكثر من خمسين منها :
  - أدب الملوك
  - أخبار الشعراء
  - أدب الكتاب [٣] .

والصبغة الثقافية العامة في هذه الكتب وفي أسماء كتبه الأخرى تدل على سعة القاعدة التاريخية التي كانت ترفده .

- البلوي أبو محمد عبد الله بن محمد المديني من رجال القرن الرابع . وقد عارض ابن الداية فكتب :
- سيرة أحمد بن طولون .

وجدت مخطوطة الكتاب في المكتبة الظاهرية بدمشق ونشرت بتحقيق محمد كرد علي سنة ١٩٤٠ . وصاحب الكتاب يأخذ عن ابن الداية أحياناً لكنه يورد نصوصاً ومراسلات مأخوذة من ديوان الرسائل من مصر لابن طولون كما يورد مراسلات ابن طولون مع الموفق ، شقيق الخليفة العباسي ، ومع ابنه العباس الثائر عليه في برقة ... مما يوحي بأن المؤلف

---

(١) انظر عياض – المدارك مخطوط دار الكتب بالقاهرة (رقم ٢٢٩٢ تاريخ) ج ١ ص ١١٥ .
(٢) ابن حجر – رفع الإصر ص ١٢٥ .
(٣) انظر الصفدي – الوافي ج ٧ ص ٣٦٣ .

كان من كتاب الديوان وأنه لهذا استطاع الاستفادة من محفوظات الدولة ووثائقها .

- ابن يونس الصدفي : أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى المصري (الم‍ : فى سنة ٩٥٨/٣٤٧ عن ست وستين سنة) وهو يماني الأصل من قبيلة الصدف الحميرية . كان من الأئمة الحفاظ الأثبات . ولم يرحل ولم يسمع بغير مصر . وكان خبيراً بأيام الناس وتواريخهم . وقد اشتهر بكتابه :

- تاريخ مصر أو طبقات العلماء المصريين . الذي أخذ عنه الذهبي في العبر وفي تاريخ الإسلام . وهو على التراجم . وقد ضاع .

- وله كتاب تاريخي آخر بعنوان : تاريخ العقيد في أخبـــار الصعيد . وهو ضائع بدوره . ولقد نستطيع أن نضع هنا ، في سياق الحديث ، مؤلفين لم يقيموا على الغالب في مصر ولكنهم أرخوا للدولة الفاطمية في مطالعها وكانوا من رجالها وعاصروا دخولها إلى مصر وانتصارها وبهم في الواقع يبدأ عصر المؤرخين الفاطميين بمصر :

- القاضي النعمان بن محمد قاضي قضاة الفاطميين (المتوفى سنة ٩٧٤/٣٦٣) وهو من كبار الرجال والمؤلفين المعروفين في المذهب الإسماعيلي الفاطمي . وقد كتب سنة ٣٤٦ :

- رسالة افتتاح الدعوة . التي أضحت مصدراً أساسياً لمعلومات ابن الأثير وابن خلدون وغيرهما عن الأيام الأولى للحركة الفاطمية في افريقية والمغرب . وقد طبعت في كتاب (بتحقيق وداد القاضي - بيروت سنة ١٩٧٠) .

وقد ذكر النعمان في كتابه أنه ألف كتابين آخرين في التاريخ :

- كتاب سيرة المعز وهو كما قال « مبسوط وقتاً فوقتاً ويوماً فيوماً » عدة مجلدات .

- كتاب ذات المحن كتبه بشكل منظومة شعرية حول ثورة أبي يزيد الخارجي وقد ضاع الكتابان .

- محمد بن محمد اليماني الذي كتب قبيل سنة ٣٦٥ : سيرة الحاجب جعفر . وقد نشرها المستشرق إيفانوف (في مجلة كلية الآداب - القاهرة سنة ١٩٣٧ - القسم الثاني ص ١٠٧ - ١٣٣) .

- عبدالله بن النديم القيرواني وله كتاب السيرة في الدولة العلوية (الفاطمية) وقد نقل عنه صاحب الذخائر والتحف قصة إعذار أولاد المعز لدين الله وما كان فيها من بذخ [١] .

ويأتي بعد هؤلاء مؤرخ مختلف في أمره ، ولعله أول من كتب في مصر تاريخ الفاطميين هو العتقي الفاريابي الافريقي . وتحت هذا الاسم نجد في المراجع مؤرخين اثنين متعاصرين تختلط سيرتهما حتى لقد يرجح الباحث أنهما شخص واحد :

الأول : أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة العتقي المصري المتوفى سنة ٣٨٤ [٢] .

الثاني : أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الله بن محمد العتقي الفاريابي (أو الفيريابي) الافريقي المتوفى سنة ٣٨٥ [٣] .

وتختلط سيرة الرجلين في المصادر التي تتحدث عنهما كما يختلط إنتاجهما فيحمل ما للأول على الآخر ويبدو أن وجه الخطأ آتٍ من إضافة صفة العتقي للرجل الثاني ، ولعل ذلك من قبيل التوهم مما خلط بين السيرتين . والواقع - على ما نرجح - أن الأول هو العتقي المصري وأصله من العتقاء الذين كانوا يقطعون الطريق في تهامة على الوافدين على الرسول ﷺ فأسرهم ثم

(١) انظر الذخائر والتحف المنسوب خطأ للقاضي الزبير (طبع الكويت ١٩٥٩) ص ١٢٥ .
(٢) انظر الصفدي - الوافي بالوفيات ج ٣ ص ٢٣٩ - ٢٤٠ .
(٣) انظر القفطي - تاريخ الحكماء ص ٢٨٥ .

أعتقهم . وكان كتاب العتق محفوظاً عندهم في القرن الثالث – على ما روى سعيد بن عفير – بأهناس من نواحي مصر .

وهذا الرجل هو في الأرجح صاحب كتاب التاريخ الكبير الذي يروي القفطي والصفدي قصته على النحو التالي : « ... وكان عدلاً بمصر وله قربة من الملوك القصرية (أي الفاطمية) بالديار المصرية » « وكان خصيصاً بالعزيز وله عليه رزق وإقطاعات » « واتفق أن صنف كتاباً تاريخاً ذكر فيه أخبار بني أمية وبني العباس وذكر فيه أشياء من محاسن القوم وجميل أفعالهم على عادة المؤرخين واطلع الوزير يعقوب بن كلس وزير العزيز على شيء من ذلك فأنهاه إلى العزيز في شهور سنة سبع وسبعين وثلاث مائة . فوبخ على ذلك وتوادع للعتقي مؤلفه . وجمع الوزير الناس إلى داره وخاطبهم وذم العتقي فلزم العتقي منزله وقبضت ضيعة كانت له وفي يده ولم يزل ملازماً لمنزله تحت الغضب إلى أن توفي يوم الثلاثاء لأربع خلون من شهر رمضان سنة خمس (أربع) وثمانين وثلاثمائة ... » .

وهذا الرجل هو على الأرجح صاحب كتاب « أدب الشهادة » بوصفه أحد العدول .

أما الثاني فليس بالعتقي وقد أضيف إليه هذا اللقب سهواً وإنما هو فقط الفاريابي الافريقي وهو كما قال القفطي من أهل أفريقية و « نزيل مصر » أتاها مع الجماعة الفاطمية من افريقيا وكان « فاضلاً كاملاً متفننا في عدة علوم والغالب عليه علم النجوم وقدم منجماً مع أبي تميم القيرواني المستولي على مصر (يقصد الخليفة المعز لدين الله الفاطمي وكان مغرىً بالنجوم ويعمل بما يشير به المنجمون) .

والفاريابي الافريقي هو صاحب « الكتاب الجامع إلى أيام العزيز العبيدي » أو سيرة العزيز بالله . « وكان خصيصاً بالعزيز وله عليه رزق وإقطاعات ... » .

– المهلبي أبو الحسين الحسن بن أحمد (أو ابن محمد) المتوفى سنة ٣٨٠

من رجال العهد الفاطمي بمصر ويبدو أنه كان أحد موظفي الديوان لدى الخليفة العزيز فقد ألف لهذا الخليفة كتاباً تسميه المصادر كتاب المسالك والممالك وكثيراً ما يشار إليه بالعنوان المقتضب : العزيزي . في الطرق والمسالك وتكشف المقتطفات المأخوذة عنه وخاصة لدى ياقوت أنه عني بوصف الطرق ، وفي افريقيا على الأغلب . نقل عنه ياقوت فيما يتعلق بالسودان أكثر من ستين مرة . كما رجع إليه مرات في الحديث عن مواقع الجزيرة العربية . وقد استعمل هذا الكتاب أبو الفداء المؤرخ ونقل عنه خبراً يتعلق بجزيرة سقطرى وسكانها من النصارى النساطرة وبعض الروايات عن مواضع من بلاد الشام . ويظهر أن كتاب المهلبي ظل معروفاً حتى القرن التاسع الهجري/ ١٥ م . فقد وضعه حافظ آبرو بين مصادره في مصنفه الجغرافي .

- ابن الجزار أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد (المتوفى بين سنتي ٣٦٩ – ٣٧٧) عن سن تناهز الثمانين سنة . ولادته كانت في القيروان من عائلة تعمل بالطب فأبوه وعمه أبو بكر طبيبان كما أخذ هو نفسه الطب عنهما وعمل به . وقد أعانه ثراء أسرته على الدراسة وعلى العيش بعيداً عن الحكام الفاطميين في افريقية فلم يتصل منهم بغير المعز . ومع أننا لا نستطيع أن نعده من مؤرخي مصر وسوف نعود إليه عند ذكر المغرب ومؤرخيه إلا إننا نلم به ها هنا بسبب كتبه التاريخية المتصلة بالفاطميين . فقد كتب ، وكل ما كتب مفقود :

- أخبار الدولة ويعني الدولة الفاطمية وعهد أبي عبيد الله المهدي خليفتها الأول .
- كتاب التعريف بصحيح التاريخ ويبدو أنه كتبه من وجهة نظره الشيعية .
- كتاب عجائب البلدان في الجغرافية .

وقد نقل عن ابن الجزار صاحب العيون والحدائق مرات عديدة كما

نقل عنه المالكي في رياض النفوس وفي ترتيب المدارك . كما نقل ابن حيان في المقتبس والبكري في المسالك والممالك .

- الفرغاني (الابن) أحمد بن عبد الله بن أحمد الفرغاني (ابن المؤرخ البغدادي التركي الأصل صديق الطبري والي فذيل على تاريخه ، ثم نزل مصر وتوفي بها سنة ٣٦٢) وقد ولد الابن أحمد سنة ٩٣٩/٣٢٧ وتوفي بمصر سنة ١٠٠٨/٣٩٨ ولحقه من أبيه هواية التاريخ فكتب :
- تاريخاً وصل به تاريخاً لوالده (ولعله ذيل على تذييل والده على تاريخ الطبري) .
- سيرة العزيز « سلطان مصر المنتسب إلى العلويين » (الخليفة الفاطمي المعروف) .
- سيرة كافور الأخشيدي [1] .

وهذا الانتاج يعني أن الفرغاني الابن سار مع « موضة » عصره في أن يكون شاهد العصر وأن يسجل ما يرى من أحداثه التي عاشها في مصر بين العهد الاخشيدي ثم العصر الفاطمي كما كتب التاريخ العام من خلال التذييل على ذيل الطبري الذي كتبه والده .

- ابن أبي الجليل ويعرف بابن مهذب أيضاً : أبو جعفر عبد العزيز بن عبد الرحمن بن حسين بن مهذب بن العلاء (المتوفى في حدود سنة ٤٠٠) وهو لغوي معروف ومن رواة الأخبار كما كان صاحب بيت مال العزيز الفاطمي .
- كتاب سيرة الائمة في الخلفاء الفاطميين نقل عنه ابن سعيد في المغرب ونقل المقريزي في اتعاظ الحنفا [2] .

---

(١) ياقوت – ارشاد الأريب (معجم الأدباء) ج ١ ص ١٦١ ، وانظر الزركلي – الاعلام ج ١ ص ١٤٩ والصفدي – الوافي ج ٧ ص ٨٧ .

(٢) المقريزي – اتعاظ الحنفا ج ١ ص ٢٣٥ وص ٢٩٦ .

ـ ابن أبي أسامة أبو الحسين أحمد بن علي الحلبي ، من رجال الفاطميين في أواخر القرن الرابع وقد كتب كتاب معرفة شرف الملوك ولعله يتعلق بالخلفاء الفاطميين .

ـ ابن كوجلك : علي بن الحسين بن علي العبسي الحلبي المعروف بابن كوجلك أي الصغير بالتركية (توفي في حدود سنة ١٠١٤/٤٠٥) وكان يعمل بالوراقة في مصر . وقد أدركته حرفة التأليف فله :

ـ كتاب الطنبوريين والطنبوريات الذي نقل عنه ابن العديم بعض الأخبار [١] .

ـ ابن سعيد : أبو محمد عبد الغني بن سعيد بن علي الازدي المقدسي ثم المصري السمرقندي (ولد سنة ٣٣٣ ـ توفي سنة ١٠١٨/٤٠٩) ثقة حافظ . علامة . إمام في الحديث . عرف له من الكتب عدد ضاع كله ومن ذلك :

ـ كتاب القضاة وقد نقل عنه ابن العديم ترجمة أحمد بن داود القاضي بإذنه [٢] .

ـ كتاب المختلف والمؤتلف في مشتبه أسماء الرجال وهو أشهر كتبه .

ـ كتاب مشتبه النسبة ، كتاب الغوامض ، كتاب المتوارين ...

ـ ولد ابن زولاق ، وهو ابن المؤرخ المعروف بهذا الاسم أبي محمد أو أبي الحسين الحسن الليثي ، وقد توفي الابن سنة ٤١٥ وكان أديباً . روى المقريزي أنه « ذيل على تاريخ أبيه » ولعله يقصد تاريخ مصر [٣] .

ـ ابن الطحان : أبو القاسم يحيى بن علي الحضرمي المعروف بابن الطحان (المتوفى سنة ١٠٢٥/٤١٦) من العلماء والمحدثين البارزين في مصر وعلى هذا الأساس فقد كتب :

---

(١) انظر ابن العديم ـ بغية الطلب (مخطوط أحمد الثالث) ج ٨ الورقة ١٣٩ وجه .

(٢) المصدر السابق ج ١ الورقة ٨١ وجه .

(٣) المقريزي ـ اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ١٧٢ .

الذيل على تاريخ أبي سعيد بن يونس : في ذكر الغرباء ممن دخل مصر . وقع الكتاب للقفطي فنقل عنه في إنباه النحاة لابن العديم فأخذ عنه مرات [1] . ومنه نسخة مخطوطة في المكتبة الظاهرية بدمشق (ضمن مجموعة) في ٢٩ ورقة .

- وله كذلك : كتاب المختلف والمؤتلف من الأسماء ذكره كشف الظنون .

- وثمة مؤلف آخر يحمل لقب ابن الطحان ويسميه ابن العديم أبا الحسين بن الطحان وله :

- كتاب جامع الفنون وسلوة المحزون في ذكر الغناء والمغنين. وقد نقل عنه [2].

- الدقاق أبو محمد بن يحيى الدقاق المتوفى سنة ٤١٥ وكان من شيوخ الحديث ويروي المقريزي أنه من مؤرخي أخبار مصر . وإن كنا لا نعرف مؤلفاته [3] .

- الوزير المغربي أبو القاسم الحسين بن علي بن الحسين بن المغربي الشيعي (المتوفى سنة ٤١٨ / ١٠٢٦ عن ثمان وأربعين سنة) . كان أبوه من أصحاب سيف الدولة الحمداني ثم اتصلت أسبابه بحاكم دمشق الفاطمي ثم بالخليفة الحاكم بأمر الله في القاهرة حتى صار من خلصائه سنة ٣٨٢ وهناك نشأ أبو القاسم الذي حفظ القرآن و ١٥ ألف بيت من منتخب الشعر ، كما درس النحو والحساب والجبر والخط والمنطق وهو بعد فتى لم يبلغ الحلم . ودخل في خدمة الحاكم مع أبيه فلما نكب الخليفة هذه الأسرة بقتل أبيه وعمه وأخويه وتمكن أبو القاسم من الهرب

---

(١) ابن العديم – بغية الطلب (مخطوط أحمد الثالث) ج ١ الورقة ٤٦ ظهر ، ١٧١ وجه ، ١٧٢ وجه و ج ٤ الورقة ١٠٩ ظهر و ٣٠ وجه وظهر .

(٢) المصدر نفسه ج ٨ الورقة ١٨٥ ظهر .

(٣) المقريزي – اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ١٧٢ .

لجأ إلى حسان بن مفرج الطائي زعيم قبائل جنوب الشام في الرملة وحرضه ضد الفاطميين حتى كاد يقيم خلافة جديدة في الرملة لشريف الحرمين ... فلما فشل المشروع قصد أبو القاسم العراق فبقي لدى البويهيين في واسط وبغداد ثم عمل لدى بني عقيل في الموصل ثم وزر قليلاً في بغداد وأخيراً وزر لصاحب ميافارقين . ومات في ذلك البلد ولكن جثمانه ـ حسب وصيته ـ دفن في الكوفة ...

وحياة هذا الوزير وإن كانت قلقة كثيرة التنقل إلا إنها لم تمنعه من التأليف أيضاً ومن نظم الشعر والمشاركة الواسعة مع أهل الأدب للدرجة التي جعلت أكثر من مؤلف يكتب سيرته بعد موته . ومن هؤلاء :

ـ عبد القوي بن القاضي الجليس عبد العزيز بن الحباب كتب جزءاً جمع فيه شيئاً من أحوال الوزير المغربي [1] .

ـ خلف بن عبد الله بن هبة الله بن جرير السعدي كتب بلوره جزءاً في الوزير المغربي [2] .

أما مؤلفات الوزير المغربي نفسه فمنها :

ـ أدب الخواص وفيه الأدب والتاريخ معاً . وقد نقل عنه كثيرون منهم ابن العديم في البغية [3] .

ـ كتاب المأثور من ملح الخدور وفيه الكثير من القصص التاريخي . نقل منها ابن العديم بعض الأخبار عن أبي الهيجاء الحمداني [4] .

ـ كتاب السياسة وإذا كان قد وضع فيه بعض تجاربه فإنه يكون من المؤسف ضياعه .

---

(١) ابن العديم ـ بغية الطلب (مخطوط أحمد الثالث) ج٤ الورقة ٢٩ وجه و٢١ ظهر و١٩ وجه .
(٢) المصدر نفسه ج ٤ الورقة ٢٠ وجه .
(٣) المصدر نفسه ج ٢ الورقة ٣٥ ظهر .
(٤) المصدر نفسه ج ٢ الورقة ٨٨ وجه .

- كتاب الإيناس . يقول عنه ابن خلكان : إنه « مع صغر حجمه كثير الفائدة يدل على سعة اطلاعه [1] » .

ويأتي بعد هذا مجموعة من مؤرخي القرن الخامس / ١١ م . أو النصف الأول منه خاصة ممن نجهل وفياتهم ومعالم حياتهم العامة في الغالب وقد لا يكون بعضهم على وجه الدقة من هذا القرن نفسه ومنهم :

- أبو علي الحسن (أو أبو الحسن علي) بن عمر بن الحسن بن أبي اسحق الفقيه المعروف بابن الصباغ . من علماء النصف الأول من القرن الخامس بالاسكندرية . وقد كتب : فضائل الاسكندرية ومنه نسخة مخطوطة في دار الكتب بالقاهرة (تاريخ ١٤٨٥) ومن المحتمل أن يكون ابن الصباغ هذا من رجال القرن السابع وقد توفي قبل سنة ٦٣٥ .

- عبد الله بن أحمد بن سليم الأسواني . وله كتاب أخبار النوبة والمقرة وعلوة والبجة والنيل ويسميه المقريزي : مؤرخ النوبة . وقد نقل عنه كثيراً في الخطط [2] .

- أبو الحسن الكاتب وله تاريخ القاهرة ذكره الصفدي في الوافي بين مصادره [3] وذكره السخاوي .

- أبو اسحق إبراهيم بن اسماعيل بن سعيد الهاشمي الإخباري وقد ذكر له السخاوي كتاب : البغية والاغتباط فيمن ولي مصر الفسطاط [4] .

- ابن رشدين : أبو علي صالح بن إبراهيم له عدد من الأجزاء الإخبارية

---

(١) ابن خلكان - وفيات الأعيان ج ٢ ص ١٧٢ .
(٢) المقريزي - الخطط (ط. بيروت) ج ١ ص ٣٢٥ وص ٣٤٧ وص ٣٥٤ - ٣٥٥ .
(٣) الصفدي - الوافي ج ١ ص ٤٩ وانظر السخاوي - الاعلان ص ٦٣٧ .
(٤) السخاوي - الاعلان ص ٦٤٥ .

جمعها كمؤلفات وقد قرأ ابن العديم بعضها بخطه وأخذ عنها مرات عديدة [1] .

- ابن جدار المصري وله كتابان ذكرهما صاحب الذخائر والتحف وأخذ عنهما [2] :

- فضائل مصر وطبقات الشعراء .

- ابن أبي مريم : أبو بكر عبيد الله بن محمد بن سعيد ... وله : تاريخ مصر . نقل عنه ابن العديم [3] ويبدو من النص المنقول أن التاريخ كان على التراجم مما يوحي بأن الرجل كان من الحفاظ المحدثين .

- مؤلف مجهول من « المصريين » ولعله بعض كتاب الدولة الفاطمية . يقول ابن العديم : لا أعرف اسمه كتب : سيرة الوزير البازوري (أبي الحسن علي بن عبد الرحمن وزير المستنصر الذي قتل سنة ٤٥٠/١٠٥٧) . وكان الوزير من شخصيات الوزراء المصريين الافذاذ . وكتبت له - كما كتب للوزير المغربي - أكثر من سيرة . ونقل ابن العديم عن هذه السيرة التي « جمعها بعض المصريين ولا أعرف اسمه ... » [4] .

- ابن رفاعة : عَلَمُ الرؤساء أبو القاسم عبد الرحمن بن هبة الله بن حسن المصري الكاتب . كان يعرف بكاتب الأمير ناصر الدولة الحمداني (الأصغر) وهو أحد كبار القواد في عهد المستنصر الفاطمي . دبر مؤامرة لقلب الخلافة الفاطمية ففشل ثم قتل سنة ٤٦٥ . وكاتبه ابن رفاعة هذا قام بعمل لم يقم به إلا عدد محدود من الكتاب الذين يعترون بما كتبوا

---

(١) انظر مثلا ابن العديم - بغية الطلب (مخطوط أحمد الثالث) ج ٢ ورقة ٩٥ وجه (بعض أخبار كشاجم) .

(٢) الذخائر والتحف (المنسوب للقاضي الزبير) ص ٢٢٣ وص ١٢٠ .

(٣) ابن العديم - بغية الطلب (مخطوط أحمد الثالث) ج ١ ورقة ١٧٥ وجه .

(٤) المصدر السابق ج ٨ ورقة ٢١٦ ظهر .

من أمثال البيهقي المعاصر لابن رفاعة وأبي اسحق الصابىء ، السابق له ، ثم العماد الاصفهاني والقاضي الفاضل اللاحقين له فيما بعد وهو جمع ما كتب من الرسائل . وهي وثائق العصر . يذكرون أن « ديوان رسائل علم الرؤساء » كان في عشر مجلدات [1] ولا شك أنها كانت تحوي الكثير من المادة التاريخية حول تلك الفترة المضطربة من تاريخ مصر .

- **الحارث بن أبي أسامة** ، وهو من موظفي الفاطميين في النصف الثاني من القرن الخامس ، وقد كتب أخبار الخلفاء [2] . وهو غير ابن أبي أسامة أبي الحسين أحمد بن علي الحلبي من أواخر القرن الرابع صاحب كتاب معرفة شرف الملوك .

- **ابن زبر أبو محمد** ، وهو من أواخر القرن الخامس وله كتابان : الأول كتاب الدولتين ، ولعل أحداهما هي الفاطمية . والكتاب الثاني ، زهرة العيون وجلاء القلوب [3] . وهو بدوره غير ابن زبر الآخر المحدث الدمشقي محمد بن عبد الله أبي سليمان المتوفى سنة ٣٧٩ بدمشق .

- **الحبال** أبو اسحق ابراهيم بن سعيد النعماني (٣٩١ — ١٠٠٠/٤٨٢ — ١٠٨٩) وقد وجدنا المعجم الذي كتبه لوفيات الشيوخ ما بين سنتي ٣٧٥ — ٩٨٥/٤٥٦ — ١٠٦٣) الذي نشره صلاح الدين المنجد في مجلة معهد المخطوطات (الجزء الثاني من المجلد الثاني — نوفمبر ١٩٥٦) .

- **التميمي** : أبو القاسم الطيب بن علي بن أحمد التميمي ، من رجال الفاطميين في النصف الثاني من القرن الخامس وقد كتب : سير التاريخ الذي اختصره أبو القاسم علي بن منجب الصيرفي الكاتب وإنما عرفنا

---

(١) ابن الفوطي — مجمع الألقاب (ط. مصطفى جواد) ج ٤ قسم ١ ص ٥٩٢ .

(٢) الذخائر والتحف ص ٣١٥ .

(٣) انظر ابن العديم — بغية الطلب (مخطوط أحمد الثالث) ج ٦ الورقة ١٧٧ وجه وانظر السخاوي — الاعلان ص ٤٤٤ .

الكتاب والمؤلف عن طريق ابن أيبك الدواداري الذي نقل عنه صفحتين حول مطالع الدولة الفاطمية في المغرب ، في كتابه الدرة المضية [1] (وهو الجزء السادس من كنز الدرر) .

- ابن القطاع علي بن جعفر بن علي السعدي الصقلي (٤٣٣ - ٥١٥) وهو لغوي أديب كتب تاريخ صقلية وكتاب لمح الملح وكتاب الذخيرة في محاسن شعراء الجزيرة .

- ابن مأمون البطائحي جمال الدين أبو علي موسى بن محمد (توفي بعد سنة ٥١٩) وقد كتب سيرة الوزير البطائحي ، ويتبين من مقتطفاتها لدى المقريزي أنها كانت سيرة حافلة غنية بالتفاصيل الهامة حول النظم الفاطمية .

- الطرطوشي أبو بكر محمد بن الوليد بن خلف القرشي (سنة ٥٢٠) وهو فقيه أديب وفد على مصر من المغرب وكتب : كتاب سراج الملوك في شؤون الادارة ، وهو موجود مطبوع ، وكتاب العدة عند الحروب والشدة ، وهو مخطوط ، وكتاب الحوادث والبدع وهو ضائع .

- القاضي المرتضى أبو عبد الله محمد بن الحسن الملقب بالمحنك (توفي سنة ٥٤٩) وأصله من طرابلس في الشام ويبدو من لقبه أنه كان من رجال الدولة الفاطمية ومن التابعين لها في المذهب . وقد ولي نظر الدواوين والخزائن . كتب تاريخاً باسم : تاريخ خلفاء مصر . ذكره ابن ميسر والمقريزي ونقل عنه ابن الفرات [2] وانتهى به إلى عهد الخليفة الفاطمي الحافظ (٥٢٤ - ٥٤٤/١١٣٠ - ١١٤٩) .

وقد جاء في أواخر العهد الفاطمي وإلى ما بعد سقوط الفواطم بفترة

---

(١) ابن أيبك - الدرة المضية ص ١١١ - ١١٢ .

(٢) انظر ابن الفرات - تاريخ ابن الفرات (مخطوط فينا رقم ١١٨) ج ١ الورقة ٦٢ وجه وانظر المقريزي . اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٢٢٣ .

محدودة ، مجموعة من المؤرخين التابعين للفاطميين اختفت اسماؤهم مع غياب الدولة . ويبدو أن اهتمام الناس بصلاح الدين الاهتمام القوي بعد ذلك كان من بين الأسباب التي دفعت إلى ضياع المؤلفات التي كتبها هؤلاء بل إلى ضياع أسماء بعضهم أيضاً . ومن هؤلاء المجهولين مجموعة كتبت تاريخ مصر منها :

- مؤرخ مجهول كتب في عهد الوزير ابن السلار (وكانت وزارته بين سنتي ٥٤٤ ومطالع سنة ٥٤٨) كتاب أخبار مصر الذي نقل عنه ابن ظافر وابن خلكان وابن ميسر [(١)] .

- مجهول آخر كتب : أخبار الدولة المصرية وما جرى بين الملوك والخلفاء (يقصد الفاطميين ووزراءهم الذين كانوا يحملون لقب الملوك) من الفتن والحروب من أيام الآمر بالله (٤٩٥ - ٥٢٤) إلى أيام شيركوه . وقد ذكر هذا الكتاب ابن الفرات وأخذ عنه [(٢)] .

- مجهول ثالث كتب تاريخاً نقل عنه سبط ابن الجوزي بعض أخبار تحرك طوران شاه شقيق صلاح الدين إلى اليمن [(٣)] .

ويضاف إلى هذه المجموعة اسم نعرفه هو :

- القرطي أبو عبد الله محمد بن سعد الذي عاصر العاضد الفاطمي ثم صلاح الدين وكتب تاريخ مصر الذي نقل عنه ابن سعيد الكثير في كتابه المغرب في حلى المغرب [(٤)] .

ونجد بجانب هؤلاء مجموعة أخرى كتبت سير الوزراء الفاطميين

---

(١) انظر ابن ظافر - تاريخ الدول المنقطعة (مخطوط المتحف البريطاني) الورقة ٨٦ ظهر وابن ميسر ص ٩٠ وص ٩٢ .

(٢) انظر ابن الفرات - تاريخ ابن الفرات (مخطوط فيينا ١١٨) ج ٣ الورقة ١٨٤ ظهر والورقة ١٨٨ ظهر .

(٣) انظر سبط ابن الجوزي - مرآة الزمان ج ٨ ص ٣٠٠ .

(٤) ابن سعيد - المغرب ص ٩٩ .

الكبار فأكملت السلسلة التي بدأت بسيرة البطائحي ومنها :

- مؤلف مجهول في النصف الأول من القرن السادس كتب : سيرة الأفضل الجمالي ، وزير الفاطميين المعروف ما بين سنة ٤٨٧ عندما استلم الوزارة بعد أبيه وسنة ٥١٥ يوم قتل . وقد نقل ابن ظافر الازدي عن هذه السيرة[١]

- مؤلف ثان نعرفه هو ابو المعالي القاضي الشيخ الجليس عبد العزيز بن الحسين بن الحباب السعدي . وهو من رجال الفاطميين البارزين . لم يرض عن ذهاب دولتهم بتلك البساطة على يد صلاح الدين فاشترك في المؤامرة الدولية التي حيكت سنة ٥٦٩ للخلاص منه . وكان أحد ضحاياها يوم كشفت . وقد كتب : كتاب حياة طلائع بن رزيك وزير الفاطميين القوي ما بين سنتي ٥٤٩ — ٥٥٦ ويبدو أنه كان من شيعته وأعوانه . والمؤرخ التالي عمارة ، زميل القاضي الجليس وشريكه في المؤامرة وفي الموت هو الذي ذكر هذا الكتاب [٢] .

- عمارة اليمني نجم الدين أبو محمد بن أبي الحسن (المقتول سنة ٥٦٩) وكان الرجل شاعراً سياسياً أوردته السياسة حتفه حين تآمر على صلاح الدين في المؤامرة التي ذكرنا . وقد ترك كتابين :
- النكت العصرية في الوزارة المصرية وهو مطبوع .
- تاريخ زبيد وهو مخطوط موجود .

- ابن بصيلة أبو محمد عبد الله بن خلف بن رافع المسكي الشارعي القاهري (سنة ٥٩٨) وهو في السادسة والأربعين . كان يعرف بابن ريس . يقول المنذري « وكان حافظاً محصلاً عالماً بالتواريخ والوفيات وجمع مجاميع مفيدة » [٣] ومع أنه اشتهر بأنه من المحدثين الحفاظ فقد كتب تاريخ

---

(١) ابن ظافر — تاريخ الدول المنقطعة مخطوط المتحف البريطاني الورقة ٧٨ ظهر .

(٢) انظر عمارة اليمني — النكت العصرية ص ٣٤ ، ٨٦ ، ١١٦ .

(٣) المنذري — التكملة لوفيات النقلة (تحقيق بشار عواد معروف — بغداد سنة ١٩٦٩) ج ٢ ص ٣٥٢ .

مصر ولعله في تاريخ المحدثين فيها ، وخرج منه أشياء نسخها الناس ثم عجز عن إكماله لضيق ذات يده » أي عن تبييضه ومات وهو مسودات فبيع كما قال ياقوت على العطارين لصرّ الحوائج ... وله كتاب الدر المنظم في فضل من سكن المقطم . ويشهد المنذري أنه « أحسن فيه ما شاء وجعله على الطبقات مع أنه لا يصنف في الطبقات إلا الواثق بحفظه فإن الغلط فيها يكثر ... » .

- ابن مماتي شرف الدين الاسعد بن المهذب بن زكريا (سنة ٦٠٦) من كبار موظفي المال الأقباط في العهد الفاطمي والصلاحي . وقد كتب :

- قوانين الدواوين وهو من الكتب الهامة في معرفة النظام المالي في مصر . وقد طبع سنة ١٩٤٣ .

- سيرة صلاح الدين التي نظمها شعراً وهي ضائعة .

- كتاب حجة الحق على الخلق وهو ضائع بدوره .

- ابن الطوير القاضي المرتضى أبو محمد عبد السلام بن الحسن القيسراني (سنة ٦١٧) من موظفي العهد الفاطمي ثم الأيوبي الذي كتب : نزهة المقلتين في أخبار الدولتين الفاطمية والصلاحية . ونجد منه مقتطفات لدى المقريزي ولدى ابن الفرات .

- وفي مكتبة أياصوفيا باستامبول أثر لمؤلف مصري مجهول توفي بعد سنة ٦٢٢ واسم كتابه :

- ذكر مصر وأخبارها (مخطوط أياصوفيا رقم ٣٠٨١ في ١٦٣ ورقة) يتكلم عن ملوك مصر المتتالين وعن عاداتها وخصائصها وعن مدنها وأقاليمها وعن الرجال المشهورين الذين قدموا إليها ثم يبدأ منذ الورقة ٧٠ ظهر في تسجيل ارتفاعات النيل منذ الفتح العربي إلى سنة ٦٢٢ مضيفاً حتى الورقة ١٣٩ وجه تلخيصاً لأهم الأحداث سنوياً إلى سنة ٣٨٨ .

— ابن دحية أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي بن محمد الكلبي البلنسي ذو النسبين (٥٤٨ — ٦٣٣) ، كان من الحفاظ واللغويين العلماء بالنحو وأيام العرب درس أولاً في بلاده بالأندلس ثم جاء المشرق فسمع بمصر والعراق وأصبهان ونيسابور ثم عاد إلى الشام وانتهى مطافه بمصر حيث أقام وتسلم دار الحديث حتى توفي عن سبع وثمانين سنة ، وله من المؤلفات التاريخية :

— النبراس في تاريخ بني العباس ، وقد نشر (بتحقيق عباس العزاوي) في بغداد سنة ١٩٤٦ .

— كتاب الوفيات ، وهو ضائع ، ونجد نقولاً عنه لدى ابن ناصر الدين تكشف أنه يمتد على مدى عدة قرون وأنه مرتب على السنين .

— التيفاشي أبو العباس أحمد بن يوسف المغربي المصري (سنة ٦٥١) وله كتاب ضخم في ٢٤ مجلداً باسم فصل الخطاب ، كما أن له كتاب : الدرة الفائقة في محاسن الأفارقة .

— السروجي أبو الحسن علي بن عبد الله بن محمد بن علي أبو السرور بن عبد العزيز (المتوفى بعد سنة ٦٤٨) ولعل الرجل من طبقة الفقهاء إلا إنه ترك أثرين تاريخيين :

— انباء الأنبياء ومنه نسخة مخطوطة في مكتبة نور عثمانية (رقم ٣٠٥٥) باستامبول . كما انه مطبوع .

— وكتاب تحفة (أو بلغة) الظرفاء في أخبار (أو تاريخ) الخلفاء . وهو بدوره موجود ونسخه الخطية في استامبول والامبروزيانا وقد طبع (مطبعة النجاح بمصر سنة ١٣٢٧/١٩٠٩) وفي الكتاب سيرة الرسول ونسبه والخلفاء الراشدين والأمويين والفاطميين والعباسيين حتى آخرهم المستعصم بالله . وتنتهي حوادث الكتاب سنة ٦٤٨ . وطول حديث المؤلف عن الفاطميين وعن الأيوبيين قد يؤكد بأنه مصري .

وعلى أي حال فان مدرسة مصر اذا لم تطلع حتى أواسط القرن السابع أسماء لامعة بعد الكندي والمسبحي فانها كانت تنتظر أن تطلع في العهد المملوكي فيما بعد وفي هبة واحدة مجموعة من أشهر مؤرخي الإسلام كالنويري والعمري وابن حجر والقلقشندي والمقريزي وابن الفرات والسيوطي .

الفصل السادس عشر

مدرسة الشام
منذ القرن الثالث حتى السابع

الأصول الأولى لهذه المدرسة أموية . وقد رأينا إلى نموها ورجالها يوم نشأة التدوين التاريخي في الاسلام . واذا كان العهد العباسي وانتقال مركز ثقل الدولة الاسلامية من الشام إلى العراق قد سلب هذه المدرسة الكثير من الديناميكية التي تتمتع بها العواصم ومن الامكان المادي ومن الرفد الخارجي الذي يزيد في غناها الفكري وردها للعيش على هامش الحياة السياسية والحضارية المؤّارة في بغداد ، الا أن هذا كله لم يلغ هذه المدرسة . قصارى ما نجم عنه أنه منعها فترة طويلة من أن تطلع بسبب نقص « التغذية » المادية والحضارية والفكرية سوى النبت الصغير المحدود ليس فيه الدوح الباسق ولا الانتاج الوارف الظل البعيد الجذور الا في نهاية الفترة .

وهكذا فسوف ننتقل في الواقع بين مجموعات من الأسماء الصغيرة فترة تزيد على ثلاثة قرون قبل أن يظهر المؤرخون الكبار في الشام ، وهذه القرون الثلاثة نفسها هي الفارق الزمني في التخلف التاريخي لمدرسة الشام عن مدرسة

العراق . وقد نستطيع من الناحية الكمية أن نعد من مؤرخي بلاد الشام والعاملين على هذا العلم فيها قرابة مائتي اسم لهم ما يزيد قليلا عن ٤٠٠ أثر ضاع ثلاثة أرباعها على الأقل . ولكنا من الناحية الكيفية ، ناحية المحتوى والمواضيع والأسلوب والمنهج والأنواع التاريخية ، لا نكاد نجد فروقاً تذكر بين مؤرخي الشام وغيرهم من مؤرخي البلاد الإسلامية الأخرى بسبب وحدة الحضارة بالطبع واتفاق الأسس الفكرية والاهتمامات العامية . فمدرسة الشام بهذا المعنى هي كغيرها من المدارس التاريخية الإسلامية ليست مدرسة الا بالمعنى الجغرافي للكلمة . لم تأت معطيات اقليمية خاصة فتلون تواريخ المنطقة بألوان تغاير الألوان العامة المألوفة ولم تبدل فيها لا الأسس ولا الانتاج والثمار . واذا انتجت مدرسة العراق ثلاثة عمد كبرى في التاريخ : الطبري والخطيب البغدادي وابن الأثير ، فثمة في الجانب الشامي ابن عساكر وابن أبي طي وسبط ابن الجوزي . الفارق الأساسي الوحيد الذي يمكن أن يلاحظ بين الطرفين هو أن منظور المؤرخين في العراق خاصة (لا في ايران) كان منظوراً عالمياً بسبب الصفة العالمية (الكوزموبوليتية) التي كانت تتمتع بها بغداد ، ومن ورائها العراق ، فكان انتاجها بالضرورة شاملا لأمور وأحداث وتراجم من كلّ قطر إسلامي وتهمّ كل قطر ، بينما غلبت الصفة الاقليمية المحدودة على مدارس الأقاليم (ومنها بالطبع الشام) فهي بأرضها ألصق وبرجالها وأحداثها أكثر اهتماماً ومساساً .

١ ـ الملامح العامة

على أننا مع هذا كله نستطيع أن نميز في الانتاج التاريخي بالشام بعض الملامح الخاصة . انها لا تمس المنهج والأسلوب والأنواع التاريخية التي أضحت مألوفة متشابهة في العالم الإسلامي كله . صميم العملية التأريخية ظل واحداً في الشام أو العراق أو مصر أو خراسان أو حتى الأندلس . ولكن الملاحظات تنصبّ على المسيرة العامة للعمل التاريخي سعة وعمقاً وفروعاً كثل ضخامة الأعمال

التاريخية وإلحاح مدرسة دون أخرى على بعض المواضيع ، وكثرة عددالعاملين وتوزعهم الجغرافي والزمني . وفي هذا الصدد نجد :

١ - ان مدرسة الشام كانت موزعة النشاط بين عدد من المدن الشامية . صحيح أن دمشق تستأثر منها ومن رجالها بالنصيب الأوفى ولكنا نجد مؤرخين في حران وحمص والرقة وصفد وعسقلان اذا لم نذكر المدن الكبيرة الأخرى مثل حلب والقدس . ولعل السبب في ذلك هو عدم وجود رأس سياسي واحد للشام في تلك الفترة كلها تقريباً . واذا كثر المؤرخون في الشام فانما كانت كثرتهم واضحة في الفترة الأخيرة الزنكية - الأيوبية . ويظهر الفارق واضحاً في هذه النواحي مع المدرسة المصرية التي ظهر رجالها كافة في مدينة (الفسطاط - القطائع - القاهرة) فلم تترك هذه المدينة للاسكندرية أو لأسوان الا الأضواء الباهتة جداً لأنها استأثرت بالنشاط السياسي والفكري كله . كما يظهر الفارق مع العراق حيث ابتلعت بغداد جهود البصرة والكوفة وإلى حد ما الموصل أيضاً . أما ايران فان توزع النشاط السياسي والفكري في أنحائها جعل المؤرخين فيها بدورهم موزعين كما في الشام على المدن المختلفة ما بين نيسابور واصبهان إلى مرو وهمذان . وشيراز وبلخ ... وغيرها .

٢ - أن نصف المؤرخين في بلاد الشام كانوا من المحدثين والفقهاء ونستطيع أن نعد منهم حوالى الخمسة والثمانين أو يزيدون ، بينما نعدّ نصف هذا العدد فقط من الموظفين (الكتاب والقضاة خاصة) ونعدّ من الملوك والوزراء والأمراء والأشراف المؤرخين حوالى عشرين مؤرخاً ، ومن العاملين بالأعمال الحرة من تجارة وطبابة ووراقة حوالى الثلاثين من بينهم بعض الفرضيين والشروطيين . وثمة آخرون ممن غمضت على الاهمال والقدم مواقعهم في الحياة فليس منهم الا أسماء مجردة ... والشام في هذا كله منسجمة تمام الانسجام مع واقع الحياة الفكرية الاسلامية من جهة وواقع المدارس التاريخية الأخرى. فقد ندر جداً أن اختص عالم بعلم واحد دون أن يشارك في علوم أخرى كثيرة . وكانت أقرب المواقع إلى التاريخ بنوعيه الأساسيين من الأحداث

والتراجم هي مواقع الفقهاء والمحدثين ثم الكتاب الموظفين . أما الهواة من أمراء ووزراء وتجار وأطباء فهم في الأصل قلة محدودة .

٣ ـ كانت المشاريع التاريخية لهؤلاء المؤرخين بصورة عامة صغيرة أي كانت محدودة المدى الزمني والمكاني على السواء . لم يكن لمعظمهم من الطموح التاريخي الأوسع ما يجعله يقفز إلى ما قبل زمنها أو لما وراء اقليمه فهم بين سيرة رجل أو دولة أو تعليق تاريخي أو ذكر فضيلة موقع أو مناقب رجل أو التأريخ لمدينة أو أسرة أو التعلق بموضوع حضاري من أمر البلدان أو القلاع أو أداة الحرب ... ويجب أن ننتظر حتّى القرن الأخير من الفترة التي ندرس أي حتى ما بين أواسط القرن السادس وأواسط السابع (أواسط الثاني عشر حتى أواسط الثالث عشر الميلادي) لنلتقي بالمشاريع التاريخية الكبرى وأصحابها . لنجد مثلاً ابن عساكر ومجلداته الثمانين في تاريخ دمشق ، وابن أبي طي ومؤلفاته الخمسة عشر في التاريخ ، وياقوت بمعجميه المشهورين وتاريخيه الضخمين الضائعين وسبط ابن الجوزي بتاريخه العام ذي العشرين مجلداً أو يزيد وابن العديم بتاريخه ذي المجلدات الأربعين بعنوان بغية الطلب في تاريخ حلب ... في المائة سنة الأخيرة اذن ظهرت المشاريع التاريخية لمنافسة تاريخ بغداد في دمشق وفي حلب ولمنافسة تاريخ الطبري وابن الأثير بتاريخ عام مماثل وظهرت المعاجم التاريخية الكبرى ليشكل كل أولئك قفزة فوق العادة في طموح المؤرخين الشاميين الذين اعتادوا العوم في بحار محدودة المدى والعمق .

ولا شك أن الجانب الأكبر من الأسباب انما يرجع إلى عودة الحياة السياسية العنيفة الموّارة إلى بلاد الشام وظهور سلطات فيها تستقطب اهتمام الناس وتجتذب لا الانتباه والاعجاب فقط ولكن تدفع إلى الهجرة اليها والعيش معها وفي كنفها ومع الأحداث الكبرى وتألقها ...

٤ ـ اتجهت مشاريع التاريخ الشامي إلى التضخم في أواخر الفترة في ميدانين : تواريخ المدن ، والتواريخ العامة .

فأما في تواريخ المدن فقد تركز الانتباه على مدينتي دمشق وحلب . وخرجت الموسوعة التاريخية الضخمة لابن عساكر تترجم لكل من عرفته دمشق من العلماء والكبار في الاسلام كما خرجت الموسوعة الأخرى ـ وان لم تكمل على ما يظهر ـ لابن العديم عن تاريخ حلب . هذا بجانب تواريخ أخرى أصغر حجما وشهرة من مثل تاريخ دمشق لابن القلانسي وتاريخ حلب للعظيمي وأخبار الشام للسميساطي وتاريخ دمشق للارمنازي ... وكان هذا الاتجاه تعبيراً عن الدور الضخم الذي كانت كل من المدينتين تلعبه ضد التحدي الصليبي العنيف في تلك الأوقات .

وأما التواريخ العامة فكانت في الوقت نفسه تعبيراً عن شعور الشام بارتباطها مع العالم الإسلامي وارتباط العالم الاسلامي بها خلال تلك الحروب ، وعن اتصالها أيضاً بماضي الاسلام كله في الوقت الذي تدافع عن حاضره .

ولعل السبب في هذا التحرك نحو « الاسلامية » الشاملة في التأليف التاريخي في الشام في ما بين القرنين السادس والسابع أن هذه المنطقة رجعت فأصبحت بسبب التحدي الصليبي وظهور العصر الأتابكي ـ الأيوبي مركز الاهتمام السياسي والاقتصادي والفكري في الدنيا الاسلامية . وبينما كانت سمعة نور الدين وصلاح الدين من بعده ثم السلطان العادل تجذب العلماء من كل مكان إلى الشام كانت الدولة السياسية التي تمركزت في الشام ومصر تمثل بالنسبة للمسلمين كافة نوعاً من اليقظة الاسلامية الشاملة . كما تدفع العلماء والمؤلفين في الاتجاه نفسه للأمل في مجد اسلامي أكبر . ولعل من الضروري أن نسجل هنا الملاحظة الهامة ، وهي أن عدد التواريخ العامة الضخمة التي ألفت في النصف الأول من القرن السابع فقط في ذلك المحور الديناميكي الممتد بين حلب ودمشق يبلغ ١١ مؤلفاً :

اثنان منها لياقوت الحموي هما كتاب المبدأ والمآل وكتاب الدول .

واثنان لابن أبي طي الحلبي هما : حوادث الزمان (الابجدي) وكتاب معادن الذهب .

واثنان لابن أبي أصيبعة هما : المختار من عيون التاريخ ، وكتاب معالم الأمم وأخبار ذوي الحكم .

وواحد لسبط ابن الجوزي هو مرآة الزمان .

ثم تاريخ لابن نظيف الحموي عنوانه : الكشف والبيان في حوادث الزمان .

وتاريخ لابن أبي الدم الحموي أيضاً بعنوان : التاريخ المظفري (وهو أبجدي) .

وتاريخ للقفطي باسم التاريخ الكبير (وهو حوليّ على السنين) .

وتاريخ لابن سعادة الحولي سماه : الروض الباسم في أخبار من مضى من العوالم . ولا نذكر إلى هذا المختصرات من التواريخ العامة التي تحكي التاريخ كله في مجلد صغير أو كبير فهي كثيرة . كان هذا في الشام بينما كان المؤرخان الأكبران في بغداد : ابن الدبيثي وابن النجار يذيلان فقط وفي وقت معا على تاريخ بغداد للخطيب البغدادي بذيلين أضخم من الأصل . كانت بغداد تنظر إلى نفسها وتاريخها ، وتكتفي بنفسها وتاريخها في نوع من النظرة النرجسية الخاصة ، بينما كانت العيون في الشام تنظر إلى العالم الإسلامي كله وإلى تاريخه كله معه ... واذا اشتركت الموصل مع الشام في هذا الموقف فقد ظهر ذلك فيها بدورها حين كتب ابن الاثير تاريخه : الكامل .

٥ – التأليف التاريخي الشامي كان يمشي في اطار الأنواع التاريخية المعروفة غير أن ثمة تفاوتاً في الاهتمام بنوع دون آخر أو أكثر من آخر . فبينما نجد التركيز يتجه في بعض الأقاليم إلى التراجم ومعاجم الشيوخ والحفاظ نجد المدرسة الشامية تتجه بالعكس إلى رواية الأحداث . ثمة ما بين تاريخ عام وخاص وتعليق تاريخي ما يزيد على مائة وخمسة وعشرين مؤلفاً [1] . بينما

(١) هذه الأرقام انما هي تقريبية لا حصرية . ولقد قمنا بعمل هذا الاحصاء التقريبي من واقع البطاقات التي استخرجناها للمؤلفين والتي بنينا عليها في الواقع جميع هذا الكتاب ومن البدهي =

لا تزيد كتب التراجم على خمسين . واذا شئنا أن نجمع اليها تواريخ المدن التي تبلغ بدورها حوالى الأربعين فاننا بالمقابل يجب أن نضع السير وتواريخ الدول والأسر في جانب تواريخ الأحداث ويبلغ عدد هذا النوع بدوره حوالي الخمسة والخمسين مؤلفاً أيضاً أو تزيد . وقد نستطيع أن نلحق بها أكثر من خمسين مؤلفاً من مثلها تتناول مواضيع بلدانية وحضارية من مثل كتب البلدان والقلاع والغناء وأدوات الحرب والسياسة والتحف والطرف والنوادر والغرائب والأنساب والحسبة والزيارات ...

أما الميزة التي تفردت بها المدرسة الشامية فهي دون شك كثرة كتب « الفضائل » في قائمة مؤلفاتها . نستطيع أن نعد قرابة العشرين مؤلفاً في باب فضائل المدن معظمها انصبّ على دمشق (٨) والقدس (٧) وخص كلاً من مكة والمدينة والخليل وعسقلان كتاباً يشيد بفضائلها ... هذا عدا عدة كتب أخرى في فضائل الجهاد منها كتاب ينسب لنور الدين محمود بن زنكي نفسه .

واذا كان التأليف في فضائل الجهاد يجد تفسيره في وجود الصليبيين العدواني في الشام فان التأليف في فضائل المدن انما نبع من المنبع نفسه . لقد كانت هذه الكتب في أول الأمر رد فعل على المآسي والآلام التي كانت تحل بالشام منذ أوائل العصر العباسي . كانت رداً على الطواعين والأوبئة والفتن المبيدة بين قيس ويمن وعلى ظلم الحكام ونكبات الغزو البدوي المتمادي (ومن جملته الهجوم القرمطي) ... ولقد ظهرت كتب الفضائل بالفعل لتدافع عن الاستيطان في هذه المناطق ولتدافع في الوقت نفسه عنها باضفاء هالة من القداسة عليها عسى ولعل ذلك يرد العدوان عنها . ظهرت هذه الكتب منذ أوائل القرن الرابع بالنسبة لدمشق وهي بالنسبة للقدس أقدم لقدم قدسيتها في النفوس ثم لما جاء العدوان الصليبي وكبر على المسلمين ضياع القدس من

--- أن بالإمكان مع التوسع في الاحصاء زيادة بعض الأرقام غير أن هذه الزيادة لا يمكن أن تؤثر التأثير الواضح على النسب العامة التي نوردها .

أيديهم كان من عناصر المقاومة والجهاد ابراز قدسية هذا البلد ومكانته وفضله في مؤلفات متداولة . وبالمقابل فان دمشق التي قاومت الصليبيين وهزمتهم وهم عند سورها في الحملة الثانية ثم أضحت مركز نور الدين وصلاح الدين كسبت من كل أولئك نوعاً من الهالة القدسية ومن التكريم اللذين وجدا السند لها والمنطلق فيما وضع وروي من الأحاديث عن فضائل دمشق فتحدث بذلك المتحدثون والمؤلفون ... ظروف المقاومة هي التي أوجدت في الشام خاصةً تلك الكتب .

٦ ــ كان من سوء حظ مدرسة الشام أن معظم انتاجها التاريخي في القرون الممتدة ما بين الثالث والسادس قد اندثر بينما كان من حسن حظها بالمقابل أن معظم انتاج مؤرخيها الكبار الذي تكاثفوا في القرن الأخير (٦ ــ ١٢/٧ ــ ١٣) قد بقي ...

وهكذا فانا نفتقد مثلاً كافة تلك المصادر التي اعتمد عليها ابن القلانسي وابن عساكر في بناء كتابيهما (وخاصة ثانيهما) . بينما نجد عندنا هذين الكتابين كما نجد كتب العماد الاصفهاني وبعض كتب القفطي ومؤلفات ابن العديم وسبط ابن الجوزي وابن أبي أصيبعة . الفقيدان الوحيدان اللذان يؤسف لهما بالفعل هما تراث ابن أبي طي والقفطي في التاريخ ... المؤرخ الأول اندثرت آثاره كلها رغم قيمتها الهامة جداً . ولعل لتشيعه أثراً في اندثار تلك الآثار لكن من المؤكد أن الهجمة المغولية التي دمرت حلب سنة ١٢٦٢/٦٦٠ (بعد دمار بغداد على يد هولاكو) وأتت على مكاتبها وجوامعها ودورها وناسها أتت في الوقت نفسه على ثروة الكتب فيها . ومن ذلك تراث ابن أبي طي التاريخي . وكان ضمن هذه الثروة أيضاً مؤلفات القفطي التاريخية التي لا نكاد نعرف عنها شيئاً لولا أن بعضها سلم ... وهو لا يزيد على ثلاثة كتب من أصل ١٦ مؤلفاً ...

ولعل استعراض ممثلي التاريخ الشامي يكشف هذه الناحية وغيرها . ونستعرض أولا كبار المؤرخين ثم الجمهرة من الباقين مع الاحتياط الدائم في

أن هذا التقسيم بين من نسميهم « كباراً » وبين الجمهرة ليس أكثر من تقسيم اعتباطي يستند أولاً إلى كثرة ما أنتج المؤلف في التاريخ ثم إلى شهرة كتابه وصفة « كبير » نسبية هنا أيضاً وقد تختلف من قرن إلى آخر :

٢ - المؤرخون الكبار

تأخر ظهور المؤرخين الكبار في المدرسة الشامية حوالى ثلاثة قرون أو تزيد عن مدرسة العراق وحوالى القرنين ونيف عن مدرسة مصر . ولا نكاد نجد من اسم بارز في التأريخ بالشام طوال تلك القرون الممتدة ما بين مطالع الخلافة العباسية أو القرن الثاني حتى أواسط القرن السادس ... ومع ذلك فيمكن نسبياً أن نعد بين المؤرخين البارزين في هذه الفترة عدداً من الرجال منهم :

أبو زرعة [١] : عبد الرحمن بن عمر بن صفوان بن زراعة النصري الدمشقي (المتوفى سنة ٢٨٠ أو سنة ٢٨١/٨٩٥) والرجل من كبار المحدثين المعروفين ومن هذا الباب دخل إلى التاريخ أو دخل اليه التاريخ وله فيه عدد من الكتب جعله يتفرد وحده في تمثيل مدرسة الشام في القرن الثالث :

- كتاب الطبقات وقد ذكره له ابن عساكر [٢] .
- كتاب التاريخ ولعله الكتاب السابق نفسه فقد عده الكتاني في كتب الرجال وأحوالهم [٣] وجعله الخطيب البغدادي من جملة ما يهتم به الطالب من

(١) لنلاحظ أن ثمة عالماً دمشقياً آخر باسم ابي زرعة هو محمد بن عثمان بن ابراهيم الثقفي الدمشقي . يقول السخاوي (الاعلان ص ٥٥٧) هو أول من أدخل مذهب الشافعي دمشق بعد أن كان الغالب عليها مذهب الأوزاعي . وهما على أي حال غير ابي زرعة الرازي المتوفى سنة ٢٦٤) وقد ترجمه الخطيب (تاريخ بغداد ج ٣٢٦/١٠) .

(٢) ابن عساكر - تاريخ دمشق (مخطوط الظاهرية) ج ٧ ورقة ٥ وجه .

(٣) الكتاني - الرسالة المستطرفة (ط. بيروت ١٣٣٢) ص ٩٦ - ٩٧ .

تواريخ المحدثين [1] ، ونقل منه ياقوت في معجم البلدان [2] والذهبي في تاريخ الاسلام [3] وذكره ابن تغري بردي .

- كتاب ذكر أهل الفتوى بدمشق وقد ذكره ابن حجر [4] .

- كتاب سيرة الرسول والخلفاء الراشدين ويسمى أيضاً بالتاريخ . وما ندري اذا كان هو نفسه كتاب الطبقات أم كتاب التاريخ أم هي كتب متباينة . فإن هذا الكتاب الحاوي للسيرة مخطوط موجود في مكتبة فاتح باستامبول (رقم ٤٢١٠) ويقع في مجلد من عشرة أجزاء برواية أبي الميمون عبد الرحمن بن عبد الله بن راشد البجلي وفيه السيرة النبوية أولاً ثم تاريخ الخلفاء الراشدين ثم يذكر قضاة دمشق وقضاة فلسطين وقضاة مرو . وأخباراً عن عبد الله بن بسر وبعد أن يذكر بعض الوقائع مما جرى في الشام أثناء خلافة أبي بكر وعمر ، ووفيات الصحابة بها يعود إلى ذكر وفاة فاطمة وأزواج النبي ووفاة التابعين وأخبار أسماء بني أبي بكر وبعض التابعين ويذكر محمد بن اسحق ثم فصلاً في مجالسة العلماء وفصلاً في ذكر النقباء ثم فصلاً أخيراً في من مات من الصحابة والتابعين ثم من العلماء بالشام .

ويبدو كأن هذا المخطوط هو حصيلة الانتاج التاريخي كله لأبي زرعة وأن أحد الناسخين أو جامعي الكتب قد جمع تراث الرجل التاريخي وكتبه المعروفة الثلاثة في مجلد واحد أعطي مع الأيام اسم التاريخ ، ففيه : كتاب السيرة والراشدين كما أن فيه ذكر أهل الفتوى (قضاة دمشق وفلسطين ومرو) وفيه الطبقات (حول من توفي في الشام من الصحابة والتابعين والعلماء وذكر النقباء ...) .

---

(١) السخاوي – الاعلان ص ٦٠٣ ، عن كتاب الجامع في أخلاق الراوي والسامع للخطيب .
(٢) ياقوت – معجم البلدان – مادة كفرسوسية .
(٣) الذهبي – تاريخ الاسلام (نشرة القدسي – القاهرة) ج ١ المقدمة ص ٢ .
(٤) ابن حجر العسقلاني – التهذيب ج ٢ ص ٥٥ .

أبو الحسين الرازي : محمد بن عبد الله بن جعفر بن عبد الله بن الجنيد البجلي (المتوفى سنة ٣٤٧/٩٥٨) ، وهو في الأصل من الري وكان يعرف فيها بابن الرستاقي ثم استوطن دمشق فعرف بالرازي وكان من كبار المحدثين ، سمع الحديث بالري والعراق والشام ومكة . وأكثر من التصنيف والجمع وترجم له ابن عساكر ترجمة في ١٤ صفحة من تاريخه [١] . ويبدو أنه افتتن بالمدينة وتاريخها فأقبل — وهو صاحب الثقافة الحديثية — يدرس تاريخ دمشق من زاويته بتسجيل أسماء علمائها الذين أخذ عنهم وبتسجيل أخبار أمرائها وهكذا نجد له أجزاء ذكرها له كلها ابن عساكر في :

- تسمية من نقل عنه بدمشق وتسمية من كتب عنه في قرى دمشق وتسمية من كتب عنه في الدفعة الثانية ، وجزء فيما أفاده بعض أهل دمشق عن أبيه عن جده وبعض أهل بيته من المؤمنين . والكتب الأربعة مما ذكره له ابن عساكر [٢] .
- تسمية أمراء دمشق في أيام بني العباس .
- تسمية كتاب أمراء دمشق .
- وله كذلك — فيما يبدو — كتاب في فضائل دمشق فإن ابن عساكر ينقل في المجلدة الأولى من تاريخه إحدى عشرة مرة عن أبي الحسين ويلقبه تارة بالبجلي وتارة بالرازي [٣] ، أحاديث وأخباراً في فضل دمشق

---

(١) انظر ابن عساكر – تاريخ دمشق (مخطوط الظاهرية) ج ١٥ (رقم ٣٣٧٩) الورقة ٢٥١ وجه — ٢٥٨ وجه .

(٢) المصدر السابق ج ١٥ الورقة ٢٧٣ ظهر ثم المصدر نفسه ترجمة محمد بن خالد البتلهي (من بيت لهيا) . ثم المجلد نفسه الورقة ٥٦ ظهر . ثم المصدر نفسه ج ١٧ الورقة ١٨٠ وجه (ترجمة معمر بن سورة) .

(٣) انظر ابن عساكر – تاريخ مدينة دمشق (المجلدة الأولى – تحقيق المنجد) الصفحات : ١٧٤ ، ١٨٠ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣٥ ، ٢٣٨ ، ٢٤٣ ، ٢٤٥ ، ٥٨٦ .

ويذكر أنه قرأها بخطه أو وجدها بخطه . وهذا يعني على الأقل أن الرازي كتبها وأنها كانت مجموعة بعضها إلى بعض في تأليف واحد . وإذا صح هذا فنحن ، في الواقع ، أمام أول كتاب جمع ما تفرق على الألسن من الأحاديث والأخبار التي شاعت أو وضعت في فضل هذه المدينة . ومع أن معظمها من الأحاديث الموضوعة ومن الأوهام والأحكام التقييمية والتنبؤية المشكوك في صحتها إلا انها كانت المعادل السيكولوجي لما أصاب المدينة من النكبات والفتن منذ أواخر العهد الأموي . ولعل أهم من هذا أن هذه المرويات المجموعة كانت النواة الأولى لسلسلة من الكتب توالت بعد ذلك في فضل دمشق وكان أكثر ما دفع إليها وروّجها ما أصاب هذا البلد من محن ونكبات في العهد الفاطمي ثم ما اضطلعت به من جهاد مرير في العهد الصليبي .

ومع أن هذه المؤلفات مفقودة الا اننا نستطيع أن نرى مادتها موزعة في ثنايا تاريخ ابن عساكر فقد كان الرازي من أهم مصادره . ويبدو أن المؤرخ أبا شامة قد اطلع على كتب الرازي وأفاد منها بعض النقل عن زلازل وقعت بدمشق سنة ٢٤٥ حكى الرازي عن تدميرها الواسع [1] .

وتخفت أضواء التاريخ الشامي أكثر من قرن بعد الرازي في انتظار أن يظهر منذ أواخر القرن الرابع وخلال القرن الخامس — وفيما استطعنا على الأقل أن نكشف ونعلم — بعض المؤرخين المحليين ذوي الشأن في تسجيل وقائع التاريخ في الشام ، في القرنين الرابع والخامس ، ومن هؤلاء :

السميساطي : أبو القاسم علي بن محمد بن يحيى السلمي السميساطي (ولد سنة ٣٧٣/٩٨٣ وتوفي سنة ٤٥٣/١٠٦٠) والرجل معروف في أوساط رجال الدين في دمشق ، كثير التراجم باقي الأثر إلى اليوم في هذه المدينة فإن فيها

(١) ابو شامة — كتاب الروضتين ج ١ ص ٢٦٨ (طبع محمد حلمي أحمد) .

الآن على الباب الشمالي للجامع الأموي بناء الخانقاه السميساطية التي كانت داراً له [1] فوقفها على فقراء الصوفية كما دفن فيها . وكانت هي السبب في بقاء ذكره وكثرة الترجمة له . وقد ذكروا عنه أنه كان بارعاً في الهندسة وعلم الهيئة (الفلك) صاحب حشمة وثروة واسعة ومروءة وافرة . وأنه وقف أكثر نعمه على وجوه البر [2] ... كما رووا عنه أنه كان على مذهب أبيه (المتوفى سنة ٤٠٢) في الاعتزال ومن تلاميذ الخطيب البغدادي ، وأنه كان من أكابر الرؤساء والمحدثين بدمشق [3] على أن أحداً لم يرو عنه أنه كان مؤرخاً حتى وقع بين الأيدي كتاب ابن أيبك حول الدولة الفاطمية فاذا به ينقل « أخبار الشام » عن كتاب بخط السميساطي ومن تأليفه وينص في أخبار سنة ٤٩٣ على نهاية هذا الكتاب عند هذه السنة [4] وأنه سيأخذ هذه الأخبار بعد ذلك عن المسودات التي ذيلت عليه ... وهذا يعني أن هذا التاريخ استمر معروفاً أو موجوداً على الأقل حتى القرن الثامن الهجري أيام ابن أيبك (المتوفى بعد سنة ١٣٣٥/٧٣٦) .

ومن الغريب أن هذا الكتاب الذي لم يشر اليه أحد لم يأخذ عنه أيضاً أحد سوى ابن أيبك . ولو عدنا إلى النصوص التي اقتبسها عنه لوجدنا فيها الكثير من التفاصيل والأخبـــار الدقيقة التي تؤرخ أحياناً باليوم للأحداث المتعلقة بدمشق خاصة . وهي تتفق أحياناً مع مـــا يورده ابن القلانسي من الأخبار وأحياناً تختلف أو تعطى صورة أخرى . ويبدو أن هذا التاريخ يبدأ قبل دخول الفاطميين إلى الشام سنة ٣٥٨ ، فإن التوسع في أخبار ابن أيبك عن الشام يلاحظ منذ يأخذ

(١) كانت هذه الدار نفسها دار عبد العزيز بن مروان بن الحكم ثم ابنه الخليفة عمر بن عبد العزيز .

(٢) انظر النعيمي – الدارس في تاريخ المدارس (تحقيق جعفر الحسني – طبع المجمع العلمي بدمشق سنة ١٩٥١) ج ٢ ص ١٥١ – ١٥٢ .

(٣) انظر مثلا ابن الحنبلي – شذرات الذهب ج ٣ ص ٢٩١ والذهبي في العبر وغيرهما .

(٤) انظر ابن أيبك الدواداري – كنز الدر ، الجزء السادس : الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية ، تحقيق صلاح الدين المنجد – القاهرة سنة ١٩٦١ ص ٢٧٢ .

في الحديث عن الحكم الأخشيدي في الشام وعن القرامطة فيه. ويبدو من جهة أخرى إن مسودات كتاب السميساطي أو مصادره إنما كانت لوالده قبله فبينما هو يتوسع في ذكر التفاصيل الوافية عن الفترة التي عاصرها أبوه إذا بالكتاب ينتهي دون أن يصل الكلام بكلمة عن عصره . ولا يبدو أن الكتاب الذي وقع لابن أيبك بشكل جزءاً من الأصل لأنه ينص على وجوده « ذيول » بين يديه على الكتاب بشكل مسودات لا شك أنها لمؤرخين آخرين ضاعت أسماؤهم والأخبار معاً . وشأن السميساطي إنما يرجع إلى أنه أرخ لفترة غامضة من تاريخ الشام رغم كثرة أحداثها وتعقدها .

ومع أن المصادر لا تذكر للسميساطي كتاباً آخرون فإنّ له في الواقع تاريخ الموصل [1] كتبه لشرف الدولة قرواش بن المقلد العقيلي صاحب الموصل حوالى سنة ٤٤٠ وقد نقل عنه الفارقي في تاريخ ميافارقين. ومن المحتمل إلى هذا وذاك أن يكون هو نفسه الذي اختصر تاريخ السليل بن أحمد بن عيسى وهو المختصر الذي استخدمه ابن العديم ونقل عنه [2] .

ابن المهذب المعري : أبو غالب همام بن الفضل بن جعفر (عاش ما بين سنة ٤٣٠ إلى ما بعد سنة ٤٩٠ تقريباً) وهو من الفقهاء الأدباء الذين أطلعتهم المعرة تلك البؤرة الثقافية التي برزت بوضوح في شمال الشام في القرن الخامس وأعطت العشرات من الشعراء والأدباء والعلماء الذين كان أبو العلاء المعري (المتوفى سنة ٤٤٨) قمة الفكر والانتاج فيهم .

وقد ألف ابن المهذب تاريخاً على السنين كانت نواته – كما نقل ابن العديم

---

(١) ذكره ابن الأزرق الفارقي في كتابه تاريخ ميافارقين ونقل عنه (انظر مخطوطة المتحف البريطاني رقم Or. 5803) ورقة ٣٥ وجه .

(٢) انظر ابن العديم – بغية الطلب (مخطوط أحمد الثالث) ج ١ الورقة ٩٢ وجه وظهر . و ج ٧ الورقة ٢٩٠ وجه .

من أقواله [1] « مما وجده بخط جد أبيه أبي الحسين علي بن المهذب بن أبي حامد» وأضاف إليه « مما وجده في التواريخ المتقدمة » وما « أخذه عن العلاء بن سليمان المعري وغيره من أهل بلده .... » وقد امتد التاريخ حتى وصل – كما يظهر من المقتبسات التي أخذت عنه – إلى حوالى سنة ٤٧٠ .

ويبدو أن هذا التاريخ جاء حسن التأليف ، فإن النصوص المنقولة عنه تتسم بالدقة والإدراك التاريخي كما انه استطاع بسرعة أن يجتذب إليه من يذيل عليه وهكذا .

– وضع المعري الأخر : أبو يعلى عبد الباقي بن عبد الله بن أبي المحاسن (من عائلة ابن أبي الحصين) وهو القاضي الفقيه ، ذيلاً على تاريخ أبي غالب.
– ثم جاء جار من جيران المعرة وهو أبو المغيث بن مرشد بن علي الكناني من أمراء بني منقذ في شيزر (والمتوفى قبيل أواسط القرن السادس) فوضع ذيلاً ثانياً على تاريخ أبي غالب ....

ولا شك أن نكبة المعرة يوم دمرها الصليبيون ، في أول زحف لهم على الشام ، وقتلوا فيها ما يزيد على عشرين ألفاً ، هي المسؤولة عن ضياع هذا التاريخ ونسخه . لأنا لا نكاد نجد نقولاً عنه وعن ذيوله إلا لدى مؤرخ واحد هو ابن العديم اعتمده مع ذيوله كمصدر أساسي من مصادره واقتبس منه فيما يزيد على خمسة وثلاثين موضعاً [2] تمتد ما بين القرن الأول (سنة ٩١) إلى القرن الخامس (سنة ٤٥٠ وسنة ٤٥١ وسنة ٤٦٣) ومعظمها يتصل بالقرنين الرابع والخامس . وبعض هذه المقتبسات يمتد صفحات عديدة .

---

(١) انظر ابن العديم – بغية الطلب (مخطوط أحمد الثالث) ج ٥ الورقة ٢٢١ وجه ج ٢ الورقة ٢٩ ظهر ، ومخطوط فيض الله الورقة ١٦٦ وجه .

(٢) انظر مثلا المصدر السابق نفسه (مخطوط احمد الثالث) ج ١ الورقة ٧٩ وجه وظهر ، الورقة ٥٩ ظهر ، ١٢٣ ظهر ، ١٧٥ وجه ، ٩٣ وجه ، ١٣٨ وجه ، ١٤٠ ظهر ، ١٩٧ وجه ، ٢٢٠ وجه ، ٤٦ وجه ، ٣٨ ظهر . ونجد مثل ذلك في المجلدات الأخرى الباقية وفي بقية الكتاب من مخطوطي أياصوفيا وفيض الله .

- المقدسي القيسراني : أبو الفضل محمد بن طاهر بن علي بن أحمد الشيباني (ولد سنة ٤٤٨ / ١٠٥٦ وتوفي ببغداد سنة ٥٠٧ / ١١١٣) من المحدثين الحفاظ والنسابين وذوي الرحلة الواسعة والتأليف الكثير . سمع بالقدس في فتوته من علامتها ابن ورقاء ثم سمع من شيوخ بغداد ونيسابور وإصبهان وشيراز والرّيّ ثم عاد فسمع في دمشق وفي مصر واختار شيوخ عصره الكبار ليتلمذ عليهم . ويبدو أنه كان يرتزق بالوراقة . يروون عنه قوله إنه كتب الصحيحين (مسلم والبخاري) والسنن (لأبي داود وابن ماجه) سبع مرات بالوراقة . وبجانب أنه كان من أكثر الناس كتابة وأسرعهم فقد كان أيضاً من أذكاهم وأعرفهم بالحديث ، جيد المعرفة ، ثقة في نفسه حسن الانتقاد - فيما يروون - وإن كان العديد من رجال الحديث يتهمونـه بالتساهل لأنه أباح السماع ، فلا يجمعون على الثقة به .

ومؤلفات القيسراني عديدة جداً وفيها مما يتصل بالتاريخ :

- تاريخ أهل الشام ومعرفة الأئمة منهم والأعلام[1] ويبدو أنه في التراجم وأنه شامل للإقليم الشامي كله فهو بهذا الشكل الكتاب الوحيد في بابه لأن الكتب الأخرى كانت دوماً تقتصر على المدن المفردة . ولسنا نعرف شيئاً عن هذا الكتاب وليس لدينا مقتطف منه .

- الأنساب المتفقة في الخط المتماثلة في النقط والضبط . وهو من باب المؤتلف والمختلف من الأنساب وقد طبع منذ سنة ١٨٦٥ في ليدن بعناية المستشرق دي يونغ ، نقلاً عن نسخة ابن الجوزي المؤرخ المعروف .

- تكملة الكامل وهو ذيل على الكامل في ضعفاء المحدثين لأحمد بن عديّ الجرجاني[2] .

---

(١) انظر هدية العارفين ج ٢ ص ٨٢ .
(٢) السخاوي - الاعلان ص ٥٨٦ والمصدر السابق نفسه .

- العوالي في التاريخ وهو في تراجم الأسناد الحديثية العالية . ولعل ما أورده صاحب هدية العارفين من عناوين أخرى بعد هذا العنوان إنما هو تفاصيل لمحتويات هذا الكتاب مثل : عوالي الطرق إلى البخاري ، عوالي الطرق إلى سفيان ، إلى فضل بن عياض ، إلى مالك بن أنس ...

- معجم البلدان (أو البلاد) وهو على الأرجح في تراجم الشيوخ الذين زارهم في مختلف البلدان إلا أن يكون قد طرق باب الجغرافيا الوصفية للبلاد التي زارها وهو رحالة جواب آفاق .

ابن الأكفاني : أبو محمد هبة الله بن أحمد الأكفاني الدمشقي (المتوفى سنة ٥٢٤/١١٣٠) يأتي في الحديث والتاريخ ضمن سلسلة من المحدثين المؤرخين الدماشقة الذين عنوا العناية الكبيرة بدمشق عمراناً ورجالاً وبعضهم تلاميذ بعض . ويأتي في هذه السلسلة شيخها الأول ابن أبي العجائز ومعه معاصره أبو الحسين محمد الرازي ثم يأتي تمام الرازي (ابن محمد) ومعاصره أبو الحسين عبد الوهاب الميداني ثم تلميذان لتمام هما عبد العزيز الكتاني وعلي الربعي ثم يأتي ابن الأكفاني تلميذ الكتاني لتنتهي السلسلة أخيراً بابن عساكر تلميذ الأكفاني الذي يضع كتابه المعروف في تاريخ دمشق متوجاً بذلك جهود هذه السلسلة الطويلة من العلماء التي استمرت ثلاثة قرون .

وتتضح اهتمامات ابن الأكفاني في الحديث وفي تاريخ دمشق من خلال مؤلفاته ، فقد كتب :

- جامع الوفيات . كتبه ذيلاً على كتاب استاذه الكتاني (المتوفى سنة ٤٦٦) المسمى (ذيل الوفيات) والذي كان بدوره ذيلاً على كتاب الوفيات لأستاذه ابن زبر . وقد سجل ابن الأكفاني الوفيات خلال عشرين سنة ، وتوقف عند سنة ٤٩٥/١١٠١ ، وكان يجمع مادة كتابه من معاصريه ويكاتبهم في ذلك .

وينسب ابن العديم [1] ، اعتماداً على ابن عساكر ، كتاباً إلى ابن الأكفاني بعنوان : تعداد أمراء دمشق . ويبدو أنه غير كتاب الوفيات السابق لأنا نجد ابن عساكر يأخذ عن ابن الأكفاني معلومات حول عدد من أمراء دمشق ومنهم أتسز وتتش وتميم الفحل وطزملت ... وغيرهم .

— وله تتمة تاريخ داريا وهو إضافة أضافها إلى تاريخ داريا لعبد الجبار الخولاني والمؤلفان موجودان وقد طبعا معاً (بعناية سعيد الأفغاني — دمشق ١٩٤٧)

— ويضيف السخاوي[2] إلى قائمة مؤلفاته كتابين : رجال الموطأ ورواة الموطأ وهما دون شك في دائرة تراجم المحدثين...وقد ضاعا مع كتبه الأخرى .

على أن ضياع مؤلفات ابن الأكفاني لا يعني ضياع المعلومات التي قدمها ، فقد حفظها لنا تلميذه ابن عساكر الذي جعل معارف استاذه أحد مصادره الرئيسية في تاريخه . ويكفي لنعرف مدى تغلغل ابن الأكفاني في ذلك التاريخ أن نعرف مثلاً أن اسمه يتردد ٦٣ مرة في المجلد الأول و٢٤مرة في القسم الأول من المجلد الثاني المطبوع ... وهكذا من بعد .

— الاثاربي : أبو الفوارس حمدان بن أبي الموفق عبد الرحيم بن حمدان بن علي بن خلف التميمي الاثاربي ثم الحلبي (المولود سنة ٤٦٠ والمتوفى سنة ٥٤٢) وهو من الأطباء والمثقفين ووجوه الناس في شمال الشام في مطالع العصر الصليبي ، وابن العديم يعطيه لقب « الرئيس » ولعل ذلك لرئاسته الديوان [3] أصله من بلدة الأثارب (معراتا الأثارب غرب

---

(١) انظر ابن العديم — بغية (مخطوط أحمد الثالث) ج ٦ الورقة ١٠٣ وجه . وانظر ابن عساكر (مخطوط الظاهرية رقم ١١٣ تاريخ) الجزء ٤ الورقة ٢٦٢ وجه (ترجمة الأمير رفق) .

(٢) السخاوي — الاعلان ص ٥٩٩ — ٦٠٠ .

(٣) أخذنا ترجمة الأثاري عن ابن العديم — بغية الطلب (مخطوط أحمد الثالث) ج ٤ الورقة =

حلب) وكانت جارية في ملكه وكان أكثر مقامه بالجزر (وهي في شمال غرب حلب ذات بساتين وحقول ومياه) يتردد في نواحيه — بسبب من وجوده على الحدود بين الدولتين الاسلامية (في حلب) والفرنجية (في انطاكية) . وقد ولي في الجزر أعمال الديوان للأتابك زنكي كما ولي للفرنجة الديوان في معرة النعمان ووهبه أمير انطاكية صاحب الأثارب الفرنجي قرية في ناحية معرة مصرين بقيت لأولاده من بعده أكثر من قرنين جزاء تطبيب ابن أخته ثم أخرجه الفرنجة من عمله وصادروه فسكن حلب فترة من الوقت عمل خلالها في السفارة بين أصحابها ومنهم زنكي وبين الدول الأخرى فتارة يسير رسولاً إلى الفرنج وتارة إلى الخليفة الآمر الفاطمي في مصر وثالثة إلى الأتابك طغتكين بدمشق (أو أولاده) ثم انصرف إلى قريته (ضمن أرض الفرنجة) فسكنها عشرين سنة وعمرها وأرسل سفيراً إلى الخليفة العباسي ببغداد سنة ٥٤٠ وهو في الثمانين من العمر فكانت تلك آخر مهماته الرسمية .

وقد تمتع الأثاربي في حياته بما يشتهي من اللهو والنزهة كما كان على الوسامة والحشمة والتمسك بأهداب الأدب وطلب العلم ، ويبدو أنه كان على المذهب الفاطمي الشيعي حتى كان يتهم بالاسماعيلية . وقد شدا طرفاً من الأدب واطلع على التواريخ وأيام العرب وحصل قطعة صالحة من معرفة النجوم والطب وله شعر لطيف الألفاظ جمعه في ديوان رآه ابن العديم بخطه .

على أن شأن الاثاربي بالنسبة إلينا إنما هو في ما ألف من كتب التاريخ. وللرجل في هذا الميدان كتابان :

= ٢٧٥ ظهر حتى الورقة ٢٨٠ وجه وقد ذكر ياقوت (معجم الأدباء ج ١٠ ص ٢٧٢ — ٢٧٤) أنه توفي سنة ١١٥٩/٥٥٤ . وقد تابعنا ابن العديم وإن بدا من بعض القرائن أن تاريخ ياقوت أصح .

– كتاب في تاريخ حلب من سنة تسعين وأربعمائة يتضمن أخبار الفرنج وأيامهم وخروجهم إلى الشام من السنة المذكورة وما بعدها (إلى حدود سنة ٥٢٥) سماه المفوّف [1] » (والمُفَوَّف نوع من الثياب المخططة) . فهذا إذن هو الكتاب الأول والوحيد والمعاصر في تاريخ الحملة الصليبية الفرنجية من وجهة النظر الإسلامية . وقد كتبه صاحبه وهو شاهد على الأحداث قريب منها عائش في داخلها حتّى مع الفرنجة أنفسهم . ومن المؤسف أن يكون الكتاب قد ضاع . فلسنا نجد منه ما يذكر فلم يستخدمه من المؤرخين سوى ابن أبي طي الذي ضاعت مؤلفاته بدوره وابن العديم في بغية الطلب الذي لم يجد منه سوى بضع أوراق، فما نعرفه من المفوف فإنما هو ذلك القدر الضئيل الباقي خلال مخطوط البغية [2] ولعل عز الدين ابن شداد أخذ منه عن طريق ابن العديم [3] .

– « كتاب في أخبار بني تميم وأيامهم جمع فيه فوائد كثيرة وأشعاراً حسنة وضمّنه ذكر مآثرهم وأخبارهم ووقائعهم وأشعارهم وانتسب فيه إلى بني تميم ووسمه بالمصباح » . ولم يبق لهذا الكتاب أثر مع أن شأنه إنما يأتي من أنه كان يحوي دون شك خلاصة تاريخ المنطقة الشمالية من الشّام ومنطقة الجزيرة وقصة التوضع القبلي القيسي فيها .

– **ابن القلانسي** : أبو يعلى حمزة بن أسد بن علي بن محمد التميمي (المتوفى سنة ١١٦٠/٥٥٥) وعن عمر يناهز بضعاً وثمانين سنة ، وهو ابن أسرة دمشقية موسرة ظلت واضحة الوجود في المدينة منذ القرن الرابع حتّى

---

(١) أخطأ كلود كاهن في قراءة اسم الكتاب في مخطوط بغية الطلب فسماه الموفق وهو المفوف وخط ابن العديم واضح مبين . كما أخطأ روزنتال في تحقيقه في كتاب السخاوي (الاعلان بالتنبيه ص ١٢٨) إذ سماه القوت وهو لا شك تصحيف من النساخ .

(٢) انظر ابن العديم بغية الطلب (مخطوط أحمد الثالث) ج ٣ الورقة ٢٧٩ وجه ، ٢٧٨ ظهر ، ٢٨٠ ظهر .

(٣) انظر ابن شداد – الاعلاق الخطيرة (قسم حلب – تحقيق سورديل) ص ١٢٥ .

القرن التاسع تقريباً ولها أملاكها وضياعها ومكانتها . وكانت رئاسة دمشق لبعض رجالها ومنهم المؤرخ ابن القلانسي في بعض الفترات قرب أواسط القرن السادس .

نشأ ابن القلانسي على ثقافة دينية أدبية فقد سمع شيئاً من الحديث كما شدا بعضاً من الأدب لا ليصبح محدثاً أو أديباً ولكن كاتباً في الديوان ويبدو أنه لهذا السبب درس الحساب وتعلم شيئاً من الفارسية أيضاً اذ كانت تقاليد العمل الحكومي في بلاط دمشق تقتضي العلم بها ولأن ابن القلانسي هو ابن العهد السلجوقي كله في دمشق ولد تقريباً عند دخول السلاجقة دمشق حوالى سنة ٤٧٠ ومات بعد سنوات من اخراج آخر ممثل لذلك الحكم منها سنة ٥٤٩/ ١١٥٤ .

وإذا كنا لا ندري كم خدم ابن القلانسي في العمل الحكومي بدمشق فانا نعلم على الأقل انه كان أبرز الكتاب في الدولة الأتابكية : دولة طغتكين وأولاده [(1)] « وقد جمع – على ما يقول الذهبي – بين كتابة الانشاء (ديوان الرسائل) وكتابة الحساب (ديوان الخراج) وحمدت ولايته ... » . وبهذا الشكل أتيح لابن القلانسي أن يطلع على محفوظات الدولة في دمشق وأن يعرف أسرار السياسة خلال تلك الفترات الحرجة من تاريخ الشام التي عرفت دخول الصليبيين إلى هذه البلاد وحروبهم العدوانية ضدها . وهكذا كتب ابن القلانسي :

---

(١) تعرف هذه الدولة خطأ باسم الدولة البورية وهو اسم لا مبرر له فان مؤسسها الذي حكم دمشق فترة قد تصل إلى أربعين سنة هو طغتكين أحد مماليك تتش الذي أسس أول دولة سلجوقية في الشام ، فلما ورثه ابنه دقاق في دمشق أعانه طغتكين في الحكم لأنه أتابكه ثم استأثر بالحكم حين توفي دقاق سنة ٤٩٧ / ١١٠٤ وظل يحكم حتى سنة ٥٢٢ فلما توفي أعقبه ابنه بوري أربع سنوات ثم أولاد بوري من بعده . وقد تسلم نور الدين دمشق من آخرهم المسمى أبق بن محمد بن بوري سنة ٥٤٩ وأخرجه منها ليموت في بغداد .

« المذيل في تاريخ دمشق » وهو المشهور خطأ باسم ذيل تاريخ دمشق جعل الرجل كتابه تذييلاً على تاريخ هلال الصابىء الذي ينتهي سنة ٤٤٨ ويبدو أنه أعجب به فقرر أن « يبني هذا المذيل »[(١)] على السنة التي انتهى اليها الصابىء ولكنه وجد أن هذا المؤرخ لا يعطي أحداث دمشق حقها من الشرح والتسجيل بينما لدى ابن القلانسي الكثير مما يقوله عن تاريخ دمشق ويضيفه إلى تاريخ الصابىء في السنوات التسعين التي أرخها ما بين سنة ٣٦٠ وسنة ٤٤٧ وكان لدى ابن القلانسي – كما يبدو – مصدران عن هذه الفترة :

– تعليقات تاريخية مكتوبة لبعض المؤلفين المجهولين وينكشف ذلك في التفاوت الواضح بين أقسام الكتاب فهو أحياناً غزير المادة واسع التفاصيل جدا (كما في حوادث سنة ٣٦٣ – ٣٦٧) وأحياناً مقتضب جداً لا يكاد يزيد في أخبار السنة على سطرين وهو أحياناً يتابع الكلام على أساس السنين ثم تغالبه المصادر فنجده أحياناً أخرى يسوق الكلام على أساس الموضوع ويسجل ولايات الأمراء أميراً بعد أمير حتى اذا انتهى إلى سنة ٤٤٨ انتظم كتابه على الأساس الحولي والسنوات .

– محفوظات الديوان بدمشق وقد استخرج منها العديد من الوثائق ونقلها في كتابه كما نقل أحياناً بعض قصائد المديح[(٢)] ...

وتبدو المعلومات لدى ابن القلانسي فيما بين سنتي ٤٤٨ – ٤٨٥ شحيحة قليلة حتى اذا وصل السنوات التي وعاها بنفسه ووعاها معه أهله وأساتذته وصار فيها موظفاً في الديوان أخذ التاريخ شيئاً كثيرا من التوازن ، وكثرت معلوماته ودقت واستندت إلى الوثائق واستمرت كذلك حتى النهاية سنة وفاة المؤرخ نفسه . ويبدو أنه كان يسجل الأمور سنة بعد سنة في أوقاتها ،

---

(١) يصرح بذلك في ثنايا الكتاب ص ٨٦ وهو مطبوع منذ سنة ١٩٠٨ بعناية المستشرق آمدروز في ليدن .

(٢) انظر مثلا الصفحات ٦٢ – ٦٣ ، ٧٦ – ٧٧ ، ٧٧ – ٧٨ ، ٨٠ – ٨٣ .

فلما شغل مرة بمشاغل الرئاسة بدمشق أهمل التسجيل فترة امتدت أربع سنوات واعتذر عنها (٤٣٥ – ٤٣٨) كما قرر مرة أن يختم كتابه سنة ٥٤٠ وفعل ثم بدا له فتابع التسجيل ... وكتابة القلانسي التاريخية نموذج للأدب التاريخي في عصره : عبارة واضحة موجزة . واجمال للأحداث . ومداراة في الأمور التي قد تحرج الأتابك الحاكم (مثل هدنته مع الصليبيين أو دفع الاتاوة لهم أو قتل الأمير لأخيه ...) وبالرغم من أن الكتاب يحمل عنوان تاريخ دمشق فانه لا يقتصر على أمورها الا في قسمه الأول السابق لسنة ٤٤٨ أما بعد ذلك فهو تاريخ للعالم الإسلامي كله منظوراً اليه من دمشق . أو إلمام بأحداثه الهامة مع التركيز والتوقف عند أحداث دمشق . وقد غدا الكتاب المصدر الأول لتاريخ دمشق في فترته لدى كافة المؤرخين من بعده .

– **العظيمي** : أبو عبد الله محمد بن الرئيس أبي الحسن علي بن محمد بن أحمد التنوخي المعروف بابن العظيمي الحلبي (ولد سنة ٤٨٣ وتوفي بعد سنة ١٢٦٣/٥٥٨) . وهو من بيت شارك في الأحداث السياسية بحلب في الفترة السلجوقية . لكن الرجل اختار تعليم الصبيان مهنة له وحين أنس في شعره القوة أخذ يرتزق به وسافر إلى دمشق في هذا السبيل وا متدح الأتابكة فيها كما امتدح الأراتقة قبل أن يختص بالأتابك زنكي في حلب شاعراً في حاشيته . على أنه بين هذا وذاك كان مولعاً بالتاريخ وقد اجتمع إلى الأئمة فيه أمثال ابن عساكر في دمشق والسمعاني في بغداد ، كما ألف فيه مؤلفات عدة وكان أحد كتبه مطلع سلسلة طويلة في تاريخ حلب ظلت موصولة حتى القرن الماضي وكتابه الوحيد الذي وصل الينا يعرف باسم :

– تاريخ العظيمي ، وهو تاريخ عام مختصر ، يمشي على الأساس الحولي . في جمل موجزة سريعة واشارات تغمض أحياناً لاختصارها ، حتى نهاية سنة ١٠٤٣/٥٣٨ وبالرغم من اختصاره فإن فيه ، في نصف القرن الأخير منه، عدداً من الأخبار التي لا نجدها في غيره . وقد نشر القسم الأخير منه

(منذ سنة ٤٥٥ حتى النهاية) المستشرق كلودكاهن سنة ١٩٣٩ .

على أن للعظيمي كتابين آخرين في التاريخ :

— الأول في « تاريخ حلب » وليس من المعروف عنوانه بالضبط لكن ليس ثمة شك في أنه كتاب آخر غير الكتاب السابق فإن ابن العديم وابن خلكان يذكرانه . والمقتطفات المأخوذة بكثرة لدى ابن العديم [١] وابن أبي طي وابن الفرات عن العظيمي والتي لا نجدها في موجزه السابق تثبت أن للرجل كتاباً هاماً في تاريخ بلده . كما أن التفاصيل التي يذكرها ويأخذها الآخرون عنه ترجح أن يكون الكتاب ضخماً وقد يزيد على المجلدين ويصبح الأمر قطعياً حين نجد بين المقتطفات أخباراً تتجاوز سنة ٥٣٨ السنة التي ختم بها الموجز . وهي تصل لدى ابن الفرات إلى سنة ٥٥٨ مما تزيد في عمر العظيمي سنتين أخريين على الأقل لأن المؤرخين متفقون حتى الآن أنه كان حياً حتى سنة ٥٥٦ فقط .

— الثاني يحمل اسم : المؤصّل على الأصل الموصل وقد ذكره ابن العديم [٢] وحده قائلاً « وهو التذكرة من سير الإسلام » ونقل عنه بعض المقتطفات بعد أن قرأه بخط العظيمي نفسه .

يأتي بعد ابن القلانسي والعظيمي في الشام عدد من المؤرخين المحدودي الأثر والشهرة على أن أسماءهم تتضاءل أمام أسماء عدد من المؤرخين الكبار ظهروا منذ أواسط القرن السادس وحققت بهم مدرسة الشام قفزة هامة، وأول من يأتي زمنياً منهم هو :

— ابن عساكر : أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي الدمشقي

---

(١) انظر ابن العديم — بغية الطلب (مخطوط أحمد الثالث) ج ٤ ورقة ٤ ظهر ، ١٩٢ وجه ، ١٩٨ وجه ، ٢٠٩ ظهر .

(٢) المصدر السابق (مخطوط أحمد الثالث) ج ٥ الورقة ١٣٢ وجه ، ١٣٤ وجه ، ٢٢٢ وجه .

(٤٩٩ - ١١٠٥/٥٧٢ - ١١٧٦) وأسرة الرجل لا تحمل اسم عساكر ولكنه لقب نبذ به وأثبته ابن الجوزي له فاستمر علماً عليه ، وكانت الأسرة معروفة بالعلم والحديث والفقه الشافعي في دمشق وقد أصهرت إلى أسرة من مثلها في ذلك هي أسرة القرشي فابن عساكر سليل الأسرتين وقد بدأ الاستماع للعلم وهو بعد في السادسة من العمر وظل يطلبه حياته كلها : في دمشق ثم في بغداد حيث عرف السمعاني ثم في مكة والمدينة ثم في مدن العراق والجزيرة ما بين الكوفة والموصل إلى ماردين ثم في ايران وخراسان ما بين اصبهان وهمذان وأبيورد وبيهق والري والدامغان إلى نيسابور وسرخس وطوس وهراة ومرو ... فإذا عاد إلى دمشق عودته الأخيرة سنة ٥٣٣ كان قد وعى ما لدى علماء العالم الإسلامي فجلس يحدث ... ويحدث حوالى أربعين سنة حتّى الوفاة ويقصده طالبو العلم من كل فج .

وخلال التدريس ، كتب ابن عساكر الكثير . ولكنه كان منذ أيام الدراسة يداري مشروعاً في خاطره لتاريخ دمشق يضاهي به عمل الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد وقد شرع به ثم توقف . ثم سمع أن الأتابك نور الدين بن زنكي مهتم بهذا المؤلف وبانجازه فأنجزه وكان من ذلك :

تاريخ مدينة دمشق : وقد جاء في النهاية في ثمانين مجلدة تبلغ حوالى ١٦ ألف صفحة ، صرف في تأليفها وجميع مادتها ما يزيد على ثلاثين سنة (منذ حوالى سنة ٥٢٩ حتّى حوالى سنة ٥٥٩). خصص ابن عساكر المجلدة الأولى لذكر فضائل دمشق وبعض الثانية لدراسة خططها ومساجدها وحماماتها وأقنيتها وأبينتها وكنائسها ثم أخذ في الترجمة لكل من نبغ من أبنائها أو دخلها من غيرهم أو اجتاز بنواحيها من الخلفاء والولاة والقضاة والعلماء والقراء والنحاة والشعراء والرواة ... وقد تتسع حلقة دمشق ، في خاطره ، لتشمل الشام احياناً فيترجم لمن كان في صيدا أو حلب أو بعلبك أو الرقة أو الرملة . ومنهجُهُ في

الترجمة ، وهو الحافظ المحدّث ، هو منهج المحدّثين في ذكر السند مهما طال أو تعدد ثم ذكر الخبر وقد اتبع في التراجم التنظيم الأبجدي الدقيق غير أنه بدأ بمن اسمه أحمد تيمناً باسم الرسول وأنهى الكتاب بمجلدة تحوي من عرف بكنيته فقط ، ومن ذكر بنسبته ومن لم يسمّ في روايته ثم ذكر النساء والاماء والشواعر . ولا شك أن هذا المنهج في التاريخ على دقته يضخم من حجم الكتاب جداً بالاسناد لا سيما وابن عساكر يكررها عند أي اختلاف يسير في الخبر أوكلماته . كما أن ابن عساكر لم يتبع نظاماً واحداً في ايراد الترجمة فلا الوفاة ولا الدراسة ولا المؤلفات لها مكانها الخاص في حياة أصحاب التراجم فالعمل الأعظم والأوضح في الكتاب هو الجمع الواسع المحيط وخاصة لايراد الأحاديث .

وقد اعتمد ابن عساكر في جمع مادته ثلاثة أنواع من المصادر : السماع من الشيوخ أولاً ثم المكاتبة معهم ثم الكتب المخطوطة ومؤلفات السابقين . وكانت هذه المصادر من الكثرة بحيث لا بد من استعراض المجلدات الثمانين كلها بالتفصيل لنستطيع احصاء المصادر عدداً ويكفي أن نعرف مثلاً أن المجلدة الأولى أخذت عن ١٥٦ شيخاً بالسماع والأنباء وعن ١٦ شيخاً بالمكاتبة وعن تعليقات بخطوط تسعة من الشيوخ معها ١٤ كتاباً مخطوطاً من بينها كتب البلاذري والواقدي والبخاري والجشهياري والقشيري وابن خراداذبة. ولعل أهم ما صنعه ابن عساكر أنه حفظ لنا بكتابه هذا تلك المصادر والمؤلفات المتفرقة التي كتبها الدماشقة وغيرهم حول تاريخ دمشق في القرون السابقة ثم أتى عليها الضياع . وإذا كانوا يشبهون الطبري بمعدة بلورية عظيمة تكشف ماهية كل غذاء يدخلها فكتاب ابن عساكر من النوع نفسه ، وعلى كل خبر فيه اسم أو أسماء أصحابه .

وتاريخ ابن عساكر ما يزال إلى اليوم مخطوطاً موزع الاجزاء بين مكتبات مختلفة في دمشق والقاهرة واستامبول والهند وغيرها . لم يطبع منه سوى الجزء

الأول وبعض الثاني والجزء العاشر من أصل ١٨ مجلداً مخطوطاً تجمع كافة مجلداته القديمة الثمانين . على أن تاريخ دمشق ليس بكتاب ابن عساكر الوحيد في التاريخ . فبين مؤلفاته التي تبلغ الأربعين ثلاثة عشر مؤلفاً تاريخياً آخر :

- بعضها في فضائل المدن وهي خمسة :القدس . مكة . المدينة . الخليل . عسقلان .

- وبعضها في المعاجم وهي أربعة : معجم الشيوخ ومعجم الشيوخ النبل ، معجم من أجازهم ، معجم النساء ، والمعجان الأولان مخطوطان موجودان .

- وبعضها في مواضيع أخرى : شيوخ ابن البناء ، شيخ الحلواني . كتاب البلاد والقرى التي حدث فيها ابن عساكر .

بهذا الجهد كله كان ابن عساكر وسيظل إحدى قمم التاريخ الشامي والإسلامي على السواء .

- **أسامة بن منقذ** : أبو المظفر مؤيد الدولة أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد ابن نصر بن منقذ الكناني الشيزري (ولد سنة ٤٨٨/ ١٠٩٥ توفي سنة ٥٨٤/ ١١٨٨) وهو من مشاهير فرسان السيف والقلم معاً في العصر الصليبي . كان نموذج الرجل البارز في ذلك العصر . جمع إلى الفروسية والمغامرة والحرب العمل بالسياسة والسفارة والمنادمة والتمتع العريض بالحياة وجمع إلى إلى هذا وذاك الاطلاع الأدبي الواسع وقول الشعر والتأليف الكثير . نشأ في قلعة شيزر التي كان يحكمها جده ثم عمه على ضفاف نهر العاصي ثم عمل في بلاط ملوك دمشق من أولاد طغتكين وصادق فيها الأتابك أنر . ثم صرف بعض عمره بين قصر الخليفة الفاطمي في مصر وبلاط نور الدين بن زنكي في دمشق وقضى بعض كهولته في الدار الأتابكية في الموصل ثم اعتزل في حصن كيفا قبل أن يعيده عطف صلاح الدين إلى دمشق في شيخوخته ... وبها توفي . زار القدس سفيراً لدمشق لدى ملكها الفرنجي وحج الحرمين وفقد مكتبته في البحر بين مصر والشام

وهي أربعة آلاف مجلد وحضر العديد من المعارك كما اشترك في المؤامرات السياسية في القاهرة وفي دمشق وكانت له غدوات الصيد للظباء والسباع وندوات الأدب والشعر وله المؤلفات التي تزيد على ثلاثة وعشرين كتاباً ، دوّن فيها الكثير من جوانب حياته الحافلة ومن حياة عصره القلق .

وبالرغم من أن أسامة لم يقصد في مؤلفاته قصداً إلى التاريخ بالمعنى الاصطلاحي الذي يجعلنا ندرجه بين كبار المؤرخين إلا أن مجموعة ما كتب تدفع التحرّج في اعطائه هذه المكانة. فقد جرت ثقافته الموسوعية وخبراته الطويلة واتصاله المباشر بالأحداث وبصانعي الأحداث في أيامه إلى أن يملأ كتبه بأطرف وأصدق صورة لحياة عصره وهي صورة فريدة لا نجد لها مثيلاً عند غيره لأن أحداً لم يكتبها أو يأبه بتسجيل شيء منها. ويبدو أنه كتب معظم مؤلفاته وهو في الهزيع الأخير من العمر ، يملأ فراغ أيامه بعد أن أصبحت الحياة والأحداث بالنسبة اليه ذكريات بعيدة وأنساً بالحديث المرسل.

ولم يسلم من كتب أسامة سوى أربعة كتب أدبية الطابع وإن كانت تمتلىء بقصص التاريخ وكلها مطبوعة وهي كتاب المنازل والأديرة . وكتاب لباب الآداب . وكتاب العصا ، ورابعها يستحق وقفة خاصة به وهو :

- كتاب الاعتبار . نشره فيليب حتّي عن نسخة فريدة (في برنستون — الولايات المتحدة سنة ١٩٣٠) ونحن فيه أمام مذكرات قل مثيلها في الأدب التاريخي سواء في أمانة التصوير أو دقة الملاحظة ، أوبما تعكس من صور الحياة في العصر من لهو وحرب وفروسية اسلامية وفرنجية وملامح من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعلمية . ومع أنها تسير حسب التداعي العفوي إلا أنها تجتمع في ثلاثة أبواب فباب للحروب والأسفار وباب للنكت والنوادر وثالث من بعد ذلك في أخبار الصيد . وتشكل كلها إحدى السير الذاتية النادرة في الأدب التاريخي الإسلامي .

أما باقي كتب أسامة التاريخية فقد ضاعت جميعاً وإن كانت تشكل في مجموعها — لو سلمت — تراثاً تاريخياً حسناً ومنها :

- كتاب من أدركته في عمري من ملوك البلاد وهو فيما يبدو لون آخر من المذكرات يتعلق بزعماء الشام ومصر من المسلمين والفرنجة خلال القرن السادس الهجري .
- « تعاليق » وهي مذكرات أخرى وأخبار متفرقة نقل منها صاحب كتاب الذخائر والتحف نصاً يمتد حوالى خمس صفحات[1] .
- كتاب تاريخ آل منقذ سجل فيه دون شك تاريخ أسرته .
- أزهار الأنهار وهو بدوره مجموعة أخبار رابعة قد تشبه الاعتبار والتعاليق نقل منها ابن العديم بعض النصوص التاريخية [2] .
- كتاب شعراء الشام كتبه في التراجم ومختارات الشعر بطلب من القاضي الرشيد بن الزبير الاسواني ليكون جزءاً من كتابه جنان الجنان ورياض الأذهان [3] .
- ذيل يتيمة الدهر وقد يكون هو نفسه الكتاب السابق أو نواة له .
- هذا إلى أربعة كتب أخرى هي : تاريخ القلاع والحصون (وربما بعثه على كتابته قصة قلعة شيزر وخرابها بالزلازل سنة ٥٥٢ وموت أهله جميعاً فيها) . وكتاب البلدان (وربما وصف فيه رحلاته) وكتاب سير النساء وكتاب التاريخ البدري .

وقد أثر أسامة في أسرته فمشى على نهجه في الأدب التاريخي إخوته الثلاثة محمد وعلي ومنقذ (وسوف نذكرهم) وابن أخيه عبد الرحمن بن محمد وابنه مرهف بن أسامة وحفيده مرهف بن مرهف .

---

(١) القاضي ابن الزبير — الذخائر والتحف (ط . الكويت ١٩٥٩) ص ٢٦٥ — ٢٧٠ .
(٢) انظر ابن العديم – بغية الطلب (مخطوط أحمد الثالث) المجلد ٢ الورقة ٢٠٦ ظهر والمجلد ٨ الورقة ٢٠٦ ظهر .
(٣) انظر ابن العديم المصدر نفسه (مخطوط فيض الله) الورقة ٢٤٨ ظهر ومخطوط أحمد الثالث ج ٧ الورقة ١٩٠ وجه وظهر وغيرها ...

– **العماد الأصبهاني** (أبو عبد الله محمد بن صفي الدين محمد المتوفى سنة ٥٩٧/١٢٠١) وهو في التاريخ الأدبي أحد أركان الكتابة العربية البارزين والمسؤولين في الوقت نفسه عن قيود السجع والمحسنات البديعية التي قيدت النثر العربي بالتصنع عدة قرون . وإنما يهمنا هنا العماد المؤرخ لا الأديب فإن الوجه الآخر لأدبه هو ما تضمن ذلك الأدب الذي يملأ أكثر من ثلاثين مجلداً من أخبار التاريخ .

ولد العماد في اصبهان سنة ٥١٩ ونشأ هناك على العلم في بيت للرئاسة والسؤدد والكتابة ثم انتقل إلى بغداد سنة ٥٣٤ مع أبيه بعد أن انقلب الدهر لهذا الأب ودرس في النظامية هناك ولكنه ظل على الاختلاط بأرستقراطية هذه المدينة من كبار الكتاب والعلماء ورجال الخلافة وقد عاد إلى أصبهان سنة ٥٤٣ ولكن ليغادرها بعد خمس سنوات نهائياً إلى بغداد ثم ما لبث التألق الذي رافق دولة نور الدين ابن زنكي أن اجتذبه إلى الشام فدخل في خدمة نور الدين سنة ٥٦٣ ثم في خدمة صلاح الدين الأيوبي كاتباً ومدرساً ورفيق حل وترحال للسلطانين زهرة عمره . وزار خلال ذلك مصر ولكنه استقر في دمشق وفيها كتب معظم انتاجه بعد أن انسحب من الحياة العامة عقب وفاة صلاح الدين ومنه :

– نصرة الفطرة وعصرة القطرة وهو في تاريخ الدولة السلجوقية ووزرائها . أخذ بعضه من كتاب كتبه بالفارسية الوزير أنو شروان بن خالد فهذبه العماد وأضاف اليه ما عرفه لعهده في زيادات هامة في مطلع الدولة السلجوقية وأواخرها . ولم يطبع هذا الكتاب بعد ومنه نسخة مخطوطة في المكتبة الوطنية بباريس وأخرى في البودليان بأكسفورد . غير أن شأن الكتاب لم يخف على القدماء الذين عنوا باختصار محسناته البديعية واستخلاص الخبر التاريخي منه . وهكذا كان لهذا الكتاب منذ وقت مبكر مختصران :

الأول : زبدة التواريخ : قام به أبو الحسن بن علي بن ناصر بن علي كاتب الخليفة الناصر لدين الله (٥٧٥ – ٦٢٢) ويبدو أنه زاد عليه حتى

وفاة السلطان السلجوقي الأخير طغرل سنة ٥٩٠هـ كما أضاف اليه تاريخ الأتابك إلى سنة ٦٢٠ . ومنه نسخة مخطوطة في المتحف البريطاني (ملحق الفهرس رقم ٥٥٠) .

الثاني : زبدة النصرة ونخبة العصرة : قام به الفتح بن علي البنداري الاصبهاني للملك المعظم عيسى بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب . وقد طبع هذا المختصر منذ سنة ١٨٨٩ في ليدن (بتحقيق هوتسما) مع مقدمة فرنسية وفهارس وطبع بعد ذلك سنة ١٩٠٠ في مصر بعنوان (تاريخ دولة آل سلجوق) .

- الفتح القسي في الفتح القدسي : أرخ به العماد فتوحات صلاح الدين ابتداء من حطين وبيت المقدس سنة ١١٨٧ حتى سنة ١١٩٣ والكتاب مطبوع مرات كان أولها في ليدن سنة ١٨٨٨ ثم طبع بعدها في مصر ثلاث مرات .

- البرق الشامي : وهو بدوره تاريخ أشبه بالمذكرات الشخصية لأنه بدأه بذكر نفسه وحياته وانتقاله من العراق إلى الشام وأخباره مع نور الدين وصلاح الدين وتاريخ دولتهما مع ذكر بعض الفتوح بالشام وذلك في مجلدات عدة حددها ابن خلكان والصفدي بسبعة مجلدات . ولم يبق منها جميعاً سوى الجزئين الخامس والثالث مخطوطين في البودليان ـ اكسفورد (رقم Bruce 11 Bod. 425) ومن الخامس نسخة في ليدن (رقم ٨٢٤ و ٩٦٦) ، وقد لخص البنداري الكتاب كله في مجلدين طبع الأول منهما وعنوانه (سنا البرق الشامي) في بيروت سنة ١٩٧١ بتحقيق رمضان ششن في انتظار طبع الجزء الثاني .

- عتبى الزمان في عقبى الحدثان : وهو في تاريخ الدولة الأيوبية بعد وفاة صلاح الدين حتى نهاية سنة ٥٩٢ ذيّل به على البرق الشامي . وقد ضاع ، ولدى أبي شامة في الروضتين مقتطفات منه .

- خطفة البارق وعطفة الشارق : وهو يتمم العتبى بذكر تاريخ الأيوبيين منذ

مطلع سنة ٥٩٣ إلى مطلع رمضان سنة ٥٩٧ لدى وفاة العماد . وهو مفقود ، وقد اختصره البنداري في آخر المجلد الثاني من سنا البرق الشامي .

- نحلة الرحلة وحلية العطلة : عاد فيه العماد مرة أخرى على اختلال الأمور بعد موت صلاح الدين وما وقع من اختلاف الأمراء الأيوبيين من بعده ما بين سنتي ٥٨٩ وسنة ٥٩٣ .

- خريدة القصر وجريدة العصر : أرخ فيه لشعراء وأدباء زمانه في كافة الأقطار الإسلامية وقد جاء في عشر مجلدات كبار . أراده ذيلاً على دمية القصر للباخرزي وجعله في أربعة أقسام : قسم لبغداد والعراق (طبع في العراق) وقسم لعراق العجم وخراسان وما وراء النهر وقسم لشعراء الشام والجزيرة واليمن (طبع في دمشق) وقسم رابع لمصر وبلاد المغرب (طبع في مصر وتونس) .

وللخريدة مختصران ذكر ابن خلكان أحدهما وهو لعبد العظيم المتوفى سنة ٦٥٦ وقد فقد . وأما الثاني وهو بعنوان عود الشباب لعلي بن محمد الرضائي الرومي (سنة ١٠٣٩) فهو موجود في نسخ مخطوطة عديدة .

- ذيل الخريدة وسيل الجريدة أراد أن يتم به عمله في الخريدة بذيل بلغ ثلاث مجلدات . وقد فقد وكان من مصادر ابن خلكان وغيره .

وإذا لم نذكر إلى هذا مشروعه الذي لم يتم في كتابة حياة القاضي الفاضل ، وفي ترجمة كيمياء السعادة للغزالي وفي ديوان شعره (٤ مجلدات) وديوان رسائله (٣ مجلدات كبار) وتعيلقاته .. فإن الرجل يبقى واحداً من أكبر رجال الأدب التاريخي .

- ابن شاهنشاه : الملك المنصور أبو المعالي محمد بن الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه ابن أيوب (ولد سنة ٥٦٧ وتوفي سنة ٦١٧) أمير

حماه الأيوبي . عاصر في فتوته عمه صلاح الدين ثم عرف العيش المترف في إمارة أبيــه في حماه كمـا عرف القلق السياسي وأعنف النزاع مـع أقربائه الأيوبيين. حتّى اقتصر عمله أخيراً على حماه وسلمية والمعرة ومنبج . وتجمع المصادر بجانب ذكرها لشجاعته على الاشادة بحبه للعلماء. يقولون إنه كان في خدمته مائتا معمم من النحاة والفقهاء وكان ولوعاً بالأدب والشعر ولعه بالتاريخ وهكذا ترك من إملائه :

- كتاب إخبار الملوك ونزهة المالك والمملوك في طبقات الشعراء حتّى عصره في شبه معجم . وثمة من هذا الكتاب نسخة مخطوطة خزائنية كتبت في عهد المؤلف سنة ٦٠٢ في حماه صفحاتها ٥٨٠ صفحة تملكها مكتبة ليدن (Or639) ويبدو أن هذه المخطوطة ليست إلا الجزء الأول من هذا التاريخ الأدبي الذي يذكر الكثير ممن طواهم النسيان من الشعراء .
- كتاب مضمار الحقائق وسر الخلائق وهو كتابه التاريخي الكبير . وكان يقع في عشر مجلدات كما روى أبو شامة[1] وابن كثير. على أننا لا نملك من هذه المجلدات سوى جزء ضئيل يشمل مـا بين سنتي ٥٧٥ و ٥٨٢ فقط. وكان هذ الجزء مخطوطة مخرومة في الأحمدية بتونس باسم مؤلف آخر وكتاب آخر ثم نشره حسن حبشي (القــاهرة ١٩٦٨) في ٢٣٥ صفحة .

وإذا كان الطابع الأدبي للمؤلف واضح الأثر في هذا الجزء الباقي بما يحوي من قصائد شعرية ومن اقتباسات من وثائق العصر : رسائل القاضي الفاضل وغيره فإن الاهتمام التاريخي بدوره واضح فيه أيضاً بما سجل من دقائق الأخبار عن الحملات التي حضر وعن الخليفة ودار الخلافة في عهده . وكثيراً ما يروي في هذا القسم بعضاً من ذكرياته الشخصية . ومع أن ابن شاهنشاه اتبع النظام الحولي في تاريخه هذا إلا أنه في الوقت نفسه نظم حولياته أو على

(١) انظر أبا شامه – ذيل الروضتين ص ١٢٤ .

الأقل الحوليات التي وصلتنا منه في ثلاثة أقسام : فقسم لدار الخلافة ببغداد وقسم لصلاح الدين وفتوحاته ومتجدداته وأعماله بمصر والشام وقسم ثالث جديد كل الجدة في معلوماته التي تذكر حملة القائد قراقوش التقوي على بلاد المغرب في شكل يكاد يشبه اليوميات .

- المقدسي أبو محمد تقي الدين عبد الغني بن عبد الواحد بن أحمد الجماعيلي الدمشقي (ولد سنة ٥٤١ وتوفي سنة ٦٠٠ / ١٢٠٤) وهو واحد من تلك الجماعة المقدسية الحنبلية من العلماء الذين أسسوا في ظاهر دمشق (إلى شمالها) مركزاً من أهم مراكز العلم فيها استمر حياً متواصل النشاط عدة قرون وكان أبو محمد من رجال الطليعة فيه . هاجر من بلده جماعيل (قرب القدس) في حوالى العاشرة من العمر فسمع بدمشق ثم ببغداد ثم بالاسكندرية ثم رحل إلى أصبهان فسمع معظم الشيوخ الكبار فيها قبل أن يعود إلى دمشق لينصرف إلى التدريس والتأليف مع الورع والعبادة وحسن الحفظ والقرب من الناس وقد زار مصر في أخريات عمره فكان الناس يتدافعون حوله للتبرك به .

ولا شأن لنا بتراث الرجل الفقهي ولكن له في باب التاريخ كتاباً في التراجم على طريقة المحدّثين هو :

- كتاب الكمال في معرفة الرجال . في خمس مجلدات ما تزال مخطوطة ولكنها موزعة بين المكتبات.فالأول منها والرابع منها في الظاهرية بدمشق (رقم ٣٦٦ و ٣٦٧ حديث) كتبه أحد أقرباء المؤلف والثالث والخامس في استامبول (أحمد الثالث رقم ٣/٢٨٤٨ و /٥) وثمة نسخة كاملة مخطوطة في ثلاث مجلدات في دار الكتب بالقاهرة (رقم ٥٥ مصطلح الحديث) .

- **ياقوت الحموي** (ولد حوالى سنة ١١٧٨/٥٧٤ وتوفي سنة ١٢٢٨/٦٢٦) وهو من مشاهير المؤلفين في الإسلام . وأصله من بلاد الروم ولكنه بيع

أسيراً وهو طفل لتاجر حموي أمي اسمه عسكر بن أبي نصر ابراهيم فأخذ لقبه وتربى في بغداد على يده ليكون كاتباً له يساعده في تجارته ولكن ياقوتاً تابع الدراسة بحسن استعداده واتقن الخط والعلوم كما ناب عن سيده في أعماله ورحلاته إلى عمان وجزيرة كيش ، عبر الخليج العربي ، وإلى فارس وإلى الشام ومصر وقد أعتقه سيده سنة ٥٩٦ فأخذ يكسب الرزق بنسخ الكتب وبيعها وهذا ما فتح له باب الاطلاع الأوسع . ويبدو أنه تأثر ببعض الأفكار الخارجية من قراءاته مما كاد يودي بحياته في دمشق فهرب من الشام كله إلى فارس وأقام في مرو وفي خوارزم يتاجر ويكتب ويؤلف .. وكان ممكناً أن ينهي حياته هناك فلا يرى الشام بعد ذلك أبداً لولا أن الغزو المغولي المدمر اكتسح خراسان بالنكبات وفر الناس منه مذعورين تحت كل كوكب ، فإذا بياقوت يجد نفسه على طريق الشام كرة أخرى سنة ٦١٦ منتقلاً على الاملاق من الموصل إلى سنجار ثم إلى حلب ... ويورد ابن خلكان والقفطي نص رسالة يصف فيها ياقوت هربه المذعور فيها . على أن مقامه لم يطل بحلب فقد توفي في خان بظاهرها بعد سنوات تاركاً للتراث التاريخي الأدبي ثروة كبيرة من المؤلفات أهمها المعجمان :

معجم الأدباء واسمه الأصلي ارشاد الألباء إلى معرفة الأدباء وله طبعتان معروفتان ناقصتان .

- معجم البلدان وهو موسوعة جغرافية تاريخية على حروف المعجم في قرابة ٤ آلاف صفحة ، طبع مرات وقد لخصه صفي الدين بن عبد الحكم بكتاب مراصد الاطلاع وهو مطبوع ومنه نسخة خطية نفيسة في خزانة ولي أفندي في استامبول كتبت قبل وفاة الملخص بأربعين سنة [١] .

---

(١) يرى المستشرق رنيو أنه كان لمعجم البلدان ثلاثة موجزات أحدها لمجهول والثاني لابن عبد الحكم والثالث للسيوطي .

— وقد ضاع كتاباه التاريخيان : كتاب الدول . وكتاب المبدأ والمآل .

— وان بقي كتاب جغرافي آخر بعنوان المشترك وضعاً والمفترق صقعاً . وهو مطبوع .

وقيمة ياقوت ترجع إلى جمعه المادة الجغرافية التاريخية حتى عصره وإلى تنوع هذه المادة وما أتى به من المعلومات الجغرافية والاثنوغرافية والسياسية لعصره .

— ابن أبي طي : منتجب الدين أبو زكريا يحيى بن حامد أو حميدة النجار بن ظافر بن علي بن عبدالله الغساني الحلبي (ولد سنة ١١٧٩/٥٧٥ وتوفي سنة ١٢٣٣/٦٣٠) وهو في الطبقة الأولى من المؤرخين في الإسلام ولعله فيهم الوحيد الذي خانه الحظ فلم يبق من انتاجه التاريخي الكثير أيّ كتاب . كل ما بقي لنا منه هو تلك المقتبسات المبعثرة في المؤلفين الذين جاؤوا من بعده . كان أبوه المولود في العقد الأول من القرن السادس رئيس حرفة النجارين في حلب وأحد زعماء الشيعة فيها وقد نفي منها مرتين : احداهما سنة ٥٤٣ وألف في حران سنة ٥٥٢ كتاباً في التاريخ وكان أولاده يموتون صغاراً ثم جاءه على الكبر واليأس ابنه يحيى سنة ٥٧٥ فعاش ودرس على أبيه وغيره عن علماء حلب البلاغة والتصوف واللغة والأدب . ولعل لتشيعه أثره لا في ضياع كتبه فحسب ولكن في عدم تسلمه أي منصب حكومي أو رسمي من تدريس أو إمامة أو قضاء في حياته . ويبدو أنه كان يكسب عيشه الحسن من العمل بالنسخ للدرجة التي جعلت ياقوتاً الحموي يقول ان عدداً من مؤلفاته التي تعزى له ليست سوى مستنسخات تصرّف بها على هواه . وليست تعرف بالضبط سنة وفاته التي كانت بين سنة ٦٢٥ و٦٣٠/ ١٢٣٣ .

وقائمة مؤلفاته طويلة . وتلك التي قدمها لياقوت فأثبتها في معجم الأدباء[1]

(١) لا نجد ترجمة ابن أبي طي في النص المطبوع من معجم الأدباء لياقوت ولعله ضاع منه ولكن ـ

تضم حوالى بضعة وثلاثين كتاباً من بينها مؤلفات عديدة في الفقه والقراءات والأدب والنحو والبلاغة والنبات والتراجم وإن كان معظمها إنما كان في التاريخ ولعله ذكر فيها بعض مشاريعه أو مسرداته فإن عناوين بعضها لا تتفق مع عناوين الكتب التي اقتبس منها المؤلفون اللاحقون. ولو تركنا جانباً كتبه اللغوية والأدبية والدينية لوجدنا له من كتب التاريخ وما يتصل به بضعة عشر:

- كتاب معادن الذهب في تاريخ الملوك والخلفاء وذوي الرتب، وكان في عدة مجلدات.
- كتاب حوادث الزمان على حروف المعجم، وأهم ما فيه أنه ألف على أساس أبجدي فهو موسوعة لمعارف التاريخ وكان في خمس مجلدات.
- ذيل معادن الذهب، وهو تتمة لتاريخه العام الأساسي.
- كنز الموحدين في سيرة صلاح الدين، ومنه مقتطفات عديدة لدى أبي شامة.
- تاريخ مصر ولعله اهتم فيه خاصة بالتاريخ الفاطمي.
- سلك النظام في تاريخ الشام.
- سيرة ملوك حلب.
- مختار تاريخ المغرب.
- عقود الجواهر في سيرة الملك الظاهر (غازي بن صلاح الدين الأيوبي صاحب حلب بين سنتي ١١٨٥ – ١٢١٦م) وهو في تاريخ حلب نقل عنه ابن شدّاد في الأعلاق الخطيرة (قسم حلب) صفحات هامة منها قطعة في تفصيل ارتفاع (ضرائب) حلب في مطلع القرن السابع الهجري سنة ٦٠٩ أخذها عن مستوفي حلب [1].

– نجدها من خلال الصفدي الذي يقتبس بعضها في الوافي بالوفيات.
(انظر مخطوط السليمانية رقم ٨٤٢ الورقة ٣٠ ظهر).

(١) انظر ابن شداد – الأعلاق الخطيرة / قسم حلب ص ١٥٠ – ١٥٣.

- تراجم رجال الأدب والشعراء (وهو مخطوط موجود في القاهرة ـ تيمورية رقم ١٤١٨ تاريخ) .
- أسماء رواة الشيعة ومصنفيها .
- طبقات (أو تاريخ) الإمامية .
- البستان في محاسن الغلمان .
- اشتقاق أسماء البلدان .
- تهذيب الاستيعاب في معرفة الأصحاب (لابن عبد البر) .
- مجموعة كتب حول الجاهلية والرسول وأجداده في ثلاث مجلدات يعطيها صاحب كشف الظنون عنوان السيرة [١] .

وإذا جاز أن يحكم على مؤلف من خلال المقتبسات عنه ، وفي الحدود التي تسمح بها هذه المقتبسات التي نعرف نجد أن معادن الذهب تاريخ عام ولكنه يهتم بتاريخ حلب خاصة ، وإذا كان في تاريخ غيرها مجرد نقل واتباع للمؤرخين الآخرين فهو في تاريخ حلب مصدر هام لا لضياع المصادر التي يأخذ عنها فقط (وان كان معظمها أدبياً) ولكن لاعتماده على المصادر الشفهية الكثيرة ، وكثيراً ما يروي عن والده . واعتماده على الوثائق ومنها رسائل القاضي الفاضل. ويتميز أسلوبه بالسرد البسيط الذي يبتعد عن الأسلوب الأدبي لعصره ويقترب من أسلوب ابن الأثير ، فهو موجز ، بعيد عن الزخرف والصنعة وإن كان لا يغفل أحياناً التفاصيل الدقيقة . وبين مصادر ابن أبي طي من المؤرخين : ابن زريق، ابن أبي جرادة (جد ابن العديم) حمدان الأثاربي، العظيمي، ابن القلانسي ، العماد الأصبهاني (في البرق الشامي وتاريخ السلاجقة)، ابن دحية ، ابن شداد الصنهاجي (تاريخ القيروان) ومؤلف مجهول في تاريخ مصر . وبين مصادره

---

(١) كشف الظنون ج ٢ ص ١٠١٣ .

الشفهية – عدا والده – ادريس بن حسن بن علي الادريسي الاسكندري (المتوفى سنة ٦١٠) . وبالمقابل فقد أخذ عنه كثير من المؤرخين وغالباً ما أغفلوا اسمه ومن هؤلاء أبو شامة ، ابن شداد (صاحب الأعلاق الخطيرة) ، ابن عبد الظاهر ، ابن ميسر ، ابن العديم ، الذهبي المقريزي ، ابن قاضي شهبة ... وقد ظلت بعض كتب ابن أبي طي معروفة بين الأيدي حتى القرن التاسع (الخامس عشر) حين استخدمها ابن الفرات ونقل عنها . ومن المؤسف أنه لم يبق من هذا المؤرخ الكبير شيء فيما هو معروف من دنيا المخطوطات حتى الآن سوى كتاب في التراجم الأدبية الشعرية تحتاج نسبته اليه إلى بعض التحقيق .

– **ابن نظيف** : أبو الفضائل محمد بن علي بن عبد العزيز الغساني الحموي (المتوفى بعد سنة ١٢٣٤/٦٣١) وهو من طبقة الكتاب كان كاتباً للملك الحافظ الأيوبي صاحب قلعة جعبر وقد غضب عليه وسجنه سنة ٦٢٦/ ١٢٢٩ فلما خرج من السجن عمل في خدمة الملك المنصور صاحب حمص. ويبدو أن ابن نظيف عمل في وضع تاريخ عام كبير سماه الكشف والبيان في حوادث الزمان لم يقيض له الانتشار لأنا لا نعرف له مخطوطة ولا فقرة مقتبسة منه. ولكننا نعرف كتابه التاريخي المختصر الذي أهداه لملكه صاحب حمص وسماه باسمه : التاريخ المنصوري . وقد طبع هذا الموجز التاريخي مصوراً عن الأصل في موسكو سنة ١٩٦٠ ولا تكشف أقسامه الأولى أي أصالة لأنها تكاد تكون نقلاً مع بعض التعديل القليل عن تاريخ العظيمي غير أن أقسامه الأخيرة المتعلقة بالتاريخ الأيوبي بعد صلاح الدين هي التي تأتي بالجديد لاعتمادها على محفوظات الدولة من وثائقها وعلى العديد من المعلومات الشخصية الأصيلة . وقد استخدم هذا الكتاب ابن الفرات في تاريخه .

ولابن نظيف كتاب تاريخي ثالث ما يزال مخطوطاً (المكتبة الوطنية بباريس

رقم Ar 1507 عنوانه مختصر سير الأوائل والملوك ووسيلة العبد المملوك .

— ابن أبي الدم شهاب الدين أبو اسحق ابراهيم بن عبد الله بن عبد المنعم الحموي (ولد سنة ٥٨٣/١١٨٧ وتوفي سنة ٦٤٢/١٢٤٤) وهذا مؤرخ حموي آخر معاصر لابن نظيف « كان متفننا في المذهب (الشافعي) والأدب التاريخي [١] .

ولد في حماه ودرس في حلب وبغداد والقاهرة قبل أن يصبح قاضياً في بلده . وقد مات في بغداد في سفارة سفر بها لدى الخليفة باسم الملك المظفر الأيوبي . وهو أحد تلك المجموعة الثقافية الواسعة التي أطلعتها حماه في ظل الأيوبيين . وقد كتب عدداً من المؤلفات منها تفسير للقرآن ومنها (كتاب أدب القاضي) ويهمنا من مؤلفاته ما كتب في التاريخ وله فيه مثل صاحبه ابن نظيف ثلاثة كتب :

— التاريخ المقفى [٢] وهو في مجلدات عديدة على التراجم ، جعله على النظام الأبجدي ولسنا ندري بالضبط من الذي سبق إلى هذه الفكرة ابن أبي الدم أم معاصره الآخر ابن أبي طي . ويصف لنا السخاوي كتاب المقفى بقوله انه « ... على الحروف ابتدأه بسيرة نبوية ثم بالخلفاء ثم بالفقهاء ثم بالمتكلمين ثم بالمحدثين ثم بالزهاد ثم بالنحاة واللغويين والمفسرين والوزراء والمقدمين ثم الشعراء كل هؤلاء من المحمدين ثم سرد الكاتب على الحروف مبتدئاً

---

(١) ابن واصل – مفرج الكروب ج ٤ ص ١٧٤ .

(٢) ثمة إشكال يتعلق باسم هذا الكتاب والكتاب الآخر المختصر لابن أبي الدم . فان كلود كاهن (سورية الشمالية ص ٥٧) وروزنتال (الاعلان ص ٦٧٤ تعليق رقم ٦١) يجعلان اسم الكتاب الكبير التاريخ المظفري وهو ما يقوله الذهبي بينما يسمي كاهن الكتاب الصغير الشماريخ في التواريخ . ولكن لدينا ثلاث نسخ مخطوطة من تاريخ ابن أبي الدم الصغير وتحمل اسم التاريخ المظفري عليها وهذا يقطع بأن الصغير هو الذي يحمل فعلا هذا الاسم ويبقى التاريخ الكبير أن يحمل اسم التاريخ المقفى كما ورد لدى السخاوي . وقد يحمل الصغير أيضاً اسم الشماريخ في التواريخ إلا أن يكون هذا العنوان الأخير اسماً لكتاب ثالث في التاريخ من تأليف ابن أبي الدم ...

بالصحابة ثم بالخلفاء على الترتيب المذكور وختم بالنساء من كل حرف وسماه التاريخ المقفى . وقفت منه على مجلد وكان عند الجمال بن سابق منه ثلاث مجلدات ... »[1] .

- التاريخ المظفري ، ويبدو أن هذا الاسم يطلق على كتابين لابن أبي الدم : أحدهما كبير ذكر أبو الفداء أنه «كتاب في ستة مجلدات[2] » وهو باسم المظفر أمير ميافارقين حسب قول جرجي زيدان وقد ترجم الأيطاليون القسم المختص منه بصقلية وطبع في بالرم سنة ١٦٥٠ . وهذا ما يقطع بأنه غير الكتاب الأول المبني على الحروف والتراجم . وذكر الذهبي تاريخ ابن أبي الدم الكبير على أن اسمه المظفري وتبعه على ذلك بعض المستشرقين مثل روزنتال وكلودكاهن الذي يذكر أن هذا التاريخ الكبير مفقود وقد أهداه للمظفر بعد قليل من سنة ٦٢٥ . أما الكتاب الثاني فصغير وهو مختصر الأول ويصل سنة ٦٢٨ وقد أهداه لصاحب حماه الملك المظفر الأيوبي وجعله باسمه « وضمنه تاريخ الإسلام مبتدئاً بسيرة النبي والخلفاء ... على سياق السنين الهجرية مترجماً للعلماء والفضلاء والأعيان ، وقد ختم ذلك كله بذكر ولاية السلطان الملك المظفر تقي الدين أبي الفتح محمود صاحب حماه ، وذكر دولته وتاريخ مملكته ... » كما ورد في خطبة الكتاب وحتى سنة ٦٢٧ من هـذا الكتاب الثاني الصغير نسخٌ مخطوطة ثلاث ، اثنتان منهـا في مكتبة خدابخش بتنية (رقم ٢٨٦٨ و ٢٨٦٩) ونسخة في بلدية الاسكندرية (رقم ١٢٩٢ب) .

- الشماريخ في التواريخ ، والنسخة المخطوطة التي وصفها كاهن من هذا الكتاب تدل على أنه تاريخ اسلامي عام مختصر عن التاريخ المطول ، وقد ذكر أنها لا تحوي جديداً في غير السنوات الأخيرة من الكتاب أما الباقي

---

(١) السخاوي – الاعلان ص ٦٧٤ .
(٢) أبو الفداء – المختصر في تاريخ البشر ج ١ ص ٣ .

فيعتمد ابن القلانسي والعماد الأصبهاني صاحب البستان الجامع أو بعض مصادره . ومن المحتمل أن يكون كتاب الشماريخ هو التاريخ المظفري المختصر نفسه . ونلاحظ أن زيدان ذكر لابن أبي الدم تاريخاً باسم تاريخ ابن أبي الدم يشتمل على تاريخ الإسلام إلى سنة ٦٢٨ ومنه نسخة مخطوطة في اكسفورد (مكتبة البودليان) .

- وله كتاب الفرق الإسلامية [١] وهو ضائع وقد استعمله الصفدي كثيراً في كتابه الوافي بالوفيات .

- المقدسي أبو عبد الله ضياء الدين محمد بن عبد الواحد بن أحمد الجماعيلي (شقيق السابق) ولد سنة ٥٦٩ وتوفي سنة ١٢٤٦/٦٤٣) [٢] ويلقبونه بالحافظ الكبير لأنه كان محدث عصره . درس في دمشق ومصر وبغداد وأصبهان وهمذان ونيسابور وهراة ومرو ثم عاد إلى نيسابور وسمع بها ما لا يوصف كثرة وكتب بخطه الكثير من الكتب الكبار . يقال إنه كتب عن أزيد من خمس مائة شيخ . وأقام مدة بهراة ومرو ثم عاد إلى دمشق ليعمل في ظاهرها على التدريس . وقد اشتهر بثقة الحفظ وحسن الورع والعلم بالرجال .

وتراثه التاريخي ينقسم قسمين أحدهما مختصرات لكتب تاريخية حديثية (في علم الرجال) ومنها :

- مختصر تاريخ هراة للغامي أبي نصر عبد الرحمن (ت سنة ٥٤٦) صنعه يوم كان في هراة .

---

(١) السخاوي - الاعلان ص ٥٧٨ وانظر بروكلمان - الملحق ١ ص ٥٨٠ . وابن الحنبلي - شذرات ج ٥ ص ٢١٣ .

(٢) توفي في هذه السنة نفسها سنة ٦٤٣ عدد من رجال أسرة هذا الرجل نفسه ومنهم : سيف الدين أبو العباس أحمد بن عيسى ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن محمد ، شرف الدين أبو محمد عبد الله بن محمد ، أو سليمان عبد الرحمن بن عبد الغني ، وضياء الدين محمد بن عبد الواحد .

ــ مختصر تاريخ جرجان لحمزة بن يوسف السهمي .

ــ مختصر القند في تاريخ سمرقند للنسفي .

ــ والقسم الآخر يتعلق بأهله الأقربين وبلده ومنها : ــ فضائل مكة كتبه ــ حسب قول السخاوي ــ على نمط الأزرقي .

ــ فضائل الشام وهو مخطوط موجود يشبه ما كتبه الربعي وابن عساكر قبله .

ــ سيرة المقادسة . ذكر ابن شاكر الكتبي أنه كان في عدة مجلدات [1] وقد أفرد فيه لأكابر العلماء من أهله سيرة كل منهم في أجزاء عديدة .

ــ كتاب سبب هجرة المقادسة إلى دمشق ويحكي قصة التحرك من جماعيل قرب القدس إلى دمشق هرباً من الحكم الفرنجي ثم قصة التوطن ثم بناء نواة حي الصالحية . ومن هذا الكتاب مقتطفات لدى ابن طولون الصالحي في كتابه : القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية .

ــ كتاب الحكايات المستطرفة وهو في أجزاء كثيرة .

ــ **جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي** : (ولد في قفط سنة ٥٦٨ وتوفي بحلب سنة ٦٤٦) وهو من أشهر وزراء الأيوبيين ومن قضاتهم وكان يلقب بالقاضي الأكرم ومن كتّابهم المبرّزين في النظم والنثر . عاش في القدس بعد فتحها ثم في حلب منذ سنة ٥٩٨ ، وظل وزيرها الدائم تقريباً حتى وفاته . كان ضليعاً في اللغة والنحو والفقه والحديث وعلوم القرآن والأصول والمنطق والحكمة والنجوم والهندسة بالإضافة إلى التاريخ . ولم تكن له دار ولا زوجة وكان لا يحبّ من الدنيا سوى الكتب ، لا يسمع بكتاب نادر أو ثمين إلا اقتناه ، وهكذا جمع من الكتب ما لم يجمعه أحد . وقد عهد بمخطوطاته إلى الملك الناصر الأيوبي فتلف جزء منها وأخذ المغول بعضها الآخر . ويبدو أن نكبة حلب بالمغول سنة ١٢٦٠ لم

---

(١) انظر ابن شاكر الكتبي ــ فوات الوفيات (ط. محمد محي الدين عبد الحميد) ج ٢ ص ١٧١ .

تأت فقط على هذه المجموعة النادرة من الكتب ولكنها أتت أيضاً على معظم مؤلفات القفطي التي لم نسمع عن بعضها بخبر ولا بقي لنا منها اقتباس على كثرتها ومنها في أنواع التاريخ :

- في التاريخ العام : التاريخ الكبير على السنين . وهو مؤلفه التاريخي الأساسي لخصه بعد قرن تاج الدين أحمد بن عبد القادر بن مكتوم المتوفى سنة ٧٤٩ [١] .

- في تاريخ الأقاليم ثلاثة كتب : كتب تاريخ مصر من ابتدائها إلى أيام صلاح الدين في ست مجلدات وهو مرتب على السنين . كتاب أخبار المغرب ومن تولاها من بني تومرت . تاريخ اليمن منذ اختطت إلى الآن (أي إلى عهده) .

- وفي تاريخ الدول أربعة : كتاب الإيناس في تاريخ بني مرداس . تاريخ البويهيين . أخبار السلجوقية إلى انتهائه [٢] . تاريخ محمود بن سبكتكين وبنيه منذ ابتداء أمرهم إلى حين انفصال الأمر منهم ؛ وزراء الدولة المصرية في الدولة القيصرية (الفاطمية) .

- وفي تراجم العلماء خمسة : أخبار المصنفين وما صنفوه . أخبار النحويين . المحمدون من الشعراء . انباه الرواة إلى أنباه النحاة . أخبار العلماء بأخبار الحكماء .

ولم يبق لنا من هذه الثروة التاريخية الواسعة سوى الكتب الثلاثة الأخيرة فقط وهي مطبوعة بل ان آخر كتاب فيها لم يصلنا كاملاً ولكنه وصل مختصراً فما هو مطبوع منه فإنما هو من اختصار محمد بن علي بن محمد الزوزني ويسمى

---

(١) انظر كشف الظنون ج ١ ص ٣٠١ .

(٢) انظر كاهن في كتابه (C. Cahen : La Syrie du Nord, p. 61) ص ٦١ .

بالملتقطات المتخبات من كتاب أخبار العلماء ....

ويذكر المستشرق كاهن أن نسخة مخطوطة من كتاب القفطي عن أخبار السلجوقية قد سلمت وأنها موجودة في قازان ولكن من الصعب الوصول إليها. وهي تصل في أخبار سلاجقة الروم إلى عهد المؤلف تقريباً.

- سبط ابن الجوزي، أبو المظفر شمس الدين يوسف بن قزاوغلو بن عبد الله التركي العوني (نسبة إلى الوزير عون الدين بن هبيرة) البغدادي، سبط الحافظ ابن الجوزي المتوفى بدمشق سنة ١٢٥٦/٦٥٤ ولد سنة ٥٨٢ ونشأ ببغداد ثم بالموصل ولكنه استقر في دمشق وإن زار مصر أيضاً. وقد انتهت اليه رئاسة الوعظ، وعن طريق هذا العمل ومن أجله تبحر في الفقه والحديث والتفسير والتاريخ .وقد حظي بالحرمة والرعاية من الملوك الأيوبيين ومن العلماء لحسن تأثيره في النفوس وسعه علمه ومؤلفاته ومنها في التاريخ :

- كتاب مرآة الزمان في وفيات الفضلاء والأعيان، وهو تاريخ عام لكن فترة ما قبل الاسلام لا تأخذ منه إلا أيسر الحيز .. وقد نظم على أساس حوليّ ولكن ذكرت فيه التراجم والوفيات في أعقاب الحوادث سنة بعد سنة، ومع أنه يمكن أن يعتبر أكبر التواريخ الإسلامية حجماً وقد يوازي أو يزيد على تاريخ الإسلام للذهبي إلا أن قيمته العلمية متفاوتة، فإذا كانت أقسامه الأولى وحتّى القرن الرابع لا تأتي بجديد فإن اعتماده على مصادر مفقودة في بعض أخبار القرن الرابع وفي الخامس خاصة يجعل للكتاب قيمة هامة في هذين القرنين ثم يفقد هذه القيمة في القرن السادس لتوفر المصادر التي أخذ عنها ثم يعود في أخبار عصره فيأخذ شأنه كشاهد على العصر وخاصة في أحداث الشام.

ويبدو أن السبط كتب تاريخه في قرابة أربعين مجلداً، ثم جاء اليونيني أحد المؤرخين في أوائل القرن الثامن فاختصر بعض المطولات في الكتاب حتّى جعله

في حوالى العشرين مجلدة . لهذا نجد اليوم في المكتبات المختلفة في استامبول [1] والقاهرة والهند وباريس وغيرها أجزاء متفرقة عديدة جداً ومختلطة من هاتين النسختين اللتين ما تزالان مخطوطتين فيما عدا قسم محدود من آخر النسخة المختصرة طبع في حيدر آباد بالهند (يتناول ما بين سنة ٤٩٥ حتّى آخر الكتاب) في جزئين .

والشهرة السريعة التي نالها (مرآة الزمان) لم يجعله نهباً للمؤرخين التالين ولكنها جاءته أيضاً بالذيول والمختصرات وبالحسد والنقد ... وهكذا ذيل قطب الدين موسى بن محمد البعلبكي اليونيني (المتوفى سنة ٧٢٦) (٤ مجلدات) ثم سعد الدين بن العربي . واختصره بعد اليونيني مؤرخ يعرف بابن أبي الرجال ثم اختصره محمد بن شادشاه ...

ومع أن الصفدي والذهبي أخذا عن السبط وتاريخه فإن الصفدي حسده حتّى على الاسم قال : « وأنا ممن حسده على تسميته مرآة الزمان فإنها لائقة بالتاريخ .. إلا أن المرآة فيها صدأ المجازفة منه في أماكن ... » وقال الذهبي « نراه يأتي في تاريخه بمناكير الحكايات وما أظنه بثقة فيما ينقله بل يبخس ويجازف ... » ورماه الذهبي وغيره بالتشيع [2] ليلقي الريبة على كتبه . وإذا كان نقد الذهبي والصفدي وارداً وله ما يسنده في مرآة الزمان وسعة ميدانه فإن الرجل لم يكن شيعياً وبين حب آل البيت الذي يشترك فيه الكثرة الكاثرة من المسلمين جميعاً وبين اعتناق مبادىء التشيع فرق واضح .

ولسبط ابن الجوزي مؤلفات أخرى تاريخية المنحى في الغالب مثل :

— خصائص الأئمة وهو مخطوط ، ولعله مما أشار اليه الذهبي بتهمة التشيع .

---

(١) ثمة نسخة كاملة من المرآة ومن مختصره لليونيني في مكتبة أحمد الثالث باستامبول عدا النسخ الكثيرة الناقصة والمتفرقة فيها وفي غيرها .

(٢) انظر ابن رافع السلامي – منتخب المختار (تحقيق العزاوي – بغداد ١٩٣٨) ص ٢٣٧ .

– الجليس الصالح والأنيس الناصح وهو مخطوط في مكتبة غوطا .

بالاضافة إلى عدة كتب ضائعة : معادن الابريز (وقالوا انه في حوالى ٢٩ مجلداً ولعله هو كتابه الكبير في التفسير) وكنز الملوك إلى معرفة السلوك ، ومناقب أبي حنيفة وكتاب في التاريخ ذكره ابن رافع السلامي ولم يذكر اسمه وأضاف اليه أيضاً «كتاب مناقب علي بن أبي طالب في أربعة أجزاء حديثية ضخمة (قال) رأيته في وقف المدرسة النورية بدمشق وكتاب في فضائل أهل البيت يعرف برياض الأفهام وفيه تشيع ظاهر والنسخة التي رأيتها بخط (أحمد) بن عبد الدائم ... »[1] .

– ابن العديم : أبو القاسم كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله من بني أبي جرادة العقيلي (ولد سنة ٥٨٨ / ١١٩٢ توفي سنة ١٢٦٢/٦٦٠) وهو من أسرة واسعة الثراء وكانت بجانب ذلك للفقه والعلم والقضاء والزهد والأدب والشعر في حلب أكثر من قرنين . وقد نشأ وتعلم في حلب على والده وعمه وعلى عديد من العلماء وأخذ الخط عن أصحابه حتى أضحى صاحب خط منسوب لابن البواب ، ورافق أباه في بعض رحلاته إلى دمشق والقدس وإلى العراق والحجاز وهو بعد يافع . وكان منذ شبابه جليس الأمراء والعلماء ، كما عمل بالتدريس شطراً كبيراً من حياته . ورحل إلى مصر وبغداد مرات كان بعضها في السفارة لملوك حلب ... وحين وصل الموج المغولي إلى هذه المدينة سنة ٦٥٧ بعد خراب بغداد كان ابن العديم قد ترحل مع ملكه إلى مصر فلما هزموا في عين جالوت سنة ٦٥٨ وعاد إلى بلده فجع بالدمار الذي حل به وبكاه في قصيدة تشرق بالدمع . ولم يستطع المقام فترحل عنه إلى مصر ليموت هناك بعد سنتين فقط ...

(١) المصدر نفسه ص ٢٣٨ .

ترك ابن العديم ثروة تاريخية هامة لكنها تتصل جميعاً ببلدته حلب، فهو مؤرخ اقليمي أو بلداني، مثل ابن عساكر ولو أنه عانى التاريخ بأوسع وأحسن من المفهوم الذي فهم به مؤرخ دمشق. ولعل أبرز مؤلفاته وأهمها:

- بغية الطلب في تاريخ حلب، وهو قرين تاريخ دمشق لابن عساكر. كتبه صاحبه على التراجم وبالتسلسل الأبجدي في نحو أربعين مجلداً تبدأ بمجلد في معالم المدينة وطبغرافيتها مع المنطقة حولها. ويبدو أن ابن العديم توفي قبل أن ينتهي من تبييض الكتاب كله وأن أجزاء منه قد تزيد على العشرين قد ضاعت نهائياً منه ومنذ زمن طويل يزيد على أربعة قرون فليس يعرف اليوم من هذه الموسوعة الكبرى سوى عشرة مجلدات مخطوطة، بخط ابن العديم نفسه، موجودة جميعاً في استامبول ثمانية منها في مكتبة أحمد الثالث، ومجلد في مكتبة أياصوفيا هو أول مجلدات الكتاب، ومجلد في مكتبة فيض الله. وثمة أجزاء منقولة عن نسخة استامبول واحد في باريس وآخر في الموصل وثالث في لندن.

وقد اشتهر هذا الكتاب جداً فما من مؤرخ إلا وأشار إليه وإن كان القلائل هم الذين أخذوا عنه لندرة وجوده، على أنه:

أولاً: اختصر من قبل ابن العديم نفسه — كما سوف نرى — على شكل تاريخ للحوادث. واختصر من قبل نور الدين علي بن سعيد الغماري المغري المالكي [1] (المتوفى سنة ٦٧٣) وكان صاحب ابن العديم نفسه وضاع هذا المختصر. ثم اختصره طاهر بن الحسن المعروف بابن حبيب الحلبي (المتوفى سنة ٨٠٨) وسمى المختصر: حضرة النديم من تاريخ ابن العديم.

---

(١) لهذا الرجل عدد من المؤلفات التاريخية فابن سعيد معروف بكتبه: المغرب في أحوال المغرب. والدرة الطالعة في شعراء المائة السابعة والمرقص والمطرب في أخبار أهل المغرب. والمشرق في محاسن أهل المشرق ولكننا لم نعثر على عنوان مختصره لتاريخ ابن العديم.

ثانياً : سلسلة من الذيول لم يحظ بها أي تاريخ آخر على الاطلاق لأنها اتصلت حتّى القرن الحالي وجاء فيها :

- ذيل ابن عشائر ناصر الدين ابي المعالي محمد بن علي . ولسنا نعرف عنوانه .
- ذيل ابن خطيب الناصرية أبي الحسن علاء الدين علي بن محمد ابن سعد الطائي المتوفى سنة ٨٤٣ .
- ذيل أبي ذرّ سبط العجمي موفق الدين أحمد بن ابراهيم بن محمد ابن خليل المتوفى سنة ٨٨٤ وقد سماه كنوز الذهب في تاريخ حلب (مخطوط) .
- مجهول ضاع كتابه وذكره المؤلف التالي :
- ابن الحنبلي رضي الدين محمد بن ابراهيم (المتوفى سنة ٩٧١) وكتاباه در الحبب في تاريخ حلب والكتاب الآخر الزبد والضرب في تاريخ حلب (مخطوط) .
- أبو اليمن المتوفى سنة ١٠٤٦ وقد رجح الطباخ في أعلام النبلاء أن الكتاب المطبوع باسم الدر المنتخب في تاريخ حلب والمنسوب لابن الشحنة هو من تأليفه [1] .
- العرضي أبو الوفاء ابن عمر الحلبي (المتوفى سنة ١٠٧١) وكتابه معادن الذهب في الأعيان المشرفة بهم حلب (مخطوط) .
- ابن ميرو وكتابه مخطوط .

---

(١) انظر راغب الطباخ – اعلام النبلاء ج ١ ص ٣١ والكتاب المطبوع جرى طبعه في بيروت . المطبعة الكاثوليكية سنة ١٩٠٩ وذكر أنه لابن الشحنة مع أنه ينقل عن مؤلفين متأخرين جاؤوا بعده .

- كامل الغزي في القرن التاسع عشر وكتابه نهر الذهب في تاريخ حلب (٤ أجزاء) .
- راغب الطباخ (القرن العشرون) وكتابه أعلام النبلاء في تاريخ حلب الشهباء (٧ أجزاء) .

ونعود إلى مؤلفات ابن العديم الأخرى فنجد له :

- زبدة الحلب في تاريخ حلب وقد انتزعه صاحبه من كتابه الكبير البغية ، ولكنه جعله بدل التراجم على الحوادث ويتبع السنين فيه أحياناً . وقد نشر الكتاب في ثلاث مجلدات (تحقيق سامي الدهان – طبع المعهد الفرنسي – دمشق ١٩٥١ – ١٩٥٤) .
- كتاب الأخبار المستفادة في ذكر بني أبي جرادة،وقد كتبه لياقوت الحموي يذكر فيه تاريخ أسرته في كثير من الاسهاب وقد وزعه ياقوت في كتابه معجم الأدباء .
- كتاب التذكرة وهو مخطوط في ١٦ جزءاً ضاعت الأجزاء الأربعة الأولى منها .
- كتاب الإنصاف والتحري في دفع الظلم والتجري عن أبي العلاء المعري وهو مطبوع في قرابة مائة صفحة .
- الإشعار بما للملوك من النوادر والأشعار .

بالإضافة إلى عدد من الكتب الأدبية الأخرى الضائعة .

- أبو شامة شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم المقدسي الدمشقي (المولود سنة ٥٩٩ والمقتول سنة ٦٦٥) والرجل من كبار الفقهاء والمحدثين راسخ العلم في القراءة والنحو واللغة والخط ، بالاضافة إلى التاريخ ، وإذا تركنا جانباً مؤلفاته الدينية واللغوية وجدنا له في التاريخ جملة كتب لعل أهمها :

– كتاب الروضتين في أخبار الدولتين ويقصد دولة نور الدين وصلاح الدين . وقد اشتهر الكتاب شهرة كبيرة مع أن صاحبه في الواقع لم يكتب فيه تقريباً شيئاً من عنده سوى بعض الأسطر والتعليقات الصغيرة بين المقتطفات المقتبسة ، وانما استطاع في مهارة بارعة جداً أن يؤلف كتاباً متوازناً كاملاً شاملاً في تاريخ الفترة الممتدة بين مطلع العهد النوري (حوالى سنة ٥٤٠) إلى وفاة صلاح الدين سنة ٥٨٩ وذلك عن طريق جمع مقتطفات حسنة الاختيار محبوكة الرصف بعضها وراء بعض اقتطفها من مختلف المصادر المعاصرة بمنتهى الذكاء والدقة . وهكذا جاء الكتاب مجموعة من حوالى ألف قطعة مقتبسة أو بالضبط (٩٦١) أخذت عن ٢٢ مرجعاً . كان اعتماده فيها في الدرجة الأولى على العماد الأصبهاني ووثائقه (٣٦٢ قطعة) وعلى القاضي الفاضل (١٩٦ وثيقة) ثم بهاء الدين بن شداد القاضي (١٢١ قطعة) ثم ابن الأثير (١٠٨) ثم ابن أبي طي (٧٢) ويأتي بعد ذلك ابن القلانسي (٣٧) وابن القادسي (١٧) وعمارة اليمني (١٤) وأسامة بن منقذ (٨) وابن عساكر مثله ثم المؤلفون الآخرون .

وبعض المصادر التي اعتمدها أبو شامة ضائعة وهذا ما أعطى كتابه قيمة هامة ، كما أنه أكثر من الاعتماد على الوثائق فلديه منها ما يزيد على ٢٠٦ وثائق يأتي بها في مواضعها لتوثيق تاريخه ، وهذا ما أعطى كتابه قيمة أخرى ، وإذا كانت بعض المقتبسات قد لا تزيد عن سطر أو اثنين وبعضها يمتد صفحات تصل أحياناً إلى ٢٧ صفحة ، فإن أبا شامة فيما بين هذه وتلك واضح الشخصية والوجود رغم هذه المقتبسات . ينقد ويناقش ويضيف ويوضح في إيجاز ودقة واستشهاد بما شاهد أو عرف أو سمع ... أو باللجوء إلى المنطق . وهذا بدوره مما ميز الكتاب وزاد في قيمته كرجع موثوق . والكتاب مطبوع معروف .

– وقد أضاف أبو شامة بنفسه على كتابه ذيلاً هو (ذيل كتاب الروضتين) فوصل بالحوادث ما بين سنة ٥٩٠ إلى تاريخ وفاته سنة ٦٦٥ وقد أكثر فيه

من التراجم ولكنه ذكر أحداث تلك الفترة الكثيرة القلق والاضطراب في حدود ما عرف وشهد سنةً بعد سنة . لكن الذيل أقلّ قيمة تاريخية من الروضتين ، وهو مطبوع .

- ولأبي شامة مشاركة تاريخية أخرى تجلت في اختصاره لتاريخ ابن عساكر ، فقد اختصره مرتين الأولى في عشرين (أو ١٥ مجلداً) والثانية في خمس مجلدات وقد ضاع المختصران .

- وفي تونس كتاب تاريخي مخطوط لأبي شامة عنوانه نزهة المقلتين في أخبار الدولتين .

- وله كتاب : « كشف ما كان عليه بنو عبيد من الكفر والكذب والمكر والكيد » وهو ضد الفاطميين ذكر فيه تفصيل أحوالهم من وجهة النظر العباسية واعتمد فيه على مصادر عديدة ذكرها في كتابه الروضتين [1] . وقد فقد هذا الكتاب مع مصادره ...

- **ابن أبي أصيبعة**: أبو العباس موفق الدين أحمد بن القاسم بن خليفة الخزرجي (المتوفى سنة ٦٦٨/١٢٧٠) . وقد ولد الرجل سنة ٦٠٠ في دمشق لوالد من أمهر الكحالين (أطباء العيون) فيها . وانصرف إلى تلقي الطب عن والده . ثم سافر إلى القاهرة والتحق فيها بالمارستان الناصري يدرس ويتمرن ، ويلتحق بخدمة الدولة . وقد اشتهر بمهارته للدرجة التي استدعاه فيها أمير بلدة (صرخد) الأيوبي . فرحل اليه وأعجبه مناخ البلد الجبلي فبقي هناك حتى وفاته .

وإذا كانت شهرة الرجل في عصره ناجمة عن معرفته الطبية فإن شهرته خلال العصور إنما جاءت عن معرفته بتاريخ الطب . لقد وضع في ذلك

---

(١) انظر أبا شامة – كتاب الروضتين (ط. محمد حلمي أحمد – تراثنا – القاهرة ١٩٦٢) ج ١ ص ٥١١ – ٥١٥ .

مؤلفاً ضخماً قدمه لبعض وزراء الأيوبيين بعد أن قضى السنين الطوال في جمع مادته وتحقيق أخباره وهو :

- عيون الأنباء في طبقات الأطباء . وهو بين كتب الفلاسفة الأطباء ورجال الحكمة ، أوفرها مادة وأوسعها اخباراً ، أورد فيه حوالى ٤٠٠ ترجمة بدأها بمقدمة عن تاريخ الطب وأهله ثم أورد تراجم كبار الأطباء الاغريق والرومان وغيرهم ، وبعد أن يتناول تراجم الأطباء في أول ظهور الإسلام والعصر الأموي ينصرف إلى ذكر « الأطباء السريانيين الذين كانوا في ابتداء ظهور دولة بني العباس » ثم الأطباء النقلة إلى العربية ثم يتناول ذكر أطباء العصر الإسلامي في الأقاليم المختلفة : في بلاد العجم ، وفي الهند ، وفي بلاد المغرب ، ثم أطباء ديار مصر ، وأطباء الشام . كل ذلك حتى عهده مع ذكر المولد والوفاة قدر الطاقة وذكر المؤلفات والمصادر .

وتميز ابن أبي أصيبعة بالحس الأدبي فقد أدخل على كتابه الكثير من الطرافة ومن الاشارات والفوائد الاجتماعية والاقتصادية ومن القصائد التي لا تعرفها كتب الأدب ومن أخبار التصوف . ولقد لفت الكتاب الأنظار منذ زمن بعيد وبعد أن طبعه المستشرقون طبع في المشرق أكثر من مرة لأنه يكاد يكون المرجع الأوسع والأوحد في تاريخ الطب عند العرب .

ولابن أبي أصيبعة عدا هذا الكتاب كتب أخرى في التاريخ نعرف منها :

- المختار من عيون التاريخ وهو مختصر تاريخي أخذ عنه ابن الفرات [1] بعض حوادث سنة ٥٥٦ ، وسنة ٥٥٧ ، وسنة ٥٦٣ حول الجزيرة وأرمينية .
- معالم الأمم وأخبار ذوي الحكم ذكره صاحب هدية العارفين والأرجح انه في تاريخ الفلاسفة .

ولكن الكتابين ضائعان ولعلهما فقدا منذ عدة قرون فإنا لا نجد منهما لدى المؤرخين أيّ اقتباس .

---

(١) انظر ابن الفرات تاريخ (مخطوط فينا) ج ٣ ورقة ٥٩ ظهر و ١٥٤ وجه ثم ج ٤ (المطبوع) ص ٦ — ٧ .

ولقد كان بالامكان أن نتابع استعراض أقطاب مدرسة الشام بذكر ابن خلكان مثلاً ، كما كان بالامكان أن نتابع من قبل ذكر كبار مؤرخي العراق في العصر السابق للمغول بذكر ابن الساعي ، ولكن هذا وذاك ، وان عاصرا ابن أبي أصيبعة وأبا شامة وسبط ابن الجوزي وغيرهم فقد توفيا متأخرين . الأول سنة ٦٨١ ، والثاني سنة ٦٧٤ ومتابعتهما تدخلنا زمنياً في العصر التالي : عصر المماليك والمغول ، وسوف نعود اليهما فيما بعد .

٣ ـ باقي المؤرخين الشاميين

ان هذه المجموعة الواسعة من مؤرخي الشام الذين ذكرنا ليست سوى الطبقة العليا منهم ، وثمة من ورائها جمهور واسع من المؤرخين الأصغر شأناً في الانتاج التاريخي بدأت تتضح لديهم كما لدى الكبار منهم ، ومنذ أواخر القرن الثالث الصفة الاقليمية عن طريق التأليف البلداني خاصة، بعد أن كان التأليف من قبل يتناول المغازي النبوية أو أخبار بني أمية وفضائلهم ومنهم :

- أبو بكر حمد بن عيسى البغدادي المتوفى سنة ٨٧٠/٢٥٧ ، وقد عاش في دمشق واستمع إلى الحسن بن عرفة ، ثم استقر في حمص ، كما يبدو حيث توفي ، وقد كتب تاريخ الحمصيين ، وهو دون شك تاريخ على التراجم لعلماء حمص ومن وصلها من الصحابة والتابعين .

ذكر الخطيب البغدادي هذا التاريخ (١) وأفاد منه ابن ماكولا في الاكمال (٢)

---

(١) الخطيب البغدادي – تاريخ بغداد ج ٥ ص ٦٣ .
(٢) ابن ماكولا – الاكمال في معرفة الرجال ج ٢ ص ٥٣١ وج ٤ ص ٥٢٨١ .

كما أخذ السمعاني منه في الأنساب [1] والصفدي في الوافي [2] ونجد منه مقتطفات عديدة لدى ابن حجر في الاصابة [3] .

- أبو القاسم (أو أبو الحسن) محمود بن ابراهيم بن سميع الدمشقي الحافظ المتوفى سنة ٢٥٩ وهو « أحد الأثبات .. سمع من اسماعيل بن أبي أويس وقال أبو حاتم : ما رأيت بدمشق أكيس منه [4] » وله كتاب الطبقات الذي ذكره الذهبي واقتبس منه في تاريخ الاسلام ، كما [5] اقتبس منه ابن حجر في أكثر من كتاب من كتبه [6] .

- أبو بكر أحمد بن المعلى بن يزيد الأسدي الدمشقي (المتوفى سنة ٢٨٦/٨٩٩، وكان قاضي دمشق بالنيابة عن أبي زرعة محمد بن عثمان القاضي . وهو من ثقاة المحدثين ، نعرف مما كتب في التاريخ « جزءاً في خبر المسجد الجامع وبنائه » في دمشق . وقد فقد هذا الجزء ، ولكنا نجد منه نقولاً لدى ابن عساكر [7] ولدى ابن جبير في الرحلة تكشف أن

---

(١) السمعاني – الأنساب ورقة ٢٨٠ وجه .

(٢) الصفدي – الوافي ج ١ ص ٤٨ .

(٣) ابن حجر – الاصابة ج ١ ص ١٦٨ ، ٢٤٢ ، ٥٦٣ ، ٦٣٩ وج ٢ ص ١٢٨ ، ٥٢٠ ، ٧٤١ ، ٧٨٨ ، وج ٣ ص ٦ ، وج ٤ ص ٨٤ ، ٢٦٤ ، ٢٩٣ .

(٤) ابن الحنبلي – شذرات ج ٢ ص ١٤٠ .

(٥) الذهبي – تذكرة الحفاظ ص ٦١٤ وتاريخ الاسلام ج ٣ ص ١٠٢ ، ١٩٥ ، ٢٠٢ وج ٤ ص ٥٢ .

(٦) ابن حجر – الاصابة ج ١ ص ١٤٤ ، ١٥٢ ، ٣٤٣ ، ٣٥٠ ، وتهذيب التهذيب ج ٦ ص ١٣٩ .

(٧) انظر مثلا ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، المجلدة الثانية – القسم الاول ص ٢١ .
وانظر تهذيب تاريخه ج ٢ ص ٩٤ . وانظر كذلك ابن حجر تهذيب التهذيب ج ١ ص ٨٠ والنعيمي – قضاة دمشق ص ٢٤ والمقريزي – الخطط (طبعة بولاق) ج ١ ص ١٧٧ وص ١٨٤ .

ابن المعلى كان أول من وضع الخطوط الأولى في تاريخ دمشق الطبغراني وكان أول من ذكر اتفاق المسلمين والنصارى على قسمة الجامع الأموي بينهما بعد الفتح ويبدو وهو القاضي في دمشق أنه اعتمد في ذلك على ما في السجلات الرسمية بين يديه .

- أبو بكر بن صدقة : ولعله معاصر لابن المعلى وابن عيسى في أواخر القرن الثالث ، أو كان بعدها بقليل ، وقد ذكر له السخاوي[1] تاريخ من نزل حمص من الصحابة ، غير أن الكتاب ضاع — فيما يبدو — مبكراً أو انه لم يكن في مستوى كتاب ابن المعلى ، فلا نجد منه أي نقل في المصادر .

- أبو عروبة الحسين بن محمد بن أبي معشر الحراني (توفي ٣١٨) وقد مر معنا كمؤرخ للجزيرة ، إلا أن له تاريخين آخرين ، إن كانت المصادر دقيقة في إيراد العناوين[2] .

- تاريخ حران وقد ذكره السمعاني في الأنساب والخليلي في الارشاد[3] وسماه تاريخ الحرانيين .

- تاريخ الرقة الذي ذكره السخاوي[4] .

- وله المنتقى من كتاب الطبقات ومنه مخطوط في الظاهرية بدمشق (رقم ٤٥٥٣ عام) .

- وكتاب الأوائل ذكره السخاوي ودرسه الشبلي في محاسن الوسائل[5] .

---

(١) السخاوي — الاعلان ص ٦٢٩ .

(٢) يذكر له ابن النديم كتاباً واحداً فقط ولا يذكر تواريخ الجزيرة والرقة وتاريخ حران (انظر الفهرس ص ٢٣٠) .

(٣) السمعاني — الانساب ج ٤ ص ١٠٧ والخليلي — منتخب الارشاد (مخطوط الرباط مكتبة الكتاني رقم ٥٢٨) ورقة ٦٠ وجه والمنتخب هو موجز الكتاب وقد قام به السلفي .

(٤) السخاوي — الاعلان ص ٦٣٢ .

(٥) انظر الشبلي — محاسن الوسائل . مخطوط مصور بدار الكتب بالقاهرة (رقم ٥٥٥٧ تاريخ) ص ٥ وجه .

– وكتاب حديث الشيوخ وابن النديم يذكر أن « لا كتاب له غير هذا » .

– الكندي أبو القاسم عبد الصمد بن سعيد بن عبد الله الحمصي (المتوفى سنة ٩٣٦/٣٢٤) قاضي حمص روى عن ابن عوف وابن بكار وله تاريخ حمص ومن نزلها من الصحابة أو تاريخ الحمصيين وهو ثاني تاريخ يكتب لرجال هذه المدينة ويبدو أن التاريخين انما تكلما عن الصحابة والتابعين ومن تلاهم ممن نزل حمص واستقر بها . ونجد قطعاً من تاريخ عبد الصمد لدى ياقوت في معجم البلدان [١] ولدى ابن حجر في الاصابة [٢] .

– وقد جاء بعد ذلك أبو بكر بن صدقة فكتب بدوره ثالث وآخر تاريخ لحمص [٣] في مدى لا يزيد كثيراً عن قرن ، ثم تنقطع كتابة تاريخها بعد ذلك فلا نعثر على مؤلف اهتم بذلك .

– القشيري أبو علي محمد بن سعيد بن عبد الرحيم بن ابراهيم القشيري الحراني المتوفى سنة ٩٤٥/٣٣٤) من المحدثين والحفاظ المعروفين . استقر بالرقة وكتب تاريخها بعنوان تاريخ رقة ومن نزلها من أصحاب رسول الله والتابعين والفقهاء والمحدثين .

نقل عن هذا التاريخ كثيرون ومنهم السمعاني في الأنساب [٤] وابن العديم في بغية الطلب [٥] ومنه نسخة مخطوطة في الظاهرية (مجموع ١/٣٤) وقد حققها ونشرها طاهر النعساني في حماه سنة ١٣٦٠ .

---

(١) انظر ياقوت – البلدان ج ١ ص ٧٨٧ وج ٢ ص ٣٢٧ ، ٣٦٩ ، ٦١١ ، وج ٣ ص ٤١٠ ، ٧٦٩ ، وج ٥ ص ٥١٦ .
(٢) مثلا انظر ابن حجر – الاصابة ج ٢ ص ٥٢٠ ، ٦٦٢ ، ١١٥٤ وج ٣ ص ٣٣ وص ٧٢٦ .
(٣) ذكره السخاوي – الاعلان ص ١٢٩ .
(٤) انظر السمعاني – الأنساب ورقة ٢٥٧ ظهر ، ١٨٠ ظهر ، ٤٤٠ وجه .
(٥) انظر ابن العديم – بغية (مخطوط أحمد الثالث) مثلا ج ٣ ورقة ٩١ ظهر .

- ابن أبي العجائز أبو الحسن أحمد بن حميد بن سعيد بن خالد دمشقي من رجال النصف الأول من القرن الرابع . عاصر أبا الحسين الرازي (المتوفى سنة ٢٤٧) ولكننا لا نكاد نعرف عنه شيئاً سوى انه صنف تاريخ دمشق وهو أول تاريخ يؤلف لهذه المدينة . وقد ضاع هذا الكتاب ولكننا نستطيع أن نجمع جانباً كبيراً منه - على ما نظن - من مخطوط تاريخ ابن عساكر . فإن هذا المؤرخ أخذ تاريخ ابن أبي العجائز فنثره أو نثر معظمه في تضاعيف تاريخه ، فلديه منه ٥٩ قطعة أو جزء على الأقل [1] وعن ابن عساكر - على ما يظهر - أخذ ياقوت معلومات ابن أبي العجائز التي نجدها مبثوثة في معجم البلدان فلا يكاد يذكر قرية من قرى الغوطة إلا ويردفها بنقل من تاريخ ابن أبي العجائز .

وإذا جاز لنا أن نستنتج محتوى الكتاب من خلال هذه النصوص فالواضح ان ابن أبي العجائز اهتم في كتابه بذكر بني أمية من نزل منهم بدمشق ومن نزل في غوطتها فالنصوص تتعلق بهم وبمنازلهم وتسمح باعطاء فكرة واضحة عن التوزع والتوطن القبلي العربي في منطقة دمشق حتى ما بعد العصر الأموي ويبدو أن الاسم الأصلي لكتاب ابن أبي العجائز هو : تسمية من كان بدمشق وبغوطتها من بني أمية فإن ابن عساكر يشير اليه بهذا الاسم ولعل المترجمين أسموه بتاريخ دمشق من باب الاختصار .

- الخزاعي الخاقاني : أحمد بن محمد الخزاعي الانطاكي المعروف بالخاقاني [2]

---

(١) انظر من أمثلة ذلك لدى ابن عساكر - تاريخ مدينة دمشق (مخطوط الظاهرية بدمشق) ج ٣ ورقة ٥٤ ظهر ، ج ٤ ورقة ٦٣ وجه ، ج ٥ ورقة ١٠١ وجه ، ٢٢٩ ظهر ، ج ٦ ورقة ١٩٧ وجه ... الخ .

(٢) انظر المسعودي - مروج الذهب ج ١ ص ١٣ ، ولنلاحظ ان لقبه في طبعه بلا هو الخانقاني (أي من خانقين) ويشير المحقق في الهامش إلى أن مخطوطين آخرين يجعلانه الخاقاني وقد اعتمدنا الاسم ، واللقب الخاقاني اتباعاً لما أورده ابن العديم في بغية الطلب (مخطوط أحمد الثالث) ج ٢ ورقة ٥٠ وجه وظهر .

(ولعله منسوب إلى الفتح بن خاقان) وله كتاب مصنف في التاريخ كان أحد مصادر المسعودي في مروج الذهب ، كما اعتمده ابن العديم .

- الفرغاني عبدالله بن أحمد بن جعفر التركي (المتوفى سنة ٣٦٢) الذي حدّث في دمشق بتاريخ الطبري ، وأضاف اليه التاريخ المذيل على الطبري ، ومع أن الرجل طارىء على دمشق فلا شك أن أنه أسهم في تكوين الفكر التاريخي في المنطقة الشامية فقد درس عليه وروى عنه في دمشق عدد من أبرز العاملين في حقل التاريخ بها ومنهم : تمام الرازي ابن الحافظ أبي الحسين وابن زبر وغيرهما .

- الداراني أبو علي عبد الجبار بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحيم الخولاني القاضي (المتوفى بين سنة ٣٦٥/٩٧٥ وسنة ٣٧٠/٩٨١) وهو بدوره أحد مشايخ تمام الرازي . وقد كتب تاريخ بلدة معروفة من بلاد الغوطة جنوب غرب دمشق وهي : « داريا » ومن نزل بها من أصحاب رسول الله والتابعين والكبار وتابعي التابعين وأهل العلم على طبقاتهم وأزمانهم وذكر وفاتهم ومن أعقب منهم ومن لم يعقب إلى وقتنا هذا ...

وكتاب تاريخ داريا موجود وقد نشره المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٥٠ بتحقيق الاستاذ سعيد الأفغاني .

- ابن زبر أبو سليمان محمد بن القاضي عبد الله بن احمد الدمشقي المتوفى سنة ٣٧٩ ، وكان في عصره محدث دمشق وكبير الحفاظ فيها مع الثقة والجلال صنف التصانيف الكثيرة وكتب في تراجم الرواة كتاباً على الوفيات قد يسمى « وفيات النقلة » أو « كتاب الوفيات » رتبه على السنين وجمعه من الهجرة حتى وصل سنة ثمان وثلاثين وثلاث مائة [1] وهو مفقود .

(١) انظر الكتاني - الرسالة المستطرفة ص ١٥٨ . وانظر كشف الظنون ٢/٢٠١٩ .

ويأتي مع هؤلاء السابقين جماعة من رجال النصف الثاني من القرن الرابع وحوالى أواخره منهم :

- ابن أبي أسامة أبو الحسين أحمد بن علي الحلبي [1] ويبدو أن هذا المؤرخ الحلبي سافر إلى مصر وعمل فيها . وعلى أي حال فان له : (كتاب معرفة شرف الملوك) ، نقل عنه ابن العديم حديثاً يتعلق بأيام سيف الدولة أواسط القرن الرابع) [2] .
- السبحي أبو العباس أحمد بن خلف بن محمد ، وله كتاب أخبار بيت المقدس درسه ابن خير وذكره في الفهرس [3] وقال ان الأخبار « مختصرة منتقاة يتصل بها فضل مسجد الخليل ... » .
- السليل بن أحمد بن عيسى وقد كتب « تاريخاً » اختصره الشمشاطي (ولعله أحد اثنين علي ابن محمد العدوي المتوفى سنة ٣٨٠ أو الآخر علي بن محمد ابن يحيى السلمي المتوفى بدمشق سنة ٤٥٣) ، وقد نقل ابن العديم عن المختصر حديثاً يتعلق بدخول سيف الدولة إلى حلب سنة ٣٣٣ [4] وحديثاً آخر عن سنة ٣١٩ .
- الديلمي الزراد أبو الحسن علي بن الحسين الذي كتب تاريخ سيف الدولة في كتاب يحمل اسم سيرة (أو أخبار) سيف الدولة كان أحد مصادر ابن العديم [5] .
- الحصكفي يحيى بن سلامة بن الحسين بن محمد من حصن كيفا بالجزيرة

(١) كان ابنه أبو أسامة عبد الله بن أحمد زميل القاضي الطرسوسي بالدراسة في أواخر القرن الرابع. راجع ابن العديم بغية الطلب (مخطوط احمد الثالث) ج ٢ الورقة ١٠١ وجه .
(٢) انظر ابن العديم – بغية الطلب (مخطوط أحمد الثالث) ج ٢ الورقة ٨٨ ظهر .
(٣) ابن خير – فهرسه ص ٢٧٦ .
(٤) انظر ابن العديم – البغية (مخطوط احمد الثالث) ج ١ الورقة ٩٢ وجه وظهر و ج ٧ الورقة ٢٩٠ وجه .
(٥) انظر المصدر السابق ج ٤ ورقة ١٣ ظهر ، ج ٨ ورقة ١١٣ وجه وظهر ومخطوط ايا صوفيا الورقة ٢٤٠ وجه .

وهو بدوره ممن اجتذبته أخبار سيف الدولة ، فكتب تعليقاً تاريخياً قرأه ابن العديم بخط المؤلف وأخذ عنه شيئاً يتعلق بهذا الحمداني المشهور [1] .

– ابن أبي القواس : أبو الحسين محمد بن أحمد وله تاريخ يمتد فيما يبدو من النصوص التي نقلها عنه ابن عساكر منذ عصر الرسالة حتى مطالع القرن الرابع إن لم يكن إلى ما بعد ذلك فقد نقل عنه تاريخ فتح بصرى بالشام سنة ١١٣ هـ . كما نقل خبراً عن والي دمشق ابن كشجور سنة ٢٩٤ [2] .

– أبو القاسم بن الثلاج وله كتاب قرأه ابن العديم بخطه وفيه أمور تاريخية نقل عنها موت أبي زرعة الرازي سنة ٣٧٥ [3] .

– الكناني : أبو الحسين محمد بن العباس بن محمد بن الحسن الكناني الدمشقي وهو من رجال ما بين أواخر القرن الرابع ومطالع الخامس . وله كتاب التاريخ المجدد . ذكره ابن العديم ونقل عنه ترجمة الافطسي العلوي الشريف الشاعر من أيام سيف الدولة [4] .

– أبو طاهر الصوري وله كتاب شيوخ طرابلس رآه أبو الفرج غيث بن علي الصوري بخط مؤلفه نقل عنه كما ونقل ابن العديم [5] .

– الطرسوسي : أبو عمرو عثمان بن عبد الله بن ابراهيم بن محمد (المتوفى سنة ١٠١٠/٤٠١) الكاتب الأديب . كان معروفاً في أوساط الشام الثقافية وتنقل ما بين طرسوس ودمشق وطرابلس وحلب ، وتولى قضاء معرة النعمان كما توفي بكفر طاب . وله كتابان فيما نعرف :

---

(١) المصدر السابق (مخطوط أحمد الثالث) ج ١ الورقة ٤٤ ظهر و ٤٥ وجه .
(٢) انظر ابن عساكر (تاريخ مدينة دمشق) (المطبوع) ج ١ ص ٤٨٥ ، و ج ١٠ ص ٢٧٦ .
(٣) ابن العديم – مخطوط بغية الطلب (أحمد الثالث) ج ١ الورقة ٥٥ وجه .
(٤) المصدر السابق نفسه ج ٨ الورقة ١٧٥ وجه .
(٥) المصدر السابق ج ١ الورقة ١٦٢ وجه .

– كتاب في أخبار الحجاب وهو مفقود .

– كتاب سير الثغور في أخبار طرسوس . وهو مفقود بدوره لكن جانباً منه قد نجا من الضياع لان ابن العديم قد اعتمد الكتاب كمصدر هام من مصادره فانتزع منه قطعاً صالحة تزيد على ثمان وعشرين قطعة يصل بعضها إلى ١٢ صفحة في كتابه المخطوط بغية الطلب . وتكشف هذه القطع عن أمور هامة جداً في تكوين طرطوس وأخبارها لا نجدها في أي مصدر آخر [1] .

وندخل القرن الخامس وممن نجد فيه من جمهور المؤرخين :

– أبو القاسم تمام بن أبي الحسين محمد بن عبد الله بن جعفر الرازي البجلي (المتوفى سنة ١٠٢٣/٤١٤) عن أربع وثمانين سنة وهو من كبار رجال الحديث بدمشق . وأكثر ما اشتهر به حفظ حديث الرواة الشاميين ومعرفة فضائل الشام ودمشق . وقد كان ما رواه في هذا الصدد نواة الكتب التي سوف تؤلف في هذا الموضوع ،من بعد،منذ الربعي إلى أولاد عساكر ومن بعدهم ...

وترداد اسمه في المؤلفات الباحثة في تاريخ دمشق يوحي بأنه كان من المهتمين به ، ومن المؤلفين فيه ، كما ان السخاوي يضع اسمه بين المؤلفين في تراجم الرجال والرواة من المحدثين وان كان لا ينسب إليه كتاباً معيناً – وهذا يعني أيضاً أنه من المؤلفين في هذا الموضوع ، لكننا لا نعرف له سوى كتاب تاريخي واحد في غير هذين الموضوعين هو : كتاب أخبار الرهبان [2] .

(١) انظر ابن العديم – بغية الطلب (مخطوط ايا صوفيا) الأوراق ١١٠ وجه حتى ١٢٢ وجه والأوراق ٣٦ ظهر ، ٤٢ ظهر ٧٧ وجه عدا ما في مخطوط أحمد الثالث ومجلداته وقد جمعنا هذه القطع من كتاب سير الثغور ونشرناها مع مقدمة مطولة في مجلة كلية الآداب – الكويت ، العدد ٨ (ديسمبر ١٩٧٥) .

(٢) السخاوي – الاعلان ص ٥٨١ و ص ٧١٥ .

- الميداني أبو الحسين عبد الوهاب بن جعفر بن علي (المتوفى سنة ٤١٨) كان من أقران تمام الرازي وزملائه في العلم والهواية، وقد أضحى محدث دمشق بما أكثر من السماع والحفظ والرواية والكتابة . روى عن نفسه أنه كتب بقنطار حبر ! والمتشددون يتهمونه بالتساهل . وقد نقل عنه ابن عساكر الكثير دون تحديد كتاب معين [1] .

والمسعودي في مروج الذهب ينسب لأبي الحسين الميداني كتاباً في أخبار القلاع ذكر فيه قلاع الدنيا وعجائبها . ويبدو أن الاسم يتصل بشخصين منفصلين أو بجد وحفيد . فقد توفي المسعودي سنة ٣٤٦ ومن المستبعد أن يكون الميداني الدمشقي المتوفى سنة ٤١٨ الف كتاباً قبل وفاة المسعودي اطلع عليه هذا المؤرخ وأثبته بين مصادره .

- الحنائي : أبو الحسن علي بن محمد بن ابراهيم الحنائي الدمشقي (المتوفى سنة ٤٢٨ عن ٥٨ سنة) هو من جماعة المقرئين والمحدثين والحفاظ له المعروفين بالزهد ، درس في دمشق ، ثم رحل إلى مصر وعاد ليكون له عدد من التلاميذ في بلده منهم الكتاني . وقد خرج لنفسه معجماً كبيراً في تراجم شيوخه . ويبدو انه كتب أيضاً شيئاً حول طبغرافية دمشق أو بعض مساجدها قرأه ابن عساكر بخطه ونقل عنه شيئاً يتعلق بمسجد أبي صالح (شرق دمشق) [2] .

- الحنائي (الأخ) ابراهيم بن محمد ، وقد نقل عنه ابن عساكر بدوره شيئاً يتعلق بمعالم دمشق وبعض المنشآت فيها ذكر انه قرأه بخطه [3]

- التنوخي : أبو المحاسن المفضل بن محمد بن مسعر المعري (المتوفى بدمشق

---

(١) ابن عساكر – تاريخ دمشق المجلدة ٢ (تحقيق المنجد) ص ١٤/١٠/٨/٧/٥ الخ ..
(٢) ابن عساكر – تاريخ دمشق المجلدة ٢ (تحقيق المنجد) ص ١١٥ .
(٣) المصدر نفسه صفحة ٣٢ .

سنة ٤٤٣) فقيه فاضل نزيه ، درس في بغداد وعاد إلى الشام فناب في القضاء بدمشق عن ابن أبي الجن وولي القضاء في بعلبك . وقد صنف : تاريخ النحاة وأهل اللغة [1] .

— الربعي علي بن محمد المالكي (المتوفى سنة ١٠٥٢/٤٤٤) من محدثي دمشق أتم سنة ٤٣٥ جمع كتاب سماه فضائل الشام ودمشق ، جمع فيه ما تواتر من حديث ورواية حول هذا الموضوع ، فكان أول كتاب باق في سلسلة كتب الفضائل الدمشقية التي توالت عدة قرون بعد ذلك . والتي يمكن أن تعتبر نوعاً من الدفاع الدمشقي الذاتي ومن البديل النفسي في وقت معاً لما قاسته دمشق من المحن في العهد الفاطمي الأول . وقد طبع الكتاب المجمع العلمي بدمشق (بتحقيق صلاح الدين المنجد سنة ١٩٥٠) .

وقد اختصره برهان الدين ابراهيم بن عبد الرحمن الفزاري المتوفى في دمشق سنة ٧٢٩ ، وسماه الأعلام ، وثمة مخطوط من هذا المختصر في الظاهرية بدمشق ، وفي دار الكتب المصرية .

— الداراني أبو علي عبد الجبار محمد بن مهنا (المتوفى سنة ٤٤٤) وقد كتب تاريخ داريا ، وهو ذيل صغير على تاريخ الخولاني ، طبع معه .

— أبو الفتح المسلم بن هبة الله بن مختار الكاتب (المتوفى سنة ١٠٦٧/٤٦٠) وقد كتب رسالة في « تفضيل دمشق على غيرها من البلدان ، وذكر فيها بعض خواصها وبعض ما قالت الشعراء في وصفها » ذكر ذلك ابن عساكر في تاريخ دمشق [2] .

وإذا كان الربعي بثقافته الدينية قد اقتصر على الأحاديث والمرويات في فضل دمشق الديني ، فهذه الرسالة الثانية تضيف إلى ذلك، الصورة الأدبية

---

(١) سبط ابن الجوزي – مرآة الزمان – (مخطوط باريس) ج ١٢ الورقة ١١٢ وجه .
(٢) انظر ابن عساكر – تاريخ دمشق (مخطوط الظاهرية) المجلدة ١٦ ورقة ٢٣٤ وجه .

لها بسبب من ثقافة الأدب التي يتمتع بها صاحبها الكاتب . ولعله كتبها تحت ضغط الاضطرابات التي خربت دمشق وأحرقت بعض محلاتها وأحيائها في الأيام الأخيرة من حياته .

– الكتاني أبو محمد عبد العزيز بن أحمد التميمي الدمشقي (المتوفى سنة ١٠٧٣/٤٦٦) وهو من الحفاظ والصوفية . كان عالماً مكثر السماع متقن الحفظ بشهادة ابن ماكولا وغيره . رحل إلى الجزيرة وإلى العراق في طلب العلم سنة ٤١٧ ، وروى عن علماء الشام مثل تمام الرازي ، كما كان من تلاميذه عدد من علمائها مثل الاكفاني . وقد كتب « الذيل على كتاب الوفيات لابن زبر »[١] وصل به إلى أواخر أيامه .

– الرميلي أبو القاسم مكي بن عبد السلام الانصاري المقدسي الشافعي (المقتول في دخول الفرنجة الصليبيين إلى القدس سنة ٤٩٢ عن ستين سنة) وقد صنف حسب ما ذكر السمعاني[٢] – تاريخ بيت المقدس وفضائلها ، وهو مفقود .

– السلمي أبو الحسن علي بن طاهر بن جعفر بن عبد الله النحوي (المتوفى سنة ٤٩٨) وهو من محدثي دمشق وفقهائها الذين شهدوا وهم في أواخر العمر دخول الصليبين الشام والقدس فجعل دروسه في الجامع الأموي وقفاً لحربهم ، وألف كتاب الجهاد في مجلد كبير من ١٢ جزءاً : استعرض فيه بجانب آيات وأحاديث الجهاد معارك الإسلام الأولى ، وحلل الاحتلال الفرنجي وكان أول من أدرك أنه هجوم غربي على العالم الإسلامي ذو ثلاث شعب واحدة في الأندلس وأخرى في صقلية وثالثة في الشام وندد بالمقابل بالتفرق الإسلامي .

---

(١) انظر الكتاني – الرسالة المستطرفة ص ١٨٥ . وكشف الظنون ٢٠١٩/٢ .

(٢) السمعاني – الانساب الورقة ٢٥٩ ظهر .

بقي لنا أربعة أجزاء فقط من كتاب الجهاد في نسخة مخطوطة في مكتبة الظاهرية بدمشق (رقم ٣٧٩٦ عام) وقد نشر بعضها المستشرق الصهيوني ايمانويل سيفان في المجلة الآسيوية سنة ١٩٦٦ .

— وقبل أن ننتقل إلى القرن السادس نجد في الشام من أوساط المؤرخين جماعة نجهل وفياتهم وأعمالهم المحددة ، ولكننا نجدهم مبثوثي الأسماء والمرويات لدى ابن عساكر وبين مصادره الأساسية مما يوحي بأنهم كتبوا تعليقات تاريخية محدودة . وهم كثير وسوف يتكاثرون في القرن التالي وما بعده . وإنما نعرض بعض أسمائهم فيما يلي كنماذج لأنا سوف نهمل ذكرهم من بعد :

— مجير الكتامي الذي كتب سلسلة أمراء دمشق وهو من قواد الجند [١] .

— أبو أحمد الحسين بن محمد ابن الوزير وهو حافظ شروطي (كاتب عقود) [٢] .

— أبو محمد عبد الرحمن بن أحمد بن علي ابن صابر المحدث [٣] الذي عني بآثار دمشق وغوطتها .

— الحسن بن رشا بن نظيف المحدث المؤرخ [٤] .

— أبو بكر أحمد بن ابراهيم بن تمام السكسكي المحدث [٥] .

— أبو اسحق ابراهيم بن عبد الله بن حصن الأندلسي المحتسب [٦] .

— أبو حفص عمر بن أبي بكر المحدث المؤدب [٧] .

— أبو الحسن نجا بن أحمد بن عمر المحدث [٨] .

— الهوامش من (١) إلى (١٠) انظر ابن عساكر تاريخ مدينة دمشق (الأجزاء المطبوعة) بالترتيب (وذلك على سبيل المثال فقط) ج ١٠ ص ٤٤٦ / ج ٢ ص ١٩٧ / ج ١ ص =

– وابن ماهان أبو العلاء عبد الوهاب بن عيسى بن عبد الرحمن البغدادي المحدث [٩] .

– وثمة أيضاً من كتب وروى فضائل دمشق مثل :

– الجرجاني محمد بن أبي طيفور [١٠] .

ويتميز من هؤلاء خاصة :

– أبو محمد عبد المنعم بن علي المعروف بابن النحوي . ولسنا نعرف عن الرجل سوى أنه كان استاذاً للكتاني الدمشقي الذي سمع منه بدمشق سنة ٤١٥ ، ولسنا نعرف مؤلفاته ، ولكن ابن عساكر كثيراً ما يروي في ترجماته لامراء دمشق أو في حديثه عن بعض معالمها وأبنيتها وتاريخها انه « قرأ بخط عبد المنعم » [١] مما يوحي بأنه له مؤلفاً مكتوباً في أمر دمشق .

– الشريف العابد الدمشقي : وهو من رجال القرن الخامس على الأرجح ومن العالمين بالنسب على عادة الأشراف ، وقد شارك في معركة العباسيين لنقض النسب الفاطمي « وصنف كتاباً في إبطال نسب الفاطميين وفصل ذلك تفصيلاً حسناً وأطنب في ذكر اخوانهم من القرامطة .. » ذكر الكتاب وأخذ عنة أبو شامة في الروضتين [٢] .

– أبو الحسن علي بن المسلم بن الفتح السلمي المحدث الذي يبدو من مروياته لدى ابن عساكر انه كان على المام واسع بتاريخ دمشق وانه كان يتعصب لها ويحفظ الكثير من أمورها التاريخية كما كان يجمع ذلك من أصحابه

– ١٩ و ٨٩ / ج ١ ص ٢٢٩ و ٢٤٠ / ج ١ ص ٢١٥ / ج ١ ص ١١٥ / ج ١٠ ص ٢٤١ / ج ١٠ ص ٣٩٦ / ج ١٠ ص ٢٦٩ / ج ١٠ ص ٢٥٧ / ج ١٠ ص ٤٤٥ .

(١) انظر ابن عساكر مثلاً ج ٢ ص ١١٣ و ج ١٠ ص ٤٤٤ و ص ٤٤٥ .

(٢) ابو شامة – كتاب الروضتين ج ١ ص ٥١٦ (ط . محمد حلمي احمد) .

(مجير الكتامي . وابن الوزير وغيرهما) وبكتب ذلك نقلاً عن خطوطهم [1]

— ابن المرجي أبو المعالي المشرف بن المرجي بن ابراهيم المقدسي (من أواخر القرن الخامس) . وقد كتب فضائل بيت المقدس والخليل وفضائل الشام . ومنه نسخة مخطوطة في مكتبة توبنغن في ألمانيا وأخرى في مكتبة البديري بالقدس ثم تتصل سلسلة المؤرخين في القرن السادس بعدد لا ينقطع منهم :

— ابن بديع أبو النجم هبة الله بن محمد الأصبهاني (المقتول سنة ١١٠٩/٥٠٢) وهو كاتب أصبهاني جاء بلاد الشام مع الموجة السلجوقية ووزر لتاج الدين تتش بن ملكشاه في دمشق كما وزر لابنه رضوان في حلب ثم وزر للاتابك طغتكين بدمشق حيث قتل . وقد دفعته ثقافته الأدبية إلى تأليف كتاب بعنوان : صناعة الشعراء وبضاعة الأدباء حاول فيه اعطاء نظرة شاملة عن الجو الفكري في الشام حول مطالع القرن السادس مع الترجمة لرجاله . وقد استفاد ابن العديم من بعض أجزاء هذا الكتاب التي وقعت له [2] .

— ابن المنيرة : أبو عبد الله محمد بن يوسف الجالي الكفرطابي (المتوفى سنة ٥٠٣) أديب عمل في التدريس بشمال الشام ، وفي شيزر بصورة خاصة ، وقد نقل عنه تلميذه أبو الحسن علي بن مرشد المنقذي صاحب التاريخ عدداً من الأخبار يكشف انه كتب بعض التعاليق التاريخية [3] .

---

(١) انظر ابن عساكر مثلا : ج ٢ ص ١٩٧ و ص ٥٠ ، و ص ٢٦ ، ٤٤ ، ٤٩ ، ٩٤ ، ١٢١ ، ١٧١ ، ١٩١ ، و ج ١٠ ص ٢٦٥ . و ص ٢٦٥ / ٤٤٥ / ٤٤٦ .

(٢) ابن العديم – بغية الطلب (مخطوط فيض الله) الورقة ١٢٤ وجه ومخطوط أحمد الثالث ج ٧ ورقة ٦٤ ظهر ٦٥ وجه و ج ٨ ورقة ١٧٧ وجه .

(٣) انظر المصدر السابق مخطوط أحمد الثالث ج ٢ ورقة ١٣٦ ظهر ١٣٧ وجه و ج ٨ ورقة ١٠٨ وجه .

وكان له بالإضافة إلى هذا كتاب أدبي بعنوان البديع في نقد الشعر .

- الأرمنازي : أبو الفرج غيث بن علي بن عبد السلام (المولود سنة ٤٤٣ المتوفى سنة ٥٠٩) أصله من أرمناز عند حلب ثم رحل إلى صور فكان الخطيب فيها والمحدث كما تلمذ فيها على الخطيب البغدادي حين كان في الشام ، ثم نزل دمشق ونزل مصر . وقد كتب في التاريخ كتابين :

- تاريخ صور وقد ذكره السخاوي [١] في الاعلان .

- تاريخ دمشق وقد أشار اليه ياقوت [٢] .

- مفاخر الاسلام ومباني الأحكام في أخبار النبي عليه الصلاة والسلام وهو في التاريخ [٣] ويظهر في هذه الفترة ثلاثة أخوة مؤرخين من بني منقذ من أهل شيزر هم أخوة أسامة بن منقذ وثلاثة آخرون من آل أبي جرادة في حلب ، أسرة المؤرخ ابن العديم :

- المنقذي أبو الحسن علي بن مرشد بن علي الكناني (ولـــد قبيل سنة ٤٨٨ وتوفي سنة ٥٤٥) من أمراء قلعة شيزر وابن أميرها وقد كتب تاريخاً عاماً سماه : البداية والنهاية في التاريخ انتهى به إلى ما بعد سنة ٥٣٤ .

وإذا كان العنوان يذكرنا بتاريخ ابن كثير ، فإنما السابق اليه هو هذا الأمير الشيزري ، ونجد نقولاً عن هذا التاريخ لدى ابن العديم [٤] نقلها عن نسخة المنقذي نفسه بخطه تزيد في العدد على العشرين نقلاً .

---

(١) السخاوي – الاعلان ص ٦٣٥ .
(٢) انظر ياقوت معجم البلدان مادة دمشق .
(٣) هدية العارفين ج ١ ص ٦٩٦ وهو يسميه ابن مخلوف .
(٤) ابن العديم – بغية الطلب (مخطوط أحمد الثالث) ج ١ الورقة ٢٢١ وجه ج ٢ الورقة ١٣٧ وجه و ٢٧٠ وجه و ٢٧١ وجه . و ج ٤ الورقة ٣ ظهر و ج ٥ الورقة ١٦١ وجه و ج ٨ الورقة ١٠٨ وجه و ١١٣ ظهر ... و ج ٦ الورقة ١٠٠ وجه ... الخ .

- المنقذي (الأخ الثاني) أبو المغيث منقذ بن مرشد بن علي الكناني من امراء قلعة شيزر ورجال النصف الأول من القرن السادس . وقد كتب : ذيل تاريخ أبي غالب المعري ، كما جمع المراسلات المرسلة إلى والده الأمير مرشد (صاحب شيزر) في كتاب . وهو وثائق سياسية أدبية من ذلك العصر .
- المنقذي (الأخ الثالث) أبو عبد الله محمد بن مرشد الكناني وقد اهتم بكتابة تاريخ أسرته : تاريخ آل منقذ . ولقد يكون كتب ذلك إثر نكبة الزلازل التي ضربت قلعة شيزر سنة ١١٥٧/٥٥٢ فهدمتها فوق من فيها ، فهي خاوية على عروشها إلى اليوم .
- ابن أبي جرادة أبو الحسن علي بن عبدالله(ولد سنة ٤٦٠ وتوفي سنة ٥٤٨) وهو من أسرة القضاة والفقهاء الكبرى في حلب ، والتي منها المؤرخ ابن العديم. كان من القضاة الفقهاء المحدثين وقد كتب : تاريخ ملوك حلب[1] .
- ابن أبي جرادة (الابن) أبو عبد الله (أو أبو علي) الحسن بن علي ابن عبد الله الملقب بثقة الملك (والمتوفى سنة ٥٥١) وكان من طبقة القضاة الفاطميين (أي الموظفين الكبار لديهم) وله به تعليقات تاريخية أفاد منها ابن العديم ، قريبه ، فيما بعد[2] .

وله أيضاً روزنامج وهو مذكرات يومية لبعض الرحلات أو الأعمال التي قام بها .
- ابن جرادة أبو المكارم محمد بن عبد الملك بن أحمد وهو من رجال هذه الفترة نفسها ، لكنه توفي سنة ٥٦٥ ، وقد كتب مؤلفاً في جماعة من شيوخ

---

(١) انظر ابن العديم - بغية الطلب (مخطوط أحمد الثالث) ج ٧ الورقة ١٤٦ وجه وظهر و ١٩٤ ظهر / ج ٨ الورقة ٢٢٨ ظهر والورقة ١٢٩ ظهر و ١٥٣ وجه .
(٢) المصدر السابق نفسه ج ٦ الورقة ١٧٣ وجه وظهر .

حلب وأحوالهم ومواليدهم ووفاءاتهم .... [1] .

– المحنك أبو عبد الله محمد بن الحسن القاضي المرتضى (المتوفى سنة ٥٤٩) وهو طرابلسي الأصل دخل في خدمة الخلافة الفاطمية وكتب : تاريخ خلفاء مصر .

ويأتي في هذه الفترة نفسها عدد ممن نجهل وفياتهم جهلنا الكثير عنهم ومنهم :

– الحيراني أبو منصور هبة الله بن سعد الله بن سعيد . وهو والد أحد شيوخ ابن العديم . كان أديباً له عناية بالتاريخ ويصحح أخبار غيره .. وقد كتب مؤلفاً صغيراً في ولاة حلب أخذ عنه ابن العديم [2] .

– ابن اللعيبة أبو الفضل عبد المنعم بن الحسن بن الحسين الحلبي . ويتردد اسمه كثيراً لدى ابن العديم كمصدر من مصادره الاخبارية ، وقد قرأ مجموعة بخطه ولكنا لا نعلم عنوان هذا المؤلف [3] وإن كانت مقتطفات ابن العديم منه تمتد ما بين القرن الخامس حتى مطالع السادس سنة ٥١٩ .

– الهاشمي أبو جعفر من ولد عيسى بن صالح العباسي كان له أو لأبيه تاريخ ذكر فيه حوادث من أواخر القرن الخامس . وقد أعاره حفيده الشريف أبو المحاسن بن أبي حامد محمد من أبي جعفر لابن العديم فنقل عنه كما نقل ابن شداد [4] بعض الأخبار عن طلسم ظهر في انطاكية سنة ٤٦٧ .

– الواسطي المقدمي أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد الخطيب ، وقد كتب

---

(١) المصدر السابق نفسه ج ٢ الورقة ١٢٠ وجه ، ١١٨ ظهر ، ١١٩ ظهر ، ج ٤ الورقة ٣ ظهر ٤ وجه . ج ٨ الورقة ٢٢٨ ظهر ، ١٢٧ ظهر ، ومخطوط أيا صوفيا الورقة ٢٤٠ ظهر .

(٢) المصدر نفسه المجلد ٣ الورقة ٢٧٠ وجه والمجلد ١ الورقة ٨٢ ظهر .

(٣) انظر المصدر نفسه المجلد ٣ الورقة ٢٧٧ وجه المجلد ٧ الورقة ٢٢٠ ظهر ٢٥٠ وجه ، المجلد ٨ الورقة ١٨٢ وجه ١٥٥ ظهر .

(٤) ابن شداد – الاعلاق الخطيرة (قسم حلب – طبع سورديل) ص ١٢٥ .

كتاب فضائل بيت المقدس ، ويظهر انه الفه في دمشق ومنه نسخة مخطوطة في مكتبة أحمد الجزار بعكا ، ونسخة مصورة عنها في دار الكتب بمصر (رقم ٧٨١ مجاميع) بنص مطلعها على انها درست في دمشق (سنة ٥٢٣).
ثم يأتي بعد ذلك :

— الجماهيري أبو الحجاج يوسف بن محمد بن مقلد التنوخي الدمشقي الشافعي الصوفي (المتوفى سنة ٥٥٨) وقد كتب : الارتجال في أسماء الرجال وهو في التاريخ والتراجم على الطريقة الحديثية [١] .

— ابن بنجة أبو الفتح بنجه بن أبي الحسن (علي) بن بنجه الفقيه نزيل دمشق أيام نور الدين ، وقد كتب سيرة نور الدين في كتاب نقل عنه أبو شامة بعض الأخبار في كتاب الدولتين [٢] ويتبين منها ان السيرة كانت تمجيداً بمآثر الرجل وتقاه وجهاده . ولعلها أول سيرة كتبت له .

— العليمي أبو الخطاب عمر بن محمد بن عبد الله بن الخضر المعروف بابن حوائج كش (المتوفى سنة ٥٧٤) وهو تاجر موسر إلا أنه أحب العلم والحديث وكان يستفيد من رحلاته التجارية في السماع والرواية وهكذا سمع في دمشق ومصر والعراق ونيسابور وغيرها . وقد نقل عنه ابن العديم كثيراً من الأخبار التاريخية التي رواها ، كما ان العليمي وضع لنفسه معجماً لشيوخه سرد فيه تراجمهم وما أخذ عنهم .

— الوهراني : محمد بن محرز بن محمد (المتوفى بدمشق سنة ٥٧٥) وأصله من المغرب ولكنه بعد جولة في المشرق استقر في دمشق وعمل فيها خطيباً بجامع داريا وكان من الفقه والأدب والظرف بالمحل الكبير . وما بقي من آثاره يكشف عن شخصية طريفة بارعة التصوير والسخر . وله مجموعة من الكتابات نشرت باسم :

— منامات ومقامات الوهراني (نشرها أحمد عبد العزيز الأهواني —

---

(١) انظر هدية العارفين ج ٢ ص ٥٥٢ .

(٢) انظر ابا شامة كتاب الدولتين ج ١ ص ٥٢ ، ٩٧ ، ١٨٠ ، ١٢١ و ج ٢ ص ١٥ ، ٢٧ ، ٤٢ ، ١٣٩ ، ٢٤١ .

القاهرة) وفيها تصوير حي رائع للحياة الاجتماعية والأدبية في الشام في عصر نور الدين وصلاح الدين ندر أن يعثر على مثله لدى مؤرخ آخر وبخاصة ما فيه من التصوير الكاريكاتوري الناقد لطبقات الناس .

— ابن صصري : أبو المواهب الحسن بن هبة الله بن محفوظ بن الحسن الربعي التغلبي الأصل الدمشقي (ولد سنة ٥٣٧ توفي سنة ٥٨٦) من كبار الفقهاء في الشام تلمذ عن ابن عساكر ورحل إلى العراق وأصبهان والجزيرة قبل أن يستقر في دمشق ويصبح أحد العدول فيها . وقد كتب :

— فضائل بيت المقدس .

— فضائل الصحابة .

— ومعجم الشيوخ في ١٦ جزءاً (قرابة المجلدين) .

— السروي الطبرسي : رشيد الدين أبو جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب ابن أبي نصر كياكي المازندراني (المتوفى بحلب سنة ١١٩٢/٥٨٨ عن قرابة مائة سنة) وهو من كبار الكبار في علماء المذهب الشيعي ويوصف — كما تثبت مؤلفاته — بأنه كان عالماً ثقة محققاً عارفاً بالرجال والأخبار أديباً شاعراً ... ولهذا كله حمل لقب « شيخ الطائفة » ولم يحمله قبله سوى أبي جعفر الطبرسي (المتوفى سنة ٤٦٠) ولا حمله من بعده أحد .

وقد ألف الطبرسي الكثير وكان من بين اهتماماته الكبرى علم الرجال والمتفق والمفترق وهكذا وضع من الكتب التي تتصل بالتاريخ :

— كتاب معالم العلماء وهو فهرس بكتب الشيعة وأسماء المؤلفين يحوي ١٠٢١ ترجمة أكمل فيه فهرس الطوسي السابق له وزاد عليه حوالى ٦٠٠ كتاب . وقد جعله على الأحرف الأبجدية لأسماء المؤلفين . وهو ثمين بما يكشف من السوية العلمية ومن التيارات الفكرية للطائفة الشيعية حتى أواخر القرن

السادس . وقد طبع أكثر من مرة .

— ويبدو أن شهرة هذا الكتاب ، حتّى في عصره ، قد دفعت أحد معاصري الطبرسي إلى التذليل على فهرس الطوسي بذيل آخر لم يشتهر وقد كتبه منتجب الدين المتوفى سنة ٥٨٥ بعنوان : أسماء مشايخ الشيعة ومصنّفيهم :

— كتاب نخب الأخبار وهو مطبوع .
— وللسروي أيضاً كتابان تاريخيان .

— مناقب آل أبي طالب : ذكر فيه سير آل البيت وأخبارهم مع أخبار الصحابة والتابعين حتّى الامام العسكري : وقد طبع أكثر من مرة في جزئين وثلاثة وأربعة .

— مثالب النواصب وهو الكتاب النقيض للسابق في أخبار الفرق المناهضة للتشيع وهو بحجم المناقب ومنه نسخ مخطوطة في طهران والهند .

— الشيزري [1] : جمال الدين أبو الفضائل عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله (المتوفى سنة ٥٨٩/١١٩٣) وهو معاصر لصلاح الدين ومن طبقة الفقهاء عمل — فيما يبدو — قاضياً ومحتسباً في دمشق وطبرية وغيرهما . وترك كتاباً هاماً في هذا الباب اسمه :

— نهاية الرتبة في طلب الحسبة وهو مطبوع معروف .
— وقد اقتبس معظم هذا الكتاب بنصوصه الكاملة تقريباً مؤلفان لاحقان هما : ابن الأخوة (المتوفى سنة ٧٢٩) في معالم القربة ، وابن بسام (من رجال القرن الثامن بمصر) في كتابه الذي يحمل الاسم نفسه أيضاً : نهاية الرتبة .

---

(١) يختلفون في نسبة الرجل فهو الشيرازي والتبريزي والعدوي والنبراوي وكلها تصحيف والأصح انه لشيزر .

- وللشيزري كتاب آخر مطبوع معروف بعنوان : المنهج المسلوك في سياسة الملوك وهو من كتب التعليم السياسي .

- ابن نصر : عبد الرحمن بن نصر الدمشقي ، وقد يكون هو نفسه الشيزري الذي سبق ذكره فإن ابن ظافر الأزدي وهو معاصر له يقتبس خبراً من كتاب له بعنوان :
  - كتاب التحفة والطرفة . وذلك في كتابه بدائع البدائه [1] .

- الأصفهاني عماد الدين القاضي (المتوفى بعد سنة ٥٩٣/١١٩٧) .

والرجل نفسه موضوع خلاف قد يكون من الصعب في الوضع الحالي للمعلومات ، الوصول في أمره إلى نتيجة حاسمة . ذلك ان اسمه ينطبق على الكاتب المعروف ، في هذا العصر نفسه ، بهذا الاسم غير أن بين أيدينا مؤلفاً تاريخياً يحمل اسم :

- البستان الجامع لجميع تواريخ الزمان .

وهو موجز تاريخي منذ المبعث حتّى سنة ٥٩٣ ، الف فيما يبدو بين سنتي ٥٩٢ — ٥٩٣ ولدينا نسختان مخطوطتان احداهما في استامبول (أحمد الثالث رقم ٢٩٥٩) والثانية في اكسفورد (Hunt 172) وكان من الممكن بسهولة أن يضاف هذا المؤلف إلى تراث العماد الواسع لولا خمسة أمور :

أولها : انه ما من مصدر من المصادر التاريخية ذكر للعماد كتاباً بهذا العنوان .

الثاني : ان اسلوبه الكتابي مخالف لاسلوب العماد المسجع دوماً . حتّى عنوان الكتاب لا يتبع السجع مع ان عناوين العماد مسجعة حتماً ومعظم الكتب في عهده على النهج نفسه من السجع .

الثالث : ان فيه رغم اختصاره الشديد الأمور المتعلقة بأخبار صلاح الدين والتي

---

(١) انظر ابن ظافر الأزدي — بدائع البدائه (ط . مصر سنة ١٢٧٨) ص ٢٢٢ (و ط . محمد ابو الفضل ابراهيم سنة ١٩٧٠) ص ٣٨٧ .

لا نجدها لدى العماد في كتبه المطولة ، وبعضها يخالف رواية العماد نفسه .

الرابع : ان العماد يُعرف دوماً بالكاتب ، وبالرغم من انه كان يحمل لقب القاضي الأجل في الوقت نفسه إلا أنه لم يكن أبداً يلقب بالقاضي فقط ، ولم يكن لقب القاضي الأجلّ يلصق باسمه إلا في المكاتبات الرسمية .

الخامس :ان رواية الاحداث في خاتمة الكتاب تكشف ان صاحبه عاش في حلب ثم في مصر ولا يبدو انه يعرف دمشق وأحوالها بينما عاش العماد خاصة في دمشق . فلا يبقى إلا أن يكون المؤلف شخصاً آخر غير العماد المشهور يحمل لقبه نفسه أو أن يكون مؤرخاً مجهولاً انتحل الاسم لينفق على الناس .

وفي التاريخ معلومات ينفرد بها أحياناً عن عصره.ولكنه يأخذ أحياناً عن العظيمي ويتشابه مع ابن أبي طي (كما رواه أبو شامة وابن الفرات) ومع ابن أبي الدم (إلا فيما يتعلق بمصر) ومع ابن واصل (في التاريخ الصالحي) ولعلهم أخذوا جميعاً عنه أو عن المصادر التي استخدمها وقد استفاد ابن خلكان من البستان الجامع وابن ميسر والجزري .

وقد ذيل عليه مؤرخ من عهد الملك الظاهر بيبرس هو علم الدين سنجر المسروري حتى سنة ٦٣٢ والذيل ملحق بالمخطوطة الموجودة من البستان في استامبول وقد نشر كلود كاهن القسم الأخير منه (بين سنة ٤٩٠ –٥٩٣) في نشرة المعهد الفرنسي بدمشق سنة ١٩٣٨ (B.E.O. Damas, 1938)

— ابن المهندس أبو الفضل مؤيد الدين محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن الحارثي (المتوفى سنة ١٢٠٣/٥٩٩) ، وقد صنف كتاب الحروب والسياسة .

- ابن عساكر (الابن) بهاء الدين أبو محمد القاسم بن علي الدمشقي (المتوفى سنة ٦٠٠/١٢٠٤) ، وقد كتب ذيلاً على تاريخ ابيه باسم : ذيل تاريخ دمشق ، كما كتب كتابين في الفضائل : فضائل المدينة وفضائل الجهاد .

وندع جانباً بعد هذا الكثير من صغار المؤرخين من أمثال من كتبوا معاجم الشيوخ ومنهم :

- القرشي معين الدين أبو المحاسن عمر بن علي بن الخضر المعروف بنعنع (المتوفى سنة ٥٧٥) .

- الحوال تاج الدين أبو محمد عبد الخالق بن أسد بن ثابت المتوفى سنة ٥٨٣ .

أو من أمثال من كتبوا تعليقات تاريخية ومنهم :

- أبو طي حامد النجار بن ظاقر علي الغساني الحلبي (المتوفى بعد سنة ٥٨٠) والد المؤرخ ابن أبي طي .

- عبد الرحمن بن محمد بن مرشد المنقذي الأمير المتوفى سنة ٥٨٨ .

- القيسراني أبو البقاء موفق الدين خالد بن محمد المتوفى سنة ٥٨٨ .

أو من أمثال من كتبوا بعض الكتب في أجواء التاريخ مثل :

- الشريف العابد الدمشقي النسابة الذي كتب كتاباً في بيان زيف نسب الفاطميين وصلتهم بالقرامطة .

- ابن حلوان الخضر بن عبد الله بن الخضر المعري التنوخي صاحب آداب الغرباء .

- ابن جهل مجد الدين طاهر بن نصر الله الحلبي صاحب فضائل الجهاد .

- أو أخيراً من أمثال ثلاثة مؤلفين مجهولين كانوا في الغالب من رجال حلب في القرن السادس كما كانوا من مصادر ابن العديم وهم :

- منصور بن تميم ابن الزنكل السرميني ، وقد نقل عنه ابن العديم خبراً

عن أحداث فترة دخول السلاجقة إلى الشام (خلال ترجمة أحمد شاه) [1].

— أبو منصور هبة الله بن سعد الله ابن الجيراني الحلي وقد أخذ عنه ابن العديم بعض أخبار اقسنقر جد الزنكيين [2].

— ابن الموصول ، وقد كتب تعليقاً تاريخياً روى ابن العديم [3] منه خبراً عن رضوان ملك حلب وسرقته للتاجر الخراساني الخجندي سنة ٥٠٥ وأحد أحفاد ابن الموصول هو الذي روى خبر التعليق .

ونتنقل إلى القرن السابع لنتابع استعراض المؤرخين ومنهم :

— ابن قدامة المقدسي أبو محمود موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد الحنبلي (المتوفى سنة ٦٢٠/١٢٢٣) .

ولد بجماعيل في القدس سنة ٥٤١ وهاجر مع أخيه الشيخ أبي عمر إلى دمشق سنة ٥٥١ ، ثم رحل لبغداد وتبحر في الفقه ليعود بعد ذلك للتدريس في دمشق ويكتب بين ما يكتب :

— كتاب التوابين ، وهدفه الوعظ ، ولكن فيه الكثير من الجو والخبر التاريخي مطبوع أكثر من مرة .
— كتاب فضل دمشق وهو قطعة من كتابه الفقهي الكبير المغني (مطبوع بدوره) معجم الشيوخ — وهو مفقود .

— ابن عنين أبو المحاسن محمد بن نصر الله بن نصر بن مكارم الانصاري الدمشقي المتوفى سنة ٦٣٠/١٢٢٣) عن احدى وثمانين سنة . كان في الطبقة الأولى من الشعراء ومن العارفين باللغة والأدب والأخبار . ولي الوزارة بدمشق لملكها الأيوبي ثم طاف البلاد من الشام والعراق والجزيرة وأذربيجان وخراسان

---

(١) انظر ابن العديم — بغية الطلب (مخطوط احمد الثالث) المجلد ٢ الورقة ١٦٦ وجه .
(٢) المصدر نفسه ج ٣ الورقة ٢٧٠ وجه .
(٣) المصدر نفسه ج ٦ الورقة ٩٠ ظهر و ٩١ وجه .

وغزوة خوارزم وما وراء النهر ثم دخل الهند واليمن ، وبعد أن أقام فيها مدة تحول إلى الحجاز ثم الديار المصرية . ثم كتب إلى ملك دمشق (الملك العادل الأيوبي) يستأذنه في العود إلى دمشق ويتشوق اليها في شيخوخته وكان قد أخرج منها لكثرة ما وقع في هجاء الناس وما جرح من أعراضهم وخاصة في قصيدته « مقراض الأعراض » ولو انه لم يجمع ديوانه الشعري الغزير إلا أنه كتب للملك العزيز الأيوبي كتاب : التاريخ العزيزي . وهو مفقود .

- الأميني ابن الحاجب الرحال عز الدين أبو الفتح محمد بن محمد بن منصور وخرّج لنفسه :
  - معجم الشيوخ في بضعة وستين جزءاً (٦ مجلدات) .

- ابن المجاور الدمشقي : نجم (أو جمال الدين) أبو الفتح يوسف بن يعقوب الشيباني (المتوفى بعد سنة ٦٣٠) وهو تاجر فقيه ولد بدمشق وترعرع في بغداد وعرف الفارسية ، وكان على صلات بالهند. أقام بعض الوقت في بلاد الملتان ثم عبر البحر إلى عدن وتجول فيما بينها وبين حضرموت وعمان والخليج والحجاز وكتب خلاصة معرفته لهذا المناطق في كتاب :

- تاريخ المستبصر وصف فيه بلاد العرب الجنوبية وطرقها وطرق الملاحة بينها ومسائلها ، لكن أهمية كتابه إنما جاءت من براعته واهتمامه بوصف الحياة العامة في نواحيها الاجتماعية والاقتصادية وبما قدم من المعلومات الطبغرافية والحضارية والأسطورية والاثنوغرافية وبما ذكر من تقاليد الزواج والأدب الشعبي وعادات القبائل واختلاف اللهجات وما رسم من ملامح عدن خاصة وغيرها ... والكتاب مطبوع في مجلدين [1] (نشره أوسكر

---

(١) ثمة شك كبير في أن يكون ابن المجاور الدمشقي هذا هو نفسه صاحب كتاب تاريخ المستبصر الذي نعزوه هنا إليه . ويبدو أن ثمة اثنين يحملان هذا اللقب أي ابن المجاور : أحدهما نيسابوري وقد توفي بعد سنة ٦٣٠ والثاني دمشقي وقد توفي سنة ٦٩٠. واسم الأول غير معروف=

لوفغرين – ليدن ١٩٥١) باسم : (صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز).

– الحنبلي ناصح الدين عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب الانصاري الشيزري الدمشقي (المتوفى سنة ٦٣٤) عن ثمانين سنة . ولد بدمشق في بيت علم قديم وسمع بها ثم في بغداد وأصبهان والموصل واربل والجزيرة وحلب ودخل مصر مرتين واشتهر بالوعظ وحظي بالقبول لدى صلاح الدين والأيوبيين من بعده . وقد كتب : تاريخ الوعاظ وهو مفقود .

– كتاب الاستسعاد بمن لقيت من صالح العباد في البلاد.

– كتاب الأنجاد في الجهاد .

وابن العديم تلميذه ، وقد نقل عده مرات عن كتابه الاستسعاد [1] وهذه النقول هي ما بقي منه .

– ابن سعادة أبو الياس شمس الدين أحمد بن خليل بن سعادة بن جعفر الخولي البرمكي (أو المهلبي) اللبودي (المتوفى سنة ٦٣٧) وهو من الفقهاء البارزين أصله من أذربيجان . درس في خراسان وكان مع الفقه اماماً في علم الكلام والطب والحكمة ولي قضاء القضاة بالشام . ومن مؤلفاته وقد ضاعت كلها :

– الروض الباسم في أخبار من مضى من العوالم .

= ولكنه يروى في نص كتاب المستبصر (ج ١ ، ص ٢٥٢) أن والده هو محمد بن مسعود بن علي بن أحمد بن المجاور البغدادي النيسابوري. وأما اسم الدمشقي فقد ذكرناه . وقد أوضح هذا الالتباس وأزاله الأمير جعفر الحسني (في تعليق بمجلة المجمع العلمي العربي بدمشق – العدد ٣٢ لسنة ١٩٥٧ الصفحات ٣٨٣ – ٣٨٥) . وهكذا فتاريخ المستبصر هو للنيسابوري لا للدمشقي ، غير أننا مع ذلك لم نشأ أن نلغي ذكره تماماً من مدرسة الشام لاحتمال أن يكون الكتاب من تأليف الدمشقي كما هو شائع ...

(١) أنظر ابن العديم – بغية الطلب (مخطوط أحمد الثالث) ج ١ الورقة ٥٧ وجه ، ج ٢ الورقة ١٤٧ وجه ، ١٦٥ ظهر ، ج ٧ ورقة ٢١٧ ظهر ج ٨ الورقة ١٥٨ وجه .

– الروض البسام في من ولي قضاء الشام « وهو أول كتاب في قضاة الشام) .

سوف تتبعه من بعده سلسلة من الكتب [1] .

– النجوم الزواهر في معرفة الأواخر (وهو في التاريخ أيضاً) .

– الدمشقي أبو الفتوح عبد السلام بن يوسف بن محمد (من معاصري هذه الفترة) ويبدو انه من المشاركين في الجو الأدبي في ذلك العصر ومن الخطباء . وله عدا ديوان الخطب كتاب يؤرخ الحركة الشعرية في عصره اسمه :

– انموذج الزمان في شعراء الأعيان ممن أدرك بالسماع والعيان .

– ابن حمويه تاج الدين أبو محمد عبد الله (ويسمى عبد السلام) بن عمر بن علي بن محمد الجويني [2] الدمشقي (ولد بدمشق سنة ٥٦٦ – وتوفي سنة ٦٤٢) صوفي معروف سمع بدمشق وبغداد ومصر ودخل المغرب فأقام فيه ست سنوات .. كان شيخ الخانقاه السّميساطية بدمشق. وقد ألف عدداً من الكتب التاريخية أو المتصلة بالتاريخ ومنها :

– كتاب السياسة الملوكية صنفه للملك الكامل الأيوبي .

– عطف الذيل في التاريخ ولعله هو ذيل تاريخ ابن عساكر الذي ينسب اليه .

– المسالك والممالك وهو في الجغرافيا .

– الرحلة المغربية ولعله في تراجم الشيوخ الذين أخذ عنهم في المغرب

---

(١) لحق به الذهبي من بعد في كتاب أخبار قضاة دمشق ، ثم أبو الفضل المقدسي (في القرن الثامن) بكتاب الزهر البسام من نشر قضاة الشام ثم النعيمي سنة (٩٢٧) في كتاب (القضاة الشافعية) حتى جاء ابن طولون سنة (٩٥٣) فألف : الثغر البسام في ذكر من ولي قضاء الشام وكتاب اعلام الورى عمن ولي قضاء الشام ثم تبعهم أخيراً ابن جمعة المقار ، فألف كتاب (الباشات والقضاة) في العهد العثماني ولم يبق من هذه السلسلة جميعاً سوى كتاب ابن طولون (الثغر) وكتاب المقار .

(٢) هناك أكثر من شخص واحد يحملون لقب الجويني كما ثمة ابن حموية آخر توفي سنة ٦٢٣ .

إن لم يكن في حديث الرحلة إلى المغرب . ومذ كراته عنها .

— السخاوي علم الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد بن عبد الأحد الهمداني (المتوفى سنة ٦٤٣ بدمشق عن ٨٥ سنة) . مصري الأصل عمل في الإقراء والنحو والإخبار وكان من تآليفه الكثيرة .

— كتاب لواقح الفكر في أخبار من غبر .

— ابن الصلاح أبو عمرو تقي الدين عثمان بن عبد الرحمن بن موسى الشهرزوري الكردي (ولد سنة ٥٧٥ توفي سنة ٦٤٣) درس أولاً على أبيه ثم في الموصل. رحل إلى خراسان ثم رجع إلى الشام فتولى التدريس في المدرسة النظامية بالقدس ، ثم انتقل للتدريس في دمشق وكان من علماء الفقه الشافعي والحديث واللغة المشهورين وله بين كتبه العديدة كتاب طبقات الشافعية وقد اختصره النووي (المتوفى سنة ٦٧٦) كما نظمه المزي(المتوفى سنة ٧٤٢) أبجدياً ومن هذا المختصر المنظم نسخة مخطوطة في الظاهرية بدمشق (رقم ١٥٧ عام) مخرومة الأول والآخر بورقة أو اثنتين .

وثمة ثلاث نسخ مخطوطة أخرى في المدينة (مكتبة عارف حكمة رقم ١٦٦ تاريخ) وفي استنبول (الحميدية — مكتبة مراد ملا رقم ٥٣٧) وفي دار الكتب بالقاهرة (رقم ٢٠٢١ تاريخ) .

وقد كتب ابن الصلاح كتاب الرحلة الشرقية أو فوائد الرحلة جمع فيه فوائد علمية من كل نوع وفيها الكثير من المعلومات التاريخية .

— ابن حمو الحلبي امين الدين أبو القاسم عبد المحسن بن محمود بن عبد المحسن التنوخي الشهير بابن حمو (ولد سنة ٥٧٠ — توفي سنة ٦٤٣) وهو شاعر أديب مترسل عمل في الكتابة للأيوبيين في ديوان الترسل . ومن تصانيفه :

- كتاب النوادر والأخبار في عشرين مجلداً لم يبق منها أثر .

- الملك الصالح نجم الدين أيوب بن عبد الملك الكامل محمد الأيوبي سلطان الجزيرة ودمشق ومصر (المتوفى سنة ١٢٤٩/٦٤٧) . ولم يكن مؤرخاً ، ولكن من المولعين بالتاريخ ، وقد بلغ به هذا الولع حد تلخيص ذيول الطبري ، وهي لا تقل عن عشرة كتب : عريب وثابت بن سنان ، ثم الفرغاني ، ثم هلال الصابي ، ثم ابنه غرس النعمة وابن الهمداني والزاغوني وصدقة الحداد ، ثم ابن الجوزي ، وأخيراً القادسي .

- ابن الخشاب بهاء الدين أبو محمد الحسن بن ابراهيم بن سعيد بن يحيى بن الخشاب الحلبي (ولد سنة ٥٦٨ بحلب وتوفي بها سنة ٦٤٨) . درس في دمشق وحلب وروى الشعر والأخبار ، وعمل في القضاء ، وكان رغم تشيعه معتدل الرأي مقدماً في دولة الملك الظاهر غازي الأيوبي صاحب حلب ، كما كان من اصدقاء ابن العديم لا يتفارقان في سفر أو حضر . جمع تاريخاً ابتداء من سنة ٥٠٠ إلى أن توفي [١] نقل ابن العديم عن هذا التاريخ ، كما نقل عز الدين بن شداد في الاعلاق الخطيرة [٢] .

- أبو الحجاج يوسف بن خليل بن عبد الله قراجا الدمشقي المتوفى سنة ٦٤٨ عن ثلاث وتسعين سنة . ولد بدمشق وتشاغل بالكسب حتى بلغ الثلاثين ، ثم طلب الحديث وكتب ما لا يدخل تحت الحصر. ورحل إلى الأقطار في طلبه : فعرف بغداد واصبهان والموصل ومصر والحجاز وكان نبيلاً متقناً واسع الرواية . وقد استوطن حلب في أواخر حياته يدرس في جامعها ، ومات فيها بعد أن ترك جيلاً من تلاميذه بينهم ابن العديم وابن الدبيثي وابن الانماطي وابن النجار وابن نقطة. وضع الرجل: تذكرة فيها من دخل حلب من المحدثين نقل عنها ابن العديم [٣] كما جمع لنفسه

(١) ابن العديم – بغية الطلب (مخطوط أيا صوفيا) الورقة ١٣٢ وجه وظهر .
(٢) أنظر ابن شداد – الاعلاق الخطيرة (قسم حلب) ص ١٢ ، ص ٣٣ ، ص ١٢٨ .
(٣) ابن العديم – البغية (مخطوط أيا صوفيا) الورقة ١٧٢ ظهر .

معجماً بتراجم شيوخه ضم أكثر من ٥٠٠ ترجمة .

— الداري خليل الدين الحسين بن علي بن الفضل الداري من رجال أواسط القرن السابع ، ونحن نجهل كل شيء عنه فلا ترجمة له ، وان كنا نجد ترجمة لابنه المجد المتوفى سنة ٦٨٠ ، ويبدو أنه ألف تاريخاً هاماً عرف باسمه . ويتبين من النصوص التي نقلها عنه ابن العديم ومنها ما يتعلق بسنان شيخ الجبل الإسماعيلي سنة ٥٥٢ وما يتعلق بمقتل دبيس بن صدقة سنة ٥٢٩ ان الرجل كان يتمتع بمصادر أصيلة هامة ولكن التاريخ فقد[١] .

— ابن ندى الجزري ، الصاحب الكبير محي الدين محمد بن الصاحب شمس الدين محمد الأيوبي أمير الجزيرة ودمشق (المتوفى بدمشق سنة ١٢٥٣/٦٥١ كان من الأمراء المحبين للعلم وأهله فاجتمع إليه جملة واسعة منهم كالتيفاشي والسنجاري وأبي شامة وابن سعيد المغربي ممن كانوا أعيان ذلك العصر وصنفوا له الكتب ، كما امتدحه الشعراء الكثيرون . ويبدو أنه كان مهتماً بالفكر السياسي لأننا نجد له ستة مؤلفات في هذا الموضوع ضاعت كلها :

— كتاب لطائف الواردات	— كتاب معالم التدبير
— كتاب مراشد الملك	— كتاب ضوابط الملك
— كتاب وظائف الرئاسة	— التذكرة الملوكية

— التيفاشي أبو العباس أحمد بن يوسف المغربي (المتوفى سنة ٦٥١) وهو في الأصل (من تونس) وقد ترحل إلى مصر فدرس بها وفي دمشق ، ثم ذهب إلى المغرب فلم يطب له المقام فعاد إلى مصر بعد أن خسر عائلته

(١) ضاع المجلد الذي يحوي ترجمة سنان شيخ الجبل من كتاب ابن العديم : بغية الطلب ولكنا نجد الترجمة منقولة عنه لدى الصفدي (في مخطوط الوافي بالوفيات) كما نقل ابن العديم عن الداري في البغية (مخطوط أحمد الثالث) ج ٥ الورقة ٣١٥ وجه و ج ٦ الورقة ٩٤ وجه وظهر و ١٤١ ظهر .

بغرق المركب في البحر . ثم تحول من مصر إلى بــلاد الشام ، وتنقل بين دمشق وحلب وآمد ملازماً لابن ندى الجزري قبل أن يعود إلى مصر ويموت فيها . وقد عمل في القضاء خلال هذه الفترات ثم عزل عنه لأنه وجد لديه زق خمر [1] .

شارك التيفاشي في عدة فنون وكتب وصنف . ومما ألف :

- كتاب فصل الخطاب في ٢٤ مجلداً جمع فيه بين عيون الأخبار ومستحسن الأشعار الفه لابن ندى الجزري [2] .

- كتاب الدرة الفائقة في محاسن الأفارقة ترجم فيه لأهل بلاده . وقد أهدى منه نسخة بخطه لابن العديم الذي أخذ بعض النقول عنها

- سجع الهديل في أخبار النيل ذكره كشف الظنون .

- الحلبي النصيبيني : أبو سالم كمال الدين محمد بن طلحة بن الحسن بن محمد القرشي العدوي (ولد سنة ٥٨٢ توفي سنة ٦٥٢) أحد صدور العهد الأيوبي سمع في بغداد ونيسابور ثم تولى قضاء نصيبين ثم الخطابة بدمشق وعمل في ديوان الرسائل لملوك الأيوبيين في دمشق وحلب ، وقلد الوزارة ولكنه بعد يومين هرب منها وتزهد وحج سنة ٦٤٨ فلما عاد أقام قليلاً في دمشق ثم ترحل إلى حلب حيث مات . وله من الكتب :

- العقد الفريد للملك السعيد وهو في التعليم السياسي (مطبوع)

- مطالب المسؤول في مناقب آل الرسول (وهو بدوره مطبوع) .

- نفائس العناصر لمجالس الملك الناصر (صلاح الدين) وهو مخطوط بمكتبة

---

(١) أنظر تاريخ حياته لدى ابن العديم الذي لقيه في مصر وأخذ عنه (بغية الطلب - مخطوط أحمد الثالث (ج ٢ الورقة ١٥٩ وجه حتى ١٦١ وجه ٣) .

(٢) الصفدي - الوافي بالوفيات ج ١ ص ١٧٢ .

الرباط بالمغرب (رقم ٢٥٠) في ٢٨٣ ورقة .

- الجفر الجامع والنور اللامع . وهو ضائع ويشبه أن يكون في التنجيم والتنبؤ بأحداث المستقبل .

- القوصي أبو المحامد شهاب الدين اسماعيل بن حامد بن عبد الرحمن بن المرجا الأنصاري (المتوفى سنة ٦٥٣ عن إحدى وثمانين سنة) وهو مصري الأصل من بلدة قوص رحل إلى القاهرة أولاً سنة ٥٩٠ ثم عاد إلى دمشق سنة ٥٩١ فاستوطنها بعد أن درس الكثير في بلاد متعددة . وتولى في دمشق وكالة بيت المال وكانت له حلقة تدريس في الجامع الأموي ، كما أنـه وقف داره فجعلها داراً للحديث بدمشق وقد تميز بأنه كان أديباً أخبارياً مفوهاً بصيراً بالفقه وقد كتب :

- تاج المعاجم (تراجم شيوخه) في أربع مجلدات كبار .

- ابن باطيش أبو المجد عماد الدين اسماعيل بن أبي البركات هبة الله بن أبي الرضى سعيد بن هبة الله الموصلي الشافعي (ولد سنة ٥٧٥ بالموصل ،توفي بحلب سنة ١٢٥٧/٦٥) . من كبار فقهاء العهد الأيوبي . تفقه في النظامية ببغداد وسمع من ابن الجوزي . كما درس في حلب وفي دمشق ، ثم عاد إلى الموصل معيداً بالمدرسة البدرية وخازناً لكتبها ، ثم غادرها إلى حلب فاستقر بها مدرساً في المدرسة النورية حتى توفي . وقد اهتم بتاريخ بلده وتراجم أصحاب مذهبه الشافعي وهكذا كتب :

- تاريخ الموصل ، ولعل كتب ابن الأثير التي عاصرت هذا الكتاب قـد طمست آثاره . تاريخه على الأرجح في التراجم على طريقة المحدثين .

- طبقات الشافعية (أو أخبار الفقهاء الشافعية) .

- كتاب التمييز والفصل بين المتفق في الخط والنقط والشكل وهو في خمس مجلدات لم يبق منها سوى الرابع والخامس في نسختين مخطوطتين فالرابع في

مكتبة الأزهر بالقاهرة (تاريخ ٦٥٤) والخامس في المكتبة العبدلية الصادقية بتونس (رقم ١٨٤) ولعله بخط المؤلف .

– الشريف الهاشمي محيي الدين أبو حامد بن أبي جعفر الهاشمي من ولد عيسى ابن صالح العباسي ، وكان من معاصري ابن العديم ، ويبدو أن هذا الشريف كان يمتلك تاريخاً وضعه بعض أجداده ، فأضاف إليه تعليقات أخرى ، وجعله كتاباً في التاريخ نقل عنه ابن العديم بعض أخبار بني مرداس في القرن الخامس ، كما نقل عنه ابن شداد بعض الأخبار الأخرى (وربما كان ذلك عن طريق كتاب ابن العديم) [1] .

– ابن الملك الناصر داود : شادي بن داود بن الملك المعظم عيسى ، وقد كتب حياة أبيه وقلق عصره السياسي ومراسلاته ، وهي وثائق من العصر في كتاب يحتفظ المتحف البريطاني بنسخة منه (ملحق رقم ٥٥٧) كما ان في استامبول نسخة أخرى (ايا صوفيا رقم ٢٨٢٣) بخط حفيد الناصر محمد بن شادي المتوفى سنة ٧١٩ .

– ابن أبي الهيجاء وهو مؤلف قد يكون من نسل الأمراء الأكراد بني الهيجاء في شمال شرقي الموصل . وقد كتب تاريخاً موجزاً للإسلام يبدأ بسيرة الرسول ثم بمن بعده من الخلفاء على السنين حتى عصره . ومن المرجح انه من رجال أواسط القرن السابع .

وثمة نسخة مخطوطة مخرومة الآخر من هذا التاريخ في ٢٠٦ ورقات في المكتبة الأحمدية بتونس (رقم ٤٩١٥) .

– ابن عبد الدائم أبو العباس زين الدين أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسي الحنبلي الصالحي (ولد بنابلس سنة ٥٧٥ وتوفي بدمشق سنة ٦٦٨) درس

---

(١) أنظر ابن العديم – بغية الطلب (مخطوط أحمد الثالث) ج ٨ الورقة ١٦ وجه وخلف و ١٧ وجه .
وانظر كذلك ابن شداد – الأعلاق الخطيرة (قسم حلب) ص ١٢٥ .

في الشام وبغداد وحرّان ، واشتهر بالحفظ والفقه حتى صار مسند الشام وفقيهها ومحدثها ، كما عمل بالخطابة والنسخ . ذكر انه كتب بيده الفي مجلدة وقد رحل اليه الناس من البلاد وتخرج عليه عدد من العلماء كالبوزالي وابن الحاجب والنووي وابن دقيق العيد وابن تيمية .

- جمع تاريخاً لنفسه لم يصلنا منه شيء .
- وخرّج لنفسه مشيخة منها نسخة مخطوطة في ١٥ ورقة .
- واختصر تاريخ ابن عساكر في كتاب سماه : فاكهة المجالس وفكاهة المُجالس ومنه نسخة مخطوطة بخطه في استامبول لها مصورة في المجمع العلمي العربي بدمشق .

إن هذا الفيض من جمهور التاريخ في بلاد الشام فيما بين القرنين الخامس والسابع خاصة ليس كل شيء ولا يحوي كل الأسماء . فثمة من بعده جمهور . وإنما السبب في هذه الكثرة ـ على ما يبدو ـ انّ تألق العهدين النوري ثم الأيوبي من بعده قد اجتذب إلى بلاد الشام ما كانت بغداد تستطقبه وتستأثر به من العلماء والمؤلفين المنتجين .

الفصل السابع عشر

مَدرَسَة اليَمَن

حتى أواسط القرن السابع

١ - الجذور والمدرسة المهاجرة

تاريخ اليمن في القرنين السابقين للاسلام كان تاريخ حضارة يمنية خاصة تنهار بعد قرون طويلة من العمر ، وصراع سياسي حضاري مع ثقافات أجنبية غازية تريد أن تتوطد في تلك البقاع :

- فتيار طامع بها من الغرب ، على يد الأحباش ، يحمل معه المسيحية ديناً والجعزية الحبشية كتابة ولغة ، ويؤيده في اليمن من تنصر .
- وتيار قادم من الشرق ، مع الفرس ، يحمل معه الزارادشتية ، واللغة الفارسية ويدعمه « الأبناء » ، وهم أبناء الفرس الذين جاؤوا مع حملة سيف بن ذي يزن ومن بعدها فاستوطنوا اليمن .
- وتيار قادم من الشمال ، ذو لونين : لون يهودي يحمل اليهودية واللغة

العبرية والتوراة من جنوب الشام على الأخص وعبر الحجاز ، ولون مسيحي فيه التأثيرات النسطورية واليعقوبية يحمل المسيحية طبقاً لهذه المذاهب ، مع اللغة السريانية والكتاب المقدس (الأناجيل مع التوراة) . واللونان يصطرعان أعنف الصراع فيما بينهما على كسب اليمن .

وفي الوقت نفسه يبدو أن لغة عرب الشمال (اللغة العربية الحالية) وأفكار التوحيد في الدين كانت تكسب المزيد من الأرض والقواعد في اليمن . بقابل كل ذلك حضارة يمنية متعددة المراكز ذات تراث طويل ونظم وانتاج وفنون ، وثقافة دينية مستقرة ولغة عربية يمنية خاصة وكتابة شائعة بالمسند (الخط) اليماني ولكنها حضارة هرمت فهي تصارع للبقاء ..

وجاء الاسلام فحسم ذلك الصراع كله لمصلحة الدين الجديد ولغة عرب الشمال . وأدخل اليمن وأهلها عنصراً من عناصر الحضارة العربية الاسلامية الناشئة ، معطياً اياهم سيلاً جديداً في التاريخ . على أنه بكل تأكيد لم يمح ، بلمسة سحرية ، من ذاكرة الناس ولا من مسطور كتبهم ومن متواتر الروايات ، كل ما كانوا يعرفون ويتداولون من معارف التاريخ ومن أخبار الماضين . والعناصر الأساسية المكونة لهذه المعارف والأخبار كانت تتكون ، عند التحليل من :

١ ـ معلومات تاريخية تتعلق بتاريخ اليمن ودوله من سبأ أو قتبان ومعين وأوسان وحمير ، ومن أخبار المكارب والآثار القائمة والمعابد والمحافد والسدود والقصور ومحطات التجارة ومن عقائد الدين . والاشارات الواردة لدى الهمداني في الاكليل تدل على أن بعض هذه المعلومات كان مكتوباً لدى بعض الأسر وبعض الناس في « زبر » وكتابات لا شك أنها كتبت بالمسند وهو خط اليمن خلال ما لا يقل عن ١٥ إلى عشرين قرناً قبل الاسلام . وكان اليمنيون المتعلمون يقرؤونه ويكتبون به عند ظهور الاسلام ولم يندثر الا تدريجياً . وكان الهمداني وبعض معاصريه في

القرن الرابع الهجري يعرفونه . وبعض النقوش والكتابات الأثرية بهذا الخط كانت قائمة عند أعين الناس وقيد أنظارهم خلال القرون الأولى للاسلام وكان ممكناً أن تكون بدورها مصدراً للمعرفة التاريخية لمن يشاء ما دامت مزروعة في طول اليمن وعرضه وفيها نصوص دينية وقانونية وسياسية واقتصادية ومالية . ولكن يبدو أنها أهملت تمام الاهمال وقلما حاول أحد اقتباس شيء عنها .

٢ ـ معلومات تاريخية من نوع آخر تقوم جذورها في الكتاب المقدس خاصة ، وفي الأخبار الاسرائيلية والمسيحية وهي لا تختلف عن التراث الفكري الديني الذي كان شائعاً فيما بين العراق والشام ومصر في ما قبل الاسلام . وحملة هذه المعلومات هم في الغالب رجال الدينين اليهودي والمسيحي وأتباعهما وهو مكتوب اما بالعبرية (بالنسبة لليهود) أو بالسريانية (بالنسبة للمسيحيين) . وتلك هي « أساطير الأولين » والكتابات الدينية الأخرى التي يشير اليها القرآن الكريم .

وبالرغم من وجود هذه الخلفية التاريخية الواسعة في اليمن ، تساندها الآثار من جهة والنصوص الدينية من جهة أخرى ، وبالرغم من أن كلمة « التاريخ » قد تكون مأخوذة عن اللغة اليمنية القديمة ، ومن أن التقويم الهجري قد يكون تأثر في ظهوره بوجود تقويم خاص قديم في اليمن ، فان كل ذلك الفكر التاريخي السابق قد توقف بعد ظهور الاسلام ليتبنى خطاً جديداً ووجهاً جديداً ضمن اطار الدين الجديد .

وقد كانت ثمة أسباب كثيرة تدعو ، ضمن هذا الاطار الفكري الجديد ، للاهتمام وللمعرفة بتاريخ اليمن لا ككل ، ولكن من نقاط وزوايا خاصة تتصل بحاجات الفكر الاسلامي الجديد . ومن تلك الأسباب :

١ ـ الاشارات القرآنية إلى ذلك التاريخ . ومع أن السبب والهدف في ملاحقتها هما تفسير القرآن إلا أنها كانت تؤدي بالنتيجة إلى الاهتمام بالمعارف

التاريخية اليمنية والى طلبها من العارفين بها من أهل اليمن ، وإلى روايتها وتسجيلها ضمن التكوين الثقافي الاسلامي الجديد .

٢ – ارتباط جانب من السيرة النبوية باليمن ، من خلال الوفود على الرسول واسلام اليمن ثم النصر على ردة الأسود العنسي هناك وهجرة بعض الصحابة إلى اليمن . فتلك الأخبار جزء من تاريخ الاسلام .

٣ – ارتباط جانب من التاريخ العربي الجاهلي باليمن ورغبة الناس في معرفة كل ما يتصل بذلك سياسياً واقتصادياً واجتماعياً ودينياً لزيادة الضوء على تاريخ الاسلام .

٤ – ظهور التنافس المتزايد ، بعد الفتوح وبعد قيام الدولة العربية الاسلامية ، بين عرب الجنوب العريقين في الحضارة وبين عرب الشمال الذين صاروا بعد الاسلام نوعاً من حديثي النعمة والحكم والحضارة . وما نفسه الجنوبيون عليهم من مجد الاسلام فصاروا يلهجون ، بغية اقامة شيء من التوازن معهم ، بسابق مجد اليمن ، لاسيما وقد أسهم الطرفان ، الجنوبيون والشماليون ، في اقامة دولة الاسلام .

على أن اتجاه هجرة الصحابة والعرب بصورة عامة نحو الشمال لا الجنوب وتمركز الديناميكية السياسية والعلمية فيما بين العراق والشام خلال القرنين الهجريين الأول والثاني جعل المعلومات التاريخية المطلوبة عن اليمن تنجذب بدورها إلى الشمال بدلاً من التفتح في اليمن نفسها وهكذا فإن مدرسة اليمن التاريخيـــة :

أولاً : تكونت في شكلها الأول كمدرسة مهاجرة لا مدرسة مقيمة بمعنى أن رجالها ، رغم أنهم يمانيون ، الا أنهم قدموا معلوماتهم التاريخية خارج اليمن (في الشام أولاً ثم في العراق) وليس في اليمن ذاتها .

ثانياً : ولما كان معظم الذين تصدوا لرواية ما يطلب اليهم روايته من التاريخ

اليمني والتاريخ القديم هم من اليهود السابقين فقد تبنوا التاريخ الاسرائيلي (لأنه تاريخهم الديني) أكثر بكثير مما تبنوا ورووا[1] التاريخ اليمني الحقيقي ونقوشه والمزبور من أخباره في الكتب والآثار .

ثالثاً : لم تتأثر هذه المدرسة ، كما تأثرت مدارس العراق والشام والمدينة ومصر ، بعلم الحديث وما يتصل به من السيرة النبوية والمغازي والفتوح . وبالرغم من أن بعض رجالها أسهموا في كتابة السيرة إلا أنهم كتبوها على طريقتهم ممزوجة بأخبار أهل الكتاب والأنبياء .

رابعاً : كانت الرغبة في اثبات الوجود اليمني بجانب القيسي الشمالي في العهد الأموي تلعب دورها في صياغة الأنساب اليمنية والأخبار اليمنية القديمة . وقد أدخل علماء الأنساب اليمانيون من دغفل النسابة إلى محمد بن السائب الكلبي ثم ابنه هشام الكثير من القصص الشعبي اليمني والمواد الأسطورية والأخبار الموضوعة على التاريخ وبخاصة تاريخ اليمن . وكان الغرض من ذلك ترميم ذلك التاريخ واعطاءه المجال للوقوف أمام التاريخ العربي الشمالي .

خامساً : ولما كانت كل تلك الأسباب الداعية للتعرف على بعض الجوانب من التاريخ اليمني ليست بذات اتصال مباشر أو تأثير قوي على الاهتمامات الفكرية الاسلامية العليا التي نمت في القرن الهجري الأول وقوامها القرآن وعلوم الحديث وروايته واللغة الشمالية وما يتصل بها من شعر وأدب ، وكانت ذات قيمة ثانوية في كل أولئك لذلك لم يصرف العلماء والرواة همهم لتدقيق ما يروى لهم من تاريخ اليمن القديم أو التقصي في أمره . ولعل بعض رواته من اليمنيين لم يريدوا التدقيق والتقصي لئلا يضعف ذلك من أمجادهم أمام الشماليين الذين ظهر فيهم الرسول الأعظم والدين الحنيف .

ولقد سبق أن عرضنا لهذه المدرسة اليمنية المهاجرة عند الحديث عن المدارس التاريخية الأولى في الاسلام[1] وذكرنا بخاصة رجالها المؤسسين والبارزين من أمثال :

- أبي اسحق كعب الأحبار بن مائع الحميري المتوفى بحمص سنة ٣٢ هـ (أو سنة ٣٤) / سنة ٦٥٢م (أو سنة ٦٥٤) عن مائة وأربع سنين . وكان في الأصل على اليهودية ثم قدم المدينة أيام عمر فأخذ عن الصحابة وروى أخبار الأمم الغابرة من خلال المنظور التوراتي . وينسب إليه كتاب في سيرة الاسكندر منه نسخة خزائنية نفيسة في استانبول (مصور في معهد المخطوطات بالقاهرة وفي جامعة القاهرة) .

- عبيد بن شرية الجرهمي (المتوفى حوالى سنة ٦٧ / ٦٨٦) والذي ينسب إليه : كتاب الملوك وأخبار الأولين ويعرف باسم أخبار عبيد بن شرية الجرهمي عن بلاد اليمن أو باسم كتاب في أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها . والسبب في اختلاف الأسماء أنه ليس كتاب تاريخ ولكنه مجالس سمر تاريخي . وليس في شكله الحالي من تأليف عبيد بن شرية نفسه ولكنه من جمع ابن هشام صاحب السيرة روايةً عن البرقي . ويبدو أنه دوّن في الأصل من قبل بعض كتاب معاوية بن أبي سفيان على السماع ولم يوضع له عنوان محدد . فأعطاه النساخ العناوين التي يرونها . وقد نقل عنه المسعودي الكثير في مروج الذهب وهو يروي أخبار اليمن وتاريخها القديم بشكل قصصي فيه الكثير من الأوهام الأسطورية . وقد نشر الكتاب (في حيدر آباد سنة ١٣٤٧ بعد كتاب التيجان في ملوك حمير) .

- أبو عثمان يزيد بن (زياد بن) ربيعة الحميري (المتوفى سنة ٦٩ / ٦٦٨) ويلقب بابن مفرغ (وهو لقب جده) . وكان من شعراء الغزل المجيدين

---

(١) أنظر الجزء الأول من هذا الكتاب ص ١٣٥ - ١٣٩ .

ثم وقع في هجاء بني زياد في البصرة فهرب منهم إلى الشام ثم نزل الجزيرة ثم انتقل إلى سجستان ثم سجن [1] ، وقد ذكر ياقوت أنه كتب (سيرة تُبّع وأشعاره) .

- دغفل النسابة السدوسي . وبالرغم من أنه اشتهر بالنسب إلا أن الأنساب كانت عمود الأخبار التاريخية .

- محمد بن كعب القرظي (المتوفى سنة ١٠٨ أو سنة ١١٧) وهو كوفي المولد والمنشأ ولكنه استقر في المدينة وروى عن كبار الصحابة ، وعرف بالعلم والورع والثقة [2] .

- وهب بن منبه الذماري الصنعاني (توفي سنة ١١٤ هـ / ٧٣٢ م) وهو أبرز الأسماء في هذه المدرسة اليمنية [3] الأولى المهاجرة . فقد تشكلت حول اسمه ، من رجال أسرته نفسها مدرسة خاصة تتناقل مروياته . ويبدو أنه كان ولوعاً بتسقط الكتب الدينية والفلسفية وتثقيف نفسه . ذكر ابن حجر أن أخاه هماماً كان يشتري له الكتب [4] ولعلها من الكتب العبرية والسريانية . وكانت الروايات التي يرويها تمزج بين التاريخ والقصص الأسطوري والأخبار اليهودية . وقد وجه عنايته إلى أمرين : تاريخ أهل الكتاب ، وتاريخ بلاده اليمن . وأكثر الاسرائيليات الموزعة في المؤلفات العربية ترجع في رواياتها الأولى إليه . ومعظم ما رواه عن مبدأ الخلق

---

(١) لدى ابن خلكان (وفيات الأعيان ج ٦ ص ٣٤٢ فيما بعد) حديث طويل عن وعن شعره ولدى ياقوت في معجم الأدباء (ج ٢ ص ١٣ فما بعد) ترجمة أخرى حسنة .

(٢) أنظر العبر للذهبي (ج ١ ص ١٢٤) والشذرات لابن العماد (ج ١ ص ١٣٦) .

(٣) لوهب بن منبه تراجم عديدة في الطبقات الكبرى لابن سعد ومعجم الأدباء لياقوت ووفيات الأعيان لابن خلكان وتاريخ الاسلام وتذكرة الحفاظ للذهبي ... وثمة تحليل جيد لأعماله لدى الدوري .

(٤) ابن حجر – تهذيب التهذيب (ط . الهند سنة ١٣٢٧) ج ١١ ص ٦٧ .

وسير الأنبياء مأخوذ عن الكتاب المقدس . وقد اعتمد ابن اسحق على روايات وهب في ما ذكره عن بدء انتشار النصرانية في جنوب الجزيرة [1] .

وقد عثر المستشرق بيكر على بضعة أوراق من مؤلف لابن منبه في المغازي النبوية نشرتها بعد ذلك نبيهة عبود سنة ١٩٦٩ في أمريكا . كما وصلنا كتاب باسم كتاب التيجان في ملوك حمير ، ويبدو أنه هو نفسه « كتاب ذكر الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم وقصصهم وقبورهم وأشعارهم » الذي ينسب في المصادر إلى وهب بن منبه . والكتاب الذي وجد قصصي . وهو من رواية ابن هشام صاحب السيرة . وقد رواه على طريقته في التعديل والاختصار نقلاً عن رواية منقولة بدورها عن أحد أسباط وهب .

وكان آخر ممثل لهذه المدرسة ، ومرحلة الانتقال منها إلى غيرها :

— ابن هشام الحميري : أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب (المتوفى سنة ٢١٣ أو سنة ٢١٨ / ٨٢٨ أو ٨٣٣ م) وقد صاغ كتاب التيجان في ملوك حمير من خلال كتاب ابن منبه مع إضافة بعض المواد إليه وبعض التشذيب . على أن هذه المدرسة اليمنية الأولى المهاجرة كانت مع ابن هشام قد بلغت المغيب وإنما كانت في أوج نشاطها وعطائها فيما بين أواخر القرن الأول وأوائل الثاني للهجرة .

(١) أنظر فؤاد سزكين – تاريخ التراث العربي (بالألمانية – ط . ليدن سنة ١٩٦٧) ج ١ ص ٣٠٦ .

٢ ـ المرحلة الثانية [1]

ذبلت المدرسة اليمنية الأولى بالتدريج خلال القرن الثاني حتى ماتت في أواخره وإنما كان ذلك نتيجة عدد من العوامل منها :

أ — زوال الأسباب التي دعت لوجودها ، مع تطور الأوضاع الاسلامية السياسية .

ب — عدم وجود أي جديد لديها تعطيه .

حـ — توسع التاريخ الاسلامي الجديد بالمقابل وسيطرته على الفكر والاهتمام لدى الناس .

د — بروز ظروف سياسية واجتماعية ، واهتمامات فكرية أخرى بين المسلمين .

وبينما جمدت تلك المدرسة الاقليمية الأولى تجاوزها بالمقابل الزمن وتغيرت التطلعات الفكرية . كانت خطواتها خطوات فيها من الوهم والأختلاق الخيالي والاسرائيليات أكثر مما فيها من الحقائق التاريخية . وفيها من الرغبة في إثبات الوجود اليمني (تجاه الوجود العربي الشمالي) أكثر مما فيها من تحرّي الواقع وتلمسه من خلال الرواة والأخبار والآثار والنصوص المكتوبة . ولم تكن تتصل بتاريخ اليمن الاسلامي ولكن بماضيه السابق للاسلام ولا تحكي التاريخ المتصل

---

(١) ظهرت في تأريخ اليمن وفي المؤلفات حوله عدة دراسات هامة منها :
— أيمن فؤاد سيد – مصادر تاريخ اليمن في العصر الاسلامي (المعهد الفرنسي - القاهرة سنة ١٩٧٤) وهو أحدثها وأهمها وأكملها وإن كان لا يخلو من النقص والخطأ .
— عبد الله محمد الحبشي – مراجع تاريخ اليمن (دمشق ١٩٧٢) .
— محمد كرد علي – كتب التاريخ المؤلفة عن اليمن (مجلة المجمع العلمي بدمشق المجلد ١٧ سنة ١٩٤٧ ص ٥٢٥ فما بعد) .

بالاسلام بقدر حكايتها تاريخ الأديان الأخرى . وقد انقضت ، خلال القرن الثاني الهجري ، الدواعي الداعية إلى معرفة ذلك التاريخ القديم (سواء من حيث تفسير الإشارات القرآنية أو من حيث الفخر الاقليمي أو الدواعي الأخرى) . ولم يعد لدى رجال هذه المدرسة من جديد يعطونه أو يزوقونه أو يطورونه بينما انصرف الناس إلى مشاغل جديدة واهتمامات أعظم وأجلّ تتصل بتاريخ الاسلام نفسه (من أخبار السيرة والصحابة والفتح والحكم والتشريع) وتكاثرت في الوقت نفسه الأخبار العربية الاسلامية وكان فيها كل يوم جديد يتجدد وكثير مما يمكن أن يقال ويروى ويجتذب اهتمام الناس فلم يعد لتلك الاهتمامات التاريخية القديمة من سوق أو مستطرف ... فماتت بجفافها وبذاتها ولم تعد تجد لها من ميدان في غير حلقات الوعظ وكتب القصص .

وكان منتظراً ألا تفرغ الساحة الاقليمية اليمنية من الفكر التاريخي . وأن تحل محل المدرسة الأولى مدرسة اقليمية تالية تتابع الطريق بتسجيل تاريخ اليمن الاسلامي المحلي . ولكن الذي وقع هو أن موت المدرسة الأولى لم يعقبه قيام مدرسة تاريخية أخرى في اليمن تتابع تاريخ الفترة الاسلامية فيه فظل الميدان التاريخي فراغاً وذهبت الأخبار نسياً ... وليس يعني ذلك أن أخبار اليمن في قرون الهجرة الأولى (١–٣) قد ضاعت كلها وأن أهل اليمن لم يهتموا أبداً بجمع أخبار بلدهم وتسقطها ومعرفتها ولكنه يعني أن تلك الأخبار أصبحت قليلة جداً وأنها أضحت مبعثرة في مختلف المصادر وأننا يجب أن نبحث عنها خارج اليمن . صفة الهجرة التي رافقت المدرسة الأولى المنقرضة رافقت الفكر التاريخي اليمني التالي فظل مهاجراً أيضاً . وهكذا فإن هذا الفكر لم يأخذ الشكل الاقليمي من جهة ولا قام جغرافياً في أرض اليمن من جهة أخرى وقد امتد ذلك ما بين أواسط القرن الثاني وأواسط القرن الثالث للهجرة على الأقل . وكما تضاءلت ، حتى الحدود الدنيا ، الحركة الفكرية العامة في اليمن في تلك الفترة ، وفيما قبلها أيضاً ، تضاءلت بدورها ومعها الاهتمامات التاريخية أيضاً رغم وجود دواع كثيرة خاصة بها . حلت ، حتى أواسط القرن الثالث تقريباً، مرحلة من الخمود

ومن الفراغ الفكري العام ومن الفراغ التاريخي أيضاً . وإذا انقطع ذلك الجمود بتوارد الزيدية الاعتزالية إلى اليمن فإن ذلك لم يؤثر إلا أقل التأثير على الأدب التاريخي . وهكذا غرق التاريخ اليمني الخاص ، في تلك المرحلة وإلى ما بعدها بقليل ، في غمرة التاريخ العام الأوسع للأمة الاسلامية وكان كل ما يتعلق باليمن في تلك الفترة من أخبار وأعمال وحضارة وولاة وجهد فكري وثورات ، داخلاً في نطاق التاريخ الاسلامي العام ، فليس يبين . وليس ثمة من متخصص بشأنه حتى ولا في اليمن نفسها ... هذا على الأقل في حدود ما نعلم . صار التاريخ اليمني حتى في عرف أهله هو تاريخ الجماعات اليمنية التي غادرت اليمن فنزلت وتوطنت ما بين خراسان وأرض العراق وجنوب الشام وأرض مصر حتى بلاد الأندلس . وإذا ارتبط ، إلى حد ما ، بتلك النزاعات على المنازل والخصب التي كانت تعرف بالعصبيات والشحناء بين قيس ويمن ، فان أخبار الأرض الأولى التي انطلق منها اليمنيون كانت تندثر بالاهمال والنسيان المتمادي ...

والواقع أننا لو تفحصنا ما كتب من تاريخ اليمن وأخبارها في صدر الاسلام وحتى القرن الثالث وجدنا :

١ ـ أن شيئاً من أخبار اليمن ، وحتى أواسط القرن الثالث لم يكتب في اليمن ، ولم يرد من قبل رواة من سكان اليمن ، وندر أن نعثر على راوية يمني يروي عنه الطبري أو الواقدي أو غيرهما خبراً أو واقعة من مثل : حماد بن أحمد اليماني وأبي الرديني محمد بن عمر اليمامي وحماد ابن سعيد الصنعاني ... ان كل الأخبار المتعلقة باليمن ورجاله انما كتبت خارج اليمن ، وخاصة العراق ، ومن قبل جماعات من الرواة ليست غالباً باليمانية في المولد والمسكن دوماً ، وان كان بعضها يمانيّ النسب . والعارفون بأخبار اليمن كانوا في الغالب من أهل البصرة ، لا بسبب اهتماماتهم العلمية فقط أو بسبب كثرة من فيهم من أهل اليمن ، كذلك ، ولكن لأن الصلة كانت أيضاً واشجة وقوية في تلك الفترات ما

ما بين البلدين ، تجارياً وانثولوجياً وفكرياً ... فالمحطة الأولى لأخبار اليمن ولمهاجرة اليمن انما كانت ذلك الثغر الخليجي ، وكانت ترد اليه مع ما كان يتبادله هذا الثغر من الرحلات والرجال وعروض التجارة مع ذلك الاقليم الاسلامي المتطرف .

٢) بالرغم من ظهور أعداد من الكتب تتناول أخبار الأقاليم المختلفة والمدن المختلفة في الدولة الاسلامية ، ومن صدور مؤلفات تتناول أخبار البصرة والكوفة في فتحها وأمرائها وخططها وقضاتها وولاتها وبغداد وفضائلها والحيرة والسواد ، وأخبار المدينة ومكة والموصل وواسط ومصر ... الخ ، وبالرغم من أنا نستطيع أن نعد لدى ابن النديم (في أواسط القرن الرابع) حوالى ٤٥ كتاباً في هذا الباب ، فإنا لا نكاد نعثر على غير كتاب واحد مجهول الموضوع اسمه كتاب منار اليمن لابن الكلبي . ولعله في النسب . كل أخبار اليمن ، فإنما دخلت إما ضمن كتب القبائل والأنساب ، وإما ضمن كتب البلدان والمسالك والممالك . ويشكو الهمداني ذلك فيقول : ان النسابين أتوا من نسب الهميسع بن حمير (وهم من بقي في اليمن ولم يهاجر) بمثل « أثر في عفر .... » حتى إن محمد بن اسحق أتى فيما سمعنا عنه بنسب ولد الهميسع في خمسة أسطر . « بينما كتبه الهمداني في عشر مجلدات » .

٣) الأخبار التي تروى في التواريخ العامة (كالطبري واليعقوبي والمسعودي وابن قتيبة والبلاذري والدينوري) حول اليمن تكشف ان هذه المنطقة لم تكن تدخل في اطار ما يؤرخ له ، ولم تكن تحظى بأسطر من الرواية التاريخية بين الأقاليم الإسلامية إلا في أحد حالين : إما عند تغير الولاة وإما عند نشوب ثورة بها . وإنما يجري ذكرها في أخبار عارضة وفي أسطر محدودة المدى .

٤) زاوية النظر التي تكتب من خلالها تلك الأخبار كانت دوماً زاوية نظر

خارجية لا داخلية . ومن خلال المقيمين بالعراق خاصة لا من واقع الأحداث الداخلية في البلاد ، ومن الأصداء المسموعة عن بعد لا الوقائع المشهودة المعاينة ..... ومن خلال كتب الولاة أو أحاديث الجند لا معاناة ونظرة السكان المحليين .

٥) حتى في مجال علم الرجال ورواية الحديث وخبر التطور العلمي ينقطع ذكر الرجال والحفاظ في اليمن وينقطع الاسناد ... فلا يكاد أحد يسمع عن عالم يمني أو حافظ أو لغوي أو نحوي أو فقيه . إلا في القليل القليل . المعشر اليمانون كانوا موجودين فعلاً وعاملين في مختلف النشاطات الفكرية والسياسية في الدولة، ولكن خارج اليمن . وأخبارهم كانت في الواقع، جزءاً من أخبار الأقاليم والمنازل والمدن التي نزلوها . لقد انقطعوا عن الأرض الأولى . يقول السخاوي : « ..... واليمن حلها معاذ وأبو موسى (من الصحابة) وخرج منها أئمة التابعين وتفرقوا في الأرض وكان بها جماعة من التابعين كابني منبه وطاووس وابنه ، ثم معمر وأصحابه ثم عبد الرزاق [1] وأصحابه وعدم منها بعدهم الاسناد ... » .

٦) ونتيجة للملاحظة السابقة لم يتأثر علم التاريخ عند أهل اليمن التأثر الواضح بعلم الحديث (كما حدث في الأقطار الإسلامية الأخرى . وكانت المؤلفات القديمة خاصة خليطاً من الأساطير والإسرائيليات . وأما بعد ذلك فتأثرت بأجواء الدعوة الزيدية والشيعية الاسماعيلية والأئمة ، وكبار الدعاة لمذين المذهبين فكانت دفاعات عقائدية أكثر منها تاريخاً وتسجيلاً لأحداث الحياة لا أحداث أقاليم .

---

(١) يقصد السخاوي عدا ابني منبه : طاووس بن كيسان اليماني الجندي الخولاني (المتوفى سنة ١٠٦) ولي صنعاء والجند فيها . ومعمر بن راشد الأزدي البصري الحافظ (المتوفى سنة ١٥٣) الذي ارتحل إلى اليمن واستقر به ، وعبد الرزاق بن همام أبو بكر الحافظ الصنعاني المتوفى سنة ٢١١ .

٧) وأخيراً فالأخبار الوحيدة التي استمرت واضحة في القرن الثاني حتى الثالث عن اليمن فإنما هي الأخبار التي تفسر بعض آي القرآن أو تروي خبر بعض الصحابة في تلك البلاد ، فإن لم يكن هذا ولا ذاك فهي الأخبار « العادية » ونقصد أخبار اليمن الأولى أيام عاد وأقيال حمير والتبابعة يرويها الاخباريون . وإنما أخذت أخبار اليمن حيزها الواسع لدى الواقدي مثلاً ثم ابن سعد في الطبقات بهذا وحده .. أما التاريخ الإسلامي لهذا البلد فلم يحظ إلا بأقل الاهتمام .

ولقد نتساءل عن الأسباب التي أدت إلى مثل هذا الاهمال الواضح لبلد في مثل شأن اليمن سكاناً وتجارة وخصباً وعراقة في الحضارة . ونجد أن الأسباب متعددة :

١) النزوح البشري . ذلك ان اليمن كانت، منذ ما قبل الفتح الإسلامي بعدة قرون،تطرد سكانها. التكاثر كان يُخرج منها القبائل بعد القبائل فتارة إلى حضرموت ونجد والشمال (كندة) وتارة إلى جنوب الشام (جذام . عذرة . لخم . غسان ...) وتارة إلى جنوب العراق (لخم . تميم . طي) فلما كان الفتح العربي الإسلامي اسهمت اليمن كل الإسهام فيه وارتفع الخط البياني للنزوح ارتفاعاً عمودياً لم ينقطع أويهدأ خلال قرن أو يزيد . وكان اليمنيون إحدى مجموعتين اثنتين من العرب اهلتا المناطق التي أدركها الفتح فيما بين خراسان والعراق إلى الشام ومصر والأندلس . لم تكن عوامل الطرد السكاني وحدها هي التي تخرجهم من اليمن ولكن جاذبية الغنائم والرزق والجاه والولاية والعلم والرئاسات والمغامرة . وكان طبيعياً بعد هذا وقد استنزفت القوى البشرية في البلاد أكثر مما يجب لها أن يقل السكان وتقل النشاطات ويتحول الاهتمام إلى المهاجر الجديدة . ومن لم يهاجر في الجند والجيش هاجر في التجارة أو العلم أو الرئاسة ..

٢) رافقت عملية النزوح ظاهرة أخرى كانت سبباً لها ونتيجة في وقت واحد

هي تحول طرق التجارة العالمية في فترة القرون الأول والثاني والثالث خاصة عن اليمن إلى خليج البصرة والبصرة ، التي أضحت منذ أواسط العهد الأموي فرضة التجارة الإسلامية . كان اجتماع مصر والشام والعراق وما وراءه في يد واحدة هي السلطة العربية قد أزال الزحام (الفارسي – البيزنطي) التقليدي على هذا الممرّ العالمي للتجارة بين المحيط الهندي والمتوسط وجعل هذا الممر عربياً خالصاً ، ولهذا فقد نما وتطور ونشط الطريق الأقصر والأسهل إلى هذا الممر وهو طريق الخليج العربي، وانعزلت شيئاً فشيئاً منطقة اليمن عن الخط العالمي وعن الاهتمام العام . وفي الوقت نفسه كان أهل اليمن الذين شغلوا ، عن البحر والتجارة ، بأعمال أخرى ينزحون عن البلاد ويهملون بدورهم استغلال الموقع التجاري الهام لبلادهم . الحلقة الجدلية بين السبب والنتيجة كانت بين هذين العاملين متصلة : فالنزوح يؤدي للاهمال والانعزال ، كما ان الاهمال والانعزال كانا يؤديان بالمقابل إلى النزوح مما جعل القوى التي تستطيع السيطرة على الحكم في اليمن كله لا تزيد دوماً عن مئات أو آلاف معدودة من الجند . أما البصرة فإنها لم ترث فقط دور المرافىء اليمنية ولكن أضحت ثغر اليمن أيضاً . اليها يرحل اليمنيون ومنها يأخذون العلم خاصة والصلة المباشرة مع الدولة .

٣) وانعزلت اليمن بين هذا وذاك . عمليات الخروج لم تترك مجالاً لعمليات العودة . لم يعد أحد يفكر في زيارة اليمن ما دامت مراكز السياسة والتجارة والعلم بعيدة عنها متركزة في العراق يقول الهمداني (في مطالع القرن الرابع) في مقدمة الاكليل: « ان الباحثين لا سيما الكلبيين استقصوا في أنساب ولد مالك بن حمير (أي الذين هاجروا) لما كان منهم وعنهم بمرأى ومسمع ، وأنسوا من نسب أخيه الهميسع بن حمير (من لم يهاجروا) بمثل أثر في عفر ... لمـــا قلت رحلتهم إلى من قطن منهم باليمن ولم يلقوا بنهوجهم من ذوي معرفتهم غير اعقاب من ظعن .. »

والواقع ان عزلة اليمن الاقتصادية والسياسية تركتها على هامش الاهتمام الفكري التام وحلت مشاكل اليمنيين المهاجرين ، في خصوماتهم مع القيسيين في منازل الهجرة ، محل أحداث اليمن الأصلية ومشاكلها ومؤثراتها وتيارات السياسة والفكر فيها .

ويمكن أن نضيف إلى هذه العوامل الأساسية عوامل ثلاثة اضافية ليست أقل شأناً :

٤) اهتمت الرواية التاريخية العربية خلال القرن الهجري الأول خاصة والثاني بالسيرة النبوية والمغازي من جهة وبتناقل أخبار الفتوح العربية من جهة أخرى ولم تكن أرض اليمن بميدان لا لهذا ولا لذاك من تلك الأحداث ، ولذلك لم تتوجه الأنظار المؤرخة إليها ولم تهتم كثيراً بما جرى ويجري فيها . كان قصارى ما يروى عنها هو : إسلامها وأخبار الردة والنصر الاسلامي على الردة فيها . ولم يكن اليمنيون أنفسهم ليحبوا كثيراً أن يرووا هذه الأخبار الأخيرة ولعلهم كانوا يفضلون أن يحسبوا في جملة العرب المسلمين العاملين للفتوح أكثر من أن تسجل في تاريخهم عملية الانتقاض هذه على الرسالة ... ولما كان التاريخ الذي صنعوه للاسلام خارج اليمن ، ونزحوا معه ليصنعوه ، أهم وأروع من تاريخهم الاسلامي المحلي فقد أهملوا قطرهم الخاص ، وانطلقوا شمالاً ، حتى بأفكارهم وعلمهم ومروياتهم يدخلون في ما يقدمه تاريخ الاسلام من تألق سياسي ومن علم جديد ودولة باذخة .

ولعلنا نلاحظ هنا أن الاهمال نفسه للتاريخ الاقليمي أصاب الجزء الآخر من الجزيرة العربية الذي لم يشهد شيئاً من المغازي ولا الفتوح ولم يشهد سوى الردة وهو عُمان أو الجانب الشرقي كله من أرض العرب .

٥) تناقص الاهتمام بالماضي الوثني الجاهلي لليمن مع انتشار الاسلام وتراجع قيم الأسر والقبائل المحلية والمحافد العريقة والوجاهات الاقطاعية التقليدية التي اكتفت بالحفاظ على مصالحها الموروثة دون محاولة الافادة منها في

الصعود إلى واجهة الأحداث في الدولة الإسلامية . انكمشت على ما بيدها من أقطاع ومصالح في الوقت الذي أسلمت فيه أحسن الاسلام لأنه لم يكن لديها من الرجال والقوة والمال ما تفرض به نفسها على الأحداث أو ما تتخذ به موقفاً معيناً ضمنها ، ولهذا انتشرت في اليمن كافة الآراء الدينية ـ السياسية التي عرفها العهد الأموي والعباسي الأول من تشيع زيدي، واعتزال ومذهب خارجي وسنة حنفية وشافعية . كانت عزلة المنطقة وإهمالها يفتحان الأمل لكل فرقة أو مذهب باجتذاب الناس اليه . كما كانت كل فرقة بالمقابل تجد التجاوب لدى بعض الجماعات اليمنية وتعشّش فيها .

٦) تحولت اليمن منذ العهد الراشد ثم الأموي ثم العباسي الأول إلى مجرد ولاية جانبية . تيار الأحداث الذي كان يجري على محور يمتد ما بين الكوفة ودمشق ، فإن امتد وصل ما بين خراسان والفسطاط ، دون أن يجاوز هذا الخط المشع والذي كان قطبه بغداد كان يترك اليمن على الدوام بعيدة عن مراكز الحركة السياسية والعلمية والإسلامية . وإذا كان خلفاء دمشق ما انفكوا يهتمون أشد الاهتمام باختيار والي العراق وما والاها إلى خراسان ووالي مصر . وكان خلفاء بني العباس بالمقابل يهتمون بولاية خراسان من جهة وباختيار والي الشام ومصر من جهة أخرى ، فقلما اهتم هؤلاء أو هؤلاء باليمن .. ومصيرها ومدى ثوراتها ، بل وخراجها لم تكن تؤثر إلا أضعف التأثير على المسيرة العامة للدولة . خراج اليمن كان في أواخر عهد الرشيد ، وأوائل عهد المأمون ٦٠٠ ألف دينار ، وهذا في قول ابن خرداذبة « أكثر ما ارتفع منها في هذه الدولة [1] » وهو يساوي حوالى ١٢ مليون درهم

(١) ابن خرداذبه ـ المسالك والممالك ص ١٤٤ وقدامة بن جعفر ـ كتاب الخراج ص ٢٤٩ . والرقم يعادل ثلث خراج بلاد الشام ونصف إقليم الموصل وثمن خراج السواد وسدس خراج مصر. ولنلاحظ أن رقم خراج اليمن لدى الجهشياري نقلا عن قائمة ارتفاع الخراج زمن الرشيد كانت حوالى ٨٧٠ ألف دينار أي ما يعادل تقريباً ١٦ مليون درهم (الجهشياري ـ الوزراء والكتاب ص ٢٨٧) والهام هنا هو أن الرقم أقل بكثير من خراج الأقاليم الأخرى.

تقريباً من أصل مجموع واردات الدولة البالغة في ذلك الحين أكثر من ٥٠٠ مليون درهم . الاهمال الرسمي كان في الوقت نفسه سبباً ونتيجة لعزلة اليمن ولاهمالها العام .

ويجب أن ننتظر في الواقع عودة اليمن إلى مركزها السكاني والتجاري ، وعودة الشعور الاقليمي اليها لتظهر فيها من جديد كتب التاريخ الخاصة بها وبأحداثها . ويبدو أن اضطراب أمور العراق والبصرة بالزط ثم الزنج ثم الخلافات بين عساكر الترك في القرن الثالث قد أثرت التأثير الواضح على حركة الخط التجاري العالمي عبر الخليج وما بين النهرين ، كما ان توقف النزف البشري من اليمن بانقطاع الفتوح والغاء ديوان العرب من الجند في عهد المعتصم. وقيام دولة محلية في اليمن منذ مطالع القرن الثالث لبني زياد تستمر قرنين ، كل أولئك لم يساعد فقط على عودة النشاط الاقتصادي والسياسي إلى اليمن ، ولكنه ساعد أيضاً على وضوح الشخصية الاقليمية فيها ، وقد عبرت عن ذلك بظهور كتب التاريخ المحلي .

وهكذا بينما كان التكاثر السكاني يعطي اليمن القاعدة البشرية اللازمة وكانت طرق التجارة البحرية تعود شيئاً فشيئاً اليها يشجعها قيام دولة محلية (لبني طولون ثم لبني الاخشيد في مصر والشام) وتكتمل طرق التجارة هذه إلى البحر الأبيض المتوسط ، في انتظار أن يصل الفاطميون فيجمعوا بين مصير البلدين (مصر واليمن) في اطارات واحدة متكاملة النشاط الاقتصادي والمذهب السياسي الديني ، بينما كان ذلك كله كانت عناصر الشعور الاقليمي في اليمن تتضح أكثر فأكثر وتعبر عن نفسها في شكلين :

١) العودة إلى تاريخ اليمن القديم وقد ظهر ذلك في كتاب الأكاليل الذي وضعه الهمداني في عشر مجلدات .

٢) كتابة سير الأئمة من آل البيت الذين وصلوا اليمن وحملوا معهم اليها نواة الفكر الديني العلمي ، وعناصر النهضة الفكرية الخاصة ...

٣ ـ الملامح العامة للمدرسة اليمنية

ولعلنا قبل أن نتابع الطريق وراء هؤلاء المؤرخين واقفون عند الميزات الأساسية التي تميزت بها مجموعة الأدب التاريخي اليمني ما بين القرن الثالث وأواسط السابع .

أولى الملاحظات ان مجموعة المؤرخين في اليمن على امتداد أربعة قرون لا يجاوزون العشرين في العدد . فإذا نحن توسعنا في مفهوم الكلمة كل التوسع وضممنا اليهم من تدخل أعماله في جو التاريخ لم يصلوا إلى ستين مؤلفاً . ثم إنا لا نكاد نعثر بينهم جميعاً على مؤرخ هام إذا نحن تجاوزنا اسمين أو ثلاثة أسماء . وعلى النهج نفسه لا يكاد يصل مجموع ما كتب الجميع من المؤلفات إلى ثمانين كتاباً ، فإذا نحن اقتصرنا على كتب التاريخ الخالصة لم نجد منها سوى أقل من عشرين .. ومؤرخو اليمن حتى ما بعد القرن الخامس الهجري كانوا مجهولين تمام الجهل خارج اليمن حتى إن مؤلفاً واسع الاطلاع على المؤلفات والمؤلفين كابن النديم لم يذكر على الاطلاق واحداً منهم في كتاب الفهرست .

ثانية الملاحظات : ان مدرسة اليمن لم تنصرف فعلياً إلى تاريخ اليمن . المؤرخون لم يأبهوا كثيراً بكتابة أخبار عصورهم وأحداث الحياة التي عاشوا . زحام الحكام ، وقائع السياسة ، غبار الحروب — وقد كانوا يعيشونها جميعاً — لم تثر فيهم إلا أبسط الاغراء للتسجيل والرواية .

ان لمحة احصائية سريعة تكشف مدى اهتماماتهم : فهناك : ١٥ كتاباً في سير الأئمة . و١٤ كتاباً في التاريخ واحد منها قصيدة . و ٦ مؤلفات في تاريخ اليمن القديم وحمير و ٦ كتب في الأنساب ومثلها في تواريخ المدن و ٧ في طبقات العلماء والتراجم والباقي في الامامة والمناقب وفي أخبار الباطنية والفضائل وصفة الجزيرة العربية وفي الأسفار وبعض المتفرقات .

ثالثة الملاحظات : ان الكتب في تاريخ اليمن القديم ظهرت في مطلع

الفترة ، أي في القرن الرابع ثم انتهى الاهتمام بها بينما بدأ بالمقابل ظهور سلسلة لم يظهر مثلها في أي مدرسة اقليمية أخرى هي سلسلة السير للأئمة . أضحى الأئمة الزيديون هم العمود الفقري للتاريخ اليمني عبر العصور وحتّى العصر الحديث. وقد طاف من حول موضوع الأئمة وبسبب من المذهب الشيعي مواضيع أخرى كتب المؤرخون بها من مثل موضوع الامامة ومناقب آل البيت وموضوع الأنساب والفضائل وبعض طبقات الفقهاء.. وانتقلت إلى اليمن عدوى التواريخ البلدانية. فظهرت فيها بعض التواريخ لزبيد وصنعاء . وكانت تظهر بين الفترة والأخرى بعض الكتب التي تتناول تاريخ اليمن في فترة من الفترات أو في العهد الإسلامي .

رابعة الملاحظات : ان المؤرخين اليمنيين لم يحاولوا ولعلهم لم يهتموا قطّ بالتاريخ العام ولا بربط تاريخ اليمن بتاريخ الأقاليم العربية الإسلامية الأخرى. أبداً ما حاول أحد من مؤرخيهم أن يكتب مؤلفاً شاملاً في التاريخ . حتى في الفترة التي أضحت فيها اليمن متصلة بالخلافة الفاطمية (بين القرن الخامس والسادس) لم يظهر تاريخ يتحدث عن مصر واليمن معاً تماماً ، كما لم يظهر من قبل تاريخ يتحدث عن اليمن في ظل الخلافة العباسية ... ويبدو أيضاً ان المؤرخين أنفسهم في الجملة لم يتركوا بلادهم ويرحلوا ، حتى في طلب العلم إلى خارج اليمن . ولم يعرفوا في غالبهم غير بلادهم . وكانت اليمن نفسها بدورها خارج تيار الرحلة العلمية للعلماء في تلك العصور. خارج تلك الدارة المغناطيسية للعلم الممتدة ما بين نيسابور إلى بغداد إلى دمشق ، فالقاهرة ، فلم يكن يزور اليمن أحد من العلماء . وهذا ما زاد في محلية أخبارها وعزلتها التاريخية بينما حاول بالمقابل عدد من العلماء غير اليمنيين ، وبعضهم لم يشهد اليمن في حياته، أن يكتب تاريخ اليمن كالقفطي مثلاً وغيره ... شعوراً منهم بنقص تاريخ هذا القطر في المكتبة التاريخية .

خامسة الملاحظات : انه ما من مدرسة إقليمية أخرى ولا جمهرة مؤلفات

تاريخية في أي منطقة إسلامية غير اليمن كان الطابع الديني والمذهبي معاً هو الطابع الأوضح والأقوى فيها . سير الأئمة مثلها كمثل كتب التاريخ اليمني القديم وكتب الطبقات، بل وتاريخ المدن وكتب المناقب والفضائل كلها تدور من حول محور واحد : هو الوعظ والتوجيه الديني والدفاع المذهبي . الكثرة الكاثرة من كتب التاريخ ليس القصد منها تسجيل الحدث التاريخي بقدر ما القصد فيها بيان موقف ديني ، أو حكم فقهي أو سلامة رأي سياسي أو اثبات نسب فاضل .. وإذا كان التأكيد على الأنساب يكشف المفهوم الطبقي – الاثنولوجي الثابت لدى الناس ، فإن التأكيد على قصص الأئمة والفضائل والمناقب والامامة يكشف الشعور بالعزلة والاحساس بالتفرد ، وضرورة الدفاع التي كان يعانيها حكام اليمن وطبقاته الحاكمة تجاه الأقطار الإسلامية الأخرى ... كل تلك المؤلفات كانت تبريراً ودفاعاً واقناعاً للذات بصحة الطريق .

سادسة الملاحظات : انك لن تجد منهجاً تاريخياً أو طريقة في العرض والتبويب مختلفة لدى مؤرخي اليمن عنها لدى مؤرخي الأقطار الأخرى . انهم من ناحية الشكل في التدوين جزء من جمهرة المؤرخين الإسلاميين ، فليس ثمة من لون يمكن ، في سوى الموضوع ، أن يعتبر مدرسة يمنية .

سابعة الملاحظات : ان تطرف اليمن جغرافياً في إطار العالم الإسلامي أدى – كما ذكر روزنتال [1] – إلى نتيجتين :

أولاهما : نمو نوع من التاريخ المحلي فيها مزج بين الطبغرافيا والتاريخ الحضاري والأنساب. وخير من يمثل هذا النوع التاريخي هو الهمداني الذي يمكن أن يعتبر من أوائل المؤرخين العرب الذين استفادوا من المواد الأثرية والنقوش في كتابه الاكليل .

والثانية : أسلوب المزج ما بين الوصف الجغرافي والتاريخ السياسي المرتب على أساس الحوليات . وخير من يمثل ذلك – وإن يكن من المتأخرين –

---

(١) روزنتال – علم التاريخ عند المسلمين (الترجمة العربية) ص ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٨ .

ابن الربيع الشيباني في كتابه بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد .

ثامنة الملاحظات : ان الأدب التاريخي في اليمن قد أغرى العديد من الملوك والأمراء والأئمة . كانوا يكتبون بأيديهم التاريخ الذي يريدون . وهي ظاهرة لم تنتشر في الأقطار الأخرى انتشارها في اليمن . وإذا كتب الأئمة الزيديون وكبار الدعاة الاسماعيلية بعض التاريخ والسير دفاعاً عن عقائدهم المذهبية فلا شك أن الهواية الخالصة كانت الدافع الرئيسي وراء المؤلفات التاريخية التي كتبها الملوك والأمراء من أمثال أبي الطامي جياش ، والملوك من آل رسول وغيرهم .

تاسعة الملاحظات ان مدرسة اليمن التاريخية إذا لم تتأثر ، في غير الشكل بالمدارس التاريخية الإسلامية الأخرى، فإنها لم تتلق أي تأثير من التواريخ الأجنبية كالتأثيرات البيزنطية أو الفارسية . فظلت في تكوينها الفكري أكثر المدارس التاريخية في الإسلام محافظة لا على محليتها فقط ولكن على طابعها العقائدي السياسي أيضاً . ويجب أن ننتظر حتى ما بعد القرن السادس والسابع لنرى دخول التأثيرات التاريخية الإسلامية إليها وظهور كبار المؤرخين فيها .

٤ ـ المؤرخون

أركان مدرسة اليمن من المؤرخين اليمنيين ، لم يظهروا إلا منذ أواخر القرن الثالث الهجري . ماتت المدرسة المهاجرة أولاً مع دغفل النسابة وابن مفرغ الحميري وابن شرية الجرهمي ومدرسة وهب بن منبه اللماري . ثم انقضت بعد ذلك فترة الصمت التي غرق فيها تاريخ اليمن في خضم التاريخ الاسلامي العام والتي امتدت أكثر من قرن . وفي النصف الثاني من القرن الثالث نبدأ في العثور على بعض الأسماء من أشباه المؤرخين هم الذين بدأت بهم مدرسة اليمن التاريخية خطواتها الخاصة الأولى .

وقبل أن ندخل في غمار هذه الأسماء قد نستطيع أن نقسم نشاط هذه المدرسة إلى مرحلتين :

المرحلة الأولى : وقد امتدت ما بين أواخر القرن الثالث وأواسط القرن السادس ونستطيع أن نسميها مرحلة المؤرخين الصغار ، أو مرحلة الهمداني :

١) فلم يظهر فيها من مؤرخ هام أو اسم كبير في التاريخ اليمني سوى هذا الاسم .

٢) قسم كبير مما كتبه مؤرخو هذه المرحلة يتعلق اما بسير الأئمة الزيديين أو بالامامة أو بالأنساب مما يجعله ذا طابع هامشي في التاريخ .

٣) بعض ما كتبوه كان لا يزال يمثل مرحلة الانجذاب اليمني نحو الشمال ، وان يكن السبب في ذلك دينياً ، اذ نجد بين مؤلفاتهم كتباً تتحدث عن فضائل مكة والمدينة وعن بيت المقدس وولاة مصر ودمشق .

٤) كثير مما كتبه هؤلاء المؤرخون كان ذا طابع جغرافي وقد أسهم في ذلك الهمداني نفسه . وهذا النوع من الكتابة الجغرافية كان يمثل بداية الوعي الإقليمي ومحاولة للاطلاع على الواقع اليمني وكان يمتلىء في الوقت نفسه بالاشارات والمعلومات التاريخية .

علماً بأن مؤرخي هذه المرحلة ، ابتداء من الهمداني ، وضعوا الأساس للتاريخ اليمني الاقليمي . فبعد أن كتب هذا المؤرخ كتاب الاكليل الضخم في عشرة أجزاء محاولاً تغطية تاريخ اليمن ظهرت كتب (بعضها على التراجم) تتحدث عن صنعاء وتاريخ زبيد وصبيا وجيزان وكان بعضها يتحدث عن تاريخ اليمن من ملوك حمير حتى القرن الرابع الهجري .

المرحلة الثانية : وقد بدأت في أواسط القرن السادس بظهور بعض المؤرخين الكبار يرافقهم عدد متزايد السعة من صغار المؤرخين وقد تميزت هذه المرحلة :

١) بازدياد الكتب التاريخية المذهبية المتعلقة بالأئمة الزيديين ومناقبهم وبالدعاة

الاسماعيلية وبسير الأئمة والحدود ... وذلك انعكاس للنزاع الزيدي ــ الفاطمي في اليمن في تلك الفترة وللنزاع بين الزيدية الأولين والهادوية الأخيرين (المطرفية) وللنزاع الشافعي بين هذه الفرق والمذاهب وبين أتباع الشافعية .

٢) بوضوح الفكر التاريخي الاقليمي وتكاثر مؤلفاته فقد ظهر في أوائل المرحلة :

كتاب باسم أخبار زبيد وصنعاء ولكنه كان في تاريخ اليمن . وكتب اليمنيون بعد ذلك في تاريخ التبابعة (شعراً ونثراً) وفي تاريخ اليمن الإسلامي على السنين وألفوا في فقهاء البلاد وطبقاتهم وفي من دخل اليمن من الصحابة وألفوا في نهاية المرحلة في الأسر الحاكمة المحلية (من الغز ، والأسرة الرسولية) وفي دولة الملك المظفر .

٣) ظهر لأول مرة كتاب تاريخي يمني يتناول التاريخ العالمي كله (روضة الحجوري) وهي ظاهرة لم تتكرر فيما بعد .

٤) تضاءلت الكتب التاريخية الهامشية ، أو التي لا تتعلق بتاريخ اليمن فلا نكاد نجد سوى كتابين يتعلقان بالرحلة واثنين في الأنساب وواحد في طبقات النحاة وواحد في التعليم السياسي .

٥) وأخيراً تميز الأدب التاريخي اليمني في هذه المرحلة بالأصالة والمعاصرة والتنوع . أضحى شاهد العصر وتوسعت آفاقه . ويبدو أن السبب في رواج الفكر التاريخي وكثرة أصحابه في هذه الفترة هو اتصال اليمن بالمعترك السياسي العنيف القائم في الشام ومصر خلال القرنين السادس والسابع ووجود أسرة أيوبية في اليمن متصلة بالأسر الأيوبية الحاكمة في هذين الاقليمين . بالاضافة إلى عودة النشاط التجاري الواسع إلى الخط التجاري العالمي الذي يعبر اليمن بين ثغور الهند وثغور المتوسط . وتقليد علماء اليمن لمؤلفات زملائهم في العراق والشام ومصر وكثرة المنازعات المذهبية ــ الفكرية بين مختلف الفرق .

أولاً : مؤرخو المرحلة الأولى

لا يبلغ تعداد هؤلاء المؤرخين عدداً كبيراً . انهم ليسوا – فيما أحصينا – أكثر من ثمانية وعشرين مؤرخاً يمتدون على فترة زمنية تصل إلى ثلاثة قرون . يظهر منهم في البدء :

- الأسلمي عرام بن الأصبغ المتوفى سنة ٢٧٥ ، وقد وضع كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها وهو كتاب لغوي وقبلي في الأنساب والقبائل (طبع في في القاهرة سنة ١٣٧٣) .
- الحنبصي أبو نصر محمد بن عبد الله بن سعيد من نسل ملوك حمير ، كان يعيش حتى سنة ٢٩٥/٩٠٧ في قصر حنبص في اليمن [١] . وصفه الهمداني في الاكليل بأنه « شيخ حمير وناسبها وعلامتها وحامل سفرها ووارث ما ادخرته ملوك حمير في خزاينها من مكنون علمها وقاري مساندها والمحيط بلغاتها ... ويشتهر بصنعاء واليمن بأبي نصر الحنبصي . نسب إلى مسكنه وهو قصر جاهلي يقال له قصر ذي يهر بيبت حنبص يكون من صنعاء على بعض يوم. وما زال لنا مُعَوَّلاً في المشكلات وربما وَرَدْتَ منه بحراً زاخراً لا تكدره الدلاء .. فأغناني نهله دون علله ... وكان بحاثة قد لقي رجالاً وقرأ زبر حمير القديمة ومساندها الدهرية فربما نقل الاسم على لفظ القدمان من حمير . وكانت أسماء فيها ثقل فخففتها العرب ... فما أخذته عنه أثبته في كتابي .... [٢] » .

وهكذا ينكشف من خلال هذا الرجل ان تاريخ اليمن السابق للاسلام ومسندها وكتبها كانت ما تزال معروفة مقروءة حتى القرن الرابع الهجري .

---

(١) أحرق هذا القصر من قبل القرامطة سنة ٢٩٥ وغادره أبو نصر إلى صعدة فبقيت النار فيه أربعة أشهر (أنظر الهمداني – الاكليل) ج ٨ ص ٦٤ .

(٢) أنظر الهمداني – الاكليل ، الجزء الأول ج ٩ – ١٢ وانظر أيضاً السمعاني – الأنساب ج ٤ ص ٢٧٩ .

ويبدو من النصوص التي أوردها الهمداني في الاكليل نقلاً عن أبي نصر ان الرجل كتب شيئاً في أنساب بني الهميسع من حمير وعدة الأذواء وبعض ما يتبع ذلك من أمثال حمير وحكمها .. »

– النهمي أبو اسحق ابراهيم بن سليمان بن عبد الله الكوفي (ونهم بطن من همدان) ويظهر انه كان معاصراً للحنبصي أو قبله بقليل فقد روى عنه حميد بن زياد المتوفى سنة ٣١٠ كتابه : أخبار إرم ذات العماد [١] كما كان له من الكتب : أخبار جرهم وأخبار ذي القرنين وكتاب النوادر [٢] .

– العلوي علي بن جعفر بن محمد بن عبيد الله العلوي العباسي من رجال أواخر القرن الثالث . كتب سنة ٩١٢/٣٠٠ « سيرة إمام الهدى والصدق أمير المؤمنين الهادي إلى الحق » وهو أول أئمة اليمن : يحيى بن الحسين ابن القاسم : بعد أن بايعه سنة ٨٩٦/٢٨٣ وصاحبه في غزوته الثانية إلى اليمن قائداً لاصحابه وهو يبدأ سيرة الهادي منذ سنة ٨٩٨/٢٥٥ حين ذهب وهو غلام إلى أبيه الذي كان حينئذٍ قائداً في صيدا وقص عليه نبأ الحروب مع قبائل اليمن ، ومع القرامطة . ثم يتابع سيرته في دخوله اليمن وتأسيسه فيها الامامة الزيدية والمذهب الهادوي . وهي دون شك أقدم ما كتب من من سير الأئمة في اليمن ، كما أنها أقدم ما وصلنا منها ، فبين أيدينا نسخة من هذه السيرة ، من رواية أبي جعفر محمد بن سليمان الكوفي في عدة نسخ مخطوطة في مكتبة الجامع بصنعاء (رقم ٢١) ومكتبة أحمد أميري (رقم ٢٤٦٩) وفي المتحف البريطاني (OR . ٣٩٠١) وقد طبعت من قبل سهيل زكار (في بيروت سنة ١٩٧٣) .

ولا شك أن رضى الأئمة وأشياعهم الزيديين عن هذه السيرة جعلها رأساً

(١) أنظر آغا بزرك – الذريعة ج ١ ص ٣٢٠ .
(٢) أنظر الطوسي – الفهرست ص ٢٩ . والنهمي هذا يعرف أيضاً بالتيمي والهلالي لنزوله في هؤلاء ، وهؤلاء . ويبدو أنه لم يكن يمنياً في الأصل ولكنه نزل في بني نهم فنسب اليهم وهم من همدان .

لسلسلة من السير لن تنقطع فيما بعد وتتناول أبرز الأئمة المتعاقبين . وبعد أن وجد الأئمة بشكل مبكر بين أشياعهم مؤرخين صادقين فانهم ظلوا بعد ذلك يجدون من أمثالهم من يكرر المحاولة . فإن لم يجدوا قام بعضهم أو بعض أبنائهم بكتابة ما يصلون به حلقات السير .

وينسب للعلوي أيضاً كتاب في مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب منه نسخة مخطوطة في مكتبة الامبروزيانا رقم (H ١٢٨) في ٢٢٧ ورقة .

- **العلوي الرسي** : القاسم بن ابراهيم بن ... صاحب صعدة من الزيدية، وهذه هي الجملة التي ترد لدى ابن النديم الذي يعزو اليه كتاب الإمامة [١] وليس في أسرة الأئمة الزيدية من يحمل اسم القاسم ، ويمكن أن يكون موجوداً قبل تأليف كتاب الفهرست لابن النديم، سوى القاسم بن محمد بن القاسم ابن عم الامام الأول الهادي . أو القاسم الأول ، جده الملقب بترجمان الدين والمتوفى سنة ٢٤٦ أو القاسم المختار بن الامام أحمد الناصر ، ثالث الأئمة المتوفى سنة ٣٤٥ . وقد يكون الكتاب لهذا الأخير وقد أخطأ ابن النديم في جعله ابن ابراهيم لجهله باقي النسب .

- الجندي أبو سعيد المفضل بن محمد بن ابراهيم الجندي الشعبي (المتوفى سنة ٩٢٠/٣٠٨) وهو يماني عاش في مكة وتوفي بها . ولم يكتب في تاريخ اليمن ولكن كتب :

  - فضائل المدينة : ومنه مخطوطة في الظاهرية بدمشق ضمن مجموع (رقم ٦/٧١) من ثماني ورقات .

  - فضائل مكة : ونجد منه قطعة في معجم البلدان لياقوت [٢] .

---

(١) ابن النديم – الفهرست ص ١٩٣ .

(٢) أنظر ياقوت – معجم البلدان ج ١ ص ٦١٤ ، ج ٢ ص ٨٩ و ص ١٢٩ وص ٩١٦ ج ٤ ص ٥٧٧ . وانظر أيضاً السمعاني – الأنساب ورقة ١٣٧ . ظهر وورقة ١٧٧وجه .

– **ابن أبي الدمينة الهمداني** : أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف البكيلي الصنعاني (المولود سنة ٢٨٠ والمتوفى بعد سنة ٣٤٥ أو بعد سنة ٣٦٠ أو سنة ٣٣٤) أول وأكبر مؤرخي اليمن[1] ، اختار لنفسه لقب لسان اليمن ولقبه به أهل عصره ، فكان يفخر به وأعداؤه يلقبونه بابن الحائك . وكان المؤرخ ، الجغرافي الشاعر النحوي اللغوي النسابة ، المنجم ، الفيلسوف في وقت معاً . ولد في صنعاء من قبيلة همدان وهي أقوى قبائل اليمن ونشأ بين جماعته على طلب العلم فمن أساتذته الابرهي الحميري ، وأحمد ابن محمد الأعز الشهابي ، والخضر بن داود المكي . على أن العصر الذي نشأ فيه من أواخر القرن الثالث ، كان بالنسبة لليمن عصر اضطراب سياسي بقدر ما كان عصر قلق فكري . ويبدو أن الهمداني شارك وهو في أول الصبا في المعارك التي قادتها همدان بقيادة سيدها أبي جعفر أحمد ابن محمد بن الضحاك ضد القرامطة من جهة وضد التحرك الزيدي وأئمة العلويين من جهة أخرى . يقول انه شهد للضحاك مائة موقعة وسناً ... فالرجل إذن على النشأة العامية والحربية في وقت واحد . ويبدو انه خلال ذلك كان يجوب البوادي اليمنية يأخذ عن الأعراب ومشائخهم من أمثال أبي زغلب الحضرمي ومحمد بن عيسى العثاري ، ومحمد بن عبيد الله السكسكي ومحمد بن أبي معمر الدالاني وغيرهم ممن ذكرهم في ثنايا مؤلفاته ، كما يبدو انه أكثر من الرحلات والتطواف في مسالك الجزيرة العربية يسجل مواقعها الجغرافية ومسايلها واعرابها والصيد والرمي بالقوس وركوب الخيل وأخبار العرب ، كما حج مرات عديدة وجاور بمكة وأخذ

---

(١) حقق محمد بن علي الأكوع في مقدمته لطبعة الجزء الأول من الاكليل (القاهرة ١٩٦٣) مولد الهمداني وحدده بسنة ٢٨٠ استناداً إلى نص تنجيمي ذكره الهمداني نفسه ، وأما وفاته فقد أثبت أيضاً بنصوص صريحة أنها لا يمكن أن تكون قبل سنة ٣٤٥ أو سنة ٣٦٠ لأن الهمداني يروي في الاكليل عن رجل توفي سنة ٣٦٠ (أنظر الجزء الأول من الاكليل ص ٦٢ و ص ٦٠ من المقدمة) .

عن مشايخها وأخذوا عنه . وبينما أكثر من الاتصال بزعماء اليمن وأقيالها كبني الكرندي واقيال المعافر وآل الروية سلاطين مأرب وآل يعفر الحواليين ملوك اليمن وأمراء حاشد وآل الدعام أهل الجوف ، نجده بالمقابل يتصل باليمانية المهاجرية الذين نزلوا منذ الفتوح في أطراف العراق والشام وفي خراسان والأندلس يكاتبهم ويجاذبهم أطراف الأخبار والسؤال. على ان اقامته المتصلة كانت أولاً في ريدة حاضرة صديقه أبي جعفر الضحاك زعيم همدان ، فقد لازمه الملازمة المتصلة وقيد ايامه ومواقعه ، ثم إنه انتقل إلى صعدة ، فأقام بها عشرين سنة ، وهي على الطريق إلى مكة . وشارك خلال اقامته هذه في الحياة السياسية الخصبة ، وفي النضال العنيف الذي قادته قبائل خولان وهمدان ضد الزحف الزيدي خاصة ... غير أن هذا الاشتراك كلف الهمداني الكثير ، فما لبث ان نكب . ولم تكن نكبة واحدة ، ولكنه نكب مرة بعد مرة . وقع في أيدي الامام أحمد الناصر الزيدي ، فلما تألبت قبائل خولان على الامام أطلقه ، ولكنه ما لبث إن عاد إلى السجن كرة أخرى ، وفي هذه المرة بأمر من ملك اليمن أبي حسان أسعد بن أبي يعفر الحوالي ، وبإيعاز من الامام كان ذلك سنة ٣١٥ . ويبدو أن السبب هو تعصب الهمداني ليمانيته . والزيديون يعتبرون ذلك نقصاً في دينه لأنه « لهج بتفضيل قحطان على عدنان وحقر ما عظم الله وتجاسر على انتقاص من اصطفاه الله...[١] » وواضح ان الأمر سياسي وأن الهمداني إنما كان يرفض دعوى الأئمة في الفضل على الناس ، وفي الحكم ..

على أن نضال الهمداني ضد الأئمة استمر وهو في السجن فكان يؤلب القبائل ورؤساءها على خصومه ، وبالرغم من أن الخزرجي يذكر أنه مات في السجن سنة ٣٣٤ ، إلا أنه فيما يبدو خرج من السجن تلك السنة

(١) أنظر ابن أبي الرجال – مطلع البدور (نقلا من بعض مؤرخي الزيدية) من مقدمة الاكليل الجزء الأول ص ٤٨ .

ومات بعدها بسنوات طويلة شهد خلالها انتصار قومه على الجيوش الزيدية ومقتل الحسن بن الهادي (شقيق الامام الناصر) مع حملة مستكثرة من العلويين واخراجهم من صعدة ، كما يظهر انه كان وراء تحريض ابن الضحاك على قتل الامام القاسم بن الناصر والمعروف في التاريخ بالمختار سنة ٣٤٥ في ريدة ... وللهمداني شعر في ذلك .. [1] .

وبالرغم من هذه الحياة الحافلة ومن ديوان شعر بست مجلدات فقد توفر للهمداني الوقت ، كي يؤلف عدداً من الكتب بعضها في النجوم وبعضها في الأدب وأما كتبه التاريخية والتي تدور في فلك التاريخ فهي :

- كتاب اليعسوب وهو في آلات العرب من القسي والرمي والسهام والنضال وأخبار الأبطال والشجعان ويظهر إنه من أقدم كتبه لأنه يحيل في غيره عليه .
- كتاب المسالك والممالك في عجائب اليمن وجزيرة العرب وأسماء بلادها .
- كتاب الحيوان (أو الحيوان المفترس) ولعله قلد به كتاب الحيوان للجاحظ .
- كتاب صفة جزيرة العرب وهو من أحسن الكتب في مادته والجزء الموجود منه طبع مرتين احداهما في ليدن (هولندا) والثانية بعناية ابن بلهيد النجدي. وهو يبدأ بمعرفة أفضل البلاد المعمورة وليس فيه خطبة ولا ديباجة مما يوحي بأنه الجزء الباقي من مؤلف أوسع قد يكون مجلدين .

---

(١) يشير الهمداني في الجزء العاشر (ص ٦٧ - ٦٨) من الاكليل إلى أنه جرى بين الضحاك والقاسم « ما ينطق به شعر الهمداني » ، وهو دليل قوي على تأخر موته حتى ما بعد سنة ٣٤٥ ، أما النص الآخر الذي يأتي في الجزء الثاني من الاكليل وفيه يقول الهمداني انه سمع بعض الشيوخ سنة ٣٥٦ وان هذا الشيخ قتل سنة ٣٦٠ ، فبالرغم من أنه قرينة قوية على تأخر وفاة الهمداني بعد سنة ٣٦٠ إلا أنه من المحتمل أيضاً أن يكون النص كله مضافاً إلى الكتاب من قبل الناسخ بعد الهمداني .

- كتاب الأيام وهو في التاريخ أيضاً ، ولكنه مفقود . وقد ذكره ياقوت والسيوطي [1] .
- كتاب الإكليل وهو موسوعة الهمداني في أمور اليمن وضعه في عشر مجلدات وزعها على المواضيع التالية :

الأول : مختصر من المبتدأ وأصول الأنساب في اليمن .

الثاني : نسب ولد الهميسع بن حمير .

الثالث : في فضائل قحطان ونسب ولد قحطان .

الرابع : في السيرة القديمة (لليمن) إلى عهد تُبّع أبي كرب .

الخامس : في السيرة الوسطى من أول أيام أسعد تُبّع إلى أيام ذي نواس .

السادس : في السيرة الآخرة إلى الإسلام .

السابع : في التنبيه على الأخبار الباطلة والحكايات المستحيلة .

الثامن : في ذكر قصور حمير ومحافدها ومساندها .

التاسع : في أمثال حمير وحكمها باللسان الحميري .

العاشر : في معرفة حاشد وبكيل وأنسابها .

ومن المؤسف ان القسم الأوفى من هذه الأجزاء مفقود فليس بين الأيدي منها سوى أربعة : الأول والثاني ، وقد نشرهما محمد بن علي الأكوع (القاهرة سنة ١٩٦٣ و سنة ١٩٦٧) والثامن وقد نشره الأب انستاس الكرملي (بغداد سنة ١٩٣١) ثم نبيه أمين فارس (برنستون سنة ١٩٣٠) والعاشر الأخير الذي نشره محب الدين الخطيب (القاهرة سنة ١٣٥٨) .

---

(١) أنظر ياقوت – معجم الأدباء ج ٧ ص ٢٣٠ ، السيوطي بغية الوعاة ج ٢ ص ٥١٨ .

ويبدو أن ضياع ثروة الهمداني الفكرية لم يكن اعتباطاً وأن التعصب ضده سواء بسبب مذهبي أو بسبب قبلي قد أضاع كتبه وعفى على آثارها .

والباقي من أجزاء الاكليل ، وإن كان الطابع الغالب عليه هو الأنساب إلا أنه مملوء بالأحداث التاريخية والاشارات الحضارية والأدبية . انا نعرف من خلاله حضاره اليمن الأولى في قصورها ومبانيها وكتاباتها ، وفي نحتها الدقيق وسدودها الزراعية ما كان منها قبل الهمداني وما شهده بنفسه باقياً حتى القرن الرابع ولعل من الطرائف ما يرويه عن قصر غمدان وساعاته المائية في قوله :

يسمو إلى كبد السماء مصعّداً
عشرين سقفاً سمكها لا يقصرُ
وبكل ركن رأس نسر طائر
أو رأس ليث من نحاس يزأر
متضمناً في صدره قطارة
لحساب أجزاء النهار تقطر

وفي الأكليل قطع أدبية وشعرية لشعراء ورجال مجهولين . وفيه الكثير من مصطلح لغة اليمن وهي ثروة للبحث اللغوي .

على أن الهمداني ، رغم كل ميزاته يتكشف عن مؤرخ قليل البصر في النقد ، يتقبل حتى الخرافات المرفوضة أحياناً ويعتمد بعض الرواة المعروفين بأوهامهم الوعظية كما يسجل ترجمات مكذوبة على نصوص المسند . ويبدو أن تعصّبه اليمني هو الذي كان يدعوه لتقبل كل ذلك انطلاقاً مع هواه للموطن ، ويمكن أن نضيف أنه كان أكثر انحرافاً إلى الأنساب منه إلى التاريخ وملاحقة الأحداث ... لكن ذلك كله لا يمنع من اعتباره أبا المؤرخين في اليمن وشيخهم الأول .

وتعود سلسلة المؤرخين اليمنيين بعد الهمداني إلى الحجوم الصغيرة المتواضعة مدة قرن تقريباً يظهر خلاله مؤرخو الأئمة العلويين الأوائل . فبعد أن يظهر :

- ابن غيلان الحميري أحمد بن الحباب بن حمزة وكان موجوداً سنة ٣٤٧/ ٩٥٨ وله كتاب النسب الذي نجد نقولاً عنه لدى ابن ماكولا .

- وابن غالب (ولعله أبو غالب الرازي أحمد بن محمد بن سليمان بن الجهم (المتوفى سنة ٣٦٨) .

وهو صاحب أخبار تهامة .

بعد ذلك تبدأ سلسلة مؤرخي الجماعة العلوية الناشئة وأولها فيما نعرف :

- محمد بن محمد بن زيد (العلوي ؟) . ويبدو أنه كان من العلويين أو من أنصارهم وكان قد حان الوقت لتسجيل وقائع الحركة العلوية المتزايدة القوة والأهمية في اليمن في ذلك القرن ، وقد تصدى هذا الرجل للكتابة فيها في مؤلف عنوانه :

- كتاب في حروب أهل البيت باليمن . ذكر فيه حروبهم في القرنين الثالث والرابع مع بعض قبائلها ومنها قبائل همدان وخولان، فهو الصورة المقابلة لما كان يمكن أن يسجل الهمداني من وقائع تلك الحروب .

وليس لدينا من الكتاب سوى نقول في ورقة واحدة ضمن مجموعة تحمل رقم ٢٢٠٤ بمكتبة الامبروزيانا .

وقد لحق بهذا المؤرخ عدد من المؤلفين غير أنهم ركزوا انتباههم في كتابة سير الأئمة الزيديين . كان التقديس لهم قد أخذ ، مع توطد نفوذهم وتكاثر أنصارهم يستحوذ على النفوس والأقلام . وكان طبيعياً مع تكاثف الظلال الدينية القدسية عليهم واستقرارهم الطويل أن يجتمع تاريخ اليمن في أشخاصهم، فلا يعتبر أتباعهم ان ثمة شيئاً هاماً يتجاوز دائرة الامام . لا سيما إذا كان هو نفسه الحاكم وصاحب الحروب والأحداث والأموال والدولة ، وهكذا بدأت السلسلة وجاء فيها :

- ابو العباس أحمد بن ابراهيم بن الحسن بن علي بن ابراهيم من نسل الحسن

ابن علي بن أبي طالب . المتوفى سنة ٩٦٤/٣٥٢ ولعله توفي بجرجان فله فيها قبر ومشهد . وقد كتب :

- المصابيح من أخبار المصطفى والمرتضى والأئمة من ولدهما الطاهرين . ذكر فيه الأئمة الدعاة وسلك فيه مسلك الجارودية من الزيدية . وفي الكتاب سيرة الرسول ثم الأئمة من أبناء فاطمة وعلي حتى ينتهي إلى الناصر للحق أبي محمد الحسن بن علي بن عمر ابن علي بن الحسين ... ومن هذا الكتاب نسخة في الجامع الكبير بصنعاء وأخرى في دار الكتب بالقاهرة (التيمورية ٢٣٤٠ تاريخ) وثالثة في الأمبروزيانا ...

- **الحسين بن أحمد بن يعقوب** (المتوفى في أواخر القرن الرابع) والذي كتب :

- « أخبار الامام المنصور بالله » أبي محمد القاسم بن علي بن عبد الله بن محمد القاسم الرسي العياني الملقب بالقاسم الصغير وقد جاء اليمن سنة ٩٦٨/٣٣٨ وتولاها سنة ٣٨٨ وتوفي في حاضرته عيان سنة ٣٩٣/ ١٠٠٣ . ولدينا من هذا الكتاب نسختان مخطوطتان احداهما في المتحف البريطاني بعنوان سيرة المنصور بالله (أنظر ملحق - ثاني٥٣٢) وأخرى في مكتبة الأمبروزيانا (رقم ٣٨١٦) في ١٤٦ ورقة .

- **محمد بن محمد اليماني** (وقد توفي في النصف الثاني من القرن الرابع) وله : سيرة جعفر الحاجب . نشرها ايفانوف في مجلة كلية الآداب - القاهرة سنة ١٩٣٦ (مجلد ٤ - ديسمبر ١٩٣٦ الصفحات ٩٣ - ١٣٣) وقد ترجمها كانار إلى الفرنسية بعنوان السيرة الذاتية لحاجب عبيد الله المهدي الفاطمي ونشرها في مجلة Hespéris (3ème et 4ème trl. 1952 - الصفحات ٢٧٩ - ٣٣٠) (L'Autobiographie de...) وصاحب السيرة - فيما يبدو - يماني الأصل ممن اتصل بالدعوة الفاطمية فجرته معها من اليمن إلى افريقية (تونس) وهو يروي من خلال سيرة الحاجب جعفر بن علي (المتوفى

بعد سنة ٩٥٣/٣٤١) حاجب الخليفة الفاطمي الأول عبيد الله المهدي ، خروج هذا المهدي من سلمية بالشام ووصوله إلى سجلماسة في المغرب ثم خروجه منها إلى رقادة حيث تقلد الخلافة . ولعل السيرة كتبت بناء على رغبة الخليفة الفاطمي العزيز بالله .

— **مفرج بن أحمد الربعي** من رجال ما بين القرنين الرابع والخامس . وقد كتب :

- سيرة الأميرين القاسم ومحمد أبناء الامام القاسم بن علي العياني وقد ضمنه سيرة أبناء الامام المنصور . ومن الكتاب نسخة مخطوطة مع كتاب آخر في ٣١٥ ورقة بمكتبة جامع صنعاء في اليمن .

— **الهاروني أبو طالب يحي بن الحسين** (المتوفى سنة ٤٢٤) وله كتابان .

- الافادة في تاريخ الأئمة السادة وقد تحدث فيه عن تاريخ الأئمة وأهل البيت من غير أهل اليمن في ١٦ ترجمة تبدأ بالامام علي بن أبي طالب وتنتهي بمحمد بن الحسن المتوفى بموسم سنة ٣٦٠ . ومنه مخطوط في الفاتيكان (رقم ١١٥٩) وآخر في جامع صنعاء (رقم ١٣١) وقد اهتم بالكتاب مؤرخو اليمن فقامت عليه ذيول عديدة .

- الدعامة في تثبيت الامامة وهو بدوره مخطوط في جامع صنعاء في ٧١ ورقة .

لكن هذا الاهتمام بالأئمة والدعاة لم يمنع الاهتمام بالأمور التاريخية الأخرى. ولقد ظهر مؤرخون يمنيون كتبوا في تاريخ اليمن القديم ومدنه ورجاله منهم :

— **اسحق بن جرير الصنّعاني** : وينسب إلى الأسود بن عوف (شقيق الصحابي عبد الرحمن بن عوف) وهو من رجال القرن الرابع . وقد كتب :

- تاريخ صنعاء اليمن [1] .

---

(١) كشف الظنون ج ١ عمود ٢٩٧ ، السخاوي : الاعلان بالتوبيخ (ط . روزنتال بالعربية) ص ٦٣٤ و ٦٥٥ .

وكان هذا التاريخ من مصادر المؤرخ الجندي في كتابه السلوك في طبقات العلماء والملوك . وقد قال عنه في مقدمة تاريخه إنه « كتاب لطيف الحجم به فوائد جمة »[1].

- الكلاعي محمد بن الحسن بن محمد بن عبد الله الحميري المتوفى بعد سنة ١٠١٣/٤٠٤ وهو من ارستقراطية اليمن مع علم باللغة والنحو والسير وأيام العرب وأنساب الناس والمناقب والمثالب ونظم الشعر . وقد كتب ما يريد من التاريخ شعراً في :

- قصيدة ذات الفنون وهي رائية في أكثر من ثلاثمائة بيت في ذكر أنساب حمير ومفاخرها وملوكها وأيامها ورجالها الأقيال والفرسان والبطون . نظمها في قصر كحلان من منطقة ذي رعين سنة ٤٠٤ على ما ذكر يحيى بن الحسين في طبقات الزيدية[2] .

- القصيدة الكلاعية أو القاصمة وقد ذكر فيها بدورها أمراء قحطان ووزراءهم والعلماء والشعراء مع مثالب عدنان في حوالى ألف بيت .

- وكتب كتاب المسالك والممالك في صفة بيت المقدس وذكر ولاة مصر وصفة دمشق لكنه نقل ذلك عن كتاب العزيزي الذي يحمل الاسم نفسه والذي كتبه الحسن بن أحمد المهلبي(٣٨٠هـ) للعزيز بالله الفاطمي وقد نشر صلاح الدين المنجد قسماً منه في مجلة معهد المخطوطات بالقاهرة[3] .

- الكشوري: أبو محمد عبيد الله بن محمد بن ابراهيم الأزدي الصنعاني. وله:
- كتاب في التاريخ لعله على التراجم والرجال نقل عنه الرازي في تاريخ

(١) الجندي– السلوك (مخطوط كوبريلي رقم ١١٠٧) الورقة ٣ وجه .
(٢) يحيى بن الحسين – طبقات الزيدية (مخطوط دار الكتب بالقاهرة رقم ١٠٦٣٢ ح) الورقة ٢٩ وجـــه .
(٣) مجلة معهد المخطوطات – العدد ٤ لسنة ١٩٥٨ الصفحات ٤٣ – ٧٢ .

صنعاء عدة نقول وذكره ابن حجر في الاصابة في ترجمة النعمان ابن برزج [1] وجاء ذكر الكشوري لدى السمعاني في الأنساب .

- الرازي أبو العباس أحمد بن عبد الله بن محمد الصنعاني (المتوفى سنة ١٠٦٧/٤٦٠) صاحب كتاب : تاريخ صنعاء اليمن . وليس يقتصر هذا التاريخ على صنعاء كبعض التواريخ البلدانية ، ولكنه يشمل ما جاورها من مختلف بلدان اليمن التي قسمها إلى أربع مناطق يقول : « .... اليمن أربعة أعمال : صنعاء ومخاليفها والجند ومخاليفها ، وعكّ ومخاليفها (يعني تهامة) وحضرموت ومخاليفها ... » وهكذا ينقسم الكتاب إلى أربعة أقسام تتناول بـــلاد اليمن جميعاً مع ذكر حوادثها ووقائعها وملوكها وولاتهـــا من قبل الرسول ، ثم الخلفاء من بعده . وقد انتهى المؤلف بكتابه إلى سنة ٤٦٠ وهو لا يخلو من الأساطير وبعض التراجم .

والكتاب موجود بشكل مخطوطات عديدة تتوزعها مختلف المكتبات فمنه نسخة في جامع صنعاء (رقم ١١٧) ، ونسختان في استامبول (أيا صوفيا رقم ٣٠٤٨ ، وكوبريلي رقم ١٠٥١) ، ومنه في المكتبة الأهلية بباريس (رقم ١٦٤٣ A2) ومنه في الامبروزيانا (رقم ٤٦٦) ، وأخرى في بلدية الاسكندرية (رقم ٣٦٨٢ ج) ونسخة في الاصفية بحيدر آباد (رقم ١٢ تاريخ) . وإذا كانت كثرة مخطوطات الكتاب توحي باهتمام الناس به وادراكهم قيمته كأول تاريخ شامل لليمن جميعاً ، فالذي يبدو أن ما ذكره المؤرخ الجندي منذ القرن الثامن الهجري ، صحيح . وهو أن مخطوطات الكتاب الموجودة بعهده لا تحوي سوى القسم الثالث من الكتاب فقط . وهذا يعني أنه قد فقد منه ، ومنذ وقت مبكر جداً، باقي أقسامه. والمخطوطات الموجودة الآن تؤيد ذلك فهي لا تحوي سوى قسم من هذا التاريخ ، ونصوصها في مختلف النسخ تكشف شيئاً من الاختلاف في بعض الفقرات مما يوحي بأن الاهمال أو العنعنات القبلية هي التي لعبت بالكتاب

---

(١) أنظر ابن حجر - الإصابة ج ٣ ص ٥٨٥ . وانظر السمعاني - الأنساب ورقة ٤٨٤ ظهر .

سواء في ضياع أقسامه أو في اضطراب نصوصه .

— وجاء مجهول في القرن الخامس فكتب : تاريخ اليمن من ملوك حمير وحروب اليمن القديمة إلى الوفود على الرسول واسلام اليمن واستمر حتى القرن الخامس يأخذ في كل ذلك عن أحمد بن عبد الله الرازي المؤرخ السابق فكأنه ظله . ومن هذا الكتاب نسخة مكتبة الامبروزيانا التي أخذت عنها نسخة مصورة في دار الكتب بالقاهرة .

— ابن أبي الفضائل : محمد بن مالك بن حماد من رجال القرن الخامس (توفي حوالى سنة ١٠٧٧/٤٧٠) ، وكان من فقهاء السنة في اليمن في أواسط هذا القرن الذي كانت الخلافة الفاطمية فيه قد بسطت نفوذها ودعوتها في بعض أقسام اليمن . وكانت متهمة بعقيدتها الباطنية وبعلاقاتها مع القرامطة في اليمن والبحرين ، ولهذا كتب ابن حماد كتاب :

— كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة (باليمن) وفيه شيء من أخبار الباطنية وعقائدهم وتاريخهم. ويتكلم المؤلف فيه عن دعوة علي ابن الفضل القرمطي كما يؤرخ لقيام الدولة الصليحية في اليمن .
والكتاب موجود طبع في القاهرة سنة ١٩٤٩/١٣٥٧ (مطبعة الأنوار في ٤٦ صفحة) . ثم طبع كرة أخرى سنة ١٩٥٩ مع كتاب التبصير في الدين للاسفرايني .

— ابن القيم : أبو عبد الله الحسين بن علي بن محسن . ولد بزبيد وتوفي بها سنة ١٠٨٩/٤٨٢ . وقد أخطأ ياقوت بجعل وفاته سنة ٥٨١ وجعله من رجال القرن السادس [1] وهو من شعراء الداعي علي الصليحي المتوفى سنة ٤٧٣ . وكان رئيس ديوان الانشاء للصليحيين .

ومن هنا كانت مشاركته التاريخية فإن له : « مجموعة رسائل » كتبها

---

(١) ياقوت – معجم الأدباء ج ١٠ ص ١٣٠ .

سلاطين الصليحيين إلى الخلفاء الفاطميين بمصر وإنما هي من انشاء ابن القيّم . ومنها نسخة خطية في المكتبة المحمدية الهمدانية باليمن .

- أبو الطامي : جياش بن نجاح (المتوفى سنة ١١٠٥/٤٩٨) وهو ثالث ملوك أسرة بني نجاح في زبيد . كان بجانب الملك والسياسة شاعراً فله ديوان كبير ذكره عمارة اليمني وكان نسابة كما كان مؤرخاً ويعتبره بعض الباحثين [1] « المؤرخ الهاوي الصحيح بين الأمراء » وقد ألف في التاريخ «نظراً لشغفه بالأنساب التي ذكرت في المادة التي استعملها » غير أنه اتهم من قبل الناس في عدل حكمه كما اتهم في صحة تاريخه . فالناس ينسبونه إلى الظلم لأنه قتل الحسن بن أحمد بن أبي عقامة بعد أن صحبه واصطفاه . كما تحيف آل أبي عقامة وغيرهم كثير في تاريخه المسمى :

- المفيد في أخبار زبيد .

والكتاب مفقود النسخ منذ زمن بعيد جداً ويذكرون أن السبب في ضياعه هو ما تضمن من مثالب الناس وما كشف من أنساب عدد ممن كانوا يدّعون النسبة للعرب . فبالغ الناس في إعدام الكتاب ومكافحة انتشاره . وقد نقل عمارة اليمني في كتابه التاريخي الذي يحمل أيضاً الاسم نفسه : المفيد ، معظم ما في كتاب جياش ...

- الحاكم الجشمي : أبو سعد المحسن بن محمد بن كرامة الجشمي البيهقي (ولد سنة ٤١٣ وتوفي قتيلاً في مكة سنة ٤٩٤) كان علامة العصر في التفسير وعلم الكلام والفقه . وقد ترك المذهب الحنفي إلى مذهب الزيدية وألف فيها :

- كتاب الامامة على مذهب الزيدية الهادوية في أربعة مجلدات. ذكر فيها تاريخ الأئمة السابقين لعصره . وقد اعتبره يحي بن الحسين « من أجلّ الكتب » وأخذ عنه الكثير في كتابه طبقات الزيدية (الورقة ٣٥) .

---

(١) يحيى بن الحسين طبقات الزيدية (مخطوط دار الكتب) الورقة ٥٨ ظهر .

– شرح عيون المسائل ترجم فيه أيضاً لجماعة من كبار الزيدية وضمنه كتاب طبقات المعتزلة للقاضي [1] عبد الجبار بن أحمد المعتزلي (المتوفى سنة ٤١٥) الذي جمع رجالهم في عشر طبقات فجاء الحاكم الجشمي وأضاف إليه طبقتين وجعل القاضي عبد الجبار أول الطبقة الحادية عشرة .

– **مسلّم بن محمد بن جعفر اللحجي الشطبي** المتوفى سنة ٥٤٥/ ١١٥٠ . وهو من كبار علماء الأنساب والتاريخ في الوقت الذي كان فيه سياسياً ودينياً من كبار علماء الهادوية في الفروع والمطرفية في الاعتقاد . وله كتاب في التاريخ معروف باسم :

– تاريخ مسلم اللحجي أو تاريخ اليمن . وهو في أربعة أجزاء تبلغ في المجموع مجلدين متوسطين .

وأكثر الكتاب في ذكر حال المطرفية من الزيدية ، أصحابه وذكر أولاد الهادي الذين كان اللحجي يتعصب لهم ولجدهم . وقد نظم كتابه على الطبقات وجعلها خمساً :

الأولى : في أحوال ابني الهادي استوفى فيها ذكر الحروب بين الناصر والقرامطة وغيرهم .

الثانية : في أحوال المختار وأولاده وبني الضحاك . وأورد فيه ترجمة وافية لأحمد بن موسى الطبري .

الثالثة : في ذكر من أخذ عن الطبري مثل المطرف بن شهاب وابن أبي الفوارس والامام القاسم العياني وسائر العلماء ممن أخذ عن الطبقة الثانية كما ذكر اختلاف الزيدية .

---

(١) كتاب هذا القاضي وجده فؤاد سيد مخطوطاً في اليمن سنة١٩٥٢ فقام بتحقيقه والتعليق عليه مضيفاً إليه الطبقتين ١١ و ١٢ من كتاب الحاكم ثم نشره لدى الدار التونسية للنشر سنة ١٩٧٤ .

الرابعة : في من أخذ عن مطرف مثل نهد بن الصباح وابن صعتر وغيرهما .
الخامسة : فيمن عاصر مسلماً اللحجي نفسه من علماء المطرفية .

وقد كان اللحجي أحد مصادر حميد الهمداني في كتابه المخطوط المسمى الحدائق الوردية كما نقل يحيى بن الحسين معظم ما في كتاب اللحجي في كتابه طبقات الزيدية . وفي باريس مخطوط برقم Ar 5982 في ٢٦٠ ورقة يذكر انه الجزء الرابع ولكنه ينتهي إلى حوادث سنة ٦٢٧ وفيه أخبار من التاريخ الإسلامي تختلف عما هو معروف من مادة الكتاب التي ذكرها يحيى بن الحسين في طبقات الزيدية كما أن في برلين مخطوطاً لمسلم اللحجي بعنوان : كتاب فيه شيء من أخبار الزيدية في اليمن، (برقم (Berlin 9664 (2) (38b-70) وهو في واقعه جزء من كتاب التاريخ المذكور .

ولمسلم اللحجي كتاب آخر في التاريخ الأدبي عنوانه : الأترنجة (أو الأترجة) في شعراء اليمن . وقف عليه القفطي ونقل عنه في ترجمة الحسن بن خالويه من كتاب أنباه الرواة وذكر عنه أنه : « ... كتاب قليل الوجود اشتمل على ذكر شعراء اليمن في الجاهلية والإسلام إلى قريب من زماننا هذا (القرن السابع الهجري) وما رأيت به نسخة ولا من ذكره إلا نسخة واحدة جاءت في كتب الوالد أحضرت بعد وفاته من أرض اليمن .. » وقد عاد القفطي فذكر الكتاب مرة أخرى في كتابه المحمدون من الشعراء ونقل عنه تراجم المحمدين من شعراء اليمن. وامتدح ياقوت الكتاب في معجم الأدباء وذكر أن صاحبه « أجاد فيه » .

— ابن خمر طاش أبو الحسن بن خمر طاش الزيدي (المتوفى سنة ٥٥٤) وهو صاحب القصيدة الخمرطاشية . وهي مقصورة في تاريخ اليمن القديم أحاط فيها صاحبها بذلك التاريخ كله بما في ذلك أساطيره . وقد نقل عنها المؤرخ الخزرجي في كتاب العقود اللؤلؤية [1] كما جاء قبله بكثير من

(١) أنظر الخزرجي – العقود اللؤلؤية (ط . الهلال – محمد بسيوني) ج ١ ص ١٥ .

أعجب بها وشرحها ، وأقام على أساسها كتاب تاريخ وآداب كامل وهو : سليمان الأشعري (المتوفى سنة ٦٥٢) .

— أحمد بن مقبول الأسدي المتوفى سنة ٥٦١ وله كتاب ضائع اسمه :
— الجواهر الحسان في تاريخ صبيا وجيزان .

— الامام المتوكل على الله أحمد بن سليمان (ولد سنة ١١٣٨/٥٣٢ وتوفي شاباً سنة ١١٧١/٥٦٦) وهو أحد أئمة اليمن الذين شجعوا العلم حتى خرجت كتب المعتزلة في أيامه من العراق إلى اليمن مع القاضي جعفر بن عبد السلام أحد أعوانه . وقد كتب هذا الامام كتاب :

— الحكمة الدرية والدلالة النبوية (النورية) ذكر فيه سيرة الرسول وفضائله وفضائل آل البيت والفرق الإسلامية من الشيعة وعقائدها .
ومن هذا الكتاب نسخة مخطوطة في الجامع الكبير بصنعاء (رقم ١٠٢ علم كلام خ ١٠٣٩) في ١٤٥ ورقة .

ثانيـاً : مؤرخو المرحلة الثانية :

ظهر خلال هذه المرحلة ، في ما أحصينا ، حوالى ثمانية وعشرين مؤرخاً آخر امتدوا على مدى قرن من الزمان بين أواسط القرنين السادس والسابع للهجرة . وقد بدأت المرحلة بظهور ثلاثة من المؤرخين الكبار في التاريخ اليمني عاصر بعضهم بعضاً كما عاصرهم عدد من المؤرخين الثانويين . في مطلع القائمة يـأتي :

— نجم الدين أبو محمد عمارة بن أبي الحسن علي بن زيدان الحكمي اليمني (ولد حوالى سنة ٥١٥ وقتل سنة ١٩٧٤/٥٦٩) والرجل في اليمن من سادة قومـه بني الحكم بن سعد العشيرة المذحجي . كان أجداده حتى أعمامه والآباء من الموسرين والعلماء في تهامة اليمن. وقد ولد عمارة في بلدة مرطان منها ثم انتقل للدراسة إلى زبيد فبقي فيها خمس سنوات (٥٣١ — ٥٣٦) يدرس ثم ثلاث سنوات بعدها يدرس بعض الطلبة الفقه والفرائض

والمواريث وينظم الشعر ، ثم اتصلت أسبابه وهو على طريق الحج مع الملكة الحرة أم فاتك ملك زبيد ففتح له باب التعرف إلى علية القوم في المملكة ثم أعطى وحده ولمدة سنوات حق التجارة بين عدن وزبيد بسبب ما كان بينهما من قطيعة سياسية فاغتنى الغنى الكثير الذي ما لبث أن أثار عليه الحسد ، فاتّهم بأمر سياسي أدى به إلى الهرب من اليمن خوف القتل ، وقصد الحج سنة ٥٤٩ ثم سفر لأمير الحرمين لدى الخليفة الفاطمي سنة ٥٥٠ ففتح له الشعر طريق النجاح . ولما عاد إلى مكة أرسله أمير الحرمين كرة أخرى بمهمة تجارية في اليمن ثم بسفارة ترضية إلى وزير مصر الملك الصالح طلائع بن رزيك ، فلما جاء مصر هذه المرة لم يخرج منها بعد أن مهّد له الشعر سبيل الغنى والشهرة . ومع انه كان سنياً وعلى المذهب الشافعي إلا أنه أضحى من وجوه المجتمع الفاطمي ، وتلقب بالقاضي الأرشد وعاصر تلك الأيام المضطربة التي قام فيها الصراع في آخر العهد الفاطمي بين الوزيرين شاور وضرغام كما شهد السباق العنيف إلى مصر بين نور الدين والصليبيين ثم انتهاء الخلافة الفاطمية بعد استقرار صلاح الدين وجيشه فيها ... ويبدو أن عمارة ، رغم عدم ارتباطه المذهبي بالفاطميين ، رأى نفسه يفضلهم على من يسميهم هو « جيش الغز » أو جيش الترك فتورط مع سبعة زعماء آخرين في حبك مؤامرة ذات شعب داخلية وخارجية ، دخل فيها مع بقايا الفاطميين ، الاسماعيلية والصليبيين والروم وملك صقلية . والقصد منها الخلاص من صلاح الدين بالقتل واعادة النظام الفاطمي . ويكون ساحل مصر الشمالي نهباً للقوى الأجنبية .. وكشف بعض الناس المؤامرة لصلاح الدين فاستبقها قبل التنفيذ وسيق المتآمرون الثمانية إلى الشنق .... وكان عمارة واحداً منهم .

كتب عمارة ، في التاريخ كتابين :

أحدهما : النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية ، وهو كما وصفه بنفسه « مجموع لم أقصد به شيئاً مخصوصاً ولا فناً منصوصاً ، بل ذكرت

فيه نبذاً من الأخبار مختلفة المقاصد ... » والواقع أنه حكى فيه ، فيما يشبه المذكرات الشخصية تاريخ حياته الأول ، ثم قصته ومجالسه وانطباعاته في حياته بمصر ، واوياً خلال ذلك الكثير من شعره ، والكثير الكثير من الاشارات إلى الأحداث الهامة التي عاشتها في تلك الفترة .

والكتاب مطبوع . نشره في ألمانيا المستشرق ديرنبورغ سنة ١٨٩٧ .

الثاني : كتاب المفيد في أخبار صنعاء وزبيد وهو في تاريخ اليمن عامة وتاريخ الدولة الصليحية بصورة خاصة . والكتاب موجود مطبوع . نشر في لنـــدن بتحقيق كاي Kay سنة ١٨٩٢ ، ثم طبع في مصر مرتين احداهما بتحقيق حسن سليمان محمود والثانية بتحقيق اسماعيل الأكوع سنة ١٩٦٧ .

— المؤرخ الثاني هو نشوان بن سعيد بن نشوان الحميري اليمني (المتوفى سنة ١١٧٧/٥٧٣ — ٨) وهو من الامراء المحاربين في منطقة صبر ، وهو جبل شامخ مطل على قلعة تعز فيه عدة حصون وقرى ، استولى نشوان عليها جميعاً وقدمه أهل تلك البلاد حتى تملك عليهم .. على أنه كان بجانب نشاطه السياسي ذا نشاط علمي تاريخي واسع ، وفي هذا الباب كتب الكثير أو على الأقل كتب أكثر مما كتب غيره بكثير . ومن مؤلفاته :

— كتاب أحكام صنعاء وزبيد . وهو مخطوط في الامبروزيانا (ضمن ضمن مجموعة تحمل رقم ٢٦٥) ، وقد كتبت نسخته في عصر المؤلف نفسه سنة ٥٥٥ .

— كتاب الحور العين : وفي أواخره شيء عن تاريخ الحركة الزيدية والاسماعيلية والاباضية في اليمن مع ذكر أول دعاة كل مذهب وتراجم بعض رجاله . والكتاب منشور بتحقيق كمال مصطفى (القاهرة سنة ١٩٤٨) .

— خلاصة السيرة الجامعة لعجائب أخبار الملوك التابعة . وهي منظومة تاريخية تعرف بالقصيدة الحميرية مطلعها :

الأمر جدّ وهو غير مزاح فاختر لنفسك صالحاً يا صـاح

وقد شرحها نشوان ذاكراً فيها أخبار ملوك حمير واقيال اليمن. ونشر الكتاب بتحقيق علي المؤيد واسماعيل الجراني في القاهرة (المطبعة السلفية ـ ١٩٨ ص) سنة ١٣٧٨هـ .

ـ شمس العلوم ودواء كلم العرب من الكلوم : وهم معجم لغوي فقهي تاريخي يسير على الحروف الأبجدية ، وقد طبع منه جزءان إلى حرف السين (القاهرة ـ دون تاريخ ، الأول في ٤٩١ صفحة والثاني في ٥٣٧) وفي الكتاب الكثير من المواضيع التاريخية المتصلة باليمن ونجد في الجزء الأول شيئاً عن أذينة ملك حجر وبلقيس ، وفي الثاني حديث دمون ومجاعة السلف باليمن .... [1] .

ـ وقد صدر كتاب باسم نشوان عنوانه منتخبات في أخبار اليمن هو عبارة عن مقتطفات مأخوذة من شمس العلوم . طبع في لندن بتصحيح عضد الدين أحمد وهو في ١٦٣ صفحة .

ـ الثالث هو : الجعدي أبو حفص عمر بن علي بن سمرة بن الحسين (المتوفى سنة ٥٨٦/١١٩٠) وقد كتب : كتاب طبقات فقهاء جبال اليمن وعيون من أخبار سادات رؤساء الزمن ، ومعرفة أنسابهم ومبلغ أعمارهم ووقت وفاتهم : وقد تناول فيه تراجم علماء اليمن منذ ظهر الإسلام حتّى ما بعد سنة ثمانين وخمس مائة ، فهو مصدر هام للحركة الفكرية في اليمن وعلاقاتها مع العراق ومصر والتيارات الأخرى كما أنه أقدم كتب الطبقات اليمنية المعروفة .ومع أن صاحبه اهتم بالترجمة لفقهاء الشافعية في اليمن الأسفل خاصة إلا أنه يحوي ولا سيما بالنسبة لمعاصريه معلومات هامة جعلته أساساً لكافة من ترجموا لهم بعده .

(١) أنظر الحميري ـ شمس العلوم ج ١ ص ٧٢ ، ص ١٨٥ ـ ١٨٦ وج ٢ ص ١٣٩ ، ص ٤٠٩ .

ومن الكتاب مخطوطات عديدة في استامبول والاسكندرّية وغيرهما وقد طبع في القاهرة بتحقيق فؤاد سيد سنة ١٩٥٧ في ٣٢٧ صفحة ونجد في كتاب السلوك للجندي معظم ما يحوي كتاب ابن سمرة . كما وضع محمد بن الحسن بن علي (المتوفى سنة ١٢٦٨/٦٦٧) ذيلاً على طبقات ابن سمرة أشار إليه الخزرجي في العقود اللؤلؤية [1] .

ويأتي مع هؤلاء المؤرخين ومن بعدهم :

- **البريهي** : أبو الحسن أحمد بن عبد الله البريهي السكسكي المتوفى سنة ١١٩٠/٥٨٦ وله تاريخ باسمه ذكر الشرجي صاحب طبقات الخواص [2] أن شخصاً يدعى صالح بن علي السيواني قد قرأ فيه وأخبره عنه . وأسرة البريهي من بلدة إب وكانت أسرة علم لعدة أجيال .

- **ابن أبي الخير العمراني** : طاهر بن يحيى بن سالم (ولد سنة ٥١٨ وتوفي سنة ١١٩١/٥٨٧) وهو أحد الفقهاء المعروفين ومن علماء الشافعية . ويبدو أنه كان على الولع بالتاريخ وقد كتب تاريخاً عرف باسمه :

  - تاريخ طاهر بن يحيي العمراني وهو مرتب في الحوادث على السنين من أول الإسلام إلى عصره ومنه نسخة مخطوطة في زبيد لدى القاضي محمد بن علي الأكوع .

- **العرشاني** : صفي الدين أحمد بن علي بن أبي بكر اليمني (المتوفى سنة ١١٩٤/٥٩٠) ولهذا الرجل مؤلفان تاريخيان :

الأول : طبقات النحاة . ولا شك انه أبرز فيه تراجم النحاة اليمنيين الذين كان يجهلهم مؤلفو رجال النحو في العراق ومصر والشام وفارس.

---

(١) الخزرجي - العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية (ط . القاهرة ١٩١١) ج ١ ص ١٧٢ - ١٧٣ .

(٢) أنظر الشرجي - طبقات الخواص ص ٦٠ و ص ٧٦ .

الثاني : من دخل اليمن من الصحابة . والكتابان مفقودان .

- الحامدي حاتم بن ابراهيم بن الحسين بن أبي المسعود بن يعقوب الحامدي (ولد سنة ٥٥٧ وتوفي سنة ١١٩٩/٥٩٦) وهو ثالث دعاة الاسماعيلية في اليمن ويبدو أنه لقي معارضة شديدة في توليه رئاسة الدعوة هناك كما يبدو من أخباره أنه كان غزير الانتاج والتأليف ومن مؤلفاته كتاب :

- تحفة القلوب وفرجة المكروب (ويسمى أحياناً : تحفة القلوب في ترتيب الهداة والدعاة في الجزيرة اليمنية) . ومع أن الكتاب في الأصل يرمي إلى شرح العقيدة الاسماعيلية إلا أن صاحبه اهتم بأخبار انتقال زعماء الدعوة المستعلية من القاهرة إلى اليمن وتكلم عن بعض الدعاة القلائل الأولين . وقد نقل الحسن بن نوح (المتوفى سنة ٩٣٦هـ) في الجزء الثاني من كتابه: الأزهار ومجموع الأنوار أغلب كتاب الحامدي في حديثه عن الدعاة بعد وفاة الخليفة الآمر واستتار الامام الطيب .

وقد جاء خلال هذه الفترة نفسها أو أواخر القرن السادس أسماء أخرى ، اهتم بعضها بالأنساب ، وبعضٌ بالسير وغيرها منهم :

- ابن دعسين أبو بكر بن أحمد بن دعسين المتوفى سنة ٥٧٢ ، ولكنه في ميله للأنساب كتب : العقد الفريد في أنساب بني أسيد . وذكر فيه بطون بني حسن بن رزام من قبائل اليمن .

- الأشعري اليمني : الحسن بن أحمد بن محمد بن ابراهيم . كان حياً سنة ١٢٠٤/٦٠٠ وكان بارعاً في الأنساب وله فيها :

- كتاب التعريف بالأنساب : وهو كتاب كما قال اقتصر فيه على مشاهير الرجال أي انه مختصر يشتمل على أمهات القبائل والبطون - ونسب عدنان وقحطان .

- الباب في معرفة الأنساب وهو في أنساب أهل اليمن وقبائلها ويذكر في المصادر انه اللباب وهو خطأ لأنه يذكر في المقدمة أنه الباب .

ومنه نسخة مخطوطة في الامبروزيانا 18-13 وأخرى في دار الكتب بالقاهرة (٩٤٥ أنساب) وثالثة في الأحمدية (رقم ١٦٦٦) .

- **سليمان بن يحيى الثقفي** الذي كتب : سيرة المتوكل على الله أحمد بن سليمان ابن محمد بن المطهر إمام اليمن فيما بين سنة ٥٣٣ وسنة ٥٦٦، ومن هذا الكتاب نسخة مخطوطة في الامبروزيانا (رقم ١٤) في ٤٩ ورقة .

- ولعلنا نستطيع أن تضيف أيضاً وثيقة تاريخية من هذه الفترة هي كتاب أرسله حسن بن محمد بن النساخ إلى الخليفة العباسي ببغداد وهو الناصر (٥٧٥ — ٦٢٢/ ١١٨٠ — ١٢٢٥) يشكو اليه ما أصاب طائفته المطرفية من قبل الامام الزيدي المنصور عبد الله بن حمزة الذي ولي الامامة ما بين سنة (٥٨٣ — ٦١٤/١١٨٧ — ١٢١٧) .

وثمة من الكتاب نسخة مخطوطة في الامبروزيانا في ٢٣ ورقة فيها ضوء تاريخي هام على أحداث اليمن في تلك الفترة .

وتنشط الحركة التاريخية في اليمن في القرن السابع ،، ولكن النشاط المحدود الافق ، فمة أعداد ممن عملوا في التاريخ ، ولكن لم يبرز فيهم مؤرخ بارز ، يعدل أي واحد من المؤرخين الذين برزوا في هذا القرن بالذات في الشام والعراق وذلك بالرغم من سعة الصلات التي ربطت اليمن ، عن طريق الحكم الأيوبي بالشام ومصر في هذه الفترة . ومن مؤرخي القرن السابع :

- **ابن أبي الصيف** : تقي الدين أبو عبد الله محمد بن اسماعيل (المتوفى سنة ٦٠٩/١٢١٢) وهو فقيه شافعي يماني عاش في الحرم بمكة ، وله من المؤلفات :

  - الميمون المضمن لبعض فضلاء أهل اليمن . قيل عنه أنه جمع فيه الأحاديث الواردة في فضل اليمن . وقد اقتبس منه الجندي بعض ذلك في مقدمة كتابه السلوك . كما ضم الكتاب بعض تراجم العلماء اليمنيين .

ولابن أبي الصيف كتابان آخران مفقودان : زيارة الطائف وبلغة المسافر في منهج الأكابر .

– ابن فضيل الهمداني: أحمد بن علي بن أبي بكر بن حمير بن فضيل (ولد سنة ٥٤٢ وتوفي بذي جبلة سنة ٦٠٩ ونقل على أعناق الرجال إلى قبر أبيه في عرشان) . وهو من مؤرخي اليمن البارزين الذين ضاعت آثارهم . ذكره ابن سمرة في طبقات فقهاء اليمن [1] وذكر أن « له مؤلفات حسنة » في التاريخ . وكان من المعاصرين له . ومن مؤلفاته :

– ذيل على تاريخ الطبري ، في جزءين .

– ذيل على تاريخ القضاعي (وهو كتاب عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف الذي كتبه القاضي المصري الشافعي أبو عبد الله محمد القضاعي المتوفى سنة ٤٥٤ / ١٠٦١) موجزاً فيه التاريخ العام للأنبياء ولتاريخ الاسلام إلى سنة ٤٢٢ ومخطوطه موجود) . وقد تابع ابن فضيل تذييله على الكتاب حتى أيام المستنصر الفاطمي المتوفى سنة ٤٨٧ / ١٠٩٣) .

– تاريخ اليمن وصفتها ومن ملكها (وهو جزء) وهذا يعني أنه موجز جغرافي – تاريخي .

– تاريخ من قدم اليمن من العلماء والوزراء والشعراء وسواهم . وكانت له كتب أخرى غير ذلك . وقد ضاع تراثه .

– والد الجميع : علي بن محمد بن الوليد (المتوفى سنة ١٢١٥/٦١٢) وهو خامس دعاة الاسماعيلية في اليمن . وقد كتب :

– رسالة نظام الوجود وترتيب الحدود . وهو في أسماء الحدود الاسماعيليين في اليمن في زمنه . وقد أخذ عنه الحسن بن نوح في الجزء الثالث من كتابه الأزهار ومجمع الأنوار .

(١) ابن سمرة : طبقات فقهاء اليمن (ط . القاهرة ١٩٥٧) ص ٢٣٦ .

- ديوان شعر في مدائح الداعي حاتم بن ابراهيم الحامدي وأستاذه محمد ابن طاهر . والردود على بعض الفرق وعتاب المشائخ اليعبريين في تنافرهم وبكاء ما جرى على الدعوة من الفتن والمحن . وفي آخر الديوان العقيدة « التسعونية » التي يتحدث فيها عن بداية الدعوة الاسماعيلية في اليمن وإثبات إمامة الامام الطيب بن الآمر .

- الامام عبد الله المنصور بن حمزة بن سليمان بن حمزة الرسيّ (المتوفى سنة ٦١٤/١٢١٧) وهو إمام الزيدية في اليمن بين سنتي ٥٨٣ – ٦١٤ ، وكانت الامامة قد شغرت قبله منذ سنة ٥٦٦ . وله من الكتب :

- العقد الثمين في أحكام الأئمة الهادين ، ومنه نسخة مخطوطة كتبت بعد عهده بقليل سنة ٦٣٠ في مكتبة الجامع بصنعاء (رقم ٢٢٣) في ١٠٩ ورقات .

- تلقيح الألباب في أحكام السابقين وأهل الاحتساب . ومنه أيضاً نسخة مخطوطة قديمة بمكتبة جامع صنعاء (٩ ورقات) .

- مسلم الشيزري أمين الدين أبو الغنائم مسلم بن محمود بن نعمة بن أرسلان (كان موجوداً سنة ٦٢٢/١٢٢٥) وأصله من شيزر في الشام ولكنه عاش في اليمن أواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع ، في كنف الملك طغتكين الأيوبي (٥٧٧ – ٥٩٣) صاحب اليمن ، حتى الملك المسعود يوسف (٦١٢ – ٦٢٥/١٢٢٧) آخر الأيوبيين هناك .

وقد كتب الشيزري للملك طغتكين كتابه الهام الذي ذكره كشف الظنون[1] :

- عجائب الأسفار وغرائب الأخبار « وأودع فيه أشعاراً وأخباراً » . ولكن هذا الكتاب فقد وبقي الكتاب الآخر الذي كتبه للملك المسعود :

---

(١) كشف الظنون ج ٢ عمود ١١٢٥ .

- جمهرة الإسلام ذات النثر والنظام . الذي يغلب عليه الطابع الأدبي الشعري وفيه إشارات لبعض أخبار اليمن وأمرائها في عصر المؤلف . ومن الكتاب نسخة مخطوطة في ليدن (رقم OR ٢٧٨) كتبت أواخر القرن السابع سنة ٦٩٧ في ٢٦٤ ورقة .

- ابن فضيل نظام الدين ابراهيم بن أبي بكر بن علي بن معاذ المتوفى سنة ١٢٢٩/٦٢٦ . ولم يكن الرجل مؤرخاً وإن كان ذا ولع بالأخبار ولهذا فقد ذيل على الجزء الثالث من كتاب تاريخ صنعاء للرازي بكتاب عنوانه :

- الاختصاص بذكر عمارة الجبانة التي هي مصلى العيدين في مقدم مدينة صنعاء وعمارة المنارتين في المسجد الجامع بصنعاء وعمارة مسجد معاذ بن جبل في جبل حرب في غرب مدينة الجند وما يتخلل ذلك من أخبار .

وثمة من هذا الكتاب نسخة مخطوطة في أيا صوفيا باستامبول (رقم ٣٠٤٨) في ١٥٥ ورقة .

- القلعي أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن علي (المتوفى بمرباط سنة ١٢٣٣/٦٣٠) وينسب الرجل إلى قلعة حلب بالشام وإن كان الجندي ينسبه إلى قلعة بالمغرب والاسنوي إلى قلعة أخرى بينها وبين زبيد مسيرة يوم . وقد كتب القلعي كتاباً ضاع أثره من صنف تلك الكتب التي راجت في العهد الأيوبي للتعليم السياسي بعنوان :

- تهذيب الرياسة في ترتيب السياسة .

- علي حميد ، (المتوفى سنة ٦٣٥) وهو من مشاهير الحفاظ والمتصوفة في اليمن . عاصر الامام المنصور بالله عبد الله بن حمزة بن سليمان (المتوفى سنة ٦١٤) وإلى هذا الامام أهدى أول نسخة من كتابه :

- شمس الأخبار وطبقات الراغبين .

– عمران بن الحسن بن ناصر الشتوي العذري (المتوفى بعد سنة ١٢٤٨/٦٤٦) وهو من علماء المذهب الهادوي المعاصرين للإمام أحمد بن الحسين المهدي (وكانت إمامته بين سنة ٦٢٣ وسنة ٦٥٦ ؟) وصاحب طبقات الزيدية يذكر أن له كتاب : التبصرة في التاريخ [١] .

– علي بن نشوان بن سعيد الحميري ، وقد قلد أباه في الميل للتاريخ فكتب :

– سيرة المنصور بالله عبد الله بن حمزة الرسي ، وهو الامام الذي سبق ذكره . ويبدو أن هذه السيرة كانت ضخمة واسعة فقد اختصرها المؤرخ أبو فراس دعثم في ستة أجزاء . كما اعتمدها بعض المؤرخين كمصدر ومنهم حميد الشهيد في كتابه الحدائق الوردية .

– المحلّي حسام الدين أبو عبد الله حميد بن أحمد المحلي الشهيد الحمداني: توفي قتيلاً سنة ٦٥٢ وله من الكتب :

– كتاب الحدائق الوردية في مناقب الأئمة الزيدية .

وهو في أخبار السابقين من ذرية النبي وآل البيت مع وصف أحوالهم وبهم خاصة بأئمة اليمن وأخبارهم . ويصل بها إلى زمن الامام المنصور بالله عبد الله بن حمزة (المتوفى سنة ٦١٤) ويقع الكتاب في جزءين وفي مكتبة الجامع بصنعاء نسخة مخطوطة منه (رقم ١٥) كما يحتفظ المتحف البريطاني بنسخة أخرى (رقم OR. ٣٨١٢) مصورة في دار الكتب بالقاهرة (رقم ٨٦٧ تاريخ) ويليه في آخر الجزء الثاني لواحق الحدائق الوردية في أخبار بعض العلماء في اليمن .

– نزهة الأنظار في ذكر أئمة الزيدية الاطهار وشيعتهم النحارير الكبار . وهي أيضاً في تراجم أئمة الزيدية وعلماء اليمن من هذه الجماعة .

---

(١) يحيى بن الحسين – طبقات الزيدية (مخطوط دار الكتب ١٥٦٣٢ ح) ورقة ٧٢ .

ومن الكتاب نسخة مخطوطة في ٣٣ ورقة ضمن مجموع (رقم ٩٠) في مكتبة الجامع بصنعاء .

- نصيحة الولاة الهادية إلى النجاة وهو كتاب في الحسبة وأمور الملك والحرب والمظالم ... فرغ صاحبه من تأليفه سنة ٦٤٤ ومنه مخطوطة بدار الكتب بالقاهرة (التيمورية ٣٨٦ مجاميع من ص ٦١ إلى ١٦٦) .

- محاسن الأزهار في تفصيل مناقب العترة الاطهار . وهو شرح لقصيدة طويلة كان أرسلها الامام عبد الله بن حمزة الزيدي إلى الخليفة العباسي الناصر ومطلعها :

نشدتك الله بآلائـــــه وبالنبي المصطفى والوصــــي

ومن هذا الشرح الذي يحوي الكثير من الأمور التاريخية في علاقات آل البيت وثوراتهم وأخبارهم هناك مخطوط في جامع صنعاء من ١٤٠ ورقة، وآخر في الامبروزيانا في ٢٥٠ ورقة ، وثالث في المتحف البريطاني (رقم ٣٨٢٠ OR) في ٢٣٨ ورقة .

- كتاب الحسام البتار في الرد على القرامطة الكفار ذكره يحيى بن الحسين في طبقات الزيدية [١] .

- سليمان بن موسى بن علي بن الجون الأشعري المتوفى سنة ٦٥٢ وله بدوره شرح لقصيدة أخرى معروفة في اليمن وتاريخه باسم :

- الرياض الأدبية شرح الخمرطاشية .

ومن هذا الشرح بدوره مخطوط في المتحف البريطاني في مجلد .

- شرف الدين يحيى بن القاسم بن يحيى بن حمزة الرسي (المتوفى سنة ٦٦٦ / ١٢٦٧) وله :

---

(١) طبقات الزيدية ورقة ٧٦ .

— « سيرة مولانا وملكنا الامام المهدي لدين الله أمير المؤمنين » ، وهو إمام الزيدية في اليمن ما بين سنة ٦٤٦ و ٦٥٦ . وقد الفه صاحبه في مطلع عهد هذا الامام سنة ٦٤٦ ، ومنه مخطوطات عدة منها اثنان في صنعاء (في الجامع وفي المكتبة المتوكلية) ومخطوط في الامبروزيانا (رقم ٤٣٤) ورابع في برلين (رقم ٩٧٤١) .

— الحميري محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن قاسم (المتوفى سنة سنة ٦٦٧) وقد كتب :

— ذيل طبقات ابن سمرة . وقد ضاع هذا الذيل .

— الحجوري أبو محمد يوسف بن محمد بن الخفيض الفقيه من رجال القرن السابع وقد كتب كتاباً يعرف بروضة الحجوري وعنوانه الأصلي :

— روضة الأخبار وكنوز الأسرار ونكث الآثار ومواعظ الأخبار وملح الأشعار وعجائب الأسمار . وهذا العنوان الطويل هو كتاب في تاريخ العالم من المبتدأ ، وفي تاريخ اليمن ، ومن تملكه من الدول (المختلفة حتّى القرن السابع) .

ألف الحجوري الكتاب لعمر بن سليمان بن هشام (أو هشيم) بن عامر ابن أبي العشيرة المطري ثم الخولاني وهو صاحب النسخة الأولى التي نقلت عنها النسخ الموجودة الآن بين الأيدي . ويظهر أن الكتاب كان في أربعة أجزاء يجمع الكثير من الأخبار :

الأول : في بدء الخلق وعمر الأرض والخبر عن الملوك من اليونان والفرس والروم وتاريخ اليمن .

الثاني : في نسب ولد اسماعيل والسيرة النبوية حتّى خلافة عثمان .

الثالث : في خلافة علي بن أبي طالب وذكر الصحابة وصفاتهم وفضائلهم ونساء قريش اللواتي تزوجن في اليمن .

والرابع : في الخبر عن بني أمية وأنسابهم وصفاتهم ومدة ملكهم ، وخلفاء بني العباس على النهج نفسه حتى خلافة المطيع ٣٣٤ – ٩٤٦/٣٦٣ – ٩٧٤ ومن تملك في الأطراف وخاصة في اليمن من الدولة البحيرية إلى القاسمية والسليمانية والحمزية ثم بني زريع وحاتم ومهدي ومن تملك من الغز (الأيوبيين) حتى عهده .

وليس يوجد من هذا الكتاب سوى الجزء الأول ، ومنه مخطوطات أربع : واحدة في برلين ، والثانية في ميلانو ، وأما الثالثة فلا تحمل اسم المؤلف ، كما أنها مخرومة الآخر وتحتفظ بها المكتبة السعيدية في حيدر آباد (٣١٢ ورقة) وتنتهي عند الكلام على خبر عبيد بن شرية الجرهمي .

وفي دار الكتب بالقاهرة مخطوطة رابعة منقولة في الأرجح عن نسخة حيدر آباد (تحت رقم ٥٥٢٥ تاريخ) ، ولكنها تنسب في الفهرس خطأ إلى مالكها عمرو بن سليمان بن هاشم (أو هشيم) بن أبي العشيرة المطري الخولاني وكان هو نفسه مالك نسخة حيدر آباد [1] ويذكر أيمن فؤاد سيد أن ثمة نسخة كاملة من الكتاب يملكها في صنعاء اليمن السيد علي بن محمد بن ابراهيم .

- **الحمزي** : شرف الدين يحيى بن أبي القاسم بن يحيى (المتوفى سنة ٦٧٧/ ١٢٧٨) وهو من علماء الهادوية وقد كتب سيرة الامام الذي عاصره :

- سيرة مولانا وملكنا الامام الهادي لدين الله أحمد بن الحسين بن القاسم (المتوفى سنة ١٢٥٨/٦٥٦) وثمة من هذه السيرة نسخ كثيرة منها مخطوطة في الجامع الكبير بصنعاء (رقم خ ١٠٦٦) في ٢١٠ ورقات وأخرى في برلين وثالثة في الفاتيكان ورابعة في الامبروزيانا .

- **الأمير بدر الدين محمد بن حاتم** من رجال أواخر القرن السابع ، ولعله من الأمراء الأيوبيين في اليمن وقد كتب كتاب :

(١) أنظر فهرس المخطوطات المصورة – لمعهد المخطوطات التابع للجامعة العربية ج ٢ قسم ٣ ص ١٦٩ (رقم ١٠٨١) وانظر الفهرس نفسه ج ٢ قسم ١ ص ١٤٥ (رقم ٢٦٥) .

- السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن .

ذكر فيه سلاطين الأيوبيين وخلفاءهم بني رسول في اليمن إلى زمن الملك الأشرف عمر الرسولي . ومع كل ترجمة ذكر المؤلف الحوادث الواقعة في عهد المترجم .

وثمة من هذا الكتاب نسخة مخطوطة في دار الكتب بالقاهرة (رقم ٢٤١١ تاريخ) وأخرى بالمتحف البريطاني (رقم ٢٧٥٤١) ، وقد طبع كتاب في جامعة كمبردج سنة ١٩٧٤ بتحقيق ج. ركسي شمث .

- **الملك الأشرف** أبو الفتح عمر بن المظفر يوسف بن عمر بن علي الرسولي (المتوفى سنة ٦٩٦) وهو :

ملك الأسرة الرسولية في اليمن سنتين (٦٩٤-٦٩٦) ويبدو انه اشتهر في عهد أبيه بالانساب ، وبسعة الاطلاع وقد كتب كتاب : تحفة الآداب في التواريخ والأنساب . وله كتاب آخر بعنوان طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب ذكر فيه أنساب العرب وقبائلهم وبني أمية والعباس وبني رسول وسائر قبائل اليمن من معاصريه . ونسخه المخطوطة كثيرة ، وقد طبع بتحقيق شترستين من قبل المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٤٩ (في ٢٤٨ صفحة منها ٤٠ للمقدمة) .

- وقد جاء **مؤلف مجهول** فوضع كتاباً في تاريخ دولة الملك المظفر يوسف في اليمن الذي دام ملكه ما بين حضرموت ومكة سبعاً وأربعين سنة . ذكر هذا الكتاب السخاوي ، كما ذكره الخزرجي في العقود اللؤلؤية وأخذ عنه . ولكنه الآن مفقود [1] .

ونذكّر أخيراً مجرد التذكير بمؤلف دمشقي عاش في اليمن وحضرموت

---

(١) أنظر السخاوي- الاعلان (ط . روزنتال - الترجمة العربية) ص ٦٦٧ وانظر الخزرجي - العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٢٨ ، ٤٥ ، ٢١٣ ...

وكتب عنها هو : ابن المجاور (......) بن مسعود بن علي بن أحمد بن المجاور النيسابوري المتوفى بعد سنة ١٢٣٢/٦٣٠ فإن كتابه :

- تاريخ المستبصر المطبوع في ليدن (- بريل تحقيق لوففرين سنة ١٩٥١ - ١٩٥٤) في جزءين بعنوان صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز ، يعتبر من أهم الكتب في الدراسة التاريخية الاجتماعية والاقتصادية لتلك البلاد في تلك القرون .

ولا تنقطع سلسلة التاريخ اليمني في القرن الثامن وما بعده عن سيرها الرتيب المتشابه ، وإن كنا نتوقف عن متابعتها الآن ، فإنما هو توقف يراعي التقسيم الزمني الذي سبق ان جعلناه اطاراً للكتاب ، وإن كان لا يعني شيئاً هاماً بالنسبة لعملية التأريخ نفسها ، ولعلم التاريخ بالذات وخاصة في اليمن .

الفصل الثامن عشر

اَلمَدرَسَـةُ الفَارِسِـيَّة

ليس من غرضنا هنا ، ولا في امكاننا أن نؤرخ للأدب التاريخي الفارسي في العصر الإسلامي ، كما لن يكون أيضاً من غرضنا ولا في حدود عملنا ، عند بحث ما سوف نسميه بالمدرسة المسيحية ، أن نؤرخ للأدب التاريخي السرياني الذي كتبه كتاب السريان في ذلك العصر . موضع هذا وذاك ، إنما تختص به مؤلفات تعاني تطور الأدب الفارسي أو السرياني بلغاتهما . وإنما نقصد هنا وهناك إلى بيان أمرين :

الأول : أن ثمة جماعتين ، ظلتا ، ضمن اطار الحضارة الإسلامية ، محتفظتين بلغتيهما الخاصتين (الفارسية والسريانية) وان تعلمتا أو تعلم قطاع واسع من أبنائهما اللغة العربية . كما ظلتا محتفظتين عدة قرون بديانتهما الخاصة (المسيحية والزارادشتية بمذاهبهما) وإن اجتذب الإسلام الكثير من أبنائهما : جزئياً كما في حالة مسيحيي العراق والشام خاصة ومصر [1] أو كلياً كما في حالة بلاد ايران .

(١) كان لأقباط مصر لغتهم القبطية ، ولكنها لم تكن في العصر الإسلامي لغة مؤلفات علمية كالسريانية ، ولذلك لم نذكرها كلغة لبعض المسيحيين في ظل الدولة الإسلامية.

الثاني : ان هاتين الجماعتين انتجتا في التاريخ وباللغة العربية بعض الانتاج الذي تميز أحياناً ببعض الميزات الخاصة . وإذا مال الفرس إلى كتابة تواريخهم الاقليمية وإلى كتابتها أكثر فأكثر باللغة الفارسية مع العربية فقد مالت الجماعات المسيحية بدورها إلى كتابة ما يتعلق بها من أمور التاريخ وإلى كتابتها بدورها مع العربية بالسريانية أحياناً .

وقد لا نحتاج أن نكرر هنا ان ما نسميه بالمدرسة الفارسية ، ليس مدرسة بالمعنى العلمي المفهوم من هذه اللغة . وإنما هو اتجاه اقليمي في كتابة التاريخ كان من عناصر ظهوره والتأثير فيه وجود تراث تاريخي خاص للاقليم الايراني ولغة خاصة به ظلت حية على الألسن وتطور سياسي اقليمي أعان على كل ذلك .

بدأت المدرسة الفارسية ، في الواقع ، منذ القرن الهجري الأول ، أيام الأمويين . وبدأت بترجمة ما لديها إلى العربية لا بكتابة التاريخ . لم يكن لديها ما تكتبه ، والحكم والملك والدين للعرب . فاكتفت الجموع الفارسية بأن تدلي بدلوها في معترك الثقافات . وانقضى القرن الثاني وشطر كبير من القرن الثالث . وليس ثمة من مؤلف خاص أو تاريخ اقليمي يحكي غير قصة التاريخ الفارسي القديم السابق للاسلام . ما بعد الاسلام لم يكن لهم فيه كبير مجد ، فلم يكتبوه . ولا اهتموا بذلك . غير ان الفتح العربي خلال القرنين الأولين كان قد استطاع أن يفعل ما لم تفعله قرون طويلة من التماس والتمازج الثقافي بين الفرس والروم . الثقافة اليونانية (الهلينية والهلينستية) لم تلامس من الحياة الفارسية إلا السطوح . ظلت غريبة عن العقلية الفارسية ، وعن ثقافة الناس في ايران ، أما الفتح العربي فقد استطاع أن ينفذ تدريجياً إلى أعماق الحياة الفارسية وإلى جذورها الأولى بما قدم لها من دين ولغة وحكم ... وكان اللقاء العربي — الفارسي من أندر اللقاءات الخصيبة بين الشعوب .

وخلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة ، تحققت على الأرض الفارسية عدة تطورات ثقافية هامة :

١) بدأ الدين الزارادشتي يتراجع ، بعد طول تماسك ، كما بدأت فروعه (المانوية والمزدكية) بالانحسار ليحل محلها جميعاً وبشكل تدريجي منذ أواسط القرن الثاني الدين الإسلامي ، ورغم أن مدن فارس وكورها لم يكن واحدة منها تخلو في أواسط القرن الثالث من معبد من معابد النار ، وقد كلف بعضها ثلاثين مليون درهم [١] وبالرغم من أن الموارد الدينية لمعبد بابل الرئيسي في العراق كانت تزيد على ضعف خراج فارس[٢] فإن الميزان العددي انقلب إلى جانب المسلمين في فارس منذ عهد المأمون أو بعده بقليل فما انتهى القرن الرابع حتى كانت الزارادشتية قد انهزمت لتصبح أقلية محدودة وحتى كان رجال الفكر من الفرس هم حملة الدين الإسلامي ومفسروه ومبلوروه .

٢) ان اللغة البهلوية التي كانت في العهد الساساني هي اللغة الرسمية للدولة وللدين الزارادشتي تراجعت وأهملت بعد الفتح الإسلامي تاركة مكانها للغة محكية مشتقة منها يدعوها الباحثون باللغة الفارسية الحديثة (مقابل الفارسية القديمة السابقة للبهلوية والتي تعتبر كالأم بالنسبة اليها) . وقد قضت هذه اللغة الفارسية المحكية عدة قرون قبل أن تصبح لغة كتابة وأدب وشعر وتأليف في أواخر القرن الرابع . وخلال هذة القرون تعرضت ، بنتيجة الاتصال بالاسلام والحكم العربي ، لتأثير واسع من اللغة العربية أدخل عليها الكثير الكثير من مفرداتها وأساليبها الأدبية .

---

(١) أنظر في ذلك ابن حوقل (صورة الأرض ص ٢٤٢) حيث يقول وهو من رجال أواخر القرن الرابع : « ... ان بيوت نيران فارس كثيرة .. و .. ليس من بلد ولا ناحية ولا رستاق الا وبها كثير من بيوت النيران ... وبيت نار عند بركة جور ... أنفق عليه ثلاثون ألف ألف درهم » ...

(٢) أنظر ابن رستة في الأعلاق النفيسة (ص ١٨٦) حيث يقول : « ... وبيت نار المدائن كانت النفقة عليه تضعف على خراج فارس » ... وكان خراج فارس في تلك الأيام ٢٤ مليون درهم .

٣) وخلال الفترة التي ابتعدت فيها الفارسية عن ميدان التأليف والفكر حلت اللغة العربية وحدها على ألسنة الطبقات الفارسية وعلى أقلام الكتاب والمؤلفين الفرس وانصبت كل جهودهم في اطار اللغة العربية وعلوم الإسلام.

٤) وقامت منذ القرن الثالث في خراسان وسجستان وطبرستان ضمن اطار الخلافة الشكلي أسر حاكمة محلية (الطاهرية . الصفارية . الزيارية . السامانية) أغلقت بسبب طابعها الاقليمي واستقلالها الذاتي ، باب التأثير العربي وشجعت عن قصد أو غير قصد ، تكامل اللغة الفارسية الحديثة وتوطدها . كانوا يتكلمون هذه اللغة في بلاطات تلك الاسر الحاكمة وكانوا يستمعون بها الاشعار منذ عهد المأمون أو بعده بقليل (١) .

وفي القرن الرابع ظهر الشاعر الفارسي الأول الرودكي ، شاعر السامانيين، وظهر معه في الوقت نفسه سبعة عشر شاعراً آخر .. فلما ظهر الفردوسي في نهاية ذلك القرن ومطالع القرن الخامس (٢) وكتب الشاهنامة كان ذلك ايذاناً بثبات اللغة الفارسية في وجه العربية . وإن ظلت الثقافة في فارس أكثر من ثلاثة قرون بعد ذلك ثنائية اللغة . وكبار ممثليها كانوا يؤلفون بالفارسية والعربية على السواء .

٥) عملت على هذا التطور الهام خمسة مراكز حضارية ازدهرت في القرن الرابع في إيران: بلاط غزنة ، وقصر الصاحب بن عباد البويهي في أصبهان والريّ ، والبلاط الساماني في بخارى ، وقصر شمس المعالي قابوس بن وشمكير في طبرستان وبلاط ملوك خوارزم في خيوه . وإذا انتقضت

---

(١) يذكرون أن شخصاً اسمه العباس استقبل المأمون عند قدومه مرو سنة ١٩٣/٨٠٨ بقصيدة فارسية. كما يذكرون أن ثورة أحمد الخجستاني ضد الدولة الصفارية سنة ٢٦٢/٨٧٥ انما أوحى بها بيتان من الشعر الفارسي (أنظر تاريخ الأدب في ايران تأليف أ . براون (ترجمة الشواربي – القاهرة ١٩٥٤) ص ٢٢ – ٢٣ .

(٢) توفي الفردوسي سنة ٤١١ أو سنة ٤١٦/١٠٢٥ .

هذه المراكز جميعاً ، في أواخر القرن الرابع ومطالع الخامس كمراكز سياسية فإنها لم تنته كمراكز حضارية لأن السلاجقة الذين اساحوا على إيران كلها وعلى ما وراءها إلى الغرب في القرنين الخامس والسادس قد تبنوا جميع آلاء الحضارة الفارسية واحتضنوا لغتها حتّى نسوا شيئاً فشيئاً لغتهم التركية . فكانوا بذلك تتمة ، لا انقطاعاً ، في خط التطور الاقليمي الفارسي . وأسهموا على هذا الشكل في تثبيت اللغة القومية للمنطقة وإبعاد العربية لدرجة ان الثنائية اللغوية تقلصت كل التقلص واقتصرت لدى مؤلفي إيران بعد القرن السابع على الأمور الدينية الخالصة .

٦) كان من نتائج هذا كله بالنسبة إلى مادة التاريخ عدة أمور .

أولها : أن بعض كتب التاريخ في إيران ، بدأت منذ القرن الرابع بأن تكتب باللغة الفارسية وتزايد ذلك تدريجياً حتّى اختفت كتابتها بالعربية بعد القرن السابع .

الثاني : أن معظم كتب التاريخ الهامة التي كتبت في الأصل باللغة العربية ترجمت إلى الفارسية ; وهكذا ترجم البلعمي تاريخ الطبري مع التعديل والزيادة. وترجم الجرباذقاني كتاب اليميني للعتبي وترجمت تواريخ بخارى للنرشخي ، وأصفهان للمافروخي وطبرستان لليزدادي وقم للصاحب بن عباد .

الثالث : أن الأصول العربية لبعض هذه التواريخ المترجمة فقدت ، ولم يبق إلا ترجماتها الفارسية مثل تواريخ بخارى وطبرستان وقم .

على ضوء هذه التطورات الثقافية وعواملها المختلفة نستطيع أن نفهم معنى الملاحظات الهامة التي تتصف بها المدرسة الفارسية التاريخية . والتي قد نستطيع اجمالها في النقاط التالية :

١) كتب المؤرخون الفرس الكثير من التواريخ البلدانية . استعراض بسيط لهذه

الكتب – وقد سلفت من قبل – بكشف أنهم أكثروا منها أكثر من غيرهم بكثير . كأنما كان ذلك تعبيراً، ولو بالعربية، عن الشعور بالتميز ، وعن التمسك بالصور الاقليمية . كانت هذه التواريخ تأييداً في الأثواب العربية ، وإن يكن غير مقصود في الغالب، لما كان يعمل عليه المؤرخون والكتاب بالفارسية من الانفصال الاقليمي. كان الوجه الآخر للعملية ذاتها . وهكذا كما قال المستشرق براون « أضحت التواريخ المحلية تؤلف في مجموعها قسماً متميزاً من أقسام الأدب الفارسي ، ولدينا منها على سبيل المثال تواريخ تتعلق بأصفهان وشيراز ويزد وقم وهراة وسجستان وشيشتر وطائفة أخرى من المدن الايرانية ، كما أن لدينا منها عدداً آخر ألف عن طبرستان نفسها . وقد نشر دورن Dorn طائفة كبيرة من هذه المجموعة الأخيرة ، ولكن أغلبها ما يزال مخطوطاً ولم ينشر منها في الشرق إلا مجموعة قليلة طبعت على الحجر »[1] .

٢) ظهرت لدى المؤرخين الفرس نزعة واضحة للربط ما بين التنجيم والتاريخ . وسواء كان المقصود ضبط الأزمان والسنين والأحداث ، أم تفسير بعض الأحوال الحسنة أو السيئة أم التنبؤ بالمستقبل فإنا نرى دخول الأبراج والنجوم والأزياج وحساباتها ضمن السطور . وإذا كان المنجم قد أضحى منذ مطلع العصر العباسي أحد رجلين اثنين لا يتحرك الخليفة إلا بهما : هو والطبيب فقد ورث رجال الاسر الفارسية هذين الرجلين وظهر ظلهما بوضوح أحياناً في كتب التاريخ الفارسية . ويبدو أن هذا الظل كان أكثر وضوحاً في القرن الثالث والرابع منه في القرون التالية .

وأصحاب الأزياج ومعظمهم من الفرس جملة وافرة. ذكر منهم المسعودي محمد بن كثير الفرغاني وكتابه ذا الثلاثين فصلاً (الذي ناقض فيه المجسطي لبطليموس) وابراهيم الفزاري صاحب المنصور ويحيى بن أبي منصور

---

(١) E.G. Browne : A Literary His. of Persia, p. 400.

ومحمد بن موسى والخوارزمي وحبش بن عبد الله الذي كانت له ثلاثة أزياج مشهورة ، زيج الممتحن وهو أشهرها وزيج السند هند الذي لم يخالف فيه الخوارزمي إلا قليلاً وزيج الشاه . فإذا قيل زيج حبش فإنما المقصود الممتحن . كما ذكر المسعودي ما شاء الله المنجم ومحمداً بن خالد المروزي ، وأبا معشر جعفر بن محمد البلخي ،وابن الفرخان الطبري والحسن ابن الخصيب ومحمداً بن جابر البتاني والنيريزي[1] .

وقد أشار القفطي الى أزياج أخرى مثل الزيج الكبير المسمى نظم العقد وقد صنعه الحسين بن محمد بن حميد المعروف بابن الآدمي [2] وأشار البيروني الى زيج يوسف بن الفضل اليهودي ومحمد بن عبد العزيز الهاشمي[3] وغيرهما .. وقد أخذ مكانه في الكتب التاريخية ، ولا سيما لدى حمزه الاصفهاني ، كتاب الألوف لأبي معشر المنجم ، فقد نقل عنه مرات عديدة[4].

٣) الالحاح في كتابة وتكرار أخبار التاريخ الفارسي القديم . كان التاريخ هو الملجأ النفسي والمعدل المعنوي لدى الفرس في القرون الثلاثة الأولى للاسلام . وقبل أن تتبلور اللغة الفارسية الحديثة كان يقوم وحده مقام صنجات الميزان في إشباع الغرور القومي وفي إيجاد التوازن والتكافؤ مع الواقع السياسي والديني الجديد الذي كانت يد العرب فيه هي العليا ، كما كان أحد أسلحة الشعوبية وحركاتها الجدلية والثورية على السواء ضد العرب .

ويبدو أن هذا التاريخ القديم كان محفوظاً لدى الفرس باعتزاز وحرص سواء في

---

(١) أنظر المسعودي – التنبيه والاشراف ص ١٦٩ وص ١٨٩ وانظر حمزة الأصفهاني – تاريخ سني ملوك الأرض ص ٧٤ .
(٢) أنظر القفطي – تاريخ الحكماء ص ٢٧٠ .
(٣) أنظر البيروني – الآثار الباقية والقسم المنشور بعنوان (ساقطات الآثار الباقية – طهران سنة ١٩٦٩) ص ٤٦ .
(٤) أنظر حمزة الأصفهاني – تاريخ سني الملوك والأنبياء ص ١٤ ، ١٥ ، ٦١ ، ٧٠ .

ذلك الطبقات العليا منهم ، من الموابذة والمرازبة والمرابذة والدهاقين أو الطبقات الدنيا . ولهذا فقد اختلط بالأساطير الكثيرة وبالمخترعات المضافة اليه ، وبالتخطيط الكثير من جهة كما كانت له أحياناً الكتب الفخمة المصورة من جهة أخرى ، كذلك الكتاب الذي قدم لهشام بن عبد الله سنة ١١٣ وفيه صور سبعة وعشرين ملكاً كل منهم على هيئته وسيرته .

والمسعودي يذكر أن هذا الكتاب الأخير أخذ مما وجد في خزائن ملوك فارس[١] كما يذكر في موضع آخر تواريخ هذه الطائفة (الفارسية) بأرض فارس وكرمان [٢] وما وجد فيها من المعلومات . ويذكر حمزة الاصبهاني أنه جمع ، كي يكتب تاريخ سني ملوك الفرس ، نسخاً مختلفة النقل من التواريخ فاتفق له ثماني نسخ من تاريخ ملوك الفرس . وينقل هو نفسه عن بهرام الموبذاني أنه كان لخداي نامه (تاريخ ملوك الفرس) عشرون نسخة مختلفة . وأما البيروني فيضيف إلى ما عرفه حمزة الأصبهاني من كتب التاريخ كتابين آخرين لم يعرفهما حمزة كما يذكر في كتاب الشابورقان الذي كتبه ماني ، ويشهد البيروني انه كتاب موثوق لا يفتعل التاريخ . كما يمكن أن نضيف : كتاب نامه خسروان الذي كان موضع اعتماد الفردوسي في الشاهنامة . وهذا كله ان دلّ على شيء فعلى كثرة الرغبة في معرفة التاريخ الفارسي الأقدم لدى الفرس ، وعلى كثرة الرغبة في توطيده كأساس للتاريخ الاقليمي اللاحق بعد الإسلام .

ولعلنا نسرع إلى القول بأن التاريخ الفارسي لم يكن مجهولاً حتى في الجاهلية ففي مكة والمدينة كان بين أعداء الرسول من يعرض ويناقش فيه كالنضر بن الحارث . وفي اليمن كان الأبناء، أبناء الاحتلال الفارسي ، يعرفون تاريخ آبائهم دون شك ويتكلمون لغتهم . وفي الحيرة كانت

---

(١) المسعودي- التنبيه والاشراف ص ٩٣ .
(٢) المسعودي- مروج الذهب ج ١ ص ٢٨٢ .

أخبار الملوك الفرس شائعة معروفة. كما ان اتصال العرب التجاري والسياسي بالفرس والروم كان ينقل مع قوافل التجارة قوافل الأخبار والقصص ... ولكن هذه المعارف تلاشت دون شك بالتدريج لانشغال الناس ، حتى الفرس منهم ، بتألق الدين الجديد وأخبار الفتح والصحابة وبالحكم السياسي العربي .... فكان لا بد من ايقاظ هذا التاريخ بعد هجوع ولا بد من العودة اليه بعد أن استقرت الدولة وصار للفرس مكان فيها ويد عليها في العصر العباسي ...... وكانت العودة محتومة إلى كتب التاريخ الفارسي الأولى إن شاؤوا استخراجه بالعربية لأن ما كان محفوظاً بالرواية قد اندثر ولم يكن لغير الفرس مصلحة أوقدرة أورغبة في تلك العودة وفي ذلك الاستخراج بالثوب العربي .

٤) وظهرت لدى الفرس ، كامتداد لحبّ التاريخ القومي، محاولات متعددة لكتابته في ملاحم شعرية فارسية . لم تظهر مثل هذه المحاولات التاريخية الشعرية لدى أي شعب آخر . وقد حملت بسبب من طابعها التاريخي اسم الشاهنامة لأنها سجل الملوك .....

وهكذا كتب أبو علي محمد بن أحمد البلخي الشاعر ملحمة الشاهنامة التي ذكرها وأخذ عنها البيروني بعض الأخبار . وكتب أبو منصور المعمري كتاب الشاهنامة وهو من النثر . اعتمد فيه على الأخبار القديمة والروايات الشعبية وكتبه لأبي منصور بن عبد الرزاق [1] حاكم خراسان سنة ٣٤٦/ ٩٥٧ وهذا الكتاب هو الذي دفع الفردوسي (المتوفى سنة ٤١٠ أو سنة ١٠٢٥/٤١٦) إلى كتاب الملحمة الفارسية المشهورة باسم الشاهنامة . وقد فرغ منها سنة ٩٩٩/٣٩٠ ، وأهدى نسختها الأولى إلى أحمد بن محمد ابن أبي بكر الخالجاني، ثم أهدى نسختها الثانية إلى السلطان محمود الغزنوي سنة ٤٠١ بوساطة وزيره الميمندي ، وكانت في ستة مجلدات .

---

(١) البيروني - الآثار الباقية ص ٩٩ ونقل عنه أيضاً ص ١١٦ - ١١٧ وتذكر احدى مقدمات الشاهنامة للفردوسي ان أصحاب شاهنامة ابن عبد الرزاق هم أربعة علماء لا واحد فقط .

وقبل الفردوسي بعشرين أو ثلاثين سنة كان شاعر آخر في بلاط السامانيين يلقب بالدقيقي قد بدأ نظم الشاهنامة ، وقد نظم منها الف بيت أو عشرين ألفاً أيضاً على بعض الأقوال أدخلها الفردوسي كلها في ملحمته ، فهي الآن جزء منها .... وفي الوقت نفسه كان شاعر مؤرخ آخر يعرف باسم : المسعودي المروزي يكتب قصيدة واسعة جداً من المزدوج (رباعيات) في تاريخ الفرس اعتمدها الثعالبي في جملة مصادره [1]

٥) وظهرت لدى المؤرخين الفرس نزعة لكتابة التواريخ العالمية من خلال تاريخهم الخاص وتاريخ الإسلام معاً . ولعل التنازع بين شعورهم الفارسي الاقليمي وبين معطيات الدين الإسلامي الذي اعتنقوه كان السبب في محاولاتهم إيجاد نوع من التوازن بين الأمم ومن التساوي بينها في سياق الزمن وفي الأمجاد . وإذا لم نذكر الطبري كمؤرخ من أصل فارسي ولا المؤرخين المعروفين الآخرين كالدينوري واليعقوبي ومسكويه ممن كتبوا التواريخ العالمية المعروفة، فإن ثمة آخرين أقل شأناً وسمعة حاولوا المحاولة نفسها ، على مقاديرهم ، ومنهم أبو معشر والخوارزمي وحمزة الاصبهاني ومحمود الوراق وآخرون ...

٦) وأعطى المؤرخون الفرس اهتماماً خاصاً لكتب التعليم السياسي . اعتبروا التجربة الساسانية خاصة والتجارب الإيرانية السابقة في الملك والحكم مما يستحق أن يقدم كنماذج وأمثلة توضع أمام الحكام في العهد الإسلامي . صحيح أن الذي فتح هذا الباب هو ابن المقفع ، لكن يبدو انه لو لم يفتحه لفتحه غيره . فطبقة الكتاب التي أمسكت وسيّرت واستبدت بالبورقراطية العباسية خلال عدة قرون كانت تعتبر نفسها استمراراً للادارة الساسانية ،

---

(١) أنظر الثعالبي – تاريخ غرر السير ص ١٠ وص ٢٨٨ يقول : وذكر (أرزعم) المسعودي المروزي في مزدوجته بالفارسية ان .... »

وتحتكر العمل وتقدم النماذج والوصايا والنصائح ، ولقد تخترعها أحياناً على لسان ملوك الفرس ووزرائهم لتكون قدوة ومصابيح تعلم وهدى ... وهكذا أصبحت أسماء كسرى وبزرجمهر وأزدشير وما كتبوا ونصحوا من العملات الرائجة المألوفة حتى في كتب الأدب العربي .

وسوف تمر بنا أسماء كتب من نوع : قابوس نامه ، ملك نامه ، سياست نامه، سلجوقنامه وذيولها ، جهان ، فارس نامه ، جهار مقاله ... وكلها مزيج من التاريخ والتعليم السياسي . وهي تختلف بوضوح عن الكتب السياسية التعليمية التي كتبت في باقي البلاد الاسلامية ، كالشام ومصر والمغرب في غلبة الطابع الفارسي وتجارب ملوك الفرس فيها على الطابع الاسلامي والآيات القرآنية والحديث التي تشكل قوام هذا النوع من الكتب في غرب العالم الإسلامي .

٧) كان بديهياً إلى هذا كله أن يكتب مؤرخو فارس كتب التاريخ المحلية للأقاليم أو الدول الفارسية أو كبار الملوك ، أو بعض الأسر . وهكذا وجدت مجموعة من الكتب حول تاريخ خراسان منها ما كتبه حمزة الاصفهاني كما وجدت مجموعة تكتب أخبار بعض الحكام البارزين مثل كتاب اليميني الذي كتبه العتبي ليمين الدولة . وسيرة السلطان جلال الدين منكوبرتي للنسوي وسلجوقنامه للنيسابوري والكرماني وتواريخ آل سلجوق الأخرى ، كما وجدت إلى هذا وذاك تواريخ بيهق للبيهقي ، ولابن فندق. الخ ...

٨) ولقد نستطيع أن نسجل ها هنا ملاحظة هامة ترجع إلى العامل اللغوي : فإذا كان بعض كتاب التاريخ قبل أواسط القرن السادس يكتب بالفارسية وكان المؤرخون أنفسهم ثنائيي اللغة ، ويكتبون تواريخهم غالباً بالعربية فقد ظهرت منذ هذه الفترة عائلة جديدة من كتب التاريخ الفارسية الخالصة التي لا تعتمد على المراجع العربية لأنها لا تعرفها ، كما لم تكتب لغير

المؤلفين الفرس ، ولم يستفد منها غيرهم . وقد وجد فيما بين هاتين المرحلتين مرحلة انتقالية مشتركة بينهما كانت فيها بعض المؤلفات تكتب بالفارسية أو بالعربية ، ثم تترجم إلى اللغة الأخرى (كما هو حال كتاب أبو شروان بن خالد) ولكن هذا لم يدم طويلاً . والغريب ان مجموعتي المؤلفات بالعربية والفارسية رغم تعايشهما في بيئة جغرافية واحدة كانت احداهما تجهل الأخرى تمام الجهل . وتجهلها بسبب الحاجز اللغوي جهلاً متزايداً باستمرار . وتغيب بعد القرن السابع خاصة المؤلفات بالعربية في فارس ، ويبدو أن الراوندي خاصة والنسوي كانا آخر القافزين المتنقلين بالترجمة بين اللغتين ...

٩) وأخيراً فالملاحظة الأخيرة هي حول قيمة المؤرخين الفرس الذين ظهروا في هذه الفترة . وقد سجلت المحاولات الأولى قفزة هامة بظهور البيهقي الأول أبي الفضل (المتوفى سنة ٤٧٠) غير أن مجمل الأعمال التاريخية السابقة له والتالية لم تؤد إلا إلى نتائج هزيلة وإلى مؤلفات يغلب عليها الطابع الأدبي وجمع النوادر ولا تتوافق النتائج التي بذلها نظامي عروضي وعوفي ومباركشاه وغيرهم مع المؤلفات التاريخية العادية التي أنتجوها . ورغم ظهور كتاب مثل ابن فندق وأنو شروان بن خالد والنيسابوري صاحب سلجوقنامه ، فإنا نستطيع القول إنه لم يظهر بعد البيهقي الأول وحتى مطالع القرن السابع من أثر تاريخي هام ، ويجب أن ننتظر فترة الحكم المغولي ليظهر كبار المؤرخين من الفرس .

وإذا شئنا بعد هذه الملاحظات العامة استعراض الأسماء والانتاج التاريخي وجدنا مجموعة تقارب الستين مؤرخاً والسبعين كتاباً ، وسوف ننتقل فيها عامدين بين مؤلفين كتبوا بالعربية أو بالفارسية فقط أو بكليهما ، وذلك لمجرد بيان الخط العام لسير هذه المدرسة وكشف ملامحها .

تبدأ هذه الأسماء منذ القرن الثالث بجماعة كتبت كلها تاريخ الفرس القديم ومن هؤلاء :

- محمد بن الجهم البرمكي الذي كتب سير ملوك الفرس .
- مجهول كتب لخزانة المأمون كتاب تاريخ ملوك الفرس .
- محمد بن بهرام بن مطيار الاصبهاني الذي نقل أو جمع كتاب سير ملوك الفرس .
- بهرام بن مردان شاه موبذ كورة شابور في فارس صاحب تاريخ ملوك بني ساسان .
- هشام بن قاسم الأصبهاني ، وقد وضع بدوره كتاب تاريخ ملوك بني ساسان .
- موسى بن عيسى الكسروي صاحب كتاب تاريخ الفرس،والبيروني يأخذ عنه في الآثار الباقية ويناقش بعض أخطائه أحياناً (١) .
- بهرام بن مهران الاصبهاني صاحب كتاب في سير الملوك .
- بهرام الهروي المجوسي مؤلف سير الملوك أيضاً .
- خرشيد بن زيار موبذ اصفهان وله كتاب في الموضوع نفسه كذلك .

وقد ذكر الستة الأولين حمزة الاصفهاني كمصادر (٢) استند اليها مع كتاب ابن المقفع في بحثه عن تاريخ ملوك الفرس الأولين ، كما ذكر الأخيرين البيروني (٣) مع بعض الأولين ونقل عنهم . وذكر كل من حمزة والبيروني أيضاً مؤلفاً من أواخر القرن الثالث ومطالع الرابع هو :

---

(١) أنظر البيروني - الآثار الباقية ص ١٢٩ - ١٣١ وغيرها .
(٢) أنظر حمزة الأصبهاني - كتاب سني ملوك الأرض ص ١٤ وص ٢٠ .
(٣) أنظر البيروني - الآثار الباقية ص ٩٩ وساقطات الآثار ص ٤٠ .

- زادويه بن شاهويه الاصبهاني : ويذكر له حمزة كتاب سير ملوك الفرس ؛ بينما يذكر له البيروني كتاباً في علة أعياد الفرس ينقل عنه عدداً من المقتبسات [1] على أن هذه الكتب جميعاً كانت فيما يبدو من الاشارات المتعلقة بها عيالاً على الكتاب التاريخي الفارسي القديم خداي نامه أو كانت مقتطفات وترجمات عنه ، ولكن « تواريخهم كلها مدخولة غير صحيحة » - حسب شهادة حمزة الأصبهاني - كما أنها غير متفقة على تاريخ حسب شهادة موسى بن عيسى الكسروي الذي قال : « اني نظرت في الكتاب المسمى خداي نامه ، وهو الكتاب الذي لما نقل من الفارسية إلى العربية سمي كتاب تاريخ ملوك الفرس فكررت النظر بنسخ هذا الكتاب وبحثتها بحث استقصاء فوجدتها مختلفة حتى لم أظفر منها بنسختين متفقتين ، وذلك كان لاشتباه الأمر على الناقلين لهذا الكتاب من لسان إلى لسان [2] . » .

وكان ثمة غير هؤلاء كتاب آخرون من الفرس كتبوا تاريخ فارس القديم ، كما كتبوا في تواريخ الأمم الأخرى ومنهم :

- عمر كسرى : « وكان هذا الرجل ممن اشتهر بعلم فارس وأخبار ملوكها حتى لقب بعمر كسرى .

وقد روى عنه أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي كتاب أخبار الفرس يصف فيه طبقات ملوكهم ممن سلف وخلف وأخبارهم وخطبهم وتشعب أنسابهم ووصف ما بنوه من المدن وكوّروا من الكور واحتفروا من الأنهار وأهل البيوتات منهم وما وسم كل فريق من الشهارجة وغيرهم [3] ... » وهذا على الأقل ما وصف به المسعودي الكتاب .

---

(١) أنظر البيروني - الآثار الباقية ص ٤٤ ، ص ٢١٧ - ٢١٩ ، ص ٢٢١ - ٢٢٢ .
(٢) حمزة الأصفهاني - تاريخ سني ملوك الأرض ص ٢٠ .
(٣) المسعودي - مروج الذهب ج ١ ص ٢٦٤ وص ٢٧٦ وص ٣١٤ .

— داود بن الجراح جد الوزراء من بني الجراح . وقد كتب كتاباً في التاريخ العام ذكر المسعودي أنه « كتاب التاريخ الجامع الكثير من أخبار الفرس وغيرها من الأمم »[1] .

— أبو عيسى أحمد بن علي بن يحيى ابن المنجم ، وله كتاب يدخل في اطار التاريخ العام اسمه تاريخ سني العالم ويسميه أبو الفداء « كتاب البيان عن تاريخ سني زمان العالم، ذكر فيه التواريخ القديمة بشكل مختصر . ويظهر أنه اعتمد في بعضه كما قال المسعودي « على ما أنبأت به التوراة وغير ذلك ».

وقد ذكره ابن النديم وياقوت ، كما كان الكتاب من مصادر ابي الفداء في تاريخه [2] ولا سيما عند ذكر تاريخ الروم وملوكهم والرومان من قبلهم ، وتاريخ اليهودية والمسيحية . وبعض مؤرخي الفرس طرقوا التواريخ الأدبية أو الفلسفية أو الدينية أو تاريخ بغداد أيضاً ومن هؤلاء :

— ابراهيم بن ماهويه الفارسي وله كتاب التاريخ الملقب بالكامل عارض فيه المبرد في كتابه الكامل[3] وقد ذكر المسعودي هذا الكتاب بين مصادره . وإذا تذكرنا مواضيع المبرد العربية من أدبية وتاريخية يبدو من الأرجح أن تكون هذه المعارضة للكامل بعض الأعمال الشعوبية بابراز التاريخ والأدب الفارسيين .

— ابو سهل بن نوبخت وله كتاب النهمطان ، ويبدو أنه في تاريخ الفلسفة وقد نقل عنه ابن النديم صفحتين كبيرتين [4] .

---

(١) المسعودي— المصدر السابق نفسه ج ١ ص ١٤ .

(٢) أنظر ابن النديم ص ١٤٤ ، وياقوت — معجم الأدباء (ط . القاهرة) ج ٣ ص ٢٤٣ وأبا الفداء : المختصر ج ١ ص ٣ والصفحات : ٦ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٤٦ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٩٤ ، ٦٥ الخ .

(٣) المسعودي— مروج الذهب ج ١ ص ١٦ .

(٤) ابن النديم — الفهرس ص ٢٢٨ .

- مجهول خراساني ذكره ابن النديم فقال : « قرأت بخطّ رجل من أهل خراسان قد ألف :

أخبار خراسان في القديم وما آلت إليه في الحديث . وكان هذا الجزء يشبه الدستور قال : نبي السمنية بوداسف ... [1] » ونقل عنه بعض المعلومات المتعلقة بهذا المذهب .

- مجهول آخر ذكره ابن النديم أيضاً فقال : « قرأت في جزء ترجمته : كتاب فيه ملل الهند وأديانها ... رأيته بخط يعقوب بن اسحق الكندي » . في نسخة كتبت سنة ٢٤٩ وأضاف بأن في مقدمة الكتاب ما يفيد « ان يحيى ابن خالد البرمكي بعث برجل إلى الهند يأتيه بعقاقير موجودة في بلادهم وأن يكتب له أديانهم فكتب له هذا الكتاب ... » [2] ونقل ابن النديم عنه صفحات ثلاثاً تقريباً .

- يزدجرد بن محمد الكسروي وله كتاب في فضائل بغداد بقيت منه بعض النتف . [3] .

- محمد بن موسى الخوارزمي « أصله من خوارزم ، وكان منقطعاً إلى خزانة الحكمة للمأمون . وهو من أصحاب علم الهيئة وكان الناس قبل الرصد وبعده يعولون على ازياجه .. [4] » على أن لدينا بجانب كتبه في النجوم كتاباً في التاريخ نقل عنه حمزة الاصفهاني فقرة تتعلق ببعض الكوارث الأرضية سنة ٩٤ هجرية . ويبدو أن كتابه كان بين التنجيم وتاريخ الأحداث وحكم الملوك .

---

(١) المصدر السابق ص ٣٤٥ .
(٢) المصدر السابق نفسه .
(٣) أنظر محمد عواد - مجلة المجمع العلمي بدمشق - المجلد ١٩ لسنة ١٩٤٤ ص ٣٢٢ - ٣٣١ .
(٤) القفطي - تاريخ الحكماء ص ٢٨٦ .

وأما في القرن الرابع (العاشر الميلادي) وما بعده ، فمن المؤلفين :

- **أبو معشر المنجم البلخي** ، ولقد كان الرجل من الشهرة عند بعض الناس في عصره بحيث لم يكلفوا أنفسهم ذكر اسمه الكامل . وكتابه المسمى كتاب الألوف كان بدوره معروفاً وهو في التنجيم بالأصل ، ولكنه يحوي الكثير من التاريخ لأنه إنما كان فيما يبدو تطبيقاً للنجوم على التاريخ ومحاولة لتحديد عمر الدنيا والدول ومدة حكم الملوك . نقل عن هذا الكتاب حمزة الاصبهاني في كتابه تاريخ سني ملوك الأرض مرات عديدة .[1] وعن طريقه بدوره أخذ المؤرخون الآخرون عن أبي معشر .

- **الزنجاني** أبو الفرج ابراهيم بن أحمد بن خلف الحاجب : وهو ممن عاصر القرن الرابع ومطالع القرن الخامس ، وله كتاب في التاريخ ، لكن ما ينقله يكشف ان في الكتاب أموراً كثيرة أخرى منها المقايسة بين الأقاويل المختلفة حول ملوك الطوائف الفرس ومدد ملكهم وسير ملوك الأشكانية وأسماء الملوك الساسانية ومدة حكم كل منهم . ومنها أيضاً حديث عن الطلاسم بمدينة زنجان وعن عجائب النور في كلواذا ...[2]

- **ابو عبدالله حمزة بن الحسن الأصفهاني** : (ولد حوالى سنة ٢٧٠ هـ وتوفي قبل سنة ٣٦٠) كان أبوه مؤدباً في أصبهان ، وقد تلمذ حمزة على عبدان الحواليقي اللغوي الأديب المعروف ثم رحل إلى بغداد مرات فيما بين سنتي ٣٠٨ وسنة ٣٢٣ وقضى أواخر حياته في بلده . ويظهر أنه كان يعمل في تأديب الصبيان كأبيه . على أنه اشتهر بالعلم والأدب وبالتاريخ . وله في هذا الباب عدد من الكتب :

---

(١) أنظر حمزة الأصفهاني – تاريخ سني ملوك الأرض ص ١٤ – ١٧ ، وص ١١ وص ٧٠ وص ٢٥١ وص ١٢٦ – ١٦٧ .

(٢) أنظر البيروني – الآثار الباقية ص ٤٤ ، ١١٦ ، ١٢٦ – ١٢٩ ، ٢١٥ – ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٣١٩ – ٣٢٠ ...

– أولها وأهمها تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء وضعه سنة ٣٥٠ – كما يظهر من نصوصه – في عشرة أبواب تتناول تواريخ ملوك الفرس والروم واليونان والقبط والاسرائيليين ثم تواريخ لخم ملوك عرب العراق وغسان ملوك عرب الشام وحمير ملوك عرب اليمن وكنده ثم تواريخ قريش ملوك عرب الإسلام . وقد بحث في مطلع الكتاب في التواريخ ومدى صدقها وتقاويم الأمم ، ومعنى كلمة تاريخ، كما وضع في نهايته جدولاً بأعياد النيروز في الإسلام حتى سنة ٣٥٠ ، وفصلاً في بعض الأحداث الطبيعية الهامة فيما بين الشام وإيران . وفصلاً « في وصف الهرج (أو الفتنة) الحادث على سلطان بني العباس في دار مملكتهم » وأخبار القرامطة وفتن بغداد . وختم الكتاب بفصل في ذكر ولاة خراسان خلال العهد الإسلامي ..

ويبدو حمزة ، من خلال هذا الكتاب : على صغر حجمه ، مؤرخاً من أنبه المؤرخين وأدقهم . وكتابه وإن يكن كتاباً تاريخياً عالمياً لجميع الأمم المعروفة إلا أن من الواضح فيه أن الرجل إنما ينظر إلى تاريخ العالم من وجهة نظر رجل فارسي خراساني ؛ ولكن دونما تحيز أو عصبية وهو لا يتورع في هذا السبيل من أن ينتقد تواريخ الفرس القديمة ويتهمها بأنها « كلها غير صحيحة » ويحاول التدقيق والمقارنة بين مختلف أخبارها وبيان الثغرات فيها .

وتظهر دقة حمزة الاصبهاني في اهتمامه بمصادر معلوماته : فهو يجمع من كتب التاريخ الفارسي عدا كتاب الآبستا ثمانية كتب على الأقل يضرب بعضها في بعض حتى يستوفي منها حق باب من أبواب الكتاب[1] ويرجع إلى الأزياج العديدة للتدقيق في السنين وحساب مدد الحكم للملوك . فاذا احتاج إلى تواريخ الروم واليونان أخذها عن « رجل رومي كان فراشاً لاحمد بن عبد العزيز بن دلف، وكان لا ينبعث في النطق بالعربية إلا بجهد وكان له ابن من جند السلطان؛ منهم يقال له يمن فترجم لي عن لسان أبيه املاء من كتاب له رومي الخط هذه

(١) أنظر حمزة الأصفهاني – تاريخ سني ملوك الأرض ص ١٤ وانظر ص ٢٠ وص ٥٦ .

التواريخ[1] ، ولا يكتفي بهذا ، بل يضيف اليه فصلاً من كتاب وكيع القاضي حول ملوك الروم وكتاباً ثالثاً في أخبار اليونان نقله حبيب بن بهريز مطران الموصل . ويفتش عن تواريخ سني القبط وملوكهم فلا يجدها إلا في الأزياج ، كما يأخذ تاريخ اليهود عن رجل من علمائهم « كان يدعي أنه يؤدي أسفار التوراة حفظاً » ويسمى صدقياً . فسأله « اخراج مجموع له في تواريخ الاسرائيليين على استقصاء مع اختصار ، فجمع منها » ما يحكيه حمزة في كتابه من تلك التواريخ مضيفاً اليه تصنيف فنحاس بن باطا العبراني ، ثم يضيف إلى هذا كله في أخبار العرب كتب السير والطبري وغيرها ولا ينسى أن يضع هنا وهناك أخباراً مما شهد بنفسه عن الحصاد الخاوي سنة ٢٩١ وعن مجاعة أصبهان سنة ٣٢٣ ، وتهدم بناء أثريّ فيه كتب قديمة باصفهان سنة ٣٥٠ ....

وقد تنبه المستشرقون للكتاب وقيمته منذ زمن طويل فطبعه فوتوالد في ليبزيغ مع ترجمة لاتينية في مجلدين سنة ١٨٤٤ ثم عاود طبعه المستشرق كافياني في برلين سنة ١٩٢١/١٣٤٠ بعد أن قام بتحقيقه جواد الايراني التبريزي. وأخيراً طبع ثالثةً في بيروت سنة ١٩٦١ .

ولحمزة الاصبهاني عدا هذا الكتاب كتابان آخران في التاريخ :

الأول : كتاب أصبهان وأخبارها وقد ذكره في كتابه السابق[1] كما اقتبس منه المفضل بن سعد المافروخي في كتابه محاسن اصبهان (طبع طهران سنة ١٩٣٣) والرافعي في تاريخ قزوين[2] .

الثاني : كتاب تواريخ كبار البشر من مضى منهم ومن غبر . وقد ذكر البيروني وأخذ عنه[3] جداول أسماء الملوك البيشدادية والكيانية... وغيرها .

---

(١) المصدر السابق ص ٦٣ وص ٦٨ وص ٧٢ .

(٢) أنظر حمزة الأصبهاني – تاريخ سني ملوك الأرض ص ١٤٧ وانظر ابن النديم – الفهرس ص ١٣٩ .

(٣) أنظر الرافعي – تاريخ قزوين (مخطوطة مصورة القاهرة – رقم ٢٦٤٨ تاريخ) لوحة ١٧١ .

ولا شك أن حمزة الاصفهاني يمكن أن يعتبر أحد الأسماء الكبيرة في المدرسة الفارسية ، ولا شك أن عمله وعمل غيره من أصحابه قد أشاع المعارف التاريخية عن فارس وملوكها لدرجة أنا أصبحنا نرى رجلا نسابة من البصرة مثل :

– أبي الحسن (أو أبي الحسين) محمد بن القاسم التميمي (المتوفى في حدود سنة ٤٠٠) وأحد العلماء بالأنساب في أواخر القرن الرابع يؤلف بين مؤلفاته العديدة :

– كتاب أخبار الفرس وأنسابها [١] .

وذلك بجانب مؤلفاته الأخرى مثل كتاب الأنساب والأخبار وكتاب المنافرات بين القبائل وأشراف العشائر وأقضية الحكم بينهم ... الخ .

غير أن العمل الرئيسي للمدرسة الفارسية إنما ظل في نطاق المنطقة الجغرافية التي لا تجاوز ايران ، وهنا ظهر بعد حمزة الاصفهاني :

– **اليزدادي** : في أواخر القرن الرابع ، وقد كتب تاريخ طبرستان الذي وجده ابن اسفنديار في مدينة الري سنة ٦٠٦ ، في مكتبة الملك رستم بن شهريار ، وكان صاحبه قد ألفه قبل قرنين ، فأخذ ابن اسفنديار هذه النسخة ، وهي بالعربية ، فبنى عليها كتابه الذي وضعه بالفارسية حول تاريخ طبرستان .

– **مزبان بن رستم بن شروين** : الذي كتب كتاب مرزبان نامه . كتبه في الأصل باللهجة الطبرية ، وأهدى بعض منظوماته فيه لقابوس بن وشمكير (٣٦٦ – ٤٠٣) ثم قام سعد الدين الوراويني بنقل الكتاب إلى الفارسية بين سنتي ٦٠٧ – ٦١٢ .

ثم يأتي ثاني الأسماء الكبيرة الهامة في هذه المدرسة :

– **الثعالبي** [٢] : أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل (المتوفى سنة

---

(١) انظر ابن النديم – الفهرست ص ١١٤ .

(٢) ثمة حول اسم هذا المؤلف خلاف . فهل هو الثعالبي المشهور أبو منصور صاحب يتيمة الدهر –

١٠٣٧/٤٢٩) ولقد سبق ذكر هذا المؤلف الأديب الكبير من قبل وإنما نعود اليه بسبب تنازعه مع مؤلف آخر مغمور الاسم تماماً هو أبو منصور الحسين بن محمد المرغني (المتوفى سنة ٤٢١) حول :

- كتاب الغرر في سير الملوك وأخبارهم :

وهذا كتاب في التاريخ العام يستغرق أربع مجلدات ، الأول في تاريخ الفرس إلى يزدجرد بن بهرام والحروب بين أبنائه . والثاني إلى سقوط يزدجرد ابن شهريار والفتح العربي. وفي تاريخ ملوك اليهود والأنبياء وملوك اليمن وأمراء الشام والعراق وملوك الروم وظهور الإسلام . أما الثالث والرابع فهما في التاريخ الإسلامي منذ العهد الراشد والخلفاء الأمويين حتى العباسيين وأبي مسلم والبرامكة وآل طاهر ، والسامانيين وآل حمدان ، وآل بويه ، ثم إلى ظهور الدولة الغزنوية وعهد السلطان محمود بن سبكتكين .

ألف الكتاب بطلب من أبي المظفر نصر شقيق السلطان محمود الغزنوي وساعده الأيمن في توطيد ملكه ، وقد أهدى الثعالبي الكتاب اليه ، وكان من العادات الجارية في ذلك العصر اهداء الكتاب لرعاة تلك المراكز الأدبية المتنازعة في أرض فارس على اجتذاب العلماء والأدباء . وكان من عادات الثعالبي الاهداء ، فقد أهدى كتابه لطائف المعارف إلى الصاحب اسماعيل بن عباد

= أم هو الحسين بن محمد المرغني الثعالبي المتوفى سنة ٤٢١ ، والذي لا نجد في أي مصدر شيئاً منه ؟ لقد حسم المستشرق زوتنبرغ الذي نشر كتاب (غرر تاريخ ملوك فارس) هذا الخلاف في المقدمة الفرنسية التي كتبها له واستنتج بالأدلة الواسعة المستمدة من نصوص الكتاب ونصوص كتب الثعالبي أن كتاب التاريخ المذكور هو لصاحب اليتيمة وقد يكون الحسين بن محمد المرغني هو ذلك القائد الذي كان في أواخر القرن السادس لدى الأمير الغوري غياث الدين وخلفه شهاب الدين .كان يملك النسخة التي نسخت سنة ٥٩٩ والباقية اليوم في استامبول تحمل اسمه على هذا الشكل : الأول من تاريخ غرر السير لحسين بن محمد المرغني .. وليس ثمة من دليل آخر على نسبة الكتاب إلى المرغني سوى هذا النص في مطلع هذه النسخة . والمرغني نسبه إلى مرغن وهو بلد في غورستان .

زير فخر الدين البويهي ، و أهدى « المبهج » و « التمثيل والمحاضرة » إلى شمس المعالي قابوس بن وشمكير ، وأهدى « فقه اللغة » و « سحر البلاغة » إلى الأمير أبي الفضل الميكالي ، وأهدى « اللطائف والطرائف » « ونثر النظم » « والنهاية في الكتابة » إلى مأمون بن مأمون أمير خوارزم . وقد كتب الغرر على « أي حال في السنوات » الأولى من القرن الخامس ، ولكن ضاع النصف الثاني من هذا الكتاب ولم يبق منه إلا المجلدان الأولان، وأولهما يتناول تاريخ الفرس ، وقد كتب تقريباً في العصر نفسه والوسط نفسه ومن خلال المصادر ذاتها التي ولدت فيها ومن خلالها شاهنامة الفردوسي . وتتشابه معلومات الكتابين أحياناً كثيرة ويأخذ هذا الجزء شأناً خاصاً إذا عرفنا إلى هذا أنه يحوي الكثير مما روت كتب خداي نامه في صورها المختلفة المتأخرة . أما المجلد الثاني فليس بذي قيمة كبيرة لأنه إنما يلخص قصصاً وروايات متفرقة عن ملوك بني اسرائيل وعن الفراعنة ، ويورد موجزاً لتاريخ اليمن حسب الروايات العربية وللملوك الحيرة وغسان ويقتصر من تاريخ الروم على أخبار محدودة حول الاسكندر وبطليموس وبعض الاباطرة . ثم يخصص ثلاثة فصول قصيرة لعقائد وعادات الهنود والصين والترك . وينهي الكتاب بموجز السيرة النبوية وعهد الخليفة الأول بعدها . ثم بمقارنة بين تاريخ الامبراطورية اليونانية والإسلامية وعجائب المصادفات والأحداث التي حدثت فيهما والميزات المتشابهة بين عواهل الامبراطوريتين . وما من شك في أن المجلد الآخر – لو سلم – لكان يحوي الكثير من المعلومات الهامة حول العهد الساماني والغزنوي على الأقل وحول الدول المحلية في بلاد فارس وهي الدول التي عاصرها الثعالبي أو عاش أجواءها أو عرف المطلعين على تاريخها ...

والقطعة الباقية من الكتاب موجودة بشكل مخطوط من مجلدين في استامبول (مكتبة داماد ابراهيم باشا – السليمانية رقم ٩١٦) كتب سنة ٥٩٧ ويحمل اسم المرغني وثمة نسختان أخريان من هذين المجلدين ذاتهما تقريباً في باريس احداهما نقلت عن مخطوط استامبول (المكتبة الوطنية رقم ١٤٨٨) والثانية (رقم ٥٠٥٣)

وتزيد عن النسخ الأخرى بأنها لا تنتهي مثلها عند السيرة النبوية ، ولكن في أواسط عهد أبي بكر وحروب الردة في حضرموت . ويذكر بروكلمان ان ثمة نسخة من هذا الكتاب في مكتبة البودليان (اكسفورد) . وقد نشر المستشرق زوتنبرغ المجلد الأول منه سنة ١٩٠٠ في باريس مع ترجمة إلى اللغة الفرنسية ومقدمة هامة بالفرنسية أيضاً قارن فيها خاصة بين الكتاب وبين معلومات الشاهنامه وأعيد طبع هذا الجزء نفسه في طهران سنة ١٩٦٣ . أما الثاني فلم يطبع بعد .

— **العتبي** أبو النّصر محمد بن عبد الجبار : (المتوفى سنة ٤٢٧) وهو من الري في الأصل ، ثم ذهب إلى خراسان فنشأ عند خال له كان من الوجهاء فيها . وبرز في الأدب والإنشاء فتولى الكتابة في الدولة الغزنوية للأمير أبي علي ، ثم لابي منصور سبكتكين ، مع أبي الفتح البستي ثم صار نائباً في خراسان لشمس المعالي قابوس بن وشمكير . واستوطن نيسابور في أيام الدولة الغزنوية بعد ذلك ، وعرف برعاية العلوم والآداب . غير أن شهرته الباقية إنما ترجع إلى انتاجه الأدبي وترجع بالذات إلى كتابه التاريخي :

— **اليميني** : وهو كتاب يحمل اسم السلطان محمود الغزنوي يمين الدولة ، لأنه إنما كتب له . كما بسط فيه العتبي ترجمة السلطان محمود وترجمة أبيه سبكتكين . وتحدث فيه عن سبب طموحه إلى الحكم وما خاضه من الحروب مع الخوارزمية حتى استتب له الأمر ثم تاريخ يمين الدولة معتمداً في كل ذلك على الوثائق الرسمية والرسائل ، دون أن ينسى تلوين الكتاب بقصائد الشعر العديدة .

والكتاب بهذا المعنى شاهد من شهود العصر ولو أن طابعه العام هو طابع المديح والاشادة بالاسرة الغزنوية وأعمالها . وإذا كان ما يهمّ المؤرخ منه هو ما قدم من الأخبار والوثائق التاريخية فإن الناس ظلوا عدة عصور يعتبرونه كتاباً من كتب الأدب الرائع لما تميز أسلوب العتبي فيه من تأنق وسجع . فكان في مقاييس أساليب الترسل لتلك العصور من الكتب التي يتعلم بها الكتاب الانشاء

والبلاغة ، وهكذا فقد لقي الكتاب ألواناً من العناية : في الشرح والترجمة والنقل المزوق لم يحظ بها كتاب آخر من كتب التاريخ ..

عني بضبط الفاظه وشرح مشكلاته البيانية والتاريخية جماعة منهم : الشيخ مجد الدين الكرماني ، وقاسم بن حسين الخوارزمي وتاج الدين بن محفوظ وحميد الدين النجاتي وغيرهم . ومن شروحه كتاب الفتح الوهبي على تاريخ أبي النصر العتبي لليمني الدمشقي (ومنه نسخ مخطوطة في فينا ولينغراد - وقد طبع في مصر في مجلدين) ومنها بساتين الفضلاء للنجاتي ونسخة مخطوطة في يني جامع باستامبول . وقد ترجم الكتاب إلى الفارسية منذ مطالع القرن السابع بين سنة ٦٠٢ وسنة ٦٠٧ . ترجمه أبو الشرف ناصح الجربادقاني الكلبايكاني ، ولكنها كانت ترجمة في تصرف وقد نقلت هذه الترجمة بدورها إلى التركية والانكليزية في القرن الماضي . ومن اليمني نسخة بخط فارسي جميل جداً مذهبة الحواشي تدخل في ٣٧٢ صفحة بدار الكتب بالقاهرة . ومن الترجمة الفارسية نسخة جميلة قديمة في المتحف البريطاني نسخت سنة ٦٦٥ . وقد طبع الكتاب مع شرح اليمني الدمشقي في القاهرة في مجلدين كبيرين سنة ١٢٨٦ ، كما طبعت الترجمة الفارسية طبعة الحجر في طهران منذ سنة ١٢٧٢/١٨٥٥م .

- **محمود الوراق** : (المتوفى بعد سنة ٤٥٠/١٠٥٧) ، ولسنا نعرف من أمره ما يزيد على اسمه سوى ان البيهقي [1] الذي ذكره يعطيه لقب الأستاذ ، ويذكر تاريخه ويقول بعد أن نقل عنه بعض الأخبار : « .. وقد شرح كل هذه الأحداث الأستاذ محمود الوراق في تاريخه الذي ألفه في سنة خمسين وأربع مائة . فإنه ذكر الحوادث منذ آلاف السنين حتى سنة أربع مائة وتسع / ١٠١٨ وهي السنة التي بدأتُ (أي البيهقي صاحب الكلام) التاريخ بها . ومحمود هذا ثقة مقبول القول ، ولو أردت الثناء عليه لطال الكلام في ذلك . وقد رأيت من مؤلفاته النادرة العشرة أو الخمسة

(١) أنظر البيهقي - تاريخ بيهق (الترجمة العربية) ص ٢٨٧ .

عشر كتاباً في شتى المواضيع . فلما بلغ خبري أبناءه صاحوا فيّ قائلين : نحن أبناؤه لا نوافق على أن تأخذ من كلام أبينا أو تترك منه شيئاً بعد هذا ، فاضطررت للتوقف عند هذا الحد ... » .

فهذا إذن كتاب آخر في التاريخ العام من الكتب الضائعة التي يتبين مما نقله البيهقي عنها مبلغ ما حوت من التفاصيل الدقيقة حول أمور غزنة وخراسان .

– وكتب **مؤرخ مجهول** للسلطان السلجوقي الب ارسلان محمد بن داود المقتول سنة ١٠٧٢/٤٦٥ كتاب : ملك نامة . ذكر هذا الكتاب ابن العديم ونقل عنه ، وأضاف ان صاحبه ذكر فيه تاريخ السلاجقة (ولعله أول من جمع تاريخهم وسجله) وأنه أخذ أنسابهم وأخبارهم القديمة عن إينانج بلك ، أحد أمرائهم ، وكان « أسنّ القوم وأعرقهم .. [1] » وقد كان لهذا الكتاب أثره الواضح لدى المؤرخين اللاحقين لأنه كان على الأقل المصدر الوحيد لتاريخ السلاجقة قبل معركة داندقان سنة ١٠٤٠/٤٣٢ . ونرى ذلك الأثر لدى ابن الأثير ، وعلي بن نصر وابن العديم وابن العبري [2] .

– **البيهقي** : أبو الفضل محمد بن الحسين (ولد حوالى سنة ٩٩٥/٣٨٥ – توفي سنة ١٠٧٧/٤٧١) وقضى مطلع حياته في نيسابور حيث تلقى علوم القرآن والحديث والأدب . وتمكن من اللغتين العربية والفارسية ثم التحق بديوان الرسائل في بلاط السلطان محمود الغزنوي ثم ابنه مسعود وتلمذ قرابة عشرين سنة لأبي نصر بن مشكان رئيس ذلك الديوان (المتوفى سنة ٤٣١) ، ثم صار هو الرئيس في عهد السلطان عبد الرشيد (٤٤٠ – ٤٤٤ / ١٠٤٨ – ١٠٥٢) حتى إذا ثار طغرل ، أحد عبيد هذا السلطان : على سيده كان البيهقي أحد الذين ألقي بهم في السجن ، فلما أفرج عنه اعتكف في بيته على القراءة والتأليف حتى مات ..

---

(١) أنظر ابن العديم – بغية الطلب (مخطوط أحمد الثالث) ج ٣ الورقة ٢٨٦ ظهر .

(٢) أنظر كلود كاهن– مؤرخو الشرق الأوسط (بالانكليزية باشراف برنارد لويس وهولت – أكسفورد) ص ٧١/٧٥/٧٨ .

وكتب الرجل في اعتكافه عدة كتب منها : زينة الكتاب (في تعليم الكتابة) ومنها مقامات محمودي ، ومقامات أبي نصر مشكان ، ومنها أدب الإنشاء ... أما كتابه الأم والأهم فهو دون شك :

- تاريخ البيهقي : وهو سفر كبير كبير يقع في ثلاثين جزءاً ، بالرغم من أن المدة الزمنية التي يتناولها لا تزيد كثيراً على خمسين سنة ، ومن أن الرقعة الجغرافية التي يتكلم عنها لا تجاوز أرض بيهق وسلطنة غزنة .

وقد اختار البيهقي أن يجعل كتابه تتمة لتاريخ محمود الوزاق فبدأه من حيث انتهى الوراق ، أي من سنة ١٠١٨/٤٠٩ وفرغ من كتابة عشرة أجزاء منه تتناول التاريخ حتى سنة ٤٢٤ في سنة واحدة ، ثم تابع الكتابة السريعة هذه حتى أنهى الكتاب إلى عهد ابراهيم الغزنوي ظهير الدولة الذي حكم منذ سنة ٤٥١ وحتى ما بعد وفاة البيهقي باثنتين وعشرين سنة ، أي حتى سنة ٤٩٢ ....

أخذ البيهقي نفسه في الأسطر الأولى من كتابه أن يكتب « ما شاهده بنفسه من الحوادث » فهو إذن كتاب مذكرات . ولكن اتصال الرجل بالطبقة العليا من الحكام وبسياسة البلاد الاتصال المباشر سنين طويلة ووقوع وثائقها تحت يديه ، وكون معظم هذه الوثائق من انشائه هو نفسه جعل في امكانه أن يكتب أصدق وأوسع تاريخ ممكن لتلك الفترة التي عاشها . وإن يكن كتبها بالطبع من وجهة نظره . انه في هذا يشبه العماد الاصفهاني وابن القلانسي في المدرسة الشامية والقاضي الفاضل في مدرسة مصر . وبجانب المعاينة الشخصية والوثائق فقد اعتمد البيهقي على روايات من يثق به من معارفه . وعلى بعض الكتب مثل تاريخ الوراق ، وكتاب المسامرة في أخبار خوارزم للبيروني وغيرهما .. ويتميز كتاب البيهقي الذي كتب بالفارسية بالأسلوب السهل الواضح البليغ وبالأسهاب وبذكر الأمثلة والقصص والنوادر ، كما أن صاحبه لم يكن يتردد في انتقاد بعض غلطات السلاطين وفي ادانة عبث بعضهم ولهوه . وفي الكتاب إلى هذا وذاك ، بجانب التاريخ السياسي الكثير من الاشارات إلى النظم الحكومية والعادات

والتقاليد العامة الفارسية ...

ولم يبق من تاريخ البيهقي ومجلداته الثلاثين سوى خمس مجلدات فقط كانت ولا تزال لها مخطوطات عديدة في الهند وايران وأوروبا . وقد طبعت المجلدات المذكورة لأول مرة في الهند سنة ١٨٦٢ ثم في طهران سنة ١٨٨٧ ، ثم أعيد طبعها في السنوات التي أعقبت الحرب العالمية الثانية مرتين في طهران احداهما مع الحواشي المستفيضة التي كتبها سعيد نفيسي . كما ظهرت في القاهرة ترجمة عربية لتاريخ البيهقي قام عليها يحيى الخشاب وصادق نشأت (القاهرة — مكتبة الأنجلو سنة ١٩٥٦) في أكثر من ٨٠٠ صفحة .

— كيكاوس : عنصر المعالي حفيد قابوس بن وشمكير أمير طبرستان الذي كتب لابنه كتاب : قابوس نامه سنة ٤٧٥ وعمره ثلاث وستون سنة . ومع أن الكتاب يتصل بمبادىء الأخلاق وقواعدها إلا أنه إطلالة عميقة كاملة على الحياة الفارسية في تلك القرون ، في طبقاتها العليا وقيمها السامية . ويتألف الكتاب من ٤٤ فصلاً في مختلف نواحي الحياة تتخللها الحكايات (٥١ حكاية) وأكثر من نصفها من القصص التاريخي ، كما أن في الفصول ما يتعلق بمنادمة الملوك وواجبات الوزير والكتابة وأدب الكاتب وصفات الملك وواجباته .

وثمة مؤرخان هامان ظهرا بين أواسط القرن الخامس وأواخره أحدهما كتب بالفارسية ولا بد من ذكرهما لأكمال الصورة :

— الكرديزي أبو سعيد عبد الحي بن الضحاك بن محمود : وهو من رجال أواسط القرن الخامس / الحادي عشر ، وله كتاب تاريخي كبير الأهمية فيما يتصل بخراسان اسمه زين الأخبار توجد منه نسخة مخطوطة مخرومة في مكتبة بودليان (اكسفورد) وقد طبع الكتاب في برلين طبعة غيز كاملة. ويتحدث الكرديزي في الكتاب عن تاريخ الاكاسرة ثم السيرة النبوية ، ثم الخلفاء إلى سنة ٤٣٢ ثم يسرد تاريخ خراسان من الفتح العربي حتى

سنة ١٠٤١/٤٣٢ ، وقد أضيفت إلى الكتاب فصول عن علوم اليونان والأعياد الدينية لمختلف الشعوب . وعن الأنساب والعلوم عامة ، كما يعقد المؤلف فصلاً عن الترك له قيمته في الجغرافيا البشرية لآسيا الوسطى . وقد درسه المستشرق بارتولد دراسة وافية .

ويبدو أن الكرديزي في كتابه كان يعتمد على تاريخ خراسان للسلامي (القرن ٤ هـ) . وهو مفقود . وهذا ما يعطيه شأناً آخر بالاضافة إلى ما يقدمه من المعلومات عن الطريق التجاري بين خراسان إلى الصين .

- **محمود الكشغري** : مؤلف كتاب ديوان الترك . وهو معجم تركي عربي « فيه من المعلومات من كل نوع ما يدهش » ولا غنى عنه لكل باحث في تاريخ الترك ، وقد طبع في استامبول من قبل رفعت كلسلي .

ويأتي مع هؤلاء مجموعة أخرى بعضها معروف وبعضها مجهول الهوية فهناك :

- **ناصري خسرو** أبو معين الدين القبادياني المروزي(ولد سنة ٣٩٤ - توفي سنة ١٠٨٧/٤٨١) والرجل من كبار دعاة الاسماعيلية التزارية ويحمل عندهم لقب حجة خراسان . كان في الأصل من الكتاب ومن كبار رجال الدولتين الغزنوية ثم السلجوقية ، غير أن توقده الفكري أدى به إلى بحث الأديان والأفكار والشك حتى انتهى إلى اعتناق المذهب الفاطمي. وهكذا استقال من عمله سنة ٤٣٧ وقصد مصر حيث بقي عدة سنوات حج خلالها خمس مرات ، ثم عاد إلى بلاده بعد سبع سنوات من الغياب داعيةً من قبل الخليفة الفاطمي المستنصر في خراسان،مسؤولاً عن الدعوة فيها . وقد حاول خصوم الدعوة قتله ، فهرب منهم إلى جبال سمنكان وبلدة (يمكان) فيها حيث بقي عشرين سنة على الزهد والتأليف وادارة الدعوة .. حتى خلفه عليها الحسن بن الصباح .

وقد نسجت مع الأيام الكثير من الخرافات حول ناصر خسرو ومعجزاته

وحياته حتّى استحال إلى نوع من الأسطورة لدى أتباع المذهب الذين ما يزالون يزورون قبره للتبرك إلى اليوم .

كتب ناصر خسرو كثيراً من الكتب المنظومة والمنثورة ، فهو من كبار أدباء الفارسية وانما يهمنا من مؤلفاته ما يدخل في أجواء التاريخ وهو كتاب :

- سفرنامه : وهي قصه رحلته إلى مصر . وبالرغم من أنها تحمل طابع المذكرات الشخصية إلا أنها ملأى بالأمور التاريخية والمشاهدات الحيّة . فإذا حكى مثلاً كيف طورد بالحجارة من قبل الصبيان في البصرة على أنه مجنون، فقد قدم لنا أهم وأصدق وصف لمصر وللقاهرة في عهد المستنصر بجوامعها وأعيادها ونظام الحكم فيها وثرائها وجيشها كما وصف مكة وبلاد الشام والبصرة كل ذلك في وصف حي سائغ يعتمد أول ما يعتمد على المشاهدة . وقد اهتم الباحثون بكتاب سفرنامة ومخطوطاته فقد نشره شيفر مع الترجمة إلى الفرنسية سنة ١٨٨١ في باريس ، كما نشر بالفارسية بعد ذلك وترجم (بقلم يحيى الخشاب) ونشر بالعربية (بيروت سنة ١٩٧٠) . وثمة ظنون بأن النص الموجود بين الأيدي إنما هو مختصر النص الأصلي الأوسع .

- نظام الملك أبو علي الحسن بن علي بن اسحق الطوسي وزير السلاجقة المشهور (ولد سنة ١٠١٧/٤٠٨ في طوس وقضى قتيلاً سنة ١٠٩٢/٤٨٥ عن سبع وسبعين سنة) هو سليل أسرة من الدهاقين أصيبت والحسن صغير بأزمات مالية لم تؤثر على تعليمه واستطاع أن يصبح كاتباً لدى حاكم بلخ ، وهناك تعرف إلى ألب ارسلان الذي اتخذه وزيراً ... فبقي في خدمة ابنه ملكشاه أربعين سنة يدير أمور الامبراطورية السلجوقية الواسعة حتّى ارتبط عهدها الذهبي باسمه مع اسم سلطانه ملكشاه وكان من سعة التدبير وحسن الادارة وقوة السياسة بحيث كان لقبه ينطبق كل الانطباق عليه : نظام الملك . كما منحه ملكشاه لقب أتابك تشريفاً له ، فكان من أوائل إن لم

يكن أول من حمل هذا اللقب . وأهم ما أبقى اسمه على الدهر سيبدو؟ المدارس النظامية السُّنية التي افتتحها في ايران والعراق لتخريج العلماء والوقوف في وجه الدعاية الفاطمية . وتعصبه ضد الفاطمية هو الذي جرّ الى مقتله على أيديهم ، بعد أسابيع معدودة من خلافه مع سلطانه ملكشاه وتركه الوزارة ....

في سنة ٤٨٤ كتب نظام الملك بناء على طلب ملكشاه كتاب سياسة نامة يبسط فيه قواعد السياسة وأصول الحكم ويضع فيه خلاصة تجاربه الطويلة أربعين سنة ، فجاء في تسعة وثلاثين فصلاً كتبت على البديهة دفعة واحدة ، ثم أصلحها وأضاف اليها ما جعلها خمسين فصلاً ، وفرغ منها قبل مقتله بفترة قصيرة [1] وقد اشتمل الكتاب على قدر كبير من الأخبار والروايات التاريخية ، كما اشتمل بالمقابل على الآراء السياسية التي كان يراها واحد من أنبغ الوزراء الذين ظهروا في المشرق وأطولهم عهداً . » ومن أهم ما في الكتاب تحليل المشاكل التي سوف تظهر بعد موت ملكشاه في النظام السلجوقي » ، وكشف مدى الدعوة الاسماعيلية المتزايدة يومذاك في ايران ومدى خطرها الذي خصص له نظام الملك سبعة فصول ....

على أن بعض المؤلفين مثل حاجي خليفة يعطون سياسة نامه اسم سير الملوك ويذكرون انها الفت سنة ٤٦٩ في ٣٩ فصلاً فقط وأن رجلاً يدعى اليميني هو الذي نظمها فيما بعد وجعلها في واحد وخمسين فصلاً [2] .

ولنظام الملك، عدا هذا، كتاب الوصايا ومجموعة الرسائل [3] ونجد في الكتاب والمجموعة بدورهما ما نجد في سياسة نامه من الاشارات التاريخية

---

(١) أنظر براون – تاريخ الأدب في ايران (الترجمة العربية) ص ٢٥٩ فما بعد .

(٢) أنظر حاجي خليفة – كشف الظنون ج ٢ – ص ١٠١٤ – ١٠١٥ .

(٣) استخرج وترجم ونشر جانباً من هذه الرسائل الدكتور عبد الهادي محبوبة (مجلة معهد المخطوطات – المجلد ٧ العدد ٢ لسنة ١٩٦١) .

بالاضافة إلى أنها من وثائق ذلك العصر .

ثم يأتي بعد هذين القطبين المتناقضين ، ناصري ونظام الملك، مجموعة من المؤلفين المجهولي الأسماء أو المغمورين ، فمن المجهولي الأسماء :

- مؤلف مجهول كتب تاريخ سجستان بالفارسية . وقد طبع الكتاب بعنوان تاريخي سيستان في طهران (طبعة بهار) سنة ١٩٣٦ على أن ثمة نسخة مخطوطة في المكتبة الوطنية في باريس تزيد عن الكتاب المطبوع فصلاً في تاريخ الغزنويين .

- مؤلف مجهول آخر كان كاتباً أو عامل خراج في بلاط كاكويه أمير يزد في فارس وقد أنهى تاريخاً عاماً يبدأ بملوك الفرس الأقدمين ويستمر حتى العهد السلجوقي وصفحاته الأخيرة كرست للسلاجقة في عهده (أواخر الخامس ومطالع السادس) وقد سماه مجمل التواريخ . والكتاب بدوره قد طبع في طهران (طبعة بهار) سنة ١٩٣٦ أيضاً .

- كتاب رياض الأنس لعقلاء الإنس : وهو تاريخ اسلامي مختصر يبدأ بعهد النبي وينتهي بعهد المستظهر بالله (٤٨٧ – ٥١٢/١٠٩٤ – ١١١٨) . وفي دار الكتب بالقاهرة نسخة مخطوطة منه نسخت سنة ٥٨٥ .

- كتاب فردوس الأخبار بمختار الأخبار وله طابع كتب المحدثين بجانب أخباره التاريخية ومنه نسخة مخطوطة في جامعة يال (رقم ٤١٥) في الولايات المتحدة . وقد درس شهردار بن شيرويه هذا الكتاب واستخرج الأحاديث الموجودة فيه في ثلاثة مجلدات.

- تاريخ هراة : ذكره له السخاوي[١] .

---

(١) السخاوي– الاعلان (ط . روزنتال العربية) ص ٦٥٢ .

- تاريخ همذان ويسمى أحياناً طبقات الهمذانيين . وقد تداولت أيدي علماء الحديث هذا الكتاب ، وأخذت عنه ومن هؤلاء القفطي في أنباه النحاة[1] والرافعي في تاريخ قزوين [2] وياقوت في معجم الأدباء [3] وابن الفوطي في تلخيص مجمع الآداب [4] .

- **شرف الدين أبو نصر انو شروان بن خالد بن محمد القاشاني** : (المتوفى سنة ٥٣٢) من كبار رجال الدولة في القرن السادس . وزر للخليفة المسترشد وللسلطان محمود بن محمد السلجوقي صاحب العراق . ويذكرون عنه أنه كان من عقلاء الرجال مع التدين والجود وحب العلم . وله صنع الحريري مقاماته المشهورة . كتب هذا الوزير كتاباً في تاريخ السلاجقة بالفارسية سماه :

  - فتور زمان الصدور المنبي عن القرون الخالية في العصور . ويبدو من العنوان ان هذا الكتاب كان تاريخاً عاماً غير أن الصورة التي أعطاها عنه العماد الاصبهاني حين ترجمه إلى العربية بأسلوبه ، ترجمة عامة جعلت منه تاريخاً للسلاجقة فقط وتاريخاً لوزرائهم على الأخص. ولعل العماد اقتطع من الكتاب الجزء الأخير الذي اعتبره – كما هو في الواقع – أهم الأجزاء وأكثرها أصالة لأنه أول المؤلفات في موضوع السلاجقة، حكام تلك الفترة ، وأهمل ما سبق ذلك من تاريخ مكرور في مختلف المصادر ......

---

(١) أنظر القفطي انباه الرواة (مخطوط دار الكتب – القاهرة رقم ١٥٧٩ تاريخ) ج ٢ الورقة ١١٩ وجه و ١٢٠ وجه .

(٢) أنظر الرافعي – التدوين في تاريخ قزوين (مخطوط دار الكتب المصور رقم ٢٦٤٨ تاريخ) اللوحة ٢٢٩ وما بعدها .

(٣) أنظر ياقوت – معجم الأدباء ج ١ ص ٦٤ .

(٤) أنظر ابن الفوطي تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب (ط. مصطفى جواد – دمشق) ج ٤ قسم ٣ ص ١٠٨ (ترجمة فخر الحرمين النيسابوري) .

وعلى أي حال فان الكتاب لم يصلنا وانما وصلتنا أقسام منه معربة بأسلوب مسجع ضمن كتاب العماد الاصبهاني الذي يحمل عنوان نصرة الفطرة وعصرة القطرة والذي لم يطبع حتى الآن وان طبع موجزه الذي صنعه البنداري في مطالع القرن السابع الهجري بعنوان تاريخ آل سلجوق .

- **نظامي عروضي** أبو الحسن أحمد بن عمر السمرقندي: (ولد حوالى سنة ٥٠٠ وتوفي سنة ٥٦٠) والمعروف عن الرجل قليل ، فقد كان شاعراً كاتباً ومن رجال البلاط تنقل في ايران بين سمرقند حيث ولد وبلخ حيث لقي عمر الخيام وطوس حيث اتصل بالسلطان سنجر . كما عرف هراة ونيسابور واستقر أمره أخيراً في حاشية بعض الأمراء الغوريين ثم السلطان علاء الدين الغوري .

وللأمير أبي الحسن حسام الدين كتب نظامي كتابه المسمى مجمع النوادر والذي اشتهر باسم : جهار مقاله أو المقالات الأربع . لأنه يقوم على نظرية العروضي بأنه لا بد للملك من أربعة أعوان : الكاتب والشاعر والمنجم والطبيب فخصص لكل واحد من هؤلاء مقالة تحدث فيها عنه وزين كل مقالة بعشر حكايات معظمها تاريخي وفيه ذكر لبعض الأعلام ممن لا ترد أخبارهم في أي كتاب آخر ... وقد نقل عن هذا الكتاب عدد من المؤرخين منهم ابن اسفنديار في تاريخ طبرستان وحمد الله المستوفي في تاريخ كزيدة . ودولت شاه في تذكرة الشعراء والقاضي أحمد الغفاري في نكارستان وغيرهم .

والكتاب مطبوع بالفارسية وقد ترجم إلى العربية (نقله عزام والخشاب) وطبع بالقاهرة سنة ١٩٤٩ .

- **ابن فندق** ظهر الدين أبو الحسن علي بن زيد بن أميرك محمد البيهقي الخراساني (المتوفى سنة ٥٦٥ عن أربع وستين سنة) [1] كان يسمى « فريد خراسان » لعلمه وفضله وكثرة مؤلفاته التي تبلغ اثنين وسبعين كتاباً

---

(١) ذكر ياقوت أنه ولد سنة ٤٩٩ ولكن أبحاثاً ايرانية حديثة أثبتت انه من مواليد سنة ٤٩٣ وكان سنة ٥٠٠ يقرأ لدى المعلم .

باللغتين العربية والفارسية وفي مختلف العلوم من الطب إلى تفسير القرآن ومن النجوم إلى الشعر إلى التراجم إلى الفقه إلى الأنساب .... وبهذا الأفق الموسوعي كتب في التاريخ أيضاً عدة كتب تجعله في مقدمة المؤرخين ومنها :

- كتاب مشارب التجارب وغوارب الغرائب : وهو في أربع مجلدات كما يذكرون ولو انه اشار في بعض مؤلفاته الأخرى إلى مجلده الثامن [1] وإذا كان العنوان يوحي بأنه متابعة لعمل مسكويه في تجارب الأمم فإن المؤلف قد ذكر انه يتابع كتاب اليميني للعتبي الذي انتهى فيه إلى سنة ٤١٠. وقد لا يعني هذا انه بدأه بهذه السنة ، فإن ثمة نقولاً عنه ترجع به إلى ما قبل ذلك منها ترجمة الوزير البويهي ابن عباد التي نقلها ياقوت في معجم الادباء [2] .

كتب ابن فندق كتابه هذا بالعربية ثم بالفارسية وأنهاه بسنة ٥٤٩ وقد ضاعت النسختان ، ولهذا فإننا لا نستطيع أن نؤكد فيما إذا كان الكتاب تاريخاً عاماً أو اسلامياً أو اقليمياً . وما نقله عنه ابن الأثير وياقوت وابن الفوطي [3] قد لا يسمح باستنتاج شيء أساسي حول هذه النقطة ولكن ما نقله ابن أبي اصيبعة حول السيد المسيح وجالينوس [4] قد يرجح ان المشارب كان تاريخاً عاماً . وعلى أي حال فإن نقول هؤلاء المؤرخين كانت دون شك عن النسخة العربية التي قد تكون وجدت في شمال العراق وفي الشام في القرن السابع. على ان

---

(١) أنظر تتمة صوان الحكمة - طبعة محمد شفيع - لاهور سنة ١٩٣٥) ص ١٦٦ .

(٢) ياقوت - معجم الأدباء ج ٢ ص ٣١٤ .

(٣) أنظر ما كتبه ياقوت عن الوزير الكندري السلجوقي (الأدباء - ج ٥ ص ١٢٤ - ١٢٥) وقد نقل عنه ابن الأثير معلومات تتعلق بتاريخ خوارزم في حوادث سنة ٥٦٨ (الكامل ج ١١ ص ٢٤٩) وانظر أيضاً ابن الفوطي معجم الألقاب (تحقيق مصطفى جواد طبعة دمشق) ج ٤ قسم ١ ص ٤٠٩ وج ٤ قسم ٢ ص ٩٦٤ .

(٤) أنظر ابن أبي أصيبعة - طبقات الأطباء (ط . بيروت) ص ١١٠ .

ما نقله ابن الأثير في السنوات الممتدة ما بين سنة ٥٦٨ وسنة ٥٩٥ قد يوحي بأن نقوله لم تكن مباشرة أو بأنه استعمل مصدراً وسيطاً كتب بدوره ذيلاً على ابن فندق يتضمن أحداث هذه السنوات في ايران [١] ومهما يكن الأمر فإننا في الواقع أمام تاريخ هام فيما يتعلق بالسلاجقة بالذات وضياعه بنسختيه العربية والفارسية هو مما يؤسف له .

ولابن فندق ، عدا المشارب ستة أعمال تاريخية أخرى :

- تاريخ بيهق ولم يذكره ياقوت في قائمة الكتب التي نقلها عن ابن فندق نفسه [٢] لأن المؤلف وضع كتابه هذا سنة ٥٦٣ ، أي في أواخر حياته . وقد جعله – على ما يظهر – تتمة أو ذيلاً لتاريخ بيهق الذي كتبه أبو الفضل البيهقي قبل ذلك بمائة سنة ولكن ابن فندق جعله على التراجم ، لا على الأحداث فكأنه أراد اكمال عمل أبي الفضل بوضع تاريخ لرجال بيهق على نهجه .
- مؤلف مجهول ثالث وضع حوالى سنة ٥٠٠ تاريخ باب الأبواب [١] (منطقة دربند بين جبال القفقاس وبحر قزوين) وقد ظل هذا التاريخ معروفاً حتى أيام منجم باشي في القرن الحادي عشر / ١٧ م . الذي نقل عنه في كتابه : فصول من تاريخ الباب وشروان (نشر مينورسكي – كمبردج ١٩٥٨) .

---

(١) أنظر ما يذكره ابن الأثير عن حوادث خوارزم بين سنتي ٥٦٨ – ٥٩٠ (الكامل ج ١١ ص ٣٧٩ – ٣٨٠) .

(٢) القائمة التي يذكرها ياقوت انما نقلها عن كتاب مشارب التجارب لابن فندق وقد ألف هذا الكتاب سنة ٥٤٩ وذلك حسب السنة التي تتوقف بها ترجمة ابن فندق لدى ياقوت . أما تاريخ بيهق فتم تأليفه سنة ٥٦٣ .

(٣) أنظر : Minorsky : Studies in Caucasian History (1952)

وانظر أيضاً : Cl. Cahen : in (His. of the M.E.) p. 77 note 89.

ومن المغمورين :

- موفق الدين أبو طاهر الخاتوني وهو من كبار شعراء العصر السلجوقي ومن كبار موظفي السلاجقة في نهاية القرن الخامس ومطالع السادس . وله كتاب باسم مناقب الشعراء هو من أقدم الكتب في تراجم شعراء الفرس . أشار اليه دولت شاه في القرن التاسع / ١٥م [١] وهو رغم ما كان يمكن أن يقدم من المعلومات التاريخية عن العصر ما يزال مفقوداً ، وثمة خبر بأنه قد عثر على نسخة منه في استامبول .

- ابن بابه أبو العباس أحمد بن علي الكاشي : (المتوفى سنة ٥١٠/١١١٦) ترك بلده قاشان ليستقر في مرو احدى عواصم السلاجقة حيث توفي. وقد ذكر عنه انه الف كتاباً في تاريخ السلاجقة ، يرجح بعض الباحثين انه لم ير النور [٢] غير أن له كتاباً آخر بعنوان رأسمال النديم أتمهُ سنة ٥٠١ وجمع فيه بعض القصص والأخبار مما ينفع لمنادمة الملوك . وقد بقيت منه نسخة مخطوطة تحفظها جامعة بتنة في الهند .

- ابن البلخي : وكان رئيس الديوان لدى السلطان محمد بن ملكشاه في مطالع القرن السادس ، وقد كتب خلاصة معلوماته الجغرافية التي تهم الادارة ، وجمع الضرائب في كتاب فارس نامه الذي يحوي من التاريخ أكثر مما يحوي من الجغرافية وقد أكمله في القرن السابع التالي مؤلف آخر اسمه ابن زركوب بكتاب شيراز .

طبع الكتاب الأول من قبل لوسترانج ونيكلسون في سلسلة حب التذكارية

---

(١) أنظر دولت شاه – طبعة براون ص ٦٤ ، ص ٧٦ ، (نقلا عن كلود كاهن ص ٦٧ من المصدر السابق) .

(٢) أنظر : Hamadani : Some Rare Mss. in Istambul (J.R.As.) (1938) pp. 562-563.

سنة ١٩٢١ ، وفي طهران سنة ١٣٥٣ بتحقيق سيد جلال الدين . كما طبع الكتاب الثاني في طهران (طبعة بهمن كريمي) سنة ١٩٣٢ .

- **أبو شجاع شيرويه بن شهردار بن شيروه بن فناخسرو الديلمي الهمذاني** (ولد سنة ٤٣٥ وتوفي سنة ٥٠٩) كان من الحفاظ المعروفين ، ومن الواسعي الرحلة في طلب العلم وتذكره كتب الطبقات بالذكاء والتصانيف. وله من كتب التاريخ :

التواريخ البلدانية الشائعة في ذلك العصر . وقد اعتمد في تاريخه هذا على تاريخ آخر أقدم منه ، وعلى تاريخ نيسابور للحاكم النيسابوري (وهو في١٢ مجلداً) وتاريخ بيهق هذا طبع في طهران (ط . بهمانيار) سنة ١٩٣٨ مع مقدمة هامة دقيقة للميرزا محمد خان القزويني .

- تتمة صوان الحكمة . وأصل الكتاب من وضع أبي سليمان محمد بن بهرام ابن طاهر المنطقي السجستاني أو السنجري في القرن الرابع جمع فيه تراجم الحكماء والفلاسفة والأطباء . فجاء ابن فندق اليه بذيل يتممه .

وضع ابن فندق كتابه بالعربية وقد نقل منه سنة ٧٢٠ ﻫ إلى الفارسية . ومن النص نسختان مخطوطتان في استامبول . كما طبع الكتاب في لاهور سنة ١٩٣٥ كما طبع في طهران بتحقيق القزويني ومقدمة له .

- وشاح دمية القصر ولقاح روضة العصر وهو بدوره تتمة لكتاب في تاريخ الشعراء وتراجمهم كان قد وضعه الباخرزي المتوفى سنة ٤٦٨ قبل قرن من ابن فندق بعنوان دمية القصر أراد به أن يذيل ويكمل بدوره يتيمة الدهر للثعالبي . وضع ابن فندق الوشاح في مجلد ضخم ، ثم أضاف اليه تتمة أخرى سماها درة الوشاح في مجلد صغير . وقد ضاع الكتابان إلا قطعة من الوشاح مخطوطة في استامبول (مكتبة حسين جلبي رقم ٢٤ أدب) في ٢٥٣ ورقة تبدأ بنجم الدين البغدادي وتنتهي بمحمود بن حسن بن بندار .

- وسائل الألمعي في فضائل الشافعي : ويذكر السبكي في الطبقات الكبرى هذا الكتاب كما يذكره السخاوي [1] ويبدو أن هذا الكتاب فقد منذ زمن طويل لأن السبكي يعترف أنه لم ير منه نسخة واحدة ، ولعله في الأصل ترجمة للامام الشافعي ولكبار أتباعه من بعده لأن السبكي والسخاوي كليهما يعتبر انه كتاباً في تاريخ الفقهاء الشافعية .

- المواهب الشريفة في مناقب الامام أبي حنيفة . ولعله يشبه الكتاب السابق في أنه ترجمة لصاحب المذهب الحنفي تتبعها تراجم أكابر مذهبه . وهو بدوره مفقود .

- لباب الأنساب،وياقوت يذكر أنه رآه في بعض مكتبات خراسان . لكنه مفقود .

ولعلنا نستطيع أن نضيف أخيراً كتاباً سابقاً هو كتاب المعارج في شرح نهج البلاغة فإنه يحوي — ولو أننا نفتقد نسخته — أخباراً تاريخية كثيرة لا بد أن يقتضيها الشرح .

- **المأموني أبو محمد هارون بن العباس بن العباس بن محمد بن البغدادي**(المتوفى سنة ٥٧٣/١١٧٧) وقد كتب لخوارزمشاه تكش صاحب خوارزم :

- تاريخ خراسان : الذي عرفه ابن خلكان وأخذ عنه[2] كما أخذ غيره. ويبدو من المقتطفات ان هذا التاريخ كان يبدأ مع البويهيين ، ولكنه يقف عند سنة ٥٧٠ .

- **النيسابوري ظهر الدين الذي كتب بالفارسية :**

---

(١) أنظر السخاوي — الاعلان (ط . روزنتال) ص ٥٥٥ وانظر السبكي . الطبقات ج ٣ ص ٢١٩ (ط . القاهرة سنة ١٣٢٤) .

(٢) ابن خلكان — وفيات ج ٢ ص ٢٦٥ وج ٢ ص ٣٩٩ و ج ٥ ص ٦٩ و ٢٦٨ و ج ٧ ص ٦٠ .

– كتاب سلجوقنامة [1] اعتمد فيه خاصة على المؤلفين الفرس كما لم يعرفه من بعد سوى المؤلفين الفرس أيضاً . بدأ كتابه في ظل سلطنة ارسلانشاه (٥٥٦ – ١١٦١/٥٧٣ – ١١٧٧) وأنهاه في عهد وربيه طغرل الثاني (٥٧٣ – ١١٩٤/٥٩٠) آخر سلاجقة العراق وكردستان . وكانت مصادره دون شك قليلة لندرة ما كتب حتّى ذلك الوقت عن السلاجقة وهو لم يعرف كتاب أنو شروان بن خالد كما تظهر معلوماته عادية جداً عن ملكشاه وعن السلطان محمود ..... ولقد ظن الناس لوقت طويل ان سلجوقنامه مفقود . وكانوا يعتمدون على النص المعدل له ، والمملوء بالتأويلات الأدبية والذي أخذه عنها الراوندي في كتابه راحة الصدور . غير أنه تبين من بعض الأبحاث ان النص محفوظ بأمانة كاملة في كتاب زبدة التواريخ للكاشاني (بداية القرن الثامن /١٤م).

وقد نشر النص مؤخراً(من قبل جلاله خاوار – طهران سنة ١٩٥٤).

وجاء على الفور في نهاية القرن السادس من ذَيّلَ على الكتاب :

– جاء عبد الحميد الكرماني ، فأضاف تكلملة لسلجوقنامه استمر فيها حتّى سقوط طغرل سنة ٥٩٠ ، وقد حفظ هذا النص رشيد الدين في جامع التواريخ ونشر مع سلجوقنامه الأصيلة .

– وجاء أبو حامد محمد بن ابراهيم الكرماني (المتوفى سنة ٥٩٩) فوضع ذيل سلجوقنامه . كما استخدم كتاب أفضل الدين الكرماني حول تاريخ كرمان ليكتب كتاباً آخر بعنوان : تاريخ سلاجقة كرمان .

– وفي الوقت نفسه يأتي الراوندي محمد بن علي (المتوفى سنة ١٢٠٣/٥٩٩) فيتناول سلجوقنامه بالتعديل والتشذيب وينزلها على هواه الأدبي ويضيف

(١) ثمة كتاب آخر بعنوان سلجوقنامه كتبه مؤلف مجهول وباللغة التركية في القرن الثامن الهجري/ ١٤ م . ويعتمد على المصادر العربية البغدادية . وقد طبعت سلجوقنامه التركية بتحقيق فريدون حافظ أوزلوك في أنقرة سنة ١٩٥٢ .

اليها تاريخ حوالى عشر سنوات تتضمن سقوط طغرل والاسرة السلجوقية سنة ٥٩٠ وما نجم عن ذلك. ولم يستخدم أو لم يعرف ذيل الكرماني وقد سمى كتابه :

- راحة الصدور وآية السرور .

ولما لم يكن ثمة من سلجوقي كبير يهديه الكتاب حين أنهاه فقد أهداه إلى السلجوقي الوحيد الموجود وهو :

كيخسرو الأول سلطان سلاجقة الروم .

ثم يأتي بعد هؤلاء في القرن السابع مجموعة من المؤلفين يكتب معظمهم بالفارسية ومنهم :

- **مبارك شاه فخر الدين** وهو من أصل عربي قرشي وقد كتب حوالى سنة ١٢٧٥/٦٠٢ سلسلة نسبه الخاصة وخطر في باله نتيجة لذلك أن يكتب وقد كتب :

- شجرة أنساب الفرس . وقد درست أعماله من قبل المستشرق روس (كمبردج سنة ١٩٢٢) .

- **ابن بكران محمد بن نجيب** (من رجال مطالع القرن السابع / ١٣م) وقد كتب :

- جهان نامه : اكتشف الكتاب ووصفه المستشرقان تومانسكي وبارولد وهو يلقي بعض الضوء على تاريخ التركمان [1] .

- **الواجكا عبد السلام بن الحسين البصري** وله (أو لعله نقل فقط) كتاب :

- فضائل الفرس وأنساب حكمائهم .

---

(١) أنظر كراتشكوفسكي - تاريخ الأدب الجغرافي (الترجمة العربية) ج ١ ص ٣٢٦ .

وقد ذكره ابن العديم ونقل عنه [1] وقال : قرأت بخط عبد السلام المعروف بالواجكا من كتاب في ذكر فضائل الفرس .... لم يسمّ مؤلفه ولعله من تأليفه قال ... » .

- الرازي المتولي غياث الدين أبو الحارث ليث بن أحمد بن عبد الله (من مطالع القرن السابع) وله كتاب تاريخ ملوك الفرس والأكاسرة . وكان عارفاً بسيرهم وقد وقع كتابه هذا لابن الفوطي الذي أورد ترجمة الرجل[2] .

- الرازي فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين التميمي البكري (المتوفى بهراة سنة ١٢٠٩/٦٠٦) وكان يعرف بابن الخطيب الشافعي الفقيه . ولد بالريّ سنة ٥٤٣ ودرس فيها ورزق العلم والثراء والصيت الواسع . كانت له ثروة ومماليك فإذا ركب مشى معه نحو ٣٠٠ مشتغل على اختلاف مطالبهم في التفسير والفقه والكلام والأصول والطب وغير ذلك . استقبل في بلاط غزنة أحسن الاستقبال ، كما اتصل بعلاء الدين خوارزم شاه فنال منه غاية الإكرام ... وبين تصانيفه التي تجمع العلوم والفنون والآداب والتي تزيد على ٨٢ مؤلفاً بعضها في عشر مجلدات ، هناك بعض المؤلفات التاريخية ومنها :

  - تاريخ الدول في مجلدين الأول في سياسة المملكة وتدبيرها والثاني في تاريخ الراشدين . طبع قسم منه في أوروبا والمخطوط في باريس ، ولعل في نسبة هذا الكتاب اليه بعض الوهم [3] .
  - مناقب الامام الشافعي وهو مخطوط في دار الكتب بالقاهرة .
  - كتاب الملل والنحل وهو مطبوع (القاهرة سنة ١٣٦٦) .

---

(١) ابن العديم – بغية الطلب (مخطوط أحمد الثالث) ج ٢ ورقة ١٣ ظهر ج ٣ ورقة ٤٨ ظهر .
(٢) ابن الفوطي – مجمع الآداب (ط . مصطفى جواد) ج ٤ قسم ٢ ص ١٢٠٥ (الترجمة ١٧٩٠) .
(٣) أنظر زيدان – تاريخ آداب اللغة العربية ج ٣ ص ٩٨ .

- فضائل الأصحاب وهو في فضائل الصحابة والتابعين .
- كتاب الموجز في النسب ومنه مخطوط في استامبول (أحمد الثالث رقم ٢٦٧٧ في ٧٥ ورقة) .
- كتاب عمدة النظار وزينة الأفكار .
- شرح نهج البلاغة .

- ولعل أهم كتبه في ميدان التاريخ كتاب جامع العلوم وقد كتبه بالفارسية بعنوان : حدائق الأنوار في حقائق الأسرار ، كما كتبه بالعربية وأهداه الى علاء الدين خوارزم شاه . ولخص فيه مختلف العلوم بما في ذلك التاريخ واعتبره العلم الثالث عشر في الكتاب بعد علم الحديث وجعله في خدمة الحديث والدين ثم أتبعه بذكر مغازي الاسلام الأولى ولخص التاريخ كله على الشكل التالي : تاريخ ملوك العجم. بداية سيد المرسلين. اسامي الخلفاء . وقائع علي بن أبي طالب . كيفية انتقال الخلافة من المروانيين الى العباسيين. وأنهى ذلك بأربعة فصول في كيفية ابتداء ملك السلطان محمود. وكيفية ظهور دولة السلاجقة وأحوالها ، ثم أحوال السلاجقة ، ثم أحوال « ملك البشر » علاء الدنيا والدين تكش بن خوارزمشاه (الذي حكم بين ٥٨٩ ـ ١١٩٣/٥٩٦ ـ ١٢٠٠) وهو الذي عاش الرازي في بلاطه .

ولم تصل من هذا الكتاب نسخته الفارسية ووصلت النسخة العربية التي أعطاها الرازي عنوان جامع العلوم . وفي مكتبة اكسفورد منها مخطوطتان رقم Or. Fraser 182, 183

- عميد الملك أفضل الدين أبو حامد أحمد بن حامد الكرماني (المتوفى بعد سنة ١٢١٥/٦١٢) .

كان في عمل الانشاء ، في بلاط سلاجقة كرمان حتى سنة ٥٧٠ ثم دخل بعد

خمس سنوات في خدمة السلطان علاء الدولة [1] استفاد من اتصاله بالادارة العليا للدولة ومن وجود وثائقها تحت يديه في تأليف كتبه التاريخية تماماً كما فعل أمثاله كالبيهقي الأول في بيهق وعماد الدين الأصفهاني في الشام ، وهكذا نجد له بالفارسية :

- كتاب عقد العلى للموقف الأعلى ، تاريخ بعض ملوك كرمان وأحوال السلطان أبي المظفر عماد الدين ملك دينار ، والكتاب في خمسة أقسام نظمها الكرماني على هواه .

الأول : في أواخر حكم آل سلجوق بكرمان .
الثاني : في السلطان ملك دينار .
الثالث : في أوصاف الملوك وأحوال كرمان وتاريخها .
الرابع : في أحوال الوزير صدر جهان .
الخامس : في أحوال نفسه وسيرته الشخصية .

والكتاب مطبوع (طهران سنة ١٣١١) ، ولعميد الملك بجانب هذا التاريخ كتابان آخران :

- بدائع الزمان في وقائع كرمان أورد فيه تاريخ كرمان على السنين حتى سنة ٦٠١ وقد طبع في طهران سنة ١٣٦١ في ١١٨ صفحة .
- وذيل عليه بذيل سماه المضاف إلى بدائع الزمان . طبع في طهران سنة ١٣٧١ في ٦٠ صفحة ، وفيه حوادث سنة ٦٠٢ إلى سنة ٦١٢ .

وبالاضافة إلى ذلك فلعميد الملك كما لغيره من كبار الكتاب المعروفين بعض الرسائل ، وهي من وثائق العصر .

- ابن اسفنديار محمد بن الحسن (المتوفى سنة ٦١٧/١٢٢٠) وقد مر معنا بين

(١) أنظر آغابزرك - الذريعة إلى تصانيف الشيعة ج ١٥ ص ٥٩٠ .

مؤرخي العراق وايران . وانما نذكره هنا صلة وصل . فقد كتب :

- تاريخ طبرستان بالفارسية بالاعتماد على تاريخ سابق لهذه المنطقة وجده في خزانة الملك رستم بن شهريار وكان كتبه بالعربية مؤلف اسمه اليزدادي ، في أيام قابوس بن وشمكير (٣٦٦ – ٤٠٣) ويبدو أن ابن اسفنديار أكمل تاريخه سنة ٦١٣ . والأجزاء الأولى منه تشتمل على الكثير من الأمور الاسطورية ، ولكنه متى وصل العصر الإسلامي أفاض في ذكر الحقائق التاريخية والجغرافية والاخبارية وخاصة تفاصيل التراجم للرجال المحليين المشهورين سواء أقاموا في طبرستان أم خارجها ، ويعنى ابن اسفنديار عناية خاصة بالشعراء الذين نظموا باللهجة الطبرية . وقد أنهى كتابه عند الحد الطبيعي المقدر له ، أي بوفاة رستم بن أزدشير سنة ٦٠٦ .

ثم جاء مؤلف مجهول فزاد على هذا التاريخ حتى أوصله إلى سنة ٧٥٠/ ١٣٤٩ .

- أبو الحسن صدر الدين علي بن السيد الشهيد ناصر الدين بن علي : (المتوفى بعد سنة ٦٢٢م) كاتب الخليفة الناصر لدين الله (٥٧٥ – ٦٢٢) ، وله كتاب وصلنا مخطوطاً في نسخة وحيدة في المتحف البريطاني (Sup. 550) وعنوانه :

- زبدة التواريخ . أخبار الأمراء والملوك والسلاجقة .

وهذا الكتاب يعتمد فيما بين سنتي ٤٨٥/١٠٩٢ و ٥٤٧/١١٥٢ على كتاب العماد الاصبهاني : نصرة الفطرة . ومع أن نهاية النص كتبت في سنة ٦٢٢ إلا أن السرد الحقيقي للأخبار ينتهي سنة ٥٩٠ ، تاريخ موت طغرل آخر سلجوقي في العراق وايران ، مما يوحي أن الكتاب أنجز في نهاية القرن السادس ....

وقد بحث المستشرق كلود كاهن موضوع هذا الكتاب[1] وترجّح لديه انه أنجز على مرحلتين ومن قبل مؤلفين : الأولى حوالى سنة ٥٦٠ قام بها مؤلف يدعى علي بن ناصر الدين . والثانية بعد ذلك اضافها مؤلف مجهول من شمال ايران الغربي وتحدث فيها عن الفصول الأخيرة من تاريخ السلاجقة الأخيرين .

- محمد عوفي (المتوفى بعد سنة ٦٣٣) وهو يذكر في القسم الأول من كتابه جوامع الحكايات إنه ينتسب إلى الصحابي عبد الرحمن بن عوف . أمضى محمد طفولته في خراسان وما وراء النهر وخاصة في بخارى ثم رحل إلى الهند وعمل لدى السلطان ناصر الدين قباجه وأهدى وزيره كتاب لباب الألباب . فلما نكب هذا السلطان وقتل وضاع ملكه انتقل عوفي إلى خدمة السلطان الذي انتصر : شمس الدين ايلتمش وأهداه جوامع الحكايات ... ثم تضيع أخباره بعد ذلك ويبقى للناس كتاباه :

  - لباب الألباب وهو معجم لشعراء الفرس صنع على طريقة معاجم الشعراء المعروفة في الأدب العربي ومعلوماته التاريخية هامة وبعضها لا يوجد في غيره مما يجعله أقدم وأهم الكتب في تاريخ الأدب الفارسي . ولا يعيبه إلا ولعه بالعبارات والمحسنات اللفظية التي تضيع المعاني والدقة . وفي الكتاب حوالى ٣٠٠ ترجمة للشعراء الذين ظهروا قبل سعدي الشيرازي . وقد طبع الكتاب في جزءين في طهران .

  - جوامع الحكايات ولوامع الروايات : مجموعة واسعة من القصص تختلف قيمة وجمالاً وهي مقسمة في الكتاب أربعة أقسام كل قسم ٢٥ باباً وكل باب مجموعة من القصص تصور موضوعه وتفسيره . وفيها الكثير من القصص التاريخي والحكايات المتنوعة . وله نسخ خطية

---

(١) أنظر بحثه في كتاب مؤرخي الشرق الأوسط (بالانكليزية) ص ٦٩ – ٧٢ .
His. of the M.E., (edited by B. Lewis and P. Holt.) pp. 69-72.

عديدة كما انه طبع جزئياً .

- مجهول جاء ذكره لدى ابن ابن ايبك الدواداري إذ يقول : « ومن جملة ما يحكى عنه (عن السلطان ملكشاه) ما ساقه صاحب كتاب جنى النحل ذكر انه استنسخه من كتاب يسمى مطالع الشروق في محاسن بني سلجوق[1] وقد يكون صاحبه من رجال القرن السادس أو مطالع السابع .

ونقف هنا مرة أخرى عند مؤرخين سبق إن ذكرناهما في المدرسة العراقية الايرانية وهما :

- النسوي والزيدري : وإنما نضع الاسمين معاً لأن الباحثين ما يزالون في شك من أن الاسمين هما لشخص واحد أم لاثنين ... فالنسوي هو شهاب الدين محمد بن عبد الواحد عند بعضهم وهو محمد بن عبد الواحد عند آخرين ، ولعله من التصحيف وهو محمد بن أحمد بن علي (في صبح الأعشى) . والزيدري لا نعرف من اسمه إلا أنه محمد الزيدري الخراساني ، على أن أبحاث العالم الايراني محمد عبد الوهاب القزويني (المتوفى سنة ١٩٤٩) أكدت ان الاسمين لمسمى واحد عرف في ايران بالزيدري وفي الشام وحلب خاصة بالنسوي حيث توفي سنة ٦٤٧ ، وهذا الرجل إنما كان منشئاً ، في بلاط جلال الدين منكوبرني آخر شاهات الدولة الخوارزمية . وقد لازمه في جميع سفراته وغزواته إلى أن تبسه المغول وقتل . وكان النسوي الزيدري مقدماً عند جلال الدين أثيراً عنده فلما سقطت الدولة كلها أمام المغول نجا النسوي بنفسه إلى الشام ، فعمل لدى الملك المظفر غازي الأيوبي في فارقين ثم اتصل ببركة خان مقدم الخوارزمية في الشام ، فلما قتل اتصل بالملك الناصر يوسف الأيوبي في حلب حيث صاغ ذكرياته ومأساة سيده في كتاب بالغ الألم يسميه أبو الفداء[2] .

---

(١) ابن ايبك – كنز الدرر ، ج ٦ (الدرة المضية – تحقيق المنجد – القاهرة سنة ١٩٦١) ص ٤٣٧ .

(٢) أبو الفداء – المختصر في أخبار البشر ج ٣ ص ١٢٢ وص ١٤٧ .

- تاريخ صدور التتر : ولكن الاسم الذي تذكره المصادر الأخرى هو : سيرة جلال الدين منكوبرتي . وقد ذكر فيه أخبار خوارزم شاه محمد وابنه جلال الدين كما عرفها مؤكداً ان التاريخ هو « الخُبر لا الخبر وأين العيان من اقتفاء الأثر ؟ » وقد أتم الكتاب سنة ٦٣٩ بشكل يجعله نوعاً من المذكرات الشخصية والشهادة وقد وجدت نسخة مخطوطة من هذا التاريخ طبعت بعناية المستشرق هوداس أولاً ثم طبع الكتاب في القاهرة (نشر حافظ حمدي سنة ١٩٥٣ – القاهرة) .

- وللنسوي الزيدري كتاب آخر بعنوان : (نفثة المصدور في فتور زمان الصدور وزمان صدور الفتور) كتبه بالفارسية سنة ٦٢٢ في انقراض دولة الخوارزميين وهجمات المغول عليها ، وهذا الكتاب لا يقل ألماً عن الكتاب السابق . وقد طبع هذا الكتاب في طهران .

- **القاضي أفضل الدين التبريزي** . وله كتاب من كتب السير التاريخية اسمه :

- كتاب تاريخ بيشكين : وهو نصرة الدين بيشكين أمير من نواحي ورزمان من أعمال تبريز كانت بينه وبين عز الدين ارسلان آبه ابن أتابك المراغي صاحب مراغة حرب سنة ٦٠٥ وتوفي سنة ٦٢٠ . ويبدو أن السيرة ألمت أيضاً بحاشية الأمير ورجاله . وقد نقل ابن الفوطي أكثر من مرة عن هذا التاريخ [١] .

- **الجوزجاني** أبو عمر منهاج الدين عثمان بن سراج الدين (ولد سنة ٥٩٠ وتوفي بعد سنة ٦٥٩ / ١٢٦١) ولد في جوزجان قرب بلخ والتحق مثل أبيه وجده في خدمة ملوك الغور ، فلما كانت سنة ٦٢٤ أقبل إلى الهند والتحق بخدمة السلطان ناصر الدين قباجه حوالى السنة حتى إذا تغلب شمس الدين ألتمش على هذا السلطان التحق الجوزجاني بالسلطان المنتصر وأهدى

---

(١) ابن الفوطي : معجم الألقاب ج ٤ قسم ٢ ص ١٠٧١ والكتاب نفسه ج ٥ الترجمة رقم ١٥٣٨ .

إلى ابنه ناصر الدين محمود شاه كتابه التاريخي :

- طبقات ناصري الذي فرغ من تأليفه سنة ٦٥٩ بالفارسية. وهو موزع على عشرين فصلاً تبدأ بالأولياء والأنبياء وتنتهي بغارة المغول التي يتحدث عنها الحديث المستفيض الذي لا نجده في أي مصدر آخر . حتى فتح بغداد وفيه نصوص قديمة فريدة وفيه تحليل لانتشار الإسلام بين المغول . وقد طبع الكتاب في الهند (كلكتا سنة ١٨٦٤) .

- وللجوزجاني كتاب : سياسة الأمصار في تجربة الأعصار وتاريخ آل جنكيز بالعربية ويتضمن أيضاً أحوال دولة المغول منذ خروج جنكيز حتى سقوط بغداد واستشهاد الخليفة المستعصم آخر الخلفاء العباسيين . وقد اتهم الوزير ابن العلقمي بالتآمر على الخلافة .. والكتاب مطبوع طبعة على الحجر في الهند .

- نصير الدين الطوسي محمد بن الحسن : (المتوفى ببغداد سنة ١٢٧١/٦٧٢) من مواليد طوس سنة ٥٩٧ وقد درس الأدب والفلسفة والنجوم والعلوم . وعمل أول الأمر مع الاسماعيلية الباطنية لكن سقوط ايران وقلعة ألموت في يد هولاكو المغولي نقله إلى خدمتهم . ودخل بغداد مع هولاكو واستفاد من سقوطها لاغناء مكتبته الخاصة التي أضحت تضم ٤٠٠ ألف مجلد . وكانت له حظوة عند المغول بما اشتهر به من التنجيم ، وله بنى هولاكو مرصد مراغة سنة ٦٥٨ . له من المؤلفات في الدين والفلسفة والرياضيات والطبيعيات ما يزيد على ٥٦ مؤلفاً معظمها بالعربية التي أصبحت بالنسبة للفرس « لغة الثقافة العليا » وأشبه باللاتينية في القرون الوسطى الأوروبية . بين هذه المؤلفات :

رسالة في فتح بغداد . ولعلها أول ما كتب في ذلك الموضوع من قبل شاهد

عيان وإن كان ثمة شك في نسبتها إلى الطوسي . وجدت الرسالة ملحقة بالجزء الثالث من مخطوط تاريخ جهان كشاي في المكتبة الوطنية بباريس ونشرها محمد عبد الوهاب القزويني في طهران ، ثم عثر باحث آخر على ترجمتها الفارسية ونشرها سنة ١٩٢٩ .

- ابن بيبي : ناصر الدين يحيى بن محمد بن بيبي (المتوفى سنة ٦٧٠) وكان رئيس ديوان التوقيع في مطالع أيام المغول في بغداد وقد كتب باللغة الفارسية :

- كتاب الأوامر العلائية في الأوامر العلائية وقدمه إلى وزير المغول عطا ملك الجويني . وهو في تاريخ بعض سلاجقة الروم ، غياث الدين قليبج أرسلان وابنه علاء الدين كيقباد . نسخه الفارسية مخطوطة في أيا صوفيا باستامبول (رقم ٢٩٨٥) وقد طبع هوتسما نسخته التركية ضمن تواريخ آل سلجوق سنة ١٩٠٢ . وهو من أهم وثائق ذلك العصر .

- وأخيراً يأتي البيضاوي أبو الخير (أو أبو سعيد) عبد الله بن عمر (المتوفى سنة ٦٨٥) وهو من أذربيجان وعمل على القضاء في شيراز . وهو صاحب تفسير البيضاوي المشهور ، كما انه كتب في التاريخ مختصراً بالفارسية سماه : نظام التواريخ .

ولا تموت المدرسة الفارسية الكاتبة بالعربية ، ولكنها تذبل وتتضاءل في ظل الحكم المغولي في العراق وايران . ذلك أن اللغة العربية تبقى « لاتينية » العالم الإسلامي الشرقي عدة قرون ...... وسوف نعود فيما بعد على هذه المدرسة بالدراسة .

الفصل التاسع عشر

اَلمَدرَسَةُ المَسِيحيَّة

مضى زمن طويل إثر الفتح الإسلامي لا يقل عن قرنين قبل أن تصبح الأكثرية العددية، ضمن الدولة العربية الإسلامية، في جانب المسلمين. والواقع أن تحوّل الشعوب القديمة في مصر والشام وايران إلى الإسلام كان لا ينقطع، تدفع إليه عوامل عديدة. ولكنه كان يتم بالتدريج. وخلال ذلك كانت هذه الشعوب تتابع حياتها الفكرية والدينية والاقتصادية — الاجتماعية: الخاصة. الدين السائد بين أهل الشام والعراق ومصر هو المسيحية وإن كان العرب يسمون أهل مصر منهم بالقبط والباقين بالنبط، وكان بين هؤلاء المسيحيين طوائف من اليهود مبعثرة في المدن.

ولم يمارس الحكم العربي الإسلامي أي ضغط على السكان الأولين لحملهم على الأمرين اللذين حملهما معهم العرب: الإسلام واللغة العربية. فظل لهم دينهم السابق ولغتهم الآرامية (السريانية) في العراق والشام والمصرية القديمة في مصر. وهكذا تمت لهم الاستمرارية الثقافية التي عبّر عنها ظهور العديد من رجالات الثقافة السريانية البارزين خلال العصور الإسلامية الأولى. وإذا كان التلاشي التدريجي قبل الإسلام وبعده للثقافة القبطية (لغةً، وكتابةً ومؤلفات

وفنوناً) موضوع بحث آخر فقد ترافق هذا الأفول مع شح كامل في الشخصيات الثقافية والقبطية بحيث لم يظهر ، بعد الفتح الإسلامي ، من اسم لامع فيها . وإن كنا واثقين من أنها ظلت أكثر من عدة قرون في حالة النزع . اقد يدل على حالها في أشعتها الآفلة الأخيرة ذلك العالم القبطي المعمر الذي علم به ابن طولون (٢٥٤ – ٢٧٠هـ) فاستقدمه اليه من الصعيد وسأله الكثير الكثير من الأمور في حديث طريف طويل أتى به المسعودي [1] وذكر أن له مصنفات أيضاً ...

وبالعكس من ذلك كان أمر الجماعات المسيحية في الشام والجزيرة والعراق (من اليعاقبة والنساطرة) فقد تابعت حياتها الثقافية التي كانت لها قبل الفتح الإسلامي ، وعلى الوتيرة نفسها من التأليف بالسريانية والترجمة عن اليونانية والانصراف إلى اللاهوت المسيحي والفلسفة الهيلينية وعلوم الطب والفلك ومختلف الآداب وكانت هذه الجماعات نفسها بنشاطها هذا ، هي صلة الوصل وأداة الترجمة والتعريب ما بين علوم الأوائل وبين الثقافة العربية الإسلامية الناشئة منذ القرن الأول للهجرة ..

وقد كان رجال الفكر الإسلامي يعرفون هذا جيد المعرفة ويتصلون الاتصال المباشر بالأوساط الثقافية السريانية المسيحية لا رغبة منهم في الأخذ منها أو استخدامها في الترجمة والتعريب فقط ، ولكن حباً في الجدل المتكافىء وفي استكمال المعرفة حتى بعد أن وصلت الثقافة العربية الإسلامية فترة النضج والانتاج . ولدينا من المسعودي نص هام يتحدث فيه عن تلك الأوساط الثقافية ورجالها وموضعها في عصره (في الثلث الثاني من القرن الرابع الهجري) يقول فيه : « ... ولقد ذكرنا في كتابنا فنون المعارف ... الفلسفة وحدودها وما ذكره ...... الرواقيون . وأفلاطون وأرسطوطاليس .. وكم أقسام الفلسفة ... ولأي سبب نقل التعليم في أيام عمر بن عبد العزيز من الاسكندرية إلى أنطاكية،

---

(١) المسعودي– مروج الذهب (ط . بلا) ج ٢ ص ٧٣ – ٨٣ .

ثم انتقاله إلى حران في أيام المتوكل وانتهى ذلك في أيام المتوكل الى قويري ويوحنا بن جيلان . (وكانت وفاته بمدينة السلام في أيام المقتدر) وابراهيم المروزي ، ثم إلى أبي محمد بن كرنيب وابي بشر متّى بن يونس تلميذي ابراهيم المروزي (وكانت وفاة متّى في خلافة الراضي) ثم إلى أبي نصر محمد بن محمد الفارابي تلميذ يوحنا بن جيلان (وكانت وفاته بدمشق في رجب سنة ٣٣٩) ولا أعلم في هذا الوقت (سنة ٣٤٥) أحداً يرجع إليه في ذلك إلاّ رجلاً واحداً من النصارى بمدينة السلام يعرف بأبي زكرياء بن عديّ ... [(١)] »

وإذا لم يكن يهمنا هنــا من علوم الأوائل سوى الثقافة التاريخية ، فقــد كان بين أيدي الجماعات المسيحية سواء بالاغريقية أو بالسريانية (وأحياناً باللاتينية) مجموعة من الكتب التاريخية التي أنتجت في ظل العهد البيزنطي السابق ومن أمثلتها بالاغريقية :

- تاريخ الفلاسفة لفورفوريوس (المتوفى بين سنتي ٣٠١ – ٣٠٤ وسوف يترجم بعضه للعربية فيما بعد من قبل أبي الخير بن الخمار حسب رواية ابن النديم .
- الحولية التاريخية التي كتبها يوزيبيوس أسقف قيسارية في القرن الرابع الميلادي والتي تنتهي بحوادث سنة ٣٢٥ .
- الحولية التاريخية الأخرى الكبيرة التي كتبها يوحنا ملالاس الانطاكي (٤٩١ – ٥٧٨ م) والممتدة مــا بين مبدأ الخليقة وموت جوستنيان سنة ٥٦٥ .
- تاريخ انيانوس ، المؤرخ الاغريقي الذي عاش في القرن الخامس ، وكان معروفاً بشكل ضيق بين السريان وسوف يعرفه عن طريقهم العرب .

---

(١) المسعودي– التنبيه والاشراف ص ١٠٥ – ١٠٦ وثمة نص آخر لديه في الكتاب نفسه (ص ٩٨ – ٩٩) يكشف استمرار الثقافة اليهودية ويمدد بعض رجالها .

- تاريخ آندرونيكوس ، من رجال القرن السادس وقد عرفه السريان وسوف ينقله إلى العربية جبريل بن بختيشوع (المتوفى سنة ١٠٠٦/٣٩٧) وسوف يكون من مصادر ابن أبي أصيبعة .

- تاريخ لمؤرخ يحمل اسم سقراط من رجال أواسط القرن السادس .

ومن أمثلة التواريخ التي كانت مكتوبة بالسريانية :

- قصة المصائب التي حلت بالرها وآمد وما بين النهرين ، كتبها أحد الرهبان في مطالع القرن السادس وتعرف أيضاً باسم تاريخ يشوع العمودي . وهي أكمل المصادر حول أحداث سورية ما بين سنتي ٤٩٥ حتى سنة ٥٠٧م . وحروب الامبراطور انسطاس الأول البيزنطي .

- تاريخ الرّها وهو لمؤلف مجهول أيضاً من القرن السادس . وليس بتاريخ مدينة فقط ولكنه تاريخ عام يبدأ سنة ١٣١ ق.م. ويمضي على الأساس الحولي حتى سنة ٥٤٠ في عصر مؤلفه . وقد أعطته الدقة في التواريخ والمعلومات الهامة سمعة كبيرة .

- تاريخ الأباطرة قسطنطين وجوفنيان . وهو من كتابة راهب رهاوي في الربع الأول من القرن السادس ، وقد جعله في ثلاثة أقسام : تاريخ قسطنطين و أولاده ، تاريخ يوزيبيوس والعذابات التي قاساها على يد الامبراطور جوليان الكافر ، وتاريخ جوفيان خلال حكم جوليان . وقد كان لهذا التاريخ أثره في مؤرخي السريان وفي التواريخ العربية فيما بعد بما حمل من الشكل الروائي .

- قصص الشهداء الحميريين العرب وهي عدة أشكال من الروايات والرسائل الرسمية الكهنوتية تروي قصة الأخدود وتحريق المسيحيين في اليمن من قبل اليهود . وقد بقيت منها إلى اليوم ثلاث روايات كلها فيما يبدو من كتابة مار شمعون الأرشمي في حوالى سنة ٥٢٥ ـ ٥٣٠ م .

- التاريخ الكنسي الذي كتبه يوحنا الافسوسي المتوفى سنة ٥٨٦م . وقد وضعه في ثلاثة أقسام كل قسم في ستة كتب (أو فصول) : القسمان الأولان يحتويان التاريخ الروماني منذ عهد يوليوس قيصر حتّى سنة ٥٧١ ، والقسم الأخير وهو بدوره في ستة كتب أوفصول يدون التاريخ حتّى سنة ٥٨٥ ، وقد كتبه صاحبه وهو في السجن حيث مات ، وبالرغم من بعض الفوضى الكرونولوجية فيه ، ومن بعض الأخطاء فقد ظل مصدراً تاريخياً كبير الأهمية للمؤرخين من بعد وقد وصلتنا أجزاء كبيرة من هذا الكتاب وخاصة من قسمه الأخير .

وقد جمع يوحنا الافسوسي فيما بين سنتي ٥٦٦ — ٥٦٨ كتاب: حياة السعداء المشارقة وهو لا يقل شأناً عن كتابه السابق جمع فيه ٥٨ ترجمة قصيرة لبعض القسس والرهبان ورجال الدين الذين عرف في عصره . وهو مطبوع مترجم للانكليزية والفرنسية منذ قرن .

- ونجد تتمة هامة لتاريخ الافسوسي في التاريخ الكنسي المنسوب إلى زكريا الخطيب أو البليغ وقد كتبه راهب من القرن السادس سنة ٥٦٩ في ١٢ فصلاً وباللغة اليونانية . الموجود منه الآن النسخة السريانية ، ولا تبدأ حوادثه الأصيلة إلا منذ الفصل الثالث والرابع وسنوات ٤٥٠ — ٤٩١ ونجد في فصله الثاني قصة أهل الكهف ...

ولزكريا الخطيب ترجمة إلى السريانية لكتاب تاريخ حياة سيفيروس الانطاكي .

- رواية الاسكندر الأكبر وهي القصة الخرافية لهذا الرجل التي يعود أصلها إلى مصر وتنسب لكاليثينوس الاغريقي وهذه القصة عرفت البهلوية ، ثم عرفت السريانية. وقد اختلط بأصلها الوثني بعض القصص المسيحي ، وقصص يأجوج ومأجوج والسد الفولاذي الذي بناه الاسكندر دون هؤلاء .....

- التاريخ الكنسي الذي كتبه رجل دين مجهول من النساطرة اسمه ميشي

حازقا من رجال أواخر القرن السادس وفيه سير الأساقفة العشرين الأوائل الذين توالوا على بلدة أربيل (طبع هذا الكتاب بالموصل سنة ١٩٠٨ وترجم إلى الألمانية في السنة نفسها) .

- تاريخ بلدة بيت سلوق وشهدائها كتبه مؤلف نسطوري مجهول من القرن السادس أيضاً .
- تاريخ سبريشوع البطريق المتوفى في نصيبين سنة ٦٠٤ . كتبه راهب يدعى بطرس وينسب للبطريق أيضاً تاريخ كنسي مفقود ...
- كتاب مختصر التواريخ كتبه يوحنا الجرمقي المتوفى سنة ٦٦٠ تقريباً .
- كتب السير التي كتبها سبر يشوع روسطم (رستم) لعدد من آباء الكنيسة ولم يبق منها سوى سيرة واحدة .

ان قراء هذه الكتب وأمثالها من رجال الدين والكتاب المثقفين من سكان الرافدين والجزيرة والشام ومصر كانوا يشيعون ويتداولون هذه المعارف التاريخية دون شك كلما دعت الحاجة إلى ذلك وما أكثر ما كانت تدعو ، كما كانوا أحياناً يترجمون تلك المعارف . وإذا لم نذكر أمثلة كعب الأحبار وعبيد بن شريه وغيرهما من اليهود السابقين ولم نذكر مجموعة الاخباريين الذين وفدوا على معاوية يزودونه بأخبار الأولين فإن «الدفاتر» التي كان يحتفظ بها معاوية لدى غلمانه المختصين بأن يقرؤوا عليه في الثلث الثاني من كل ليلة أخبار الأمم وسياسات الملوك ، دليل كاف على وجود ترجمات تاريخية مبكرة إلى العربية في الشام سواء عن تراث الاغريق والسريان أو عن المسيحية واليهودية . انها هي الثقافة التاريخية المتاحة الوحيدة في الشام إذ ذاك .

ولقد ظلت هذه الثقافة التاريخية مستمرة النشاط عدة قرون في ظل الإسلام لدى الجماعات السريانية اللغة في العراق والشام بصورة خاصة . وإن لم تمت لدى القبطية في مصر ومن الدلائل عليها ظهور عدد من كبار المؤلفين بالسريانية، في العهدين الأموي والعباسي وحتى القرن السابع الهجري (الثالث عشر

الميلادي) كان من جملة نشاطاتهم الفكرية التأليف التاريخي، ولعل استعراض المؤرخين منهم يكشف جانب الجذور في المدرسة التاريخية المسيحية في الإسلام ومنهم :

- **يعقوب (جاك) الرهاوي** (٦٣٣ - ٧٠٨) أسقف الرها [١] ، الفيلسوف النحوي المؤرخ الذي كتب تاريخاً ذيل به على يوزيبيوس ووصل به إلى عام ٦٩٢م . ثم تابعه مؤلف مجهول بذيل آخر وصل به إلى سنة ٧١٠ .

- **يوحنا النحوي الاسكندري** الذي عاصر عمرو بن العاص واتصل به . وينسب اليه كتاب في التاريخ أخذ عنه ابن النديم ، ومحبوب (أغابيوس) ابن قسطنطين المنبجي وغيرهما [٢] . وثمة احتمال وجود كثير من النشاط في كتابة التاريخ في الاسكندرية حتى زمن الفتح الاسلامي رغم أنه لم يبق مما كتب إلا شيء قليل ... » [٣] ولعل من دلائل ذلك ظهور المؤرخ : يوحنا النقيوسي ، أسقف نيكيو وقد لمع اسمه في القرن الأول الهجري بعد فتح مصر بقليل وقد وضع تاريخاً بالاغريقية ترجم قديماً إلى العربية ثم ترجم عنها إلى اللغة الحبشية وضاع الأصل والترجمة العربية وبقي النص الحبشي الذي نقله إلى الانكليزية R. Charles ونشره في لندن سنة ١٩١٦ باسم Chronicle of John Bishop of Nikia.

- **يوسف حزايا** المعروف بالبصير وهو من كبار علماء النساطرة في العراق الشمالي أيام عمر ومعاوية وينسب اليه ما يزيد على ١٩٠٠ مؤلف من بينها

---

(١) أنظر شيئاً عنه لدى شابو : J.B. Chabot : Littérature Syriaque (ed. Bloud et Gay, Paris, 1934) pp. 84-88.

(٢) ذكر هذا التاريخ ابن النديم في الفهرست ص ٢٩٣ وأخذ عنه كلمة في مدح الطبيب ديسقوريدس العين زربي (ص ٢٥٤ - ٢٥٥) .

(٣) أنظر كتاب بطلر A.J. Butler الفتح العربي لمصر (ط. اكسفورد سنة ١٩٠٢)ص ٩٥ وقد ترجم الكتاب إلى العربية بقلم محمد فريد أبو حديد . وانظر روزنتال - التاريخ عند المسلمين ص ٦٨ من النسخة الانكليزية وص ١٠٨ - ١٠٩ هامش ٢٤ من النسخة العربية المترجمة .

كتاب : جنة المشارقة كتب فيه سير زهاد المشرق يشوعاب الثالث بطريق النساطرة منذ سنة ٦٤٧ حتى موته سنة ٦٥٧ . وقد كتب سيرة يشوع سبران الشهيد النسطوري الذي ترك الزارداشتية إلى المسيحية وبعد سجن دام ١٥ سنة صلب مع رفاقه الاثني عشر سنة ٦٢٠ .

ومن الأدب النسطوري في هذا القرن السابع أيضاً ثلاثة تواريخ مجهولة المؤلفين :

- تاريخ صغير يمتد ما بين موت هرمز سنة ٥٩٠ وسنة ٦٨٠ يحمل كثيراً من المعلومات عن العهد الساساني الأخير (طبعه جويدي سنة ١٨٩١ وترجمه نولدكه للألمانية سنة ١٨٩٣) .
- تاريخ لمؤلف يدعى الاحازقا . وهو مفقود .
- تاريخ آخر لمؤلف يدعى محا وهو بدوره مفقود .

وثمة مؤلفان آخران معروفان عاشا أواسط القرن السابع ، أي العهد الراشد وصدر العهد الأموي معاً :

- دانيال بار مريام الذي كتب تاريخاً كنسياً عاماً .
- والياس اسقف بلدة مرو الذي كتب بدوره تاريخاً مماثلاً . وقد ضاع التاريخان .

وهناك كذلك من مؤرخي النساطرة الذين ظهروا في العهد الأموي والعباسي :

- يوحنا البنكي وهو راهب من قرية البنك شمال الموصل كتب كتاباً سماه : اركيولوجيا وهو مختصر تاريخي من قسمين الأول من الخلق حتى السيد المسيح والثاني يتصل حتى نهاية القرن السابع . وهدفه أن يبين عمل القدرة الإلهية .
- تيودور بارقوني ، ولعله أحد الرهبان في منطقة كشكر شمالي العراق ،

وضع في أواخر القرن الثامن (حوالى سنة ٧٩١) تاريخاً كنسياً ضاعت آثاره .

- توما أسقف المراغة كتب حوالى سنة ٨٤٠م . (في عهد المعتصم والواثق) تاريخ الرؤساء . وهو مؤلف ضخم يقع في ستة كتب . ومع أنه قصد فيه التأريخ لرؤساء ديربيت آبي العشرين ، فإنه أضاف إليهم سير الكثير من الرهبان الآخرين وقد ألقى بهذا الشكل كثيراً من النور على الحياة الدينية الذمية في فترة العصور الاسلامية الأولى ، وعلى نشاط النساطرة التبشيري في جنوب الجزيرة العربية وفي حوض بحر الخزر وفي تركستان وفي الصين. والكتاب مطبوع (لندن سنة ١٨٩٣) .
- دنح يسوع اسقف البصرة في أواخر القرن الثالث الهجري (مطلع القرن العاشر الميلادي) وقد كتب بدوره تاريخاً كنسياً في ثلاث مجلدات . ضاع كله لولا مقتطفات محدودة نقلها الياس النصيبيني في تاريخه .

أما من اليعاقبة السريان فهناك في هذه الفترات الأموية والعباسية أسماء أكثر لمعاناً وعدداً وامتداداً على الزمن ومنها :

- يعقوب الرهاوي : (ولد في سنة ٦٣٣م وتوفي سنة ٧٠٨) كان أبرز الأسماء في الأدب السرياني خلال القرن السابع (أواسط العهد الأموي) . كان لاهوتياً فيلسوفاً . نحوياً ومؤرخاً معاً . وأبرز ما بقي منه هو مؤلفه التاريخي الذي وصل به تاريخ يوزبيوس من حيث انقطع حتى سنة ٦٩٢ . وقد جاء مؤلف آخر مجهول بعد ذلك فأضاف اليه ملحقاً أوصله إلى سنة ٧١٠ . اهتم الرهاوي بالحكام ورجال الكنيسة والعلماء والأتقياء في تاريخه ، وتجاوز أحياناً نظام الترتيب الحولي ، ولكنه ذكر حدوث النكبات الطبيعية من زلازل وبرد وجراد وشهب وما اليها . وقد عاصر يعقوب الرهاوي أيام الوليد ويزيد وهشام أولاد عبد الملك مؤرخ آخر كان من أعوان يعقوب ابيته :

- يوحنا الاثاربي ، من جوار حلب ظل حياً حتى سنة ٧٣٧ وله كتاب تاريخ جعله ديونيسوس التلمحري بين مصادره ...

- وفي سنة ٧٧٥ ، في عهد المنصور العباسي : كتب راهب مجهول من دير زقنين في الجزيرة تاريخاً نسبه السمعاني ، أحد مؤرخي السريان ، إلى ديونيسون التلمحري والنسبة خطأ ، ولكن التاريخ بقي إلى اليوم بين الأيدي . وبالرغم من أنه لا يهتم كثيراً بالتنظيم الزمني ولا بأسلوب الكتابة إلا أنه يحوي معلومات لا نجدها لدى غيره وهو في أربعة أقسام :

- القسم الأول من الخليقة حتى عهد قسطنطين الكبير (ت . سنة ٣٣٧) وهو يجمع مادته من يوزيبيوس وتاريخ الرها ويوليوس الافريقي وغيرهم ، ومن رواية الاسكندر وقصة أهل الكهف ...

- الثاني من قسطنطين إلى الامبراطور زينون . وهي مأخوذة من المؤرخ سقراط بصورة خاصة ويلحق به تاريخ يشوع العمودي .

- الثالث يحكي التاريخ منذ زينون ويتوقف عند جستين الثاني وينقل خاصة تاريخ يوحنا الافسوسي .

أما القسم الرابع فهو القطعة الأصيلة في التاريخ ، وقد كتبها صاحبه مؤرخاً ما بين سنتي ٤٨٧ حتى ٧١٥ وتتوسع مع اقتراب الزمن من المؤلف ، كما تحوي تفصيلات عن المشاكل التي قامت في الطائفة اليعقوبية بين سنتي ٧٦٧ – ٧٧٥ في العراق في عهد المنصور .

والكتاب مطبوع بالسريانية في باريس سنة ١٩١٠ من قبل شابو Chabot

- وثمة من معاصري هذا الراهب المجهول في النصف الثاني من القرن الثامن أي أيام الرشيد مؤرخان آخران من أهل الجزيرة .

- يوحنا بن صموئيل من أهل المنطقة الغربية من الجزيرة وله كتاب تاريخ ضائع .

- ودانيال بن موسى من بلدة طور عابدين وهو جد ديونيسوس التامحري لأمه وله بدوره تاريخ مختصر ضائع .

وقد اعتمد ديونيسوس التلمحري هذين التاريخين بين مصادره .

- **تيوفيل بن توما الرهاوي** المتوفى سنة ٧٨٥ رئيس منجمي المهدي العباسي ويجعله المؤرخ ابن العبري من موارنة لبنان . بينما ينسبه آخرون إلى المذهب الخليقدوني . « وله كتاب تاريخ حسن ، كما أنه نقل كتابي هوميروس الشاعر (الالياذة والأوديسة) من اليونانية إلى السريانية في غاية ما يكون من الفصاحة » [1] ولم يبق شيء من تاريخه الذي قيل أنه أهمل فيه الأخبار المؤيدة لليعاقبة بينما بقيت أسطر فقط من ترجمته لهوميروس .

- **ديونيسوس التلمحري** بطريق اليعاقبة ما بين سنة٨١٨ حتى موته سنة٨٤٥م/ ٢٣٠هـ . ومؤلفه الهام هو تاريخه الذي كتبه في قسمين يحوي كل منهما ١٦ كتاباً مقسومة بينها إلى فصول . وتمتد الفترة التي تناولها على مدى ٢٦٠ سنة منذ وصول الامبراطور البيزنطي موريس إلى العرش سنة ٥٨٢ حتى وفاة الامبراطور تيوفيل سنة ٨٤٢ . وقد ضاع الكتاب إلا فصلاً منه ولكنه كان من الانتشار بحيث كان موضع اقتباس وتلخيص ونقل من قبل كثير من المؤرخين ولا سيما من قبل المؤرخ السرياني الآخر ميخائيل الكبير (من القرن ١٢) الذي سجل حرفياً الكثير من أخباره ورواياته التي لم يتبع فيها النظام الحولي .

ولهذا البطريق أخ يدعي تيودوسيوس كان مطران الرها توفي بعد سنة ٨٣٢ وله تاريخ كنسي وجيز يروي الأحداث ما بين سنة ٧٥٣ وسنة ٨١٢ وقد نقل عنه أخوه .

- **موسى باركيفا** (المتوفى سنة ٩٠٣م/سنة ٢٩١هـ . عن تسعين سنة) وقد تولى

---

(١) ابن العبري- مختصر الدول ص ١٢٧ .

اسقفيات الموصل وتكريت وغيرها ، وكان من مؤلفاته كتاب حول الفرق (المسيحية دون شك) وكتاب في التاريخ الكنسي ضاع ولم تعرف أي مقتبسات عنه .

ومع أن الثقافة السريانية قد ضعفت منذ القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ضعفاً واضحاً مع فقدها رعاياها لحساب الاسلام وانكماش لغتها لحساب العربية ، فإن القرون التالية لم تعدم مع ذلك من يمثلونها بشكل أو بآخر ، ولم تعدم أيضاً بعض المؤرخين ونذكر منهم :

- في القرن الرابع هـ . (العاشر م) كتب الأسقف شمعون (حوالى سنة ٩٥٠م كتاباً في التاريخ .
- في القرن الخامس (الحادي عشر) ظهر إيليا النصيبيني وهو من أبرز كتاب السريانية [1] ومن أساقفة نصيبين الكبار الذين استمروا في منصبهم الأسقفي أكثر من أربعين سنة حتى وفاته فيما بعد سنة ١٠٤٩ (٤٤٢ هـ) . وأهم ما ألف هو كتابه في التاريخ الذي بقيت منه نسخة مخطوطة وحيدة من عصر المؤلف نفسه ، ولعلها بخطه . ولكنها مخرومة . وقد كتب الرجل تاريخه سنة ١٠١٩ (٤١١هـ) ووصل به سنة ١٠١٢ (٤٠٣هـ) . والطريف في الكتاب والهامّ في الوقت نفسه أنه ثنائي اللغة . كتبه صاحبه بالسريانية مع الترجمة العربية ، نتيجة تراجع اللغة الأولى أمام انتشار الثانية وطغيانها على الألسن والأقلام .

ويتضمن التاريخ قسمين. في الأول منهما حوادث المشرق منذ سنة ٢٥م. وقد ذكر المؤلف تحت كل خبر مصدره مما أعان على معرفة عناوين عدد من التواريخ الضائعة وأما القسم الثاني فكتاب في جداول الأعياد والأبراج ولوحات لمقارنة التواريخ المختلفة للأمم وطرق استخراجها ... وقد نشر

---

(١) هو غير معاصره ايليا الأول الجاثليق المتوفى سنة ١٠٤٩ م .

هذا التاريخ مع ترجمات فرنسية وألمانية ولاتينية منذ أواخر القرن الماضي .

- وفي القرن السادس (الثاني عشر) ظهر يعقوب بار صليبي المتوفى سنة ١١٧١ (٥٦٦هـ) الذي أرخ لحوادث عصره ، وهو عصر الصليبيات وظهور آل زنكي ، أما المؤرخ الأهم في هذا العصر فهو :

- **ميخاليل الكبير** أو السرياني (ولد سنة ٥٢١/١١٢٦ وتوفي سنة ٥٩٦/١١٩٩) بطريق اليعاقبة منذ سنة ١١٦٦ وخلال ٣٣ سنة حتى وفاته . وهكذا فالرجل حضر الصراع الإسلامي الصليبي في أوجه : ظهور زنكي وسقوط امارة الرها الصليبية ، ثم الحملة الصليبية الثانية وظهور نور الدين وصلاح الدين ثم سقوط مملكة القدس الصليبية ومجيء الحملة الثالثة ....

وكان هذا البطريق خصب الانتاج يكتب ليل نهار ، ولعل أهم مؤلفاته هو : تاريخه الذي عرفته أوروبا عن طريق مختصر أرمني ثم اكتشفت نسخته السريانية سنة ١٨٨٧ كاملة في الرها ، فطبع في باريس سنة ١٨٩٩ - سنة ١٩٢٤ مع الترجمة الفرنسية من قبل الأب شابو في ثلاث مجلدات ضخمة . انتهى المؤلف من كتابه سنة ١١٩٥ . والنصف الثاني منه تأليف من مصادر شتى ضائعة وباقيه عمل تاريخي شخصي ، وقد كان البطريق يريد أن يبين توالي رؤساء الكهنوت على رأس الكنيسة وتوالي الامبراطوريات الزمنية في حياة الناس ، ولكن القلم سار به في مجال التاريخ الواسع وقد قسم تاريخه إلى ١٣ كتاباً موزعة فيما بينها إلى فصول ، ولكن النص بدوره موزع إلى ثلاثة حقول أو أعمدة في الأول : توالي الأساقفة ، وفي الثاني توالي الدول ، وفي الثالث الحوادث المختلفة . ولكنه كان يقدم الأحداث والأخبار من وجهة النظر الطائفية اليعقوبية . فهو يتوسع فيها أو يختصر تبعاً لشأنها بالنسبة لطائفته ، وخاصة شأنها الديني ... ولكن دون اهتمام بالنقد . وأضاف البطريق ميخائيل إلى كتابه ستة ملاحق أهمها الملحق الذي يعطي معلومات مختصرة عن بطارقة السريان المتعاقبين منذ

سيفروس الأول سنة ٥١٢ حتى ميخائيل نفسه، بيد انه منذ سنة ٧٩٢ صار يضع قائمة بأسماء الأساقفة مع البطريق مع بعض الملاحظات حول كراسيهم في الشام والجزيرة وما بين النهرين .. وفي الكتاب معلومات في غاية الأهمية فيما يتعلق بأوضاع الذميين في هذه المناطق ، خلال العهود الإسلامية المختلفة وإن كانت لا تخلو بالطبع من التعصب والتحامل .

- أما في القرن السابع (١٣ م) فقد أكمل تاريخ ميخائيل الكبير مؤرخ مجهول من هذا القرن الثالث عشر كتب الحوادث الدينية والزمنية ما بين سنة ١٢٠٤ - ١٢٣٤ وهذا الذيل طبع بدوره في باريس ١٩١٦ - ١٩٢٠ إلا أن الاسم الألمع في هذا القرن وفي غيره ، في الأدب التاريخي السرياني هو اسم :

ابن العبري غريغوريوس أبو الفرج (المتوفى سنة ١٢٨٦م / ٦٨٥هـ) وهو الذي يختم قائمة الأدب السرياني ويسجل آخر أشعته الغاربة . في الوقت الذي يظهر فيه كمؤرخ من مؤرخي التاريخ بالعربية أيضاً . وفيه تلتقي وتمتزج المدرستان المسيحية السريانية والعربية الإسلامية . ولهذا فسوف نأتي على ذكره في نهاية الحديث عن الجماعة الأخرى العربية المسيحية ...

إن هذا الاستعراض السريع للنشاط التاريخي الذي قامت به جماعات ثقافية واسعة عاشت تحت الحكم العربي الإسلامي في العراق والجزيرة والشام (ومصر أيضاً) ضمن لغة أخرى ودين آخر يكشف دون شك الأمرين اللذين قصدنا الاشارة إليهما وهما : الاستمرار الثقافي لهذه الجماعات من جهة وجانب الجذور العميقة والخلفية في المدرسة المسيحية التي ندرس من جهة أخرى . وإنما استوقفنا الحديث عن مؤرخي السريان الاستيقاف الطويل لأنهم كانوا الجذر الخبيء لزهرات أخرى كانت تتفتح ولكن باللون العربي ، وتصب انتاجها في التيار الحضاري العربي الإسلامي .

ولعله من الضروري قبل الانصراف إلى تصيد ملامح هذه المدرسة المسيحية

أن نقف قليلاً عند ذلك التطور الثقافي المعقد الذي أصاب هذه الجماعات بين ما قبل الإسلام وما بعده والذي تشتبك فيه العناصر الدينية بالعناصر اللغوية . إن جماعات السكـان في الهلال الخصيب ومصر كانت ومنذ ما قبل الميلاد بقرنين أو ثلاثة ثنائية اللغة والكتابة من الناحية الثقافية . وظلت كذلك بعد الإسلام قروناً طويلة لا نجد في ذلك ظاهرة غريبة أو عبثاً مرهقاً . ولعلها اعتادت أن تكون كذلك ، وإذا اقتصرنا على ما قبل الإسلام بعدة قرون وجدنا أنها كانت تستخدم اليونانية مع السريانية ذات الخط الآرامي (أو اليونانية مع المصرية القديمة ذات الخط الدموطيقي في مصر) وأنها بعد الاسلام صارت تستخدم العربية مع السريانية .

ثنائية اللغة والكتابة كانت من تقاليدها الثقافية . الفارق الوحيد أنها قبل الإسلام كانت تعتبر السريانية (أو القبطية) وطناً لها ضد الاغريقية الغربية . فلما ذهب الحكم البيزنطي وجاء العرب والإسلام وجدت في الديانة المسيحية « وطنها » الفكري والروحي . ومع أنها تساهلت تدريجياً في الاحتفاظ بموطنها الفكري الثاني الذي هو اللغة السريانية (أو المصرية القبطية) فاستبدلت بها العربية لقرابة اللغتين والشعبين ولكنها ظلت تحتفظ بالعقيدة الدينية وترى فيها سور الحماية وتحتفظ معها بالذكريات التاريخية للحكم المسيحي البيزنطي وتكرر أخباره كنوع من التعويض النفسي . ولو أنها كانت في الواقع ، وفي ايامه نفسها ، على أقصى الخلاف معه ، حتى في المذهب الديني .

ولقد ظلت هذه الجماعات المسيحية في هذه المناطق مستمرة الانتاج بعد الإسلام كما كانت قبله ، على أسسها الثقافية التقليدية ، وفي اطارها اللغوي الثنائي (الاغريقي – السرياني) أكثر من قرنين إلا أنه أثناء ذلك كانت أقسام منها متزايدة الاتساع بالتدريج تدخل « الطور العربي » اللغوي . تماماً كما كانت أقسام منها متزايدة الأعداد باستمرار تدخل الإسلام . وليست هذه الأقسام اللغوية والدينية متطابقة بالطبع ، فالذين اسلموا استعربوا نهائياً ، أما الجماعات

الباقية فاحتفظت بدينها وإن لم تجد حرجاً في اصطناع اللغة العربية والكتابة بها لأسباب عديدة منها : الرغبة في العمل بالدولة ، والتعامل مع الحكام والناس وحاجات التجارة الدولية ، وظهور تراث فكري ضخم واسع بالعربية صار هو الثقافة العالمية في تلك العصور ... ولم يكن ثمة أيّ حرج في هذا الانقلاب اللغوي الذي جرى بالتدريج ولم تكن ثمة أي مقاومة له . فإن السريانية أخذت تنكمش من حياة الناس لا سيما وأن الاحتفاظ بالعقيدة الدينية المسيحية لم يكن يمنع من الاستعراب ومن الارتباط بالتيار العام لحياة الناس . الأوساط الدينية فقط – وهي في العادة قطب المحافظة – تمسكت بالتراث الثقافي السرياني الذي صار يحمل لديها المعنى الديني أيضاً وظلت تنتج في اطاره زمناً طويلاً قبل أن تتقبل وتنتصر لديها الثنائية اللغوية الجديدة وتحل العربية محل الاغريقية ...

ان صورة هذا التطور اللغوي – الديني أخذت في الواقع ثلاث مراحل. كانت الاغريقية قبل الإسلام هي لغة الثقافة بالنسبة لأهل هذا الهلال الخصيب (ومصر أيضاً) ، وقد أخذوا عنها إلى السريانية الكثير من التراث الفكري ، وانتخبوا أحياناً باللغتين . فلما انحسر الحكم البيزنطي عن المنطقة انحسرت معه الاغريقية أيضاً . وتلت ذلك بعد فترة من الترقب (لعلها استمرت مدى العصر الأموي وبعض العباسي الأول) مرحلة انتقالية صارت فيها لغات الثقافة في المنطقة ثلاثية (سريانية – اغريقية – عربية) ، وقد دام ذلك مدة عصر التعريب وتمازج الثقافات ما بين عهد المنصور والمتوكل حتى جاءت المرحلة الثالثة العربية بعد ذلك إذ كسبت العربية بالتدريج مكان الاغريقية وألغتها . ثم ما لبثت ان كسبت مكان السريانية نفسها التي انسحبت شيئاً فشيئاً إلى الأديرة واحتمت في ظلال الكنائس والأناشيد الدينية ......

ولقد كان من نتائج هذا التطور الثقافي أن أعداداً واسعة من المثقفين المسيحيين شاركوا بشكل أو بآخر في تيار الحضارة العربية الإسلامية . وإذا نحن اقتصرنا هنا على من أسهموا في تنمية الفكر التاريخي وجدنا انهم كانوا يشكلون – مع بعض التجوز في استعمال الكلمة – مدرسة تاريخية كان من ملامحهاالعامة :

١) ان اعداد هؤلاء المؤرخين ما بين العراق والجزيرة والشام ومصر معاً ليست بالكثيرة نسبياً فهم لا يزيدون على حوالى أربعين مؤرخاً فيهم من العراق ١٦ ومن الشام والجزيرة ١٤ ومن مصر ٩ ، وبالمقابل فإن أوساطهم الاجتماعية وأعمالهم محصورة في نطاق ثلاث فئات محددة . ان تسعة عشر منهم على الأقل هم من رجال الدين وسبعة من الأطباء وثمانية أو أكثر قليلاً من موظفي الدولة، وطبقة الكتاب . وقد ورد هنا السؤال عن السبب في قلة العدد بصورة عامة وفي اقتصار الفئات المشتركة على جماعات محددة ... جاء هذا السؤال لدى روزنتال على شكل من الأشكال وأجاب عليه بقوله : « إن الاهتمام الحقيقي في التأليف التاريخي يعتمد على مدى المساهمة في الحياة السياسية . وهذه الظاهرة (تنطبق على المؤلفات التاريخية اليهودية) وتنطبق أيضاً على المؤلفات التاريخية المسيحية في اللغة العربية غير أن النصارى كمجموعة تمتعوا في بعض الفترات وفي بعض الأقاليم الإسلامية باستقلال سياسي أكثر مما تمتع به اليهود الأقل عدداً ... »[1] ويخيل الينا أن تعليل قلة المشاركة التاريخية بقلة المشاركة السياسية قد يكون رأياً براق المظهر ولكنه ليس بالتعليل القويم . فإن قلة اعداد المؤرخين المسيحيين أو اليهود تنسجم مع قلة اعداد الطوائف التي ينتمون اليها ومع تناقص هذه الأعداد باستمرار . كما أن ظهور هؤلاء المؤرخين من طبقات رجال الدين أو الكتاب أو الأطباء يتفق مع ظهور المؤرخين المسلمين من الطبقات المماثلة لأنهم بدورهم إما من رجال الحديث والدين أو من الكتاب أو من رجال المهن وخاصة الأطباء . دون أن يمنع ذلك من وجود بعض المؤرخين من الطبقات الأخرى بالطبع . إن تلك الطبقات الأولى هي التي كانت تمثل حملة الثقافة في المجتمع الإسلامي كله .

ويمكن أن يضاف إلى هذا أن مؤرخي الجماعات المسيحية لم يكونوا بالفعل

---

(١) روزنتال – علم التاريخ عند المسلمين (النص الانجليزي) ص ١٢١ – ١٢٢ (الترجمة العربية ص ١٩٤) .

قليلي العدد ، إذا نحن تذكرنا أنهم كانوا فريقين لا فريقاً واحداً ، وقد أرخوا بلغتين لا واحدة . والذين أرخوا منهم بالعربية ليسوا إلا جانباً من مجموعة كان بجانبها مجموعة أخرى تطل من خلال حاجز اللغة ، على الأفق الفكري الآخر : السرياني . مجموع هؤلاء وهؤلاء معاً هم مؤرخو المدرسة المسيحية الحقيقيون وما كانت تواريخهم العربية سوى أحد الميدانين المتاحين ولا تكمل الصورة الصحيحة إلا بتذكر رجال الميدان الآخر الشقيق . إن ثنائية اللغة فرضت ثنائية الانتاج ولئن قام بين الانتاجين جدار صفيق من الجهل اللغوي ، إلا أن هذا الجدار لم يكن في معظم الأحيان موجوداً بالنسبة للمؤرخين أنفسهم .

٢) وأما المؤلفات التاريخية فلا تكاد تزيد على عدد المؤرخين إلا قليلاً . كان لكل مؤلف كتاب . وندر فيهم من كتب كتابين ، ومع أنه ليس في أيدينا إلا حوالى ١٤ مؤلفاً من أصل حوالى ثلاثة وأربعين ضاع الباقي الذي يزيد على ٧٠٪ من ذلك الانتاج ، إلا أننا يجب أن نتذكر أنها هي نفسها تقريباً النسبة التي ضاعت فيها المؤلفات التاريخية الإسلامية . وكما حافظت الأوساط الدينية المسلمة على مخطوطات بعض الكتب ، فقد حافظت على مثلها بدورها الأديرة والكنائس سواء بسواء .

أما الظاهرة التي تلفت النظر في مؤلفات المؤرخين المسيحيين من حيث الكم فهي صغر حجم التواريخ العربية بصورة عامة . بعض التواريخ السريانية كانت تصل إلى ثلاث مجلدات ، أما بالعربية فهي مختصرات تصل أحياناً درجة الاقتصار على صفحات من الجداول بالسنين والأحداث (كما في تاريخ ابن الراهب) وقد تطول أحياناً لتصبح مجلداً حسناً ، جيد التأليف . ولكنها في الحالين عرض مختصر مركز ، سريع . كأنما كانت عملية التاريخ بالنسبة اليهم مجرد استذكار للوقائع عبر الزمن ومجرد وضع الأحداث في اطارها الزمني .

٣) وقد اهتم المؤلفون المسيحيون في الدرجة الأولى من حيث الموضوع بالتاريخ

العام . كانت كتابته تلبي حاجة نفسية هامة لاستذكار التاريخ المسيحي السابق للإسلام ، كما تقدم بهذا التاريخ نفسه ، عنصر المعادلة والتكافؤ لديهم مع التاريخ العربي الإسلامي الذي كانوا يعيشون في اطاره . وهكذا نجد أن ثلث أعمالهم التاريخية تقريباً كانت تواريخ عامة . ولقد يبدأ بعضها في العهد الروماني أو البيزنطي ، ولكنها كانت تشمل على أي حال تواريخ أخرى غير التاريخ العربي الإسلامي . ولعلها في هذا تشبه من حيث الدافع التاريخي اقتصار بعض المؤرخين المسلمين على تاريخ الإسلام باعتباره التاريخ الأهم لديهم .

ويلي ذلك في الاهتمام كتابتهم لتاريخ الروم . وإذا كنا نعد حوالى ١٣ تاريخاً عاماً كتبت بأقلام مسيحية فثمة ثمانية مؤلفات على الأقل كتبتها هذه الأقلام عن تاريخ الروم. لاشك أن بعضها كان مجرد ترجمة ولا شك أن بعضها كان نتيجة رغبة بعض المؤرخين المسلمين في معرفة ذلك التاريخ من منابعه وأهله أو من العارفين باللغة التي كُتب بها ...... ولكن هذا التاريخ يأتي في الدرجة الثانية من الاهتمام ويليه من بعده كتابة تواريخ الكنيسة وبطارقتها . وهو أمر طبيعي بدهي . وكان من الغريب أن يكون عدد هذه المؤلفات قليلاً لا يزيد على خمسة . ولعل السبب في ذلك أنهم لم يكونوا يهتمون بكتابة ذلك التاريخ بالعربية . فإذا وجدنا ثلاثة مؤلفات عربية ، في هذا الموضوع في مصر واثنين في العراق ، فإن عدة مؤلفات فيه قد كتبت أيضاً بالسريانية .

وأما الموضوع الرابع فقد كان تاريخ المهنة العامة التي احتكرها إلى حد ما المسيحيون : الطب ونجد في هذا الباب ثلاثة مؤلفات بين الواحد والآخر قرابة القرن : فاسحق بن حنين كتب تاريخ الأطباء في أواخر القرن الثالث وابن بختيشوع في أواخر القرن الرابع وابن شرارة في أواخر الخامس .

وأما باقي الكتب فبعضها تاريخ للعصر ، أو مذكرات ،أو تاريخ خاص بأسرة الكاتب ، أو بالمذاهب ، أو بمدينة مسيحية هامة (كأنطاكية)

وبعضها في الرحلة أو في بني اسرائيل أو في الجواري. على أن من الطريف أن نجد بين هؤلاء المؤلفين من اهتم بكتابة أخبار الخوارج أو اختصار تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ....

٤) وكانت مصادر المؤرخين المسيحيين بدورها مصادر سريانية ويونانية بالدرجة الأولى ، كما كان بينها أحياناً مصادر لاتينية ولم تكن كلها كتب تاريخ ، ولكن بعضها كان يعتمد على السجلات والوثائق الكنسية في البيع والأديرة ، وفي محفوظات الادارات الكهنوتية ورسائل البطارقة والأساقفة. وهكذا مثلاً نقرأ لدى ابن النديم : « قال لي أبو الخير بن الخمار ...... وقد سألته عن أول من تكلم في الفلسفة فقال : زعم فورفوريوس الصوري في كتابه التاريخ ، وهو سرياني أن أول الفلاسفة السبعة تالس ... وقد نقل (أبو الخير) من هذا الكتاب مقالتين إلى العربي ..... [1] » ونقرأ لدى حمزة الاصفهاني قول وكيع القاضي : « نقلت هذه التواريخ من كتاب ملك من ملوك الروم تولى نقله من الرومية إلى العربية بعض التراجمة..[2] » ويقول حمزة عن نفسه في موضع آخر : « وهذه التواريخ (عن ملوك الروم) أخذتها عن رجل رومي كان فراشاً لأحمد بن عبد العزيز بن دلف ، فوقع عليه السباء وهو رجل كبير يقرأ ويكتب بالرومية وكان لا ينبعث في النطق بالعربية إلا بجهد وكان له ابن من جند السلطان منجم ، منهم يقال له يمن ، فترجم لي عن لسان أبيه املاء من كتاب له رومي الخط هذه التواريخ .... » [3] ويقول في موضع ثالث : قرأت في كتاب مصنف في أخبار اليونانيين قد نسب نقله إلى حبيب بن بهريز مطران

---

(١) ابن النديم – الفهرس ص ٢٤٥ وقد توفي فورفوريوس صاحب كتاب تاريخ الفلاسفة بين سنتي ٣٠١ – ٣٠٤ م .

(٢) حمزة الأصفهاني – تاريخ سني ملوك الأرض ص ٦٨ .

(٣) المصدر نفسه ص ٦٣

الموصل أن اليونانيين كانوا يؤرخون في القديم من وقت خروج يونان...»[1]

ونقرأ مثلاً ثالثاً لدى ابن العديم قوله: «قرأت في تاريخ وقع إليّ ذكر جامعه انه انتسخه من كتب شتّى ومن التورية اليونانية والسريانية ومن تاريخ الروم وغيرهم قال: وفي سنة خمسين .. » ويقول: « قرأت بعض تواريخ المسيحية ان ملوك الروم ... »[2] وبديهي ان الياس النصيبيني وابن العبري وكلاهما كتب تاريخه باللغتين العربية والسريانية إنما كان اعتمادهما على المصادر الموفورة لهما بالسريانية وغيرها. وأن تواريخ حنين بن اسحق وقسطا بن لوقا ويوتيخوس سعيد بن البطريق انما تعتمد على المصادر البيزنطية الاغريقية وأن ما كتبه اسحق بن حنين وابن شرارة وابن بختيشوع عن تاريخ الأطباء إنما كانت مصادره اغريقية في الدرجة الأولى. كما أنه لا حاجة للبرهان على أن ما كتبه ابن الراهب واثناسيوس الراهب واسحق الراهب وأبو صالح الأرمني وماري بن سليمان وغيرهم إنما كان يعتمد على الوثائق الكنسية المتوفرة لهم ....

أما المصادر العربية لدى هؤلاء المؤرخين فلم تكن تستعمل إلا عند حاجتهم إلى تلخيص التاريخ الإسلامي والعربي.

٥) فإذا وصلنا أخيراً إلى المادة وأسلوب المعالجة التاريخية وجدنا بصورة عامة - ومن خلال الكتب الباقية للمؤلفين المسيحيين - أن هذه الكتب تشترك في بعض الميزات ومنها:

أ - إقامة نوع من التوازن الكمي بين تواريخ الأمم السابقة للإسلام وخاصة تاريخ الروم والمسيحية وبين التاريخ الإسلامي.

ب - اعتماد الأسلوب المختصر والمباشر في السرد دون تطويل ولا سند ولا دخول في التفاصيل أو الروايات.

---

(١) المصدر نفسه ص ٧٢.

(٢) أنظر ابن العديم - بغية الطلب (مخطوط أيا صوفيا) الورقة ٨٠ ظهر والورقة ٦٩ وجه.

ﺟ — ابراز التاريخ المسيحي ، حتى خلال التاريخ الإسلامي نفسه فكثيراً ما يعطف الكاتب فيذكر مثلاً الأطباء النصارى أو خبر هذا البطريق أو ذلك الشاعر أو ذلك الكاتب من المسيحيين خلال السرد في نوع من اثبات الوجود المبرر . وهذا ما سمح بكشف الكثير من أحوال أهل الذمة خلال العصور الإسلامية .

د — إن روحاً من الاعتدال الواضحة والحياد كانت تميز التواريخ الي كتبها المسيحيون . طيف التعصب لا يكاد يبين فيها وكثيراً ما يغيب تماماً . وبعضهم كابن العبري ادخر تعصبه للنسخة السريانية من تاريخه . وهناك وراء حاجز اللغة كتب أموراً لم يستطع أو لم يشأ أن يذكرها في تاريخه العربي ضد الإسلام .

ولعلنا أخيراً وقبل استعراض هؤلاء المؤرخين نشير إلى ثلاثة أمور هامة تتمم الصورة العامة في هذا البحث :

الاول : ان مشاركة اليهود في كتابة التاريخ كانت ضئيلة جداً . ولعل لأعدادهم المحدودة من جهة ولانصرافهم إلى الحياة الإقتصادية خاصة دخلاً في عدم اهتمامهم بغير التاريخ اليهودي الأقدم . ولعل هذين العاملين لا يقلان تأثيراً عن العامل الآخر الذي ذكره روزنتال وهو الحرمان السياسي . والذي قال فيه : « .. ان الشعور التاريخي لليهود في الإسلام كان يعوزه غذاء الاستقلال السياسي ،ظل محصوراً في ذكريات الماضي وفي بعض التأملات الكثيبة في أحوالهم الحاضرة . وفي بعض الأحيان تبدد الشعور التاريخي لليهود في اعجابهم بعظمة الإسلام التاريخية .. » .

ولو استعرضنا اليهود المشاركين في عملية التاريخ لوجدنا أنهم لا يجاوزون عدد أصابع اليد الواحدة . فهناك مثلاً :

— ما شاء الله (اوميشى ومعناها يثرو) بن أثري وكان يهودياً في أيام المنصور وإلى أيام المأمون (حتى مطلع القرن الثالث) يقول ابن النديم إنه كان

أوحد زمانه في علم الأحكام وله من الكتب :

- كتاب الواحد والعشرين في القرانات والأديان والملل .
- كتاب السلطان .
- كتاب الدول والملك ... [1] .

- وهناك فنحاس بن باطا العبراني الذي كتب تاريخ اليهود واستعمل تاريخه هذا حمزة الاصفهاني [2] .

- وهناك سعديا الجاعوني (من رجال القرن الرابع / العاشر م) الذي نجد اشارات إلى تاريخ عالمي ألفه كان يبحث التاريخ منذ خلق الله السموات والأرض حتى يومنا هذا ... وأنه كان يستند إلى معلومات تاريخية اسرائيلية ... » [3]

- وهناك صدقيا اليهودي من مصادر حمزة الاصفهاني ومؤلف يهودي مجهول آخر [4] معه .

- وهناك السامري مهذب الدين يوسف بن أبي سعيد خلف الدمشقي (المتوفى سنة ٦٢٤/١٢٢٧) وكان من الأطباء ولكنه وزر لبعض الأيوبيين في بعلبك وقد كتب تفسيراً للتوراة وما فيها من تاريخ اليهود والملوك .

- وهناك المؤلف المجهول صاحب المخطوطة التاريخية الموجودة في اكسفورد وقد الفت في القرن السادس / القرن الثاني عشر م . ويبدو أنها تحوي بعض المقتطفات الكافية من تاريخ سعديا الجاعوني ، ولعلها تدل على أن ذلك

---

(١) ابن النديم - الفهرس ص ٢٧٣ - ٢٧٤ .
(٢) حمزة الأصفهاني - تاريخ سني ملوك الأرض ص ٧٩ .
(٣) أنظر روزنتال - التاريخ عند المسلمين ص ١٢٠ من النص الانكليزي (ص ١٩٢ من الترجمة العربية) .
(٤) حمزة الأصفهاني ص ٧٧ - ٧٨ .

التاريخ كان على أساس الحوليات العبرية المعروفة باسم «سيد رعولام» .... ويقتصر هذا الكتاب المجهول المؤلف، على الأحداث التاريخية ذات الأهمية لليهود . ويخصص معظم صفحاته لفترة ما بين بدء الخليقة ونهاية الحياة السياسية اليهودية . ولم يحتج إلى أكثر من صفحة لبحث آخر الملوك اليهود في العراق بما في ذلك أسماء بعض الملوك اليهود في سورية وفلسطين وامبراطورية الاسكندر والرومان وملوك الفرس ورأس الجالوت واكتفى بربع صفحة لتقديم كل الأخبار عن بقية ملوك الفرس مع اشارة مقتضبة للعرب وبعض رؤساء الجالوت من اليهود المتأخرين ... »[1]

على أنه من الضروري أن نسجل هنا أن اليهود إذا أهملوا كتابة التاريخ فإن هذا لا يعني أنهم ، وفي اطار الجماعة الدينية التي يكونونها ، لم يكونوا يسجلون أمورهم الطائفية ويحفظون وثائقها أشد الحفظ . ولقد اكتشفت منذ أكثر من ثلاثين سنة في القاهرة كمية هائلة من الوثائق اليهودية في بعض الكُنُس وهم يدعونها الآن بالجنيزا Geniza وتعود في فترات كتابتها إلى ما بين القرنين التاسع حتى الثاني عشر الميلاديين (٣ — ٦ ﻫ) ولا تتصل أمورها ومسجلاتها بالجماعة اليهودية في مصر وحدها ولكن في الشام وفي اسبانيا والمغرب والهند أيضاً . وقد كتب بعضها بالعبرية وبعضها باللغة العربية ، ولكن بأحرف عبرية ... والدراسات التي تمت على بعض هذه الوثائق من قبل الباحث اليهودي غويتاين S. Goitein والتي نشر بعضها منذ سنة ١٩٥٥ في مقالات وكتب سمحت بتصحيح وبالقاء الأضواء الكثيرة على أوضاع ونشاطات اليهود في العصور الإسلامية .

الأمر الثاني : هو أن المعلومات التاريخية المتعلقة بالعهد البيزنطي وبالمسيحية وبالرومان وأيام اليهودية كان المؤرخون المسلمون إنما يأخذونها من المؤرخين المسيحيين خاصة ، ولكن بعض المؤرخين المسلمين شاركوا حتى

---

(١) روزنتال ص ١٢٠ — ١٢١ من النص الانكليزي (ص ١٩٢ وص ١٩٣ من الترجمة العربية).

في التأليف بهذه المواضيع بقدر علمهم . ولا نقصد بذلك فقط ما ورد في الأقسام الأولى من التواريخ الإسلامية العامة (كالطبري واليعقوبي والمقدسي وابن الجوزي وابن الأثير)، ولكن نقصد التأليف المتخصص . ولدينا مثلاً من هؤلاء :

- سلم بن أبي مسلم الجرمي ، وكان ذا محل في الثغور - كما يقول المسعودي - ومعرفة بأهل الروم وأرضها . «أسره الروم حتى جرى فداؤه سنة ٢٣١ . وله مصنفات في أخبار الروم وملوكهم وذوي المراتب منهم وبلادهم وطرقهم ومسالكها وأوقات الغزو اليها والغارات عليها . ومن جاورهم من الممالك من برجان والابر والبرغر والصقالبة والخزر وغيرهم ... »[1] وقد استمد ابن خرداذبة من هذا المؤلف قائمته لبنود الروم .[2]
- وكيع القاضي المتوفى سنة ٩١٨/٣٠٦ صاحب كتاب أخبار القضاة وله تاريخ للروم نقله - فيما يروي حمزة الاصفهاني - عن تاريخ لملك رومي ...[3] .
- أبو الحسين أحمد بن الحسين الأهوازي وهو من رجال القرن الرابع / العاشر م . وقد كتب كتاب معارف الروم ذكر فيه ما عاينه بالقسطنطينية وبلاد الروم من المراتب الدينية والسياسية وقد نقل عنه البيروني العديد من الأخبار .[4]

علماً أن هذه المؤلفات كانت دون شك ذات طابع عملي ومكتوبة من وجهة نظر إسلامية .

الأمر الثالث : انا سوف نلاحظ عند استعراض المؤرخين المسيحيين أنهم

---

(١) المسعودي - التنبيه والاشراف ص ١٦١ - ١٦٢ .
(٢) أنظر ابن خرداذبه - المسالك والممالك ص ١٠٥ .
(٣) حمزة الأصفهاني - تاريخ سني ملوك الأرض ص ٦٨ .
(٤) البيروني - الآثار الباقية ص ٢٨٩ - ٢٩٣ .

يتكاثفون ويكثرون فيما بين القرن الثالث ونهاية الرابع الهجري (التاسع حتى نهايـة العاشر الميلادي) ثم يقلون قلـة واضحة في القرن الخامس (الحادي عشر الميلادي) حتى إذا جاء القرن السادس ، (الثاني عشر م.) قرن الحروب الصليبية لم نكد نعثر على مؤرخ واحد ثم يعود الأمر إلى الاعتدال ويظهر بعض المؤرخين في القرن السابع (الثالث عشر) ولكن على قلة دوماً . فكأن فترة القرن الرابع الهجري كانت الفترة الذهبية والكبرى في الكثرة والانتاج وفترة القرن السادس هي فترة الصمت .

ولعل السبب في هذا الخط البياني المتحول يعود إلى ظروف الحياة العامة السياسية والاقتصادية ـ الاجتماعية والفكرية معاً . فإن القرن الرابع الهجري كان فترة النضج والأوج في الحضارة الإسلامية . وكان اندفاع المسيحيين في التعاون مع هذه الحضارة على التعريب مستمراً قبل ذلك بقرنين كما أن الاقبال على الجدل ، وعلى اعتناق الإسلام واضحاً وكثيفاً خلال هذه الفترات ، وهكذا تكاثفت أعداد المؤرخين من المسيحيين ضمن اطار النشاط الفكري ـ الاقتصادي العام في المنطقة كلها . ثم قلت هذه الأعداد في القرن الخامس التالي تبعاً لتناقص أعداد الجماعات المسيحية نفسها باعتناق الإسلام فلما جاء القرن السادس بعاصفة الحروب الصليبية وما أثارت من التعصبات الدينية سكت مسيحيو الشرق فلم يكتبوا شيئاً أو على الأقل لم نعرف أنهم كتبوا شيئاً باللغة العربية . ولكنهم كتبوا بالسريانية (كما فعل ميخائيل الكبير البطريق) فلما اعتاد الناس علاقات الحرب والهدنة مع الفرنجة المسيحيين في القرن السابع /١٢م عادت الأقلام المسيحية الشرقية إلى سابق عهدها بالكتابة وبأعداد تتناسب مع عدد الجماعة المسيحية نفسها .

ونعود بعد هذا إلى استعراض المؤرخين المسيحيين ، وهم :

ـ **علي بن ربن النصراني** أبو الحسن بن سهل الطبري [1] ولد أواخر أيام

(١) ثمة اختلاف بين الطبري والمسعودي وابن النديم وابن أبي أصيبعة وياقوت والقفطي وابن خلكان في اسم والد هذا الرجل فهو يكتب تارة ربن أو ربل أو زيد أو زين أو رزين ولا شك أن التصحيف من النساخ قد حور الاسم والصحيح مذكور في كتابه الدين والدولة وهو ربن .

المنصور عام ١٥٨ وتوفي بعد عام ٢٤٧) وأصله من مرو . وكان طبيباً ، حكيماً ، انفرد بالطبيعيات وبدراسة الأديان . تولى الكتابة لملك طبرستان ثم غادر بلاده إلى بغداد أواخر أيام المعتصم على ما يظهر واتصلت أسبابه بالخليفة المتوكل فأسلم على يده وكتب في ظله كتاب فردوس الحكمة في الطب ثم ترجمه إلى السريانية كما كتب بمعونة المتوكل نفسه :

- كتاب الدين والدولة يفند به حجج اليهود والنصارى والمجوس وغيرهم ضد الإسلام في عرض مملوء بالأخبار والاشارات التاريخية . وهو موجود مطبوع (طبع عادل نويهض - بيروت / ١٩٧٣) .
- كتاب تحفة الملوك ذكره ابن النديم [١] والقفطي وابن أبي أصيبعة .

ابو زيد حنين بن اسحق العبادي (المتوفى عام ٨٧٧/٢٦٤) وهو في الأصل من عباد الحيرة . درس في البصرة ثم تعلم الطب واتقن الاغريقية والسريانية والفارسية . عمل في الترجمة فكان المأمون يعطيه وزن الكتاب ذهباً . وله كتب وترجمات عديدة لكتب الطب والفلسفة ، وقد ذكر ابن أبي أصيبعة أن له كتاب : تاريخ العالم والمبدأ والأنبياء والملوك والأمم والخلفاء والملوك في الإسلام ابتدأ فيه من آدم ومن أتى بعده وذكر ملوك بني اسرائيل وملوك اليونانيين والروم وذكر ابتداء الإسلام وملوك بني أمية وملوك بني هاشم إلى الوقت الذي كان فيه ... وهو زمان المتوكل على الله ... » [٢]

وذكر له ابن النديم كتاب : فهرست من نقل إلى العربي . [٣]

ابو يعقوب اسحق بن حنين وهو ابن أبي زيد السابق (المتوفى عام ٢٩٨/

نظر ابن النديم - الفهرست ص ٣١٦ .
بن أبي أصيبعة - طبقات الأطباء ص ٢٧٣ - ٢٧٤ (ج ١ ص ٢٠٠ طبعة مولر) .
بن النديم - الفهرست ص ٢٩٠ .

٩١٠) كان نسخة أخرى عن أبيه في الطب والترجمة والتأليف . ومن بين مؤلفاته :

– «كتاب ذكر فيه ابتداء صناعة الطب وأسماء جماعة من الحكماء والأطباء» ويسمى هذا الكتاب في المصادر تاريخ الأطباء . وقد استعمل فيه أحياناً التقويم السلوقي لأنه كان ينقل عن السريان .

– **الفضل بن مروان بن ماسرجيس النصراني** الوزير وقد توفي في النصف الثاني من القرن الثالث عن عمر امتد ٩٣ سنة . خدم المأمون ثم المعتصم ووزر له وخدم الخلفاء بعدهما وكان حسن معرفته بخدمة الخلفاء يغطي قلة معرفته بالعلم . ولكنه كتب :

– « كتاب المشاهدات والأخبار التي شاهدها ورآها » على حد قول ابن النديم [١] ولعله أول كتاب مذكرات تاريخية يكتب في الإسلام .

– **قسطا بن لوقا البعلبكي** (المتوفى عام ٣٠٠/٩١٢) وهو من كبار المترجمين المعروفين عاصر اسحق بن حنين . كما عاصر الطبري واليعقوبي والدينوري. كان موسوعي المعرفة . يقول ابن النديم : « كان بارعاً في علوم كثيرة منها الطب والفلسفة والهندسة والاعداد والموسيقى فصيحاً باليونانية والعربية ... » [٢] وقد توفي في أرمينية وهناك كتب أيضاً :

– كتاب الفردوس في التاريخ . ولسنا نعرف شيئاً عن هذا الكتاب عدا اسمه .

– **هارون بن عزوز الراهب** وهو مؤلف عربي مسيحي لعله من رجال القرن الثالث وله تاريخ اعتمد فيه أحياناً على المؤرخ يوسيبيوس، ويظهر أن هذا التاريخ كان مختصراً وقد وصل فيه حتى القرن السابع وقع لابن أبي

---

(١) المصدر نفسه ص ١٢٧ وانظر أيضاً الصفدي – الوافي مخطوط البودليان – أكسفورد رقم (Or Sheld Arch A 28, Uri 677 الورقة ١٤٠ وجه وظهر .

(٢) ابن النديم – الفهرست ص ٢٩٥ .

أصيبعة الذي نقل عنه خبر مطلع الخلق والسنوات التي انقضت منذ ذلك الوقت وقال ان ابن عزوز ذكر فيه أنه اعتبر التواريخ وعول على صحتها ورأيته قد كشف بعض اختلافها وعلل ذلك بعلل مقنعة وأورد شواهد من صحتها ... »[1]

« ويقال أن كتاب (ابن عزوز) باق ولكنه ليس في متناول اليد »[2]

فإن بعض الأشخاص يملك مخطوطة منه تاريخها عام ١٠٨٧/٤٨٠ .

ويأتي بعد ابن عزوز جماعة من المؤلفين الذين عرفهم المسعودي أو عرف كتبهم . ويبدو من النص الذي ذكره أنهم كانوا كثيرين فهو يقول : « .... وقد ألف جماعة من الملكية (أي الروم والارثوذكس) والنسطورية واليعاقبة (السريان الأرثوذكس والأقباط) ، (وبعض الموارنة) كتباً كثيرة ممن سلف وخلف منهم ... » . وبين من يذكر المسعودي هؤلاء :

- قيس الماروني وهو من الفترة نفسها ومن موارنة جبل لبنان . يقول المسعودي: ... وله كتاب حسن في التاريخ وابتداء الخليقة والأنبياء والكتب والمدن والأمم وملوك الروم وغيرهم وأخبارهم . انتهى بتصنيفه إلى خلافة المكتفي (٢٨٩ – ٩٠٢/٢٩٥ – ٩٠٨) ولم أر للمارونية في هذا المعنى كتاباً مؤلفاً غيره .... »[3]

ثم يقول : « وأحسن كتاب رأيته للملكية في تاريخ الملوك والأنبياء والأمم والبلدان وغير ذلك كتاب محبوب بن قسطنطين المنبجي » .

---

(١) ابن أبي أصيبعة – طبقات الأطباء ص ١١١ (ط . دار الحياة بيروت) .

(٢) أنظر روزنتال – التاريخ عند المسلمين ص ٦٩ – ٧٠ من النص الانكليزي وص ١١٢ من الترجمة العربية وهو يعتمد في معلوماته على P. Sbath في الفهرس ملحق ٣٢ رقم ٢٦٩٦ (القاهرة ١٩٤٠) وعلى G. Graff ، تاريخ الأدب المسيحي – العربي (بالألمانية) ج ٢ ص ١١٢ (طبع الفاتيكان عام ١٩٤٧) .

(٣) المسعودي– التنبيه والاشراف ص ١٣٢ .

— محبوب بن قسطنطين المنبجي ويعرف لدى طائفته باسم أغابيوس وهو من معاصري المسعودي وقد توفي غالباً في وقت قريب من وفاته (أواسط القرن الرابع) . وله كتاب في التاريخ العام يسمى :

— العنوان الكامل للحكمة . وهو في تاريخ العالم منذ الخليقة حتى عصره . يبدأ بفصل جغرافي دقيق للعالم يتميز بمعالجة علمية للموضوع « كما يستفيد من الأخبار التي نجدها في الحوليات البيزنطية أي تاريخ بني اسرائيل الممتزج بالأساطير وتاريخ الثقافة الاغريقية ، مع التواريخ السياسية الهلينية والرومانية والشرقية [1] ... »

وثمة من هذا الكتاب مخطوطات عديدة ولكنها كلها ناقصة ولم يصل الينا القسم الخاص بالفترة العربية الإسلامية إلا جزئياً في المخطوط (المخروم أيضاً) والموجود في فلورنسة (Flor. Pal. Med. Or. 132) وينتهي هذا القسم بالعام الثاني من خلافة المهدي عام ١٦٠م . وقد حققه لويس شيخو وطبعه في باريس عام ١٩١٢ وقد كان فازيلييف قد حققه ونشره في جزءين من قبل (سان بطرسبورغ عام ١٩٠٩) .

— سعيد بن البطريق المعروف بابن الفراش المصري بطريرك كرسي مار مرقس بالاسكندرية ويعرف في الوثائق الكنسية باسم يوتيخيوس . (وقد توفي عام ٣٢٨/٩٤٠م) وقد شاهده المسعودي بفسطاط مصر أو شاهد كتابه في التاريخ واعتبره من أحسن كتب الملكية ويسمى :

— التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق . [2]

---

(١) أنظر روزنتال – التاريخ عند المسلمين ص ١١٩ من النص الانكليزي (وص ١٩٠ من الترجمة العربية).

(٢) صاحب كشف الظنون (١ – عمود ٢٧٧) ثم صاحب ذيل الكشف (٢ – عمود ٦٥٨) ينسبان إلى ابن البطريق كتاب تاريخ باسم نظم الجواهر في أخبار الأوائل والأواخر ولا شك أن في ذلك خطأ . وصاحب الذيل يجعل اسمه أسعد وموته عام ٣٥٧

وهو كتاب في التاريخ العام بدأه في عهد آدم وانتهى به إلى خلافة الراضي (٣٢٢ – ٣٢٩/٩٣٤ – ٩٤٠) أي حتّى عصره عام ٣٢٦ ونظمه على الأساس الحولي وقد استمد المؤلف مادته من التواريخ البيزنطية ثم من التواريخ الإسلامية ، ويتضمن الكتاب عرضاً بارعاً لتواريخ ما قبل الإسلام ولكنه مصطبغ بنظرة المؤلف المسيحية ويتناول بني اسرائيل والاغريق والاسكندر والرومان وتاريخ النصرانية والروم والفرس . ويظهر اهتمام يوتيخيوس بالمسائل الدينية في مناقشته للمانوية والنساطرة وفي اشاراته إلى الأحداث الهامة في تاريخ الكنيسة ، كالمجامع وتعيين كبار رجال الكنيسة .

ويعتبر يوتيخيوس الهجرة النبوية حداً فاصلاً في التاريخ ولكنه لا يتكلم قط عن حياة الرسول بل يتجاوزها إلى ما وراءها من التاريخ السياسي الإسلامي.

والكتاب موجود معروف وقد نشره لويس شيخو بالاشتراك مع كارا دي فو في جزءين (المطبعة اليسوعية – بيروت – ١٩٠٥ و ١٩٠٩) ثم طبع مرة أخرى في Louvin فرنسا عام ١٩٦٢ بعنوان حوليات Annales يوتيخيوس .

– **الناسيوس الراهب المصري** وهو ممن يذكرهم المسعودي أيضاً ويقول أن له كتاب تاريخ « رتب فيه ملوك الروم وغيرهم من الأمم وسيرهم وأخبارهم من آدم إلى قسطنطين بن هيلاني [1] .. » ثم يقول المسعودي : « ورأيت لأهل المشرق من العباد كتاباً » .

– **يعقوب بن زكريا السكري** الكاتب وقد شاهدناه بأرض العراق والشام (وهذا يعني انتشار الكتاب) يشتمل على أنواع من العلوم في هذه المعاني (ملوك الروم وسيرهم وأخبارهم) يزيد على غيره من كتب النصارى..» [2]

---

(١) المسعودي – التنبيه والإشراف ص ١٣٢ .
(٢) المصدر نفسه .

ثم يعطف المسعودي على اليعاقبة فيذكر منهم :

- « أبا زكريا دنحا النصراني وكان متفلسفاً جدلاً نظاراً جرت بيني وبينه مناظرات كثيرة ببغداد ، في الجانب الغربي بقطيعة أم جعفر وبمدينة تكريت في الكنيسة المعروفة بالخضراء في الثالوث وغيره ... ذلك في عام ٣١٣ ... » وقد ألف كتاباً في ذكر ملوك الروم واليونانيين وفلاسفتهم وسيرهم وأخبارهم ... »[١]

ونجد لدى ابن النديم ذكر مؤلفين من هذه الفترة نفسها منهم :

- اسحق الراهب . الذي ينقل ابن النديم عن تاريخه شيئاً عن بطليموس فيلادلفوس من ملوك الاسكندرية وقصته مع العلوم وكتب الاسكندرية[٢] ..

- ابراهيم بن عيسى النصراني « وكان من ظرفاء الكتاب وأدبائهم وله من الكتب كتاب أخبار الخوارج وكتاب الرسائل .... »[٣]

- وذكر ابن أبي أصيبعة : مارايليا مطران نصيبين وذكر له كتاب الأزمنة في التاريخ وأضاف أنه قد كشف (فيه) الخلف بين التواريخ العتيقة والحديثة وأوضح وكشف وابان ذلك أحسن بيان بجمعه لجملها في صدر كتابه وايراد تفاصيلها وتنبيهه على مواضع الخلاف فيها والزيادات والنقصانات وذكر أسبابها وعللها ...[٤] .

- وذكر أبو الفداء بين مصادره ابن حنون الطبري[٥] وقال أن له تاريخاً ذكر فيه ملوك مصر في قديم الزمان ، وجد أبو الفداء أوراقاً نقل عنها بعض أخبار هؤلاء الملوك . ويبدو أن الرجل لم يكن مصرياً ولكنه من نصارى

---

(١) المصدر نفسه ص ١٣٢ – ١٢٢ .
(٢) أنظر ابن النديم – الفهرس ص ٢٣٩ .
(٣) المصدر نفسه ص ١٣١ .
(٤) ابن أبي أصيبعة – طبقات الأطباء ص ١١١ .
(٥) أنظر أبا الفداء – المختصر في تاريخ البشر ج ١ ، ص ٥٨ .

طبرستان ومن رجال القرن الرابع كما يبدو أن الكتاب لم يكن في ملوك مصر فقط ولكنه تاريخ عام لم يقع منه لأبي الفداء في القرن الثامن (١٤م.) سوى الأوراق التي تتحدث عن ملوك مصر الأقدمين .

ونستطيع أن نضيف أخيراً إلى هذه الجماعة كلها ، ومن مؤرخي هذه الفترة نفسها مؤلفين آخرين دخلا الإسلام ولكن ثقافتهما الأصلية كانت في تكوينها مسيحية وهما :

- قدامة بن جعفر بن قدامة (المتوفى عام ٩٣٢/٢٢٠ أو عام ٣٣٧) وهو من كبار الكتاب في بغداد ومن رجال الدولة ، ومن البلغاء والفلاسفة ، وممن يشار اليه في علم المنطق [1] كان من عائلة نصرانية ثم أسلم على يد المكتفي بالله (٢٨٩ – ٩٠٢/٢٩٥ – ٩٠٨) وله من الكتب في الجو التاريخي :

- كتاب السياسة ، وكتاب نزهة القلوب وزاد المسافر ، كما أن له الكتاب الهام :

- كتاب الخراج وصنعة الكتابة . والكتاب من الشأن بمكان كبير بما يقدم من معلومات ادارية ومالية وجغرافية واقتصادية وتاريخية وكان في ثمانية منازل أو فصول. وقد بقي منه نصفه الثاني من المنزلة الخامسة حتى نهاية الكتاب في مخطوط بمكتبة كوبريلي باستامبول (رقم ١٠٧٦) وقد طبعت نبذ منه في أعقاب كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة (طبع دي غويه – ليدن عام ١٨٨٩) .

- ابو سعيد سنان بن ثابت بن قرة بن مروان الحراني الصابيء (المتوفى عام ٩٤٣/٣٣١) وكان طبيباً كأبيه الذي جاء فاستوطن بغداد وخدم مثله لدى خلفائها : المقتدر ثم القاهر والراضي وصار رئيس أطباء بغداد . أسلم على يد القاهر وله بين مؤلفاته عدة كتب تاريخية ضائعة :

---

(١) ابن النديم – الفهرس ص ١٣٠ .

- رسالة في تاريخ السريانيين . ذكرها القفطي نقلاً عن ابن هلال الصابىء [١]

- رسالة في أخبار آبائه وأجداده .

- رسالة في شرح مذهب الصابئين .

- الرسائل السلطانيات (وهي من وثائق الدولة) والاخوانيات .

- **ساويرس ابن المقفع** ، أسقف الأشمونين في مصر وقد توفي أواخر القرن الرابع الهجري (أواخر القرن العاشر الميلادي) . ترك هذا الاسقف تاريخاً أعانه على جمعه وتأليفه توفر الوثائق الكنسية القبطية تحت يده وهكذا كتب :

- سير الآباء البطاركة للكنيسة القبطية في الاسكندرية .

وأرخ في هذا الكتاب لبطاركة الأقباط منذ مرقس الانجيلي حتى عهده.مع أن ابن المقفع لم يقصد إلى أكثر من ذلك إلا أن كتابه صار بالتفاصيل التي قدمها وبالمعلومات التي ندر أن تتوفر في غيره وثيقة من أهم الوثائق التي تسجل حياة المسيحيين في مصر وعلاقاتهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية في تطوراتها خلال مختلف القرون .

نشر القسم الأول من تاريخ ابن المقفع في مجموعة Patrologia Orientalis (الجزء الأول ، الخامس ، العاشر - باريس ١٩٠٧ ، ١٩١٠ ، ١٩١٥) بتحقيق المستشرق D.T.A. Evetts وينتهي هذا القسم بالبطريرك ٥٢ .

ثم نشرت جمعية الآثار القبطية القسم الثاني من كتاب السير (عام ١٩٤٣- ١٩٤٨) بتحقيق يس عبد المسيح ، سوريال عطية ، وبرمستر

---

(١) القفطي - تاريخ الحكماء ص ١٩٥ .

O.H.E. Burmester وقد جاء بعد قرنين مَنْ ذيَّلَ على كتاب ابن المقفع وهو :

– الأنبا ميخائيل الذي كتب : ذيل سير الآباء البطاركة .

وقد بقي من هذا الذيل الجزء الثالث . وهو مخطوط في دار الكتب بالقاهرة (رقم ٦٤٣٤ح) .

– جبرائيل بن عبيد الله بن بختيشوع المتوفى عام ٣٩٦/١٠٠٦م . وله كتاب في التاريخ [١] أخذ بعضه عن المؤرخ البيزنطي اندرونيقوس (القرن ٦ م .) كما كان بدوره مصدراً من مصادر ابن أبي أصيبعة . [٢]

ويقل عدد المؤرخين في القرن الخامس/الحادي عشرم . قلة واضحة فلا نكاد نجد سوى بضعة أفراد منهم :

– الياس النصيبيني ويدعي الياس بارشنمايا (ولد في نصيبين عام ٩٧٥/٣٦٥هـ؛ وتوفي بعد عام ١٠٤٩م/٤٤١هـ) ويعتبر أعظم كتاب السريان في العصور الوسطى . دخل الرهبنة ست سنوات ثم أصبح بسرعة أسقف بلدته نصيبين مدة تزيد على ٤١ سنة حتى توفي .

وأهم أعماله في التأليف تاريخه الذي كتبه باللغتين العربية والسريانية على الأساس الحولي وانتهى به إلى عام ١٠١٢م./٤٠٣هـ. أو بعدها بقليل . وقد عمد إلى طريقة مبتكرة بأن جعل المؤلفين في كتاب واحد فعمود في الصفحة سرياني يقابله عمود يترجمه بالعربية وجعل الكتاب قسمين . يتحدث القسم الأول عن حوادث الشرق اعتباراً من عام ٢٥م . مع ذكر مصدر كل خبر في ذيله وهذا ما سمح لنا بأن نعرف عناوين الكثير من المؤلفات المجهولة وأسماء مؤلفيها وأعطانا مقتطفات منها ، وهي اليوم

---

(١) أنظر ج . غراف – تاريخ الآداب المسيحية العربية (بالألمانية) ج٢ ، ص ١١١ .G. Graff.

(٢) ابن أبي أصيبعة – طبقات الأطباء (ط . مولر) ج ١ ، ص ٧٣ ، وانظر أيضاً روزنتال – علم التاريخ ، ص ٧٠ من النص الانكليزي (وص ١١٢ من الترجمة العربية) .

في مجملها ضائعة . أما القسم الثاني فخصصه النصيبي لتقديم جداول مقارنة هامة لمختلف التقاويم التاريخية بما في ذلك التقويم الهجري . وشرح خلال ذلك طريقة التحويل من تاريخ إلى آخر .

وقد وصلتنا نسخة مخطوطة من هذا التاريخ ، كتبت في عصر المؤلف عام ١٠١٩ ولعلها في جانب منها بخط المؤلف نفسه . ولكنها مع الأسف مخرومة غير كاملة وتنتهي عام ١٠١٢ .

أبو سعيد عبيد الله بن جبرائيل بن عبيد الله بختيشوع (المتوفى عام ٤٥١/ ١٠٥٨ وهو من مشاهير الأطباء والمؤلفين السريان . كان مقيماً بميافارقين وتوفي بها وله تصانيف كثيرة منها ، في جو التاريخ :

- كتاب مناقب الأطباء ألفه عام ٤٢٣ ذكر فيه شيئاً من أحوالهم ومآثرهم كما ذكر فيه أخباراً تاريخية هامة عن أبيه وجده . وقد أكثر ابن أبي أصيبعة النقل عنه في مواضع عديدة . [1]
- كتاب تذكرة الحاضر وزاد المسافر وهو ضائع ولعله هو المنسوب لسنان بن ثابت .

- **ابن بطلان أبو الحسن المختار بن عبدون بن سعدون** [2] البغدادي (المتوفى بعد عام ٤٥٥/١٠٦٢) واسمه الكنسي يوانس وهو صديق عبيد الله بن جبرائيل . كان من مشاهير الأطبـــاء طاف الجزيرة وبيزنطة والشام ومصر وكانت له منافسات مع الطبيب المصري ابن رضوان . ويبدو أنه قضى أواخر

---

(١) أنظر ابن أبي أصيبعة - طبقات الأطباء (ط . دار الحياة) الصفحات ١١١ ، ١١٢ ، ١٥٢ ، ٢٠٧ ، ٢١٠ ، ٢٠٨ - ٣١٠ ، ٣٣١ ، ٤١٥ ، ٤٩٦ ...

(٢) يذكر القفطي وابن العبري وفاته عام ٤٤٤ ولكن ابن أبي أصيبعة يثبت اطلاعه على مخطوطات تشهد أن حياته امتدت إلى ما بعد ٤٥٥ ونقل عنه تسجيلات لوفيات علماء عاصروه وسجل ابن بطلان وفياتهم قبله ، ومنهم أبو العلاء المعري عام ٤٤٩ والماوردي عام ٤٥٠ وغيرهما . كما انه ألف رسالة في أنطاكية عام ٤٥٥ .

حياته بين بيزنطة حيث ألف كتاباً عام ٤٥٠ وبين انطاكية حيث وضع أيضاً رسالة عام ٤٥٥ .

ولهذا الطبيب عدد من المؤلفات ضمن اطار التاريخ منها :

- رسالة في الرحلة التي رحلها إلى شمال سورية ووصف فيها هذه المنطقة . وقد ارسل الرسالة إلى هلال الصابىء فنقلها ابنه غرس النعمة في كتابه الربيع ونقلها عنه القفطي في تاريخ الحكماء [١] وبسبب أهميتها فقد نشرها يوسف شاخت وماكس مايرهوف عام ١٩٣٧م.
- رسالة في شرى الرقيق وتقليب العبيد (أو شراء العبيد وتقليب المماليك والجواري) وقد نشرها عبد السلام هارون في نوادر المخطوطات (الجزء الرابع طبع القاهرة عام ١٩٥٤) .
- كتاب دعوة الأطباء صنفه على غرار كليلة ودمنة للأمير نصر الدولة أبي نصر أحمد بن مروان صاحب ميافارقين ودياربكر (المتوفى عام ٤٥٣) وكان تأليفه لهذا الكتاب في دير بجوار القسطنطينية عام ٤٥٠ . نشر الكتاب بشارة زلزل في الاسكندرية عام ١٩٠١ .
- رسالة فيما جرى بينه وبين ابن بطلان من وقائع في مصر . نقلها القفطي في تاريخ الحكماء (ما بين ص ٢٩٨ -٣١٤) .
- كتاب دعوة القسوس ولعله على نمط دعوة الأطباء .
- كتاب كناش الأديرة والرهبان .

وقد نقل ابن أبي أصيبعة [٢] عن ابن بطلان أخباراً تاريخية هامة حول الوباء الذي جرى بمصر والشام والعراق وبيزنطة ما بين سنتي ٤٤٦ - ٤٥٤ وغير ذلك .

---

(١) أنظر القفطي - تاريخ الحكماء ص ٢٩٤ - ٢٩٨ .
(٢) ابن أبي أصيبعة - طبقات الأطباء ص ٣٢٦ - ٣٢٧ .

- يحيى بن سعيد الانطاكي (المتوفى عام ١٠٦٥/٤٥٨) وقد أكمل هذا الرجل كتاب يوتيخيوس سعيد ابن البطريق بعد مرور مائة سنة بكتاب :

- صلة كتاب سعيد بن البطريق وصل به ما بين نهاية هذا الكتاب عام ٣٢٦ إلى سنة وفاته عام ٤٥٨ واتبع فيه منهج ابن البطريق في التاريخ الحولي وفي الاختصار المكثف وإن كان - فيما يبدو - من كتابته أكثر وعياً من صاحبه في تفهم التاريخ العام وخاصة في بحثه للفاطميين.

ويظهر من النصوص أن يحيى بن سعيد وضع تاريخه عام٤٠٥ في أنطاكية ثم عدله ثلاث مرات حتى جاء بشكله الأخير .

وكتاب الصلة طبع أيضاً في بيروت (المطبعة اليسوعية) عام ١٩٠٥ . وينتهي المطبوع عام ٤٢٥ بينما ينقل العظيمي عن هذا التاريخ حتى عام ٤٥٨ ويذكر نهايته في هذه السنة . وقد طبع الكتاب كرة أخرى في Louvin بفرنسا عامي ١٩٥٤ - ١٩٦٠ .

- التكريتي أبو نصر يحيى بن جرير (المتوفى بعد عام ١٠٨٠/٤٧٣) وهو أحد أخوين طبيبين معروفين في حلب . كان أخوه طبيب البلاط المرواني في ميافارقين . وقد تلمذ يحيى على الفيلسوف السرياني اليعقوبي عيسى ابن زرعة . وزار عام ٤٥٠ القسطنطينية . وكتب من الكتب :

- كتاب المرشد وهو موسوعة في الأمور الكنسية [٢] ما تزال مخطوطة وقد أشار فيها إلى كتابه التالي :

- زيج التواريخ ويبدو أنه كان على النظام الحولي وصل فيه إلى عام

---

(١) المصدر السابق ص ٣٢٨ وانظر أيضاً Graff تاريخ الأدب المسيحي العربي (بالألمانية) ج ٢ ، ص ٣٨٩ .

(٢) أنظر سيمون جارجي - في معجم الحقوق الكنسية D. Droit canonique طبع باريس عام ١٩٥٠ ، ص ١٢٤٤ ، ١٢٤٩ .

١٠٨٠/٤٧٣ . ولم يذكر هذا الكتاب أحد من المؤرخين سوى ابن العديم الذي أشار اليه ونقل عنه ولكنه سماه « الكتاب الجامع للتاريخ المتضمن ذكر مبدأ الدول ومنشأ الممالك ومواليد الأنبياء وأوقات بناء المدن وذكر الحوادث المشهورة ... » من عهد آدم إلى دولة بني مروان، [١] وقد نقل ابن شداد هذا الوصف للكتاب عن ابن العديم [٢] .

– ابن شرارة المبارك أبو الخير الحلبي (المتوفى عام ١٠٩٩/٤٩٠) وهـو سليل أسرة مسيحية في حلب ومع أنه كان طبيباً إلا أنه لم يعمل في مهنته ولكن كاتباً في ديوان الخراج في حلب وقد نظم قوائم الضرائب التي عرفت بالجرائد الحكميات وظلت أساس الجباية سنين طوالاً في القرن السادس فإذا اختلفوا رجعوا اليها . ويبدو أن رضوان بن تتش صاحب حلب أراده على الإسلام عام ٤٨٨ فهرب من حلب إلى أنطاكية ثم صور حيث مات. ويذكر القفطي ان « لأبي الخير هذا كتاباً في التاريخ ذكر فيه حوادث ما قرب من أيامه (أي دخول الترك السلاجقة للشام) يشتمل على قطعة حسنة من أخبار حلب في أوانه » ويضيف القفطي « ... ولم أجد منه. سوى مختصر جاءني من مصر اختصره بعض المتأخرين لم يأت فيه بطائل ... » [٣] ولكن ابن شداد (القرن ١٣) ينقل عنه في الأعلاق الخطيرة [٤] . وتذكر المصادر لابن شرارة كتاباً آخر هو :

– أخبار الأطباء المعاصرين [٥] . وقد ضاع .

– ابن جزلة أبو علي يحيى بن عيسى بن علي الطبيب البغدادي المتوفى عام

---

(١) أنظر ابن العديم – بغية الطلب (مخطوط أيا صوفيا) الورقة ٦٩ / ظهر . ونستطيع أن نرى هذا النص أيضاً لدى ابن شداد .

(٢) أنظر ابن شداد – الأعلاق الخطيرة (قسم حلب) ، ص ١٢ .

(٣) أنظر القفطي – تاريخ الحكماء ص ٣٣٠ – ٣٣١ .

(٤) أنظر ابن شداد – الأعلاق (قسم حلب) ص ٤٦.

(٥) هدية العارفين ج ٢ ص ١ وذيل كشف الظنون ج ١ ص ٢١٤ .

١٠٩٩/٤٩٣ كان نصرانياً ثم أسلم عام ٤٦٦ ويبدو أنه كان مفتناً ببغداد وبتاريخ بغداد للخطيب فعمد إلى اختصار هذا التاريخ وقال في مقدمة المختصر :

« ... تاريخ بغداد كتاب جليل في هذا العلم نفيس قد تعب فيه وسهر إلا أنه طويل وقد استخرت الله تعالى واختصرته ... » وسماه : المختار من مختصر تاريخ بغداد . وثمة من هذا المختصر نسخة مخطوطة في مجلد بالمكتبة الناصرية بلكنو بالهند (رقم ٢٢٩) .

وقد نستطيع أن نضيف بعد هؤلاء مجموعة من التواريخ المجهولة التي ذكرها ابن العديم قبل أن نجتاز القرن السادس الجديب إلى القرن السابع . ومن هذه التواريخ :

- تاريخ قديم وقع لابن العديم وعدّد فيه ملوك سورية .. [١]
- بعض تواريخ المسيحية التي قال إنه قرأها ونقل عنها .... [٢]
- بعض تواريخ القدماء التي نقل عنها ابن العديم شيئاً من تاريخ الاسكندر [٣] .
- تاريخ وقع لابن العديم لم يذكر اسم جامعه الذي قال انه انتسخه من كتب شتى ومن التورية اليونانية والسريانية ومن تاريخ للروم وغيرهم ...[٤]
- تاريخ انطاكية الذي وضعه بعض النصارى ونقل عنه الشريف الادريسي[٥] .

ونصل إلى مطالع القرن السابع / الثالث عشر . الذي عرف بعض مؤرخي المسيحية ومنهم :

---

(١) أنظر ابن العديم - بغية الطلب (مخلوط أيا صوفيا) الورقة ٧٠ وجه .
(٢) المصدر نفسه الورقة ٦٩ وجه .
(٣) المصدر نفسه الورقة ٧٠ وجه .
(٤) المصدر نفسه الورقة ٨٠ ظهر والورقة ١٠٨ ظهر .
(٥) المصدر نفسه الورقة ٦٩ وجه .

– ماري بن سلمان ويبدو انه من رهبان النساطرة في أواخر القرن السادس ومطالع السابع توفي بعد عام ١٢٠٧/٦٠٤ وقد طبع له في روما عام ١٨٩٩ :

– كتاب أخبار بطاركة كرسي المشرق .

وهو جزء من كتاب المجدل، في بطاركة النساطرة وكبار المسيحية من قبلهم منذ الحواريين حتى البطريق ماريهب الاها الذي كانت له البطرقة ما بين عامي ٥٨٦ – ٦١٨ .

وفي الكتاب الكثير من المعلومات الهامة حول الجماعة المسيحية النسطورية في العراق والجزيرة وحول علاقاتها مع أنظمة الحكم وتقاليدها وعاداتها الدينية ومشاكلها الطائفية وابنيتها والأديرة معاً مما لا يوجد في أي تاريخ آخر .

وقد جاء بعد ابن سليمان بقرن كامل مؤلف آخر تناول الموضوع نفسه هو :

– عمرو بن متى من رجال مطالع القرن الثامن وقد كتب بدوره أيضاً جزءاً من كتاب المجدل نشر في روما عام ١٨٩٦ باسم :

أخبار بطاركة كرسي المشرق . ويبدأ من أيام نيرون وينتهي في عصره. وفيه بدوره تفصيلات أخرى وأخبار ومعلومات لا توجد في الأول .

وإلى هذه الفترة ما بين القرن ١١ أو ١٢ م يعزى :

– تاريخ سعرد (التاريخ السعردي) الذي كتبه بلغة عربية رديئة مؤلف اختلف الباحثون فيه وقد وجد هذا التاريخ في جزءين مخزومين في الأول والنهاية ، نشرهما المطران ادي شير سنة ١٩٠٧ و سنة ١٩١٨ في باريس .

– أبو صالح الأرمني واسمه الأصلي أبو المكارم جرجس بن مسعود (توفي عام ١٢٠٨/٦٠٥) وله كتاب التاريخ المعروف باسمه أو باسم :

– كنائس وأديرة مصر .

ولكنه لا يقتصر على ما يذكر لأنا نجد في الكتاب تاريخ الأرمن في القاهرة وغيرها من بلاد مصر عند استيلاء الغز (أي ظهور دولة صلاح الدين) عام ٥٦٤ على اقليم مصر ونجد كذلك تاريخ كنائس الأرمن ومعابدهم وقساوستهم ومن وفد اليهم وأقام بالكنائس أو رحل عنها كما يذكر أيضاً الاقطاعات المصرية في ذلك العهد للبيع والكنائس والأديرة واحياء النصارى وتاريخ القديسين والبطاركة وبعض أعمال الدولة الأيوبية واقطاعاتها وخراجها .

ومن هذا الكتاب نسخة مخطوطة في باريس كتبت عام ٧٣٨ في ١١٤ ورقة (المكتبة الوطنية رقم ٣٠٧) وقد طبعه Evetts منذ عام ١٨٩٥ في اكسفورد مع الترجمة إلى الانكليزية .

— ابن مماتي شرف الدين الأسعد بن المهذب بن زكريا ابي المليح (المتوفى في حلب عام ١٢٠٩/٦٠٦) والرجل من أسرة قبطية بارزة في مصر توارثت عدة أجيال جباية الخراج فكان الأسعد بدوره ناظر الديوان زمن صلاح الدين الأيوبي ثم زمن ابنه عثمان . وقد حدثت جفوة بينه وبين الملك الأيوبي فهرب إلى حلب وبقي فيها حتى مات .

ولابن مماتي عدة كتب في نطاق التاريخ منها :

— قوانين الدواوين شرح فيه النظام الضرائبي في مصر بأوسع التفاصيل وقدمه للملك العزيز الأيوبي . يقول المقريزي[1] « صنفه .. فيما يتعلق بدواوين مصر ورسومها وأصولها واحوالها وما يجري فيها وهو أربعة أجزاء ضخمة والذي يقع في أيدي الناس جزء واحد اختصره غير المصنف . فإن ابن مماتي ذكر فيه ٤ آلاف ضيعة من أعمال مصر ومساحة كل ضيعة وقانون ريها ومتحصلها من غلة وعين ... » فالكتاب إذن من أهم كتب المال والاقتصاد والادارة في العهد الأيوبي بمصر . ويبدو أن الذي طبع منه هو المختصر

(١) المقريزي – الخطط ج ٢ ص ٥٩ .

الذي يشير اليه المقريزي وقد طبع في القاهرة بتحقيق عزيز سوريال عطية عام ١٩٤٣ .

– سيرة صلاح الدين نظمها – على ما يروي ياقوت وابن كثير – شعراً . وقد ضاعت [١] .

– حجة الحق على الخلق وهو كتاب في التعليم السياسي للحكام ودفعهم الى العدل ورفع الظلم . وكان صلاح الدين يطالعه دوماً ويشهد القاضي الفاضل أنه ما من كتاب يعادل فصلاً منه وأنه من أهم ما طالعه الملوك [٢] .

ثم يأتي في هذا القرن السابع نفسه راهبان ومؤرخان بارزان . أما الراهبان فهما :

– يوحنا الراهب الماروني وهو ثاني اثنين من مؤرخي هذه الطائفة ، وتذكر المصادر له تاريخاً كنسياً عاماً [٣] .

– أبو شاكر بطرس بن أبي الكرم بن المهذب المعروف بابن الراهب (توفي بين سنة ٦٥٧ – ١٢٥٩/٦٦٦ – ١٢٦٨) وهو راهب قبطي كتب تاريخاً يعرف بتاريخ ابن الراهب . وهو موجز للتاريخ العام يبدأ بآدم والتاريخ الديني الاسرائيلي ثم الاغريقي الروماني حتى السيد المسيح ثم يأتي المؤلف بقوائم كاملة لأسماء الأباطرة الرومان ثم البيزنطيين ثم الخلفاء المسلمين منذ ظهور الإسلام حتى عهده وأسماء الملوك الأيوبيين حتى سنة ٦٥٧ ثم ينهي تاريخه بقائمة تحوي أسماء بطارقة القبط في الاسكندرية مع تراجم مقتضبة جداً . ويعلق على هامش ذلك كله في جدول مجاور بالتواريخ

---

(١) أنظر ياقوت – معجم الأدباء ج ٢ ص ٢٥١ وابن كثير – البداية والنهاية ج ١٣ ص ٥٣ ويذكر ذلك المقريزي أيضاً .

(٢) المقريزي – الخطط ج ٣ ص ٥٩

(٣) أنظر غراف Graff تاريخ الأدب المسيحي (بالألمانية) ج ٢ ص ١٠٠ – ١٠١ .

المعاصرة . والكتاب مطبوع منذ سنة ١٩٠٣ في بيروت بتحقيق لويس شيخو اليسوعي .

وأما المؤرخان البارزان فهما :

- **الشيخ المكين جرجس بن العميد** ابي الياسر ابن الياس أبي المكارم بن أبي الطيب النصراني (ولد سنة ٦٠٢/١٢٠٥ وتوفي بعد سنة ٦٧٢/١٢٧٣ بقليل) جاءت أسرة هذا المؤرخ من العراق إلى مصر في عهد الخليفة الآمر الفاطمي في مطالع القرن السادس وعملت في التجارة والكهنوت والوظائف العامة وكان أبوه موظفاً بارزاً في ديوان الجيش في عهد الملك العادل (الثاني) الأيوبي .

ونشأ المكين في مصر وعمل فيها ، ثم هاجر إلى دمشق وكان فيها وقت وصول المغول اليها سنة ٦٥٨/١٢٦٠ ، فالتجأ إلى صور ثم عاد إلى دمشق واتصل بالمغول أو اتُّهم بالاتصال بهم فكلفه ذلك، بعد هزيمتهم، سجناً طويلاً امتد طول عهد الملك الظاهر بيبرس وقد أفرج عنه سنة ٦٧٢ ولكنه مات بعد قليل .

وتاريخ المكين تاريخ عام لما قبل الإسلام وما بعده حتى سنة ٦٥٨ التي سجن فيها . وهو يعتمد في التاريخ القديم على المصادر الدينية والبيزنطية ، أما بعد الإسلام فعلى اختصار الطبري خاصة . وقد لا نجد لديه معلومات أصيلة أو ما يتفرد به ولكنه يحتل مكاناً حسناً بين المصادر الثانوية . وخاصة بالنسبة للعهد الأيوبي ، مع انه يستمد معلوماته عنه من ابن واصل وغيره . ولولا أن لديه معلومات عن الأمور القبطية لا يهتم بايرادها المؤرخون المسلمون في العادة وانه لا يخفي عقيدته ويخصص بعض الفقرات للبطارقة الأقباط ويحول التواريخ الهجرية إلى تاريخ الشهداء المسيحي لكان ممكناً أن ينسب تاريخه إلى أي مؤرخ مسلم .

وصل تاريخ المكين مبكراً جداً إلى أوروبا فنشره مستشرق قديم اسمه Erpenius في ليدن سنة ١٦٢٥ باسم : تاريخ المسلمين . وقد توقف الجزء

الذي نشره عند سنة ٥١٢هـ . / ١١١٨م. ومات ايربنيوس ونسي الناس الكتاب وظنوا أنه ينتهي في هذه السنة .. غير أن العثور على مخطوطات أخرى لهذا التاريخ تمتد حتى سنة ٦٥٨ كشف نقص تلك الطبعة القديمة وإن لم تتحرك الهمم لطبع الباقي بسبب قلة الجديد فيها وكثرة المصادر الأخرى الأكثر سعة وأصالة .

وقد رأى كلود كاهن أخيراً أن ينشر القسم الأخير من هذا التاريخ بعنوان تاريـــخ الأيوبيين فنشره في نشرة المعهـــد الفرنسي بدمشق B.E.O., tome XV, 1955-1957 ويبدأ ما نشره بسنة ٦٠٢ وينتهي سنة ٦٥٢ مع مقدمة بالفرنسية وتلخيص لما ورد في النص العربي .

- ابن العبري أبو الفرج غريغوريوس بن أهرون الملطي (ولد سنة ٦٢٣/١٢٢٦ وتوفي سنة ١٢٨٦/٦٨٥) ويبدو أن أباه كان على اليهودية ثم تحول إلى اليعقوبية ، ونشأ أبو الفرج في ملطية بالجزيرة حيث درس اليونانية والسريانية والعربية ، كما درس اللاهوت والطب والفلسفة ولكن المصائب التي توالت على الجزيرة أيام غزوات المغول أجبرت الأسرة على الهرب إلى أنطاكية ويبدو أن أبا الفرج تأثر بهذه النكبات فاختار طريق الزهد والرهبنة حتى اشتهر بفضله . وبعد أن أتم دراسة الطب في طرابلس عينه البطريق اليعقوبي أسقفاً وتنقل من بعض بلاد الجزيرة إلى عكا ثم إلى حلب ، ثم رُسم بعد الغزو المغولي مفرياناً على الشرق ، أي شمال العراق والعراق العجمي وهادن المغول مما مكنه من حماية طائفته وتنظيمها وتجديد كنائسها . وقد بقي في منصبه ذاك حتى مات في مراغة من أعمال أذربيجان . ولابن العبري ما يزيد على ثلاثين كتاباً بالعربية والسريانية وفيه تلتقي الثقافتان العربية والسريانية معاً . وكتابه الأهم هو التاريخ الذي كتبه في آخر حياته :

- تاريخ مختصر الدول ، وقد كتبه في نسختين الأولى سريانية ثم الأخرى ترجمتها بالعربية . وبينهما اختلاف يسير يتصل بالقارىء الذي يكتب له في كل من التاريخين .

ويبدأ ابن العبري التاريخ بآدم ثم دولة قضاةٍ بني اسرائيل ثم ملوكهم ثم دولة ملوك الكلدانيين وملوك الفرس وملوك اليونان الوثنيين وملوك الافرنج ثم ملوك اليونان المتنصرين (الروم) ليصل الى دولة ملوك العرب المسلمين وينتهي بدولة ملوك المغول . وتأخذ الدول الأولى كلها ثلث الكتاب ، بينما يحتل التاريخ العربي الإسلامي ثلثيه الأخيرين . عدا حوالى ٢٥ صفحة للفترة المغولية . ولا يتبع ابن العبري الطريقة الحولية ، ولكن توالي الملوك. ويهتم بالنواحي الحضارية وخاصة الثقافية التي تتصل برجال النصرانية في العهد الإسلامي فيذكر الأطباء والمترجمين وكبار الكتاب منهم .

والكتاب مطبوع باللغتين . فأما النص العربي فقد طبع أول مرة في اكسفورد سنة ١٦٦٣ مع الترجمة اللاتينية بمراجعة المستشرق بوكوك ، ثم ترجمه بور إلى الألمانية سنة ١٧٨٣ ، ثم طبع في بيروت سنة ١٨٩٠ بعناية أنطون الصالحاني اليسوعي ، ثم أعيد طبعه مرة أخرى سنة ١٩٥٨ . وأما النص السرياني فطبع بدوره منذ خمس عشرة سنة .

ولا تنتهي المدرسة المسيحية بالطبع بابن العبري ولكنها تتابع الانتاج من بعد في ظل المماليك والمغول على السواء ... ولكن على قلة وضعف .

• • •

الفهرس

القسم الثالث : المدارس التاريخية في المشرق
ما بين أوائل القرن الرابع وأواسط السابع الهجري

الفصل الثاني عشر :

المدرسة العباسية ، الأم — ١ ٧

المؤرخون البلدانيون ٧

التواريخ البلدانية ١٤

الفصل الثالث عشر :

المدرسة العباسية ، الأم — ٢ ٤١

مؤرخو القرن الرابع ٤١

١ — المؤرخون البارزون ٤٢

٢ — المؤرخون الثانويون ٦٢

الفصل الرابع عشر :

المدرسة العباسية ، الأم — ٣ ٩٤

مؤرخو العراق وإيران منذ مطلع القرن الخامس حتى أواسط السابع الهجري ٩٤

١ ــ المؤرخون البارزون ٩٥
٢ ــ المؤرخون الثانويون ١١٨

الفصل الخامس عشر :

مدرسة مصر حتّى أواسط القرن السابع ١٣٩
١ ــ الجذور ١٣٩
٢ ــ ظهور المدرسة ١٥٣
٣ ــ الملامح العامة لمدرسة مصر التاريخية ١٦٨
٤ ــ المؤرخون البارزون ١٨٤
٥ ــ المؤرخون الثانويون ١٩٧

الفصل السادس عشر :

مدرسة الشام منذ القرن الثالث حتّى القرن السابع ٢١٧
١ ــ الملامح العامة ٢١٨
٢ ــ المؤرخون الكبار ٢٢٥
٣ ــ باقي المؤرخين الشاميين ٢٧٠

الفصل السابع عشر :

مدرسة اليمن حتّى أواسط القرن السابع ٣٠٥
١ ــ الجذور والمدرسة المهاجرة ٣٠٥
٢ ــ المرحلة التالية ٣١٣
٣ ــ الملامح العامة للمدرسة اليمنية ٣٢٣
٤ ــ المؤرخون ٣٢٦
أولاً : مؤرخو المرحلة الأولى ٣٢٩
ثانياً : مؤرخو المرحلة الثانية ٣٤٦

الفصل الثامن عشر :

المدرسة الفارسية ٣٦٢

الفصل التاسع عشر :

المدرسة المسيحية ٤١١

يصدر قريباً وتباعاً من هذا الكتاب :

الجزء الثالث في التاريخ والمؤرخين في العصر المملوكي - المغولي

الجزء الرابع في التاريخ والمؤرخين في الأندلس والمغرب

الجزء الخامس في أشكال تدوين التاريخ الاسلامي ومناهجه وعلاقاته بالعلوم الأخرى وفلسفته .

مع الفهارس العامة للأجزاء كافة

مطبعة العلوم
حارة حريك . لبنان

هذا الكتاب

يوم كانت مادة هذا الكتاب تجتمع على الصمت والتكاثر بين يدي سنة بعد سنة حتى بلغت ما يزيد على خمس عشرة ألف بطاقة ؛ عدا مئات الكتب ومئات الأبحاث ، ما كان في خاطري أن تأخذ طريقها إلى دراسة كهذه الدراسة في علم التاريخ الاسلامي ولا إلى كتاب من مثل هذا الكتاب .

على أن مصاداة المصادر التاريخية جرتني — دون أن أدري — إلى النظر في مناهجها ونسيجها الفكري وتقنيتها العلمية الدفينة وخصائصها من خلال تاريخ التدوين وتطوره على تمطي الزمن . كما جرتني — ودون أن أدري أيضاً — إلى معايشة المؤرخين ، ذلك الرعيل الكبير الذي رافق مسيرة التاريخ العربي الإسلامي كله وأعارنا عيونه والأقلام لنرى ونعرف تلك المنسبرة من خلاله ... حيادياً كان أم ذاهباً مع الأهواء . نافذ البصيرة، أو أعمى الفؤاد ، في ألوف المجلدات التي كتب ... ووجدتني بين هذا وذاك أمام موضوع جديد لم يكتب بعد ، وقد تكاملت على أوراقي جوانبه « فلم يبق إلا صورة اللحم والدم » ، لم يبق إلا أن توضع له الكلمات ... وهكذا وجد هذا الكتاب الذي يتحدث عن علم التاريخ العربي في مختلف أطواره وعصوره وعن المؤرخين الذين أقاموا، على الأطوار والعصور، هذا العلم .

وهذا الكتاب ليس على أي حال أكثر من محاولة تطمح في كثير من التواضع إلى أن ترسم بعض الخطوط والملامح في تأريخ علم التاريخ جواباً على الحاجتين الأولى والثانية وإلى أن تكون نوعاً من المصباح الهادي لفهم المصادر التاريخية في معارجها والمسالك تلبية للحاجة الثالثة . كما ترجو أخيراً أن تكون إحدى المنافذ للاتصال على الإحاطة والألفة بهذا الفرع من فروع النشاط الفكري في الثقافة العربية الإسلامية ، تمهيداً لاستعراض ثمرات ذلك النشاط في الكتاب الثاني القريب : مصادر التاريخ الإسلامي .